تفسير أبي السعود

المسمى إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم

لقاضي القضاة الإمام
أبي السعود محمد بن محمد العمادي
المتوفى سنة ٩٥١ هجرية

الجزء الثامن

الناشر
دار إحياء التراث العربي
بيروت - لبنان

٤١ ـــ سورة فصلت
(مكية وآياتها أربع وخمسون)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ ٤١ فصلت

تَنزِيلٌ مِّنَ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ ﴿٢﴾ ٤١ فصلت

كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٣﴾ ٤١ فصلت

بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿٤﴾ ٤١ فصلت

وَقَالُوا۟ قُلُوبُنَا فِىٓ أَكِنَّةٍ مِّمَّا تَدْعُونَآ إِلَيْهِ وَفِىٓ ءَاذَانِنَا وَقْرٌ وَمِنۢ بَيْنِنَا وَبَيْنِكَ حِجَابٌ فَٱعْمَلْ إِنَّنَا عَٰمِلُونَ ﴿٥﴾ ٤١ فصلت

﴿ سورة فصلت مكية وآياتها أربع وخمسون آية ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) إن جعل اسما للسورة فهو إما خبر لمبتدأ محذوف وهو الأظهر
٢ لما مر سره مراراً أو مبتدأ خبره (تنزيل) وهو على الأول خبر بعد خبر وخبر لمبتدأ محذوف إن
جعل مسروداً على نمط التعديد وقوله تعالى (من الرحمن الرحيم) متعلق به مؤكد لما أفاده التنوين
٣ من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أو خبر آخر أو تنزيل مبتدأ لتخصصه بالصفة خبره (كتاب)
وهو على الوجوه الأول بدل منه أو خبر آخر أو خبر لمحذوف ونسبة التنزيل إلى الرحمن الرحيم للإيذان
بأنه مدار للمصالح الدينية والدنيوية واقع بمقتضى الرحمة الربانية حسبما ينبىء عنه قوله تعالى وما أرسلناك
٥ إلا رحمة للعالمين (فصلت آياته) ميزت بحسب النظم والمعنى وجعلت تفاصيل فى أساليب مختلفة ومعان
متغايرة من أحكام وقصص ومواعظ وأمثال ووعد ووعيد وقرىء فصلت أى فرقت بين الحق
والباطل أو فصل بعضها من بعض باختلاف الأساليب والمعانى من قولك فصل من البلد فصولا
٥ (قرآناً عربياً) نصب على المدح أو الحالية من كتاب لتخصصه بالصفة أو من آياته (لقوم يعلمون)
أى معانيه لكونه على لسانهم وقيل لأهل العلم والنظر لأنهم المنتفعون به واللام متعلقة بمحذوف هو
صفة أخرى لقرآناً أى كائناً لقوم الخ أو بتنزيل على أن من الرحمن الرحيم ليست بصفة له أو بفصلت
٤ (بشيراً ونذيراً) صفتان أخريان لقرآناً أى بشيراً لأهل الطاعة ونذيراً لأهل المعصية أو حالان
من كتاب أو من آياته وقرئا بالرفع على الوصفية لكتاب أو الخبرية لمحذوف (فأعرض أكثرهم) عن
٥ تدبره مع كونه على لغتهم (فهم لا يسمعون) سماع تفكر وتأمل حتى يفهموا اجلالة قدره فيؤمنوا به (وقالوا)

قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَىَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَٱسْتَقِيمُوٓا۟ إِلَيْهِ وَٱسْتَغْفِرُوهُ ۗ وَوَيْلٌ لِّلْمُشْرِكِينَ ﴿٦﴾ ٤١ فصلت

ٱلَّذِينَ لَا يُؤْتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَهُم بِٱلْءَاخِرَةِ هُمْ كَٰفِرُونَ ﴿٧﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ ﴿٨﴾ ٤١ فصلت

أى لرسول الله صلى الله عليه وسلم عند دعوته إياهم إلى الإيمان والعمل بما فى القرآن (قلوبنا فى أكنة) أى أغطية متكاثفة (مما تدعونا إليه وفى آذاننا وقر) أى صمم وأصله الثقل وقرىء بالكسر وقرىء بفتح القاف (ومن بيننا وبينك حجاب) غليظ يمنعنا عن التواصل ومن للدلالة على أن الحجاب مبتدأ من الجانبين بحيث استوعب ما بينهما من المسافة المتوسطة ولم يبق ثمة فراغ أصلا وهذه تمثيلات لنبو قلوبهم عن إدراك الحق وقبوله ومج أسماعهم له كأن بها صمما وامتناع مواصلتهم وموافقتهم للرسول صلى الله عليه وسلم (فاعمل) أى على دينك وقيل فى إبطال أمرنا (إننا عاملون) أى على ديننا وقيل فى إبطال أمرك والأول هو الأظهر فإن قوله تعالى (قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) تلقين للجواب عنه أى لست من جنس مغاير لكم حتى يكون بينى وبينكم حجاب وتباين مصحح لتباين الأعمال والأديان كما ينبىء عنه قولكم فاعمل إننا عاملون بل إنما أنا بشر مثلكم مأمور بما أمرتم به حيث أخبرنا جميعاً بالتوحيد بخطاب جامع بينى وبينكم فإن الخطاب فى إلهكم محكى منتظم للكل لا أنه خطاب منه عليه الصلاة والسلام للكفرة كما فى مثلكم وقيل المعنى لست ملكا ولا جنياً لا يمكنكم التلقى منه ولا أدعوكم إلى ما تنبو عنه العقول والأسماع وإنما أدعوكم إلى التوحيد والاستقامة فى العمل وقد تدل عليهما دلائل العقل وشواهد النقل وقيل المعنى إنى لست بملك وإنما أنا بشر مثلكم وقد أوحى إلى دونكم فصحت بالوحى إلى وأنا بشر نبوتى وإذا صحت نبوتى وجب عليكم اتباعى فتأمل والفاء فى قوله تعالى (فاستقيموا إليه) لترتيب ما بعدها على ما قبلها من إيحاء الوحدانية فإن ذلك موجب لاستقامتهم إليه تعالى بالتوحيد والإخلاص فى الأعمال (واستغفروه) مما كنتم عليه من سوء العقيدة والعمل وقوله تعالى (وويل للمشركين) ترهيب وتنفير لهم عن الشرك إثر ترغيبهم فى التوحيد ووصفهم بقوله تعالى (الذين لا يؤتون الزكاة) لزيادة التحذير والتخويف عن منع الزكاة حيث جعل من أوصاف المشركين وقرن بالكفر بالآخرة حيث قيل (وهم بالآخرة هم كافرون) وهو عطف على لا يؤتون داخل فى حيز الصلة واختلافهما بالفعلية والاسمية لما أن عدم إيتائها متجدد والكفر أمر مستمر ونقل عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه فسر لا يؤتون الزكاة بقوله لا يقولون لا إله إلا الله فإنها زكاة الأنفس والمعنى لا يطهرون أنفسهم من الشرك بالتوحيد وهو مأخوذ من قوله تعالى ونفس وما سواها وقال الضحاك ومقاتل لا ينفقون فى الطاعات ولا يتصدقون وقال مجاهد لا يزكون أعمالهم (إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات لهم أجر غير ممنون) أى

قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِالَّذِي خَلَقَ الْأَرْضَ فِي يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُ أَندَادًا ذَٰلِكَ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٩﴾ ٤١ فصلت

وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ مِن فَوْقِهَا وَبَارَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَا أَقْوَاتَهَا فِي أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَاءً لِّلسَّائِلِينَ ﴿١٠﴾ ٤١ فصلت

لايمن به عليهم من المن وأصله الثقل أولا يقطع من مننت الحبل قطعته وقيل نزلت فى المرضى
والهرمى إذا عجزوا عن الطاعة كتب لهم الأجر كأصح ما كانوا يعملونه (قل أئنكم لتكفرون) ٩
إنكار وتشنيع لكفرهم وإن واللام إما لتأكيد الإنكار وتقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة لا لإنكار
التأكيد وإما للإشعار بأن كفرهم من البعد بحيث ينكر العقلاء وقوعه فيحتاج إلى التأكيد وإنما علق
كفرهم بالموصول حيث قيل (بالذى خلق الأرض فى يومين) لتفخيم شأنه تعالى واستعظام كفرهم
به أى بالعظيم الشأن الذى قدر وجودها أى حكم بأنها ستوجد فى مقدار يومين أو فى نوبتين على أن
مايوجد فى كل نوبة يوجد بأسرع ما يكون وإلا فاليوم الحقيقى إنما يتحقق بعد وجودها وتسوية
السموات وإبداع نيراتها وترتيب حركاتها (وتجعلون له أنداداً) عطف على تكفرون داخل فى
حكم الإنكار والتوبيخ وجمع الأنداد باعتبار ماهو الواقع لا بأن يكون مدار الإنكار هو التعدد أى
وتجعلون له أنداداً والحال أنه لايمكن أن يكون له ند واحد (ذلك) إشارة إلى الموصول باعتبار
اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته فى
العظمة وإفراد الكاف لما مر مراراً من أن المراد ليس تعيين المخاطبين وهو مبتدأ خبره ما بعده أى
ذلك العظيم الشأن الذى فعل ماذكر (رب العالمين) أى خالق جميع الموجودات ومربيها دون الأرض
خاصة فكيف يتصور أن يكون أخس مخلوقاته نداً له وقوله تعالى (وجعل فيها رواسى) عطف على ١٠
خلق داخل فى حكم الصلة والجعل إبداعى وحديث لزوم الفصل بينهما بجملتين خارجتين عن حيز
الصلة مدفوع بأن الأولى متحدة بقوله تعالى تكفرون فهو بمنزلة الإعادة له والثانية اعتراضية مقررة
لمضمون الكلام بمنزلة التأكيد فالفصل بهما كلا فصل على أن فيه فائدة التنبيه على أن مجرد المعطوف
عليه كاف فى تحقق ربوبيته للعالمين واستحالة أن يجعل له ند فكيف إذا انضم إليه المعطوفات وقيل
هو عطف على مقدر أى خلقها وجعل الخ وقيل هو كلام مستأنف وأياً ما كان فالمراد تقدير الجعل
لا الجعل بالفعل وقوله تعالى (من فوقها) متعلق بجعل أو بمضمر هو صفة لرواسى أى كائنة من
فوقها مرتفعة عليها لتكون منافعها معرضة لأهلها ويظهر للنظار مافيها من مراصد الاعتبار ومطارح
الأفكار (وبارك فيها) أى قدر أن يكثر خيرها بأن يخلق أنواع الحيوانات التى من جملتها الإنسان
وأصناف النبات التى منها معايشهم (وقدر فيها أقواتها) أى حكم بالفعل بأن يوجد فيما سيأتى لأهلها
من الأنواع المختلفة أقواتها المناسبة لها على مقدار معين تقتضيه الحكمة وقرىء وقسم فيها أقواتها

ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ٤١ فصلت

فَقَضَىٰهُنَّ سَبْعَ سَمَٰوَاتٍ فِى يَوْمَيْنِ وَأَوْحَىٰ فِى كُلِّ سَمَآءٍ أَمْرَهَا وَزَيَّنَّا ٱلسَّمَآءَ ٱلدُّنْيَا بِمَصَٰبِيحَ وَحِفْظًا ذَٰلِكَ تَقْدِيرُ ٱلْعَزِيزِ ٱلْعَلِيمِ ﴿١٢﴾ ٤١ فصلت

(فى أربعة أيام) متعلق بحصول الأمور المذكورة لا بتقديرها أى قدر حصولها فى يومين وإنما قيل فى أربعة أيام أى تتمة أربعة تصريحاً بالفذلكة (سواء) مصدر مؤكد لمضمر هو صفة لأيام أى استوت سواء أى استواء كما ينبىء عنه القراءة بالجر وقيل هو حال من الضمير فى أقواتها أو فى فيها وقرىء بالرفع أى هى سواء (للسائلين) متعلق بمحذوف تقديره هذا الحصر للسائلين عن مدة خلق الأرض وما فيها أو بقدر أى قدر فيها أقواتها لأجل السائلين أى الطالبين لها المحتاجين إليها من المقتاتين وقوله تعالى (ثم استوى إلى السماء) شروع فى بيان كيفية التكوين إثر بيان كيفية التقدير ولعل تخصيص البيان بما يتعلق بالأرض وأهلها لما أن بيان اعتنائه تعالى بأمر المخاطبين وترتيب مبادى معايشهم قبل خلقهم مما يحملهم على الإيمان ويزجرهم عن الكفر والطغيان أى ثم قصد نحوها قصداً سوياً لا يلوى على غيره (وهى دخان) أى أمر ظلمانى عبر به عن مادتها أو عن الأجزاء المتصغرة التى ركبت هى منها أو دخان مرتفع من الماء كما سيأتى وإنما خص الاستواء بالسماء مع أن الخطاب المترتب عليه متوجه إليهما معاً حسبما ينطق به قوله تعالى (فقال لها وللأرض) اكتفاء بذكر تقديرها وتقدير ما فيها كأنه قيل فقال لها وللأرض التى قدر وجودها ووجود ما فيها (ائتيا) أى كونا واحدثا على وجه معين وفى وقت مقدر لكل منكما وهو عبارة عن تعلق إرادته تعالى بوجودهما تعلقاً فعلياً بطريق التمثيل بعد تقدير أمرهما من غير أن يكون هناك أمر ومأمور كما فى قوله تعالى كن وقوله تعالى (طوعا أو كرهاً) تمثيل لتحتم تأثير قدرته تعالى فيهما واستحالة امتناعهما من ذلك لا إثبات الطوع والكره لهما وهما مصدران وقعاً موقع الحال أى طائعتين أو كارهتين وقوله تعالى (قالتا أتينا طائعين) أى منقادين تمثيل لكمال تأثرهما بالذات عن القدرة الربانية وحصولهما كما أمرتا به وتصوير لكون وجودهما كما هما عليه جارياً على مقتضى الحكمة البالغة فإن الطوع منبىء عن ذلك والكره موهم لخلافه وإنما قيل طائعين باعتبار كونهما فى معرض الخطاب والجواب كقوله تعالى ساجدين وقوله تعالى (فقضاهن سبع سموات) تفسير وتفصيل لتكوين السماء المجمل المعبر عنه بالأمر وجوابه لا أنه فعل مترتب على تكوينها أى خلقهن خلقاً إبداعياً وأتقن أمرهن حسبما تقتضيه الحكمة والضمير إما للسماء على المعنى أو مبهم وسبع سموات حال على الأول تمييز على الثانى (فى يومين) فى وقت مقدر بيومين وقد بين مقدار زمان خلق الأرض وخلق ما فيها عند بيان تقديرهما فكان خلق الكل فى ستة أيام حسبما نص عليه فى مواقع من التنزيل (وأوحى فى كل سماء أمرها) عطف على قضاهن أى خلق فى كل منها ما فيها من الملائكة

والنيرات وغير ذلك مما لايعلمه إلا الله تعالى كما قاله قتادة والسدى فالوحى عبارة عن التكوين كالأمر مقيد بما قيد به المعطوف عليه من الوقت أو أوحى إلى أهل كل منها أوامره وكلفهم مايليق بهم من التكاليف فهو بمعناه ومطلق عن القيد المذكور وأياً ما كان فعلى ماقرر من التفصيل لا دلالة فى الآية الكريمة على الترتيب بين إيجاد الأرض وإيجاد السماء وإنما الترتيب بين التقدير والإيجاد وأما على تقدير كون الخلق وما عطف عليه من الأفعال الثلاثة على معانيها الظاهرة فهى وما فى سورة البقرة من قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً ثم استوى إلى السماء فسواهن سبع سموات تدلان على تقدم خلق الأرض وما فيها على خلق السماء وما فيها وعليه إطباق أكثر أهل التفسير وقد روى أن العرش العظيم كان قبل خلق السموات والأرض على الماء ثم إنه تعالى أحدث فى الماء اضطراباً فأزبد فارتفع منه دخان فأما الزبد فبقى على وجه الماء فخلق فيه اليبوسة فجعله أرضاً واحدة ثم فتقها فجعلها أرضين وأما الدخان فارتفع وعلا فخلق منه السموات وروى أنه تعالى خلق جرم الأرض يوم الأحد ويوم الاثنين ودحاها وخلق مافيها يوم الثلاثاء ويوم الأربعاء وخلق السموات وما فيهن يوم الخميس ويوم الجمعة وخلق آدم عليه السلام فى آخر ساعة منه وهى الساعة التى تقوم فيها القيامة وقيل إن خلق جرم الأرض مقدم على خلق السموات لكن دحوها وخلق ما فيها مؤخر عنه لقوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها ولما روى عن الحسن رحمه الله من أنه تعالى خلق الأرض فى موضع بيت المقدس كهيئة الفهر عليه دخان ملتزق بها ثم أصعد الدخان وخلق منه السموات وأمسك الفهر فى موضعها وبسط منها الأرض وذلك قوله تعالى كانتا رتقاً ففتقناهما الآية وليس المراد بنظمها مع السماء فى سلك الأمر بالإتيان إنشاءها وإحداثها بل إنشاء دحوها وجعلها على وجه خاص يليق بها من شكل معين ووصف مخصوص كأنه قيل ائتيا على ماينبغى أن تأتيا عليه ائتى يا أرض مدحوة قراراً ومهاداً لأهلك وائتى ياسماء مقببة سقفاً لهم ومعنى الإتيان الحصول على ذلك الوجه كما تنبىء عنه قراءة آتيا وآتينا من المواتاة وهى الموافقة وأنت خبير بأن المذكور قبل الأمر بالإتيان ليس مجرد خلق جرم الأرض حتى يتأتى ماذكر بل خلق مافيها أيضاً من الأمور المتأخرة عن دحوها قطعاً فالأظهر أن يسلك مسلك الأولين ويحمل الأمر بالإتيان على تكوينهما متوافقتين على الوجه المذكور وليس من ضرورته أن يكون دحوها مترتباً على ذلك التكوين وإنما اللازم ترتب حصول التوافق عليه ولا ريب فى أن تكوين السماء على الوجه اللائق بها كاف فى حصوله ولا يقدح فى ذلك تكوين الأرض على الوجه المذكور قبل ذلك وأن يحمل الأرض فى قوله تعالى والأرض بعد ذلك دحاها منصوباً بمضمر قد حذف على شريطة التفسير ويجعل ذلك إشارة إلى ذكر ماذكر من بناء السماء ورفع سمكها وتسويتها وغيرها لا إلى أنفسها وتحمل البعدية إما على أنه قاصر عن الأول فى الدلالة على القدرة القاهرة كما قيل وإما على أنه أدخل فى الإلزام لما أن المنافع المنوطة بما فى الأرض أكثر وتعلق مصالح الناس بذلك أظهر وإحاطتهم بتفاصيلها أكمل وليس ماروى عن الحسن

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَقُلْ أَنذَرْتُكُمْ صَٰعِقَةً مِّثْلَ صَٰعِقَةِ عَادٍ وَثَمُودَ ﴿١٣﴾ ٤١ فصلت

إِذْ جَآءَتْهُمُ ٱلرُّسُلُ مِنۢ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَمِنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ ۖ قَالُوا۟ لَوْ شَآءَ رَبُّنَا لَأَنزَلَ مَلَٰٓئِكَةً فَإِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ٤١ فصلت

رضى الله عنه نصاً فى تأخر دحو الأرض عن خلق السماء فإن بسط الأرض معطوف على إصعاد الدخان وخلق السماء بالواو فلا دلالة فى ذلك على الترتيب قطعاً وقد نقل الإمام الواحدى عن مقاتل أن خلق السماء مقدم على إيجاد الأرض فضلا عن دحوها فلابد من حمل الأمر بإتيانهما حينئذ أيضاً على ماذكر من التوافق والمواتاة ولا يقدح فى ذلك تقدم خلق السماء على خلق الأرض كالم يقدح فيه تقدم خلق الأرض على خلق السماء هذا كله على تقدير كون كلمة ثم للتراخى الزمانى وأما على تقدير كونها للتراخى الرتبى كما جنح إليه الأكثرون فلادلالة فى الآية الكريمة على الترتيب كما فى الوجه الأول وعلى ذلك بنى الكلام فى تفسير قوله تعالى هو الذى خلق لكم مافى الأرض جميعاً الآية وإنما لم يحمل الخلق هناك على معنى التقدير كما حمل عليه ههنا لتوفية مقام الامتنان حقه (وزينا السماء الدنيا بمصابيح) من الكواكب فإنها كلها ترى متلألئة عليها كأنها فيها والالتفات إلى نون العظمة لإبراز مزيد العناية بالأمر وقوله تعالى (وحفظاً) مصدر مؤكد لفعل معطوف على زينا أى وحفظناها من الآفات أو من المسترقة حفظاً وقيل مفعول له على المعنى كأنه قيل وخلقنا المصابيح زينة وحفظاً (ذلك) الذى ذكر بتفاصيله (تقدير العزيز العليم) المبالغ فى القدرة والعلم (فإن أعرضوا) متصل بقوله تعالى قل أئنكم الخ أى فإن أعرضوا عن التدبر فيما ذكر من عظائم الأمور الداعية إلى الإيمان أو عن الإيمان بعد هذا البيان (فقل) لهم (أنذرتكم) أى أنذركم وصيغة الماضى للدلالة على تحقق الإنذار المنبىء عن تحقق المنذر به (صاعقة) أى عذابا هائلا شديد الوقع كأنه صاعقة (مثل صاعقة عاد وثمود) وقرىء صعقة مثل صعقة عاد وثمود وهى المرة من الصعق أو الصعق يقال صعقته الصاعقة صعقاً فصعق صعقا وهو من باب فعلته ففعل (إذ جاءتهم الرسل) حال من صاعقة عاد ولا سداد لجعله ظرفا لأنذرتكم أو صفة لصاعقة لفساد المعنى وأما جعله صفة لصاعقة عاد أى الكائنة إذ جاءتهم ففيه حذف الموصول مع بعض صلته (من بين أيديهم ومن خلفهم) متعلق بجاءتهم أى من جميع جوانبهم واجتهدوا بهم من كل جهة أومن جهة الزمان الماضى بالإنذار عما جرى فيه على الكفار ومن جهة المستقبل بالتحذير عما سيحيق بهم من عذاب الدنيا وعذاب الآخرة وقيل المعنى جاءتهم الرسل المتقدمون والمتأخرون على تنزيل مجىء كلامهم ودعوتهم إلى الحق منزلة مجىء أنفسهم فإن هوداً وصالحاً كانا داعيين لهم إلى الإيمان بهما وبجميع الرسل ممن جاء من بين أيديهم أى من قبلهم وممن يجىء من خلفهم أى من بعدهم فكان الرسل قد جاءوهم وخاطبوهم بقوله تعالى (أن لاتعبدوا إلا الله) أى بأن لاتعبدوا على أن أن مصدرية أو أى لاتعبدوا على أنها مفسرة (قالوا لوشاء ربنا) أى

فَأَمَّا عَادٌ فَاسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَقَالُوا مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ٤١ فصلت

فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِي أَيَّامٍ نَحِسَاتٍ لِنُذِيقَهُمْ عَذَابَ الْخِزْيِ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَخْزَىٰ وَهُمْ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٦﴾ ٤١ فصلت

إرسال الرسل لا إنزال الملائكة كما قيل فإنه عار عن إفادة ما أرادوه من نفي رسالة البشر وقد مر فيما سلف (لأنزل ملائكة) أي لأرسلهم لكن لما كان إرسالهم بطريق الإنزال قيل لأنزل (فإنا بما أرسلتم به) أي على زعمكم وفيه ضرب تهكم بهم (كافرون) لما أنكم بشر مثلنا من غير فضل لكم علينا روى أن أبا جهل قال في ملأ من قريش قد التبس علينا أمر محمد فلو التمستم لنا رجلا عالما بالشعر والكهانة والسحر فكلمه ثم أتانا ببيان من أمره فقال عتبة بن ربيعة والله لقد سمعت الشعر والكهانة والسحر وعلمت من ذلك علماً وما يخفى على فأتاه فقال أنت يا محمد خير أم هاشم أنت خير أم عبد المطلب أنت خير أم عبد الله فبم تشتم آلهتنا وتضللنا فإن كنت تريد الرياسة عقدنا لك اللواء فكنت رئيساً وإن تك بك الباءة زوجناك عشر نسوة تختارهن أي بنات قريش شئت وإن كان بك المال جمعنا لك ماتستغنى ورسول الله صلى الله عليه وسلم ساكت فلما فرغ عتبة قال صلى الله عليه وسلم بسم الله الرحمن الرحيم حم إلى قوله تعالى مثل صاعقة عاد وثمود فأمسك عتبة على فيه صلى الله عليه وسلم وناشده بالرحم ورجع إلى أهله ولم يخرج إلى قريش فلما احتبس عنهم قالوا ما نرى عتبة إلا قد صبأ فانطلقوا إليه وقالوا ياعتبة ماحبسك عنا إلا أنك قد صبأت فغضب ثم قال والله لقد كلمته فأجابني بشيء والله ما هو بشعر ولا كهانة ولا سحر ولما بلغ صاعقة عاد وثمود أمسكت بفيه وناشدته بالرحم أن يكف وقد

١٥ علمتم أن محمداً إذا قال شيئاً لم يكذب فخفت أن ينزل بكم العذاب (فأما عاد فاستكبروا في الأرض) شروع في حكاية مايخص بكل واحدة من الطائفتين من الجناية والعذاب إثر حكاية ما يعم الكل من الكفر المطلق أي فتعظموا فيها على أهلها أو استعلوا فيها واستولوا على أهلها (بغير الحق) أي بغير استحقاق للتعظم والولاية (وقالوا) مدلين بشدتهم وقوتهم (من أشد منا قوة) حيث كانوا ذوى أجسام طوال وخلق عظيم وقد بلغ من قوتهم أن الرجل كان ينزع الصخرة من جبل فيقتلعها بيده (أو لم يروا) أي أغفلوا أو ألم ينظروا ولم يعلموا علماً جلياً شبيهاً بالمشاهدة والعيان (أن الله الذي خلقهم هو أشد منهم قوة) أي قدرة فإنه تعالى قادر بالذات مقتدر على مالايتناهى قوى على مالايقدر عليه غير مفيض للقوى والقدر على كل قوى وقادر وإنما أورد في حيز الصلة خلقهم دون خلق السموات والأرض لادعائهم الشدة في القوة وفيه ضرب من التهكم بهم (وكانوا بآياتنا) المنزلة على الرسل (يجحدون) أي ينكرونها وهم يعرفون حقيتها وهو عطف على فاستكبروا كقوله تعالى وقالوا وما

١٦ بينهما اعتراض للرد على كلمتهم الشنعاء (فأرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) أي باردة تهلك وتحرق بشدة

وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ٤١ فصلت

وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ ٤١ فصلت

وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ ٤١ فصلت

حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ ٤١ فصلت

بردها من الصر وهو البرد الذى يصر أى يجمع ويقبض أو عاصفة تصوت فى هبوبها من الصرير (فى أيام نحسات) جمع نحسة من نحس نحساً نقيض سعد سعداً وقرىء بالسكون على التخفيف أو على أنه نعت على فعل أو وصف بمصدر مبالغة قيل كن آخر شوال من الأربعاء إلى الأربعاء وما عذب قوم إلا فى يوم الأربعاء (لنذيقهم عذاب الخزى فى الحياة الدنيا) وقرىء لتذيقهم على إسناد الإذاقة إلى الريح أو إلى الأيام وأضيف العذاب إلى الخزى الذى هو الذل والاستكانة على أنه وصف له كما يعرب عنه قوله تعالى (ولعذاب الآخرة أخزى) وهو فى الحقيقة وصف للمعذب وقد وصف به العذاب للمبالغة (وهم لا ينصرون) بدفع العذاب عنهم بوجه من الوجوه (وأما ثمود فهديناهم) فدللناهم على الحق بنصب ١٧ الآيات التكوينية وإرسال الرسل وإنزال الآيات التشريعية وأزحنا عللهم بالكلية وقد مر تحقيق معنى الهدى فى تفسير قوله تعالى هدى للمتقين وقرىء ثمود بالنصب بفعل يفسره مابعده ومنونا فى الحالين وبضم الثاء (فاستحبوا العمى على الهدى) أى اختاروا الضلالة على الهداية (فأخذتهم صاعقة العذاب الهون) داهية العذاب وقارعة العذاب والهون الهوان وصف به العذاب مبالغة أو أبدل منه (بما كانوا يكسبون) من اختيار الضلالة (ونجينا الذين آمنوا وكانوا يتقون) من تلك الصاعقة ١٨ (ويوم يحشر أعداء الله) شروع فى بيان عقوباتهم الآجلة إثر بيان عقوباتهم العاجلة والتعبير عنهم ١٩ بأعداء الله تعالى لذمهم والإيذان بعلة مايحيق بهم من الوان العذاب وقيل المراد بهم الكفار من الأولين والآخرين ويرده ماسيأتى من قوله تعالى فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس وقرىء يحشر على بناء الفاعل ونصب أعداء الله وبنون العظمة وضم الشين وكسرها (إلى النار) أى إلى موقف الحساب إذ هناك تتحقق الشهادة الآتية لا بعد تمام السؤال والجواب وسوقهم إلى النار والتعبير عنه بالنار إما للإيذان بأنها عاقبة حشرهم وأنهم على شرف دخولها وإما لأن حسابهم يكون على شفيرها ويوم اما منصوب باذكر أو ظرف لمضمر مؤخر قد حذف ايهاماً لقصور العبارة عن تفصيله كما مر فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل وقيل ظرف لما يدل عليه قوله تعالى (فهم يوزعون) أى يحبس أولهم على آخرهم ليتلاحقوا وهو عبارة عن كثرتهم وقيل يساقون ويدفعون إلى النار وقوله تعالى (حتى ٢٠

وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ ٤١ فصلت

وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ٤١ فصلت

إذا ما جاءوها) أى جميعاً غاية ليحشر أو ليوزعون أى حتى إذا حضروها وما مزيدة لتأكيد اتصال الشهادة بالحضور (شهد عليهم سمعهم وأبصارهم وجلودهم بما كانوا يعملون) فى الدنيا من فنون الكفر والمعاصى بأن ينطقها الله تعالى أو يظهر عليها آثار ما اقترفوا بها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن المراد بشهادة الجلود شهادة الفروج وهو الأنسب بتخصيص السؤال بها فى قوله

٢١ تعالى (وقالوا لجلودهم لم شهدتم علينا) فإن ما تشهد به من الزنا أعظم جناية وقبحاً وأجلب للخزى والعقوبة مما يشهد به السمع والأبصار من الجنايات المكتسبة بتوسطهما وقيل المراد بالجلود الجوارح أى سألوها سؤال توبيخ لما روى أنهم قالوا لها فعنكن كنا نناضل وفى رواية بعداً لكن وسحقاً عنكن كنت أجادل وصيغة جمع العقلاء فى خطاب الجلود وفى قوله تعالى (قالوا أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء) لوقوعها فى موقع السؤال والجواب المختصين بالعقلاء أى أنطقنا الله الذى أنطق وأقدرنا على بيان الواقع فشهدنا عليكم بما عملتم بواسطتنا من القبائح وما كتمناها وقيل ما نطقنا باختيارنا بل أنطقنا الله الذى أنطق كل شىء وليس بذاك لما فيه من إيهام الاضطرار فى الأخبار وقيل سألوها سؤال تعجب فالمعنى حينئذ ليس نطقنا بعجب من قدرة الله الذى أنطق كل حى (وهو خلقكم أول مرة وإليه ترجعون) فإن من قدر على خلقكم وإنشائكم أولا وعلى إعادتكم ورجعكم إلى جزائه ثانيا لا يتعجب من انطاقه لجوارحكم ولعل صيغة المضارع مع أن هذه المحاورة بعد البعث والرجع لما أن المراد بالرجع ليس مجرد الرد إلى الحياة بالبعث بل ما يعمه وما يترتب عليه من العذاب الخالد المترقب عند التخاطب على تغليب المتوقع على الواقع على أن فيه مراعاة

٢٢ الفواصل وقوله تعالى (وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم) حكاية لما سيقال لهم يومئذ من جهته تعالى بطريق التوبيخ والتقريع تقريرا لجواب الجلود أى ما كنتم تستترون فى الدنيا عند مباشرتكم الفواحش مخافة أن تشهد عليكم جوارحكم بذلك كما كنتم تستترون من الناس مخافة الافتضاح عندهم بل كنتم جاحدين بالبعث والجزاء رأساً (ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيراً مما تعملون) من القبائح المخفية فلا يظهرها فى الآخرة ولذلك اجترأتم على ما فعلتم وفيه إيذان بأن شهادة الجوارح بأعلامه تعالى حينئذ لا بأنها كانت عالمة بما شهدت به عند صدوره عنهم . عن ابن مسعود رضى الله عنه كنت مستتراً بأستار الكعبة فدخل ثلاثة نفر ثقفيان وقرشى أو قرشيان وثقفى فقال أحدهم أترون أن الله يسمع ما نقول قال الآخر يسمع إن جهرنا ولا يسمع إن

وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَـٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ٤١ فصلت

فَإِن يَصْبِرُوا۟ فَٱلنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ۖ وَإِن يَسْتَعْتِبُوا۟ فَمَا هُم مِّنَ ٱلْمُعْتَبِينَ ﴿٢٤﴾ ٤١ فصلت

وَقَيَّضْنَا لَهُمْ قُرَنَآءَ فَزَيَّنُوا۟ لَهُم مَّا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَحَقَّ عَلَيْهِمُ ٱلْقَوْلُ فِىٓ أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ خَـٰسِرِينَ ﴿٢٥﴾ ٤١ فصلت

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَـٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾ ٤١ فصلت

أخفينا فذكرت ذلك للنبي صلى الله عليه وسلم فأنزل الله تعالى وما كنتم تستترون الآية فالحكم المحكى حينئذ يكون خاصاً بمن كان على ذلك الاعتقاد من الكفرة ولعل الأنسب أن يراد بالظن معنى مجازي يعم معناه الحقيقي وما يجري مجراه من الأعمال المنبئة عنه كما في قوله تعالى يحسب أن ماله أخلده ليعم ماحكى من الحال جميع أصناف الكفرة فتدبر (وذلكم) إشارة إلى ماذكر من ظنهم وما فيه من معنى البعد للإيذان ٢٣ بغاية بعد منزلته في الشر والسوء وهو مبتدأ وقوله تعالى (ظنكم الذى ظننتم بربكم أرداكم) خبران له ويجوز أن يكون ظنكم بدلا وأرداكم خبراً (فأصبحتم) بسبب ذلك الظن السوء الذى أهلككم (من الخاسرين) إذ صار مامنحوا لنيل سعادة الدارين سبباً لشقاء النشأتين (فإن يصبروا فالنار مثوى لهم) ٢٤ أى محل ثواء وإقامة أبدية لهم بحيث لابراح لهم منها والالتفات إلى الغيبة للإيذان باقتضاء حالهم أن يعرض عنهم ويحكى سوء حالهم لغيرهم أو للإشعار بإبعادهم عن حيز الخطاب وإلقائهم فى غاية دركات النار (وإن يستعتبوا) أى يسألوا العتبى وهو الرجوع إلى مايحبونه جزعا مما هم فيه (فما هم من المعتبين) ☆ المجابين إليها ونظيره قوله تعالى سواء علينا أجزعنا أم صبرنا مالنا من محيص وقرىء وإن يستعتبوا فما هم من المعتبين أى إن يسألوا أن يرضوا ربهم فما هم فاعلون لفوات المكنة (وقيضنا لهم) أى قدرنا ٢٥ وقرنا للكفرة في الدنيا (قرناء) جمع قرين أى أخدانا من الشياطين يستولون عليهم استيلاء القيض على البيض وهو القشر وقيل أصل القيض البدل ومنه المقايضة للمعاوضة (فزينوا لهم ما بين أيديهم) ☆ من أمور الدنيا واتباع الشهوات (وما خلفهم) من أمور الآخرة حيث أروهم أن لابعث ولا حساب ولا مكروه قط (وحق عليهم القول) أى ثبت وتقرر عليهم كلمة العذاب وتحقق موجبها ومصداقها ☆ وهو قوله تعالى لإبليس فالحق والحق أقول لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين وقوله تعالى لمن اتبعك منهم لأملأن جهنم منكم أجمعين كما مر مراراً (فى أمم) حال من الضمير المجرور أى كائنين ☆ فى جملة أمم وقيل فى بمعنى مع وهذا كما ترى صريح فى أن المراد بأعداء الله تعالى فيما سبق المعهودون من عاد وثمود لا الكفار من الأولين والآخرين كما قيل (قد خلت) صفة لأمم أى مضت (من ☆ قبلهم من الجن والإنس) على الكفر والعصيان كدأب هؤلاء (إنهم كانوا خاسرين) تعليل لاستحقاقهم العذاب والضمير للأولين والآخرين (وقال الذين كفروا) من رؤساء المشركين لأعقابهم أو قال ٢٦

فَلَنُذِيقَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَذَابًا شَدِيدًا وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَسْوَأَ ٱلَّذِى كَانُواْ يَعْمَلُونَ ﴿٢٧﴾ ٤١ فصلت

ذَٰلِكَ جَزَآءُ أَعْدَآءِ ٱللَّهِ ٱلنَّارُ لَهُمْ فِيهَا دَارُ ٱلْخُلْدِ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُواْ بِـَٔايَـٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿٢٨﴾ ٤١ فصلت

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ رَبَّنَآ أَرِنَا ٱلَّذَيْنِ أَضَلَّانَا مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ نَجْعَلْهُمَا تَحْتَ أَقْدَامِنَا لِيَكُونَا مِنَ ٱلْأَسْفَلِينَ ﴿٢٩﴾ ٤١ فصلت

إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَـٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ ﴿٣٠﴾ ٤١ فصلت

بعضهم لبعض (لاتسمعوا لهذا القرآن) أى لاتنصتوا له (والغوا فيه) وعارضوه بالخرافات من الرجز والشعر والتصدية والمكاء أو ارفعوا أصواتكم بها لتشوشوه على القارىء وقرىء بضم الغين والمعنى واحد

٢٧ يقال لغى يلغى كلقى يلقى ولغا يلغو إذا هذى (لعلكم تغلبون) أى تغلبونه على قراءته (فلنذيقن الذين كفروا) أى فو الله لنذيقن هؤلاء القائلين واللاغين أو جميع الكفار وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (عذاباً

* شديداً) لا يقادر قدره (ولنجزينهم أسوأ الذى كانوا يعملون) أى جزاء سيئات أعمالهم التى هى فى أنفسها أسوأ وقيل إنه لا يجازيهم بمحاسن أعمالهم كإغاثة الملهوفين وصلة الأرحام وقرى الأضياف لأنها محبطة بالكفر وعن ابن عباس رضى الله عنهما عذاباً شديداً يوم بدر وأسوأ الذى كانوا

٢٨ يعملون فى الآخرة (ذلك) مبتدأ وقوله تعالى (جزاء أعداء الله) خبره أى ماذكر من الجزاء جزاء معد لأعدائه تعالى وقوله تعالى (النار) عطف بيان للجزاء أو ذلك خبر مبتدأ محذوف أى الأمر ذلك على أنه عبارة عن مضمون الجملة لا عن الجزاء وما بعده جملة مستقلة مبينة لما قبلها وقوله تعالى

* (لهم فيها دار الخلد) جملة مستقلة مقررة لما قبلها أو النار مبتدأ هى خبره أى هى بعينها دار إقامتهم على أن فى للتجريد وهو أن ينتزع من أمر ذى صفة أمر آخر مثله مبالغة لكماله فيها كما يقال فى البيضة عشرون منا حديد وقيل هى على معناها والمراد أن لهم فى النار المشتملة على الدركات داراً مخصوصة

* هم فيها خالدون (جزاء بما كانوا بآياتنا يجحدون) منصوب بفعل مقدر أى يجزون جزاء أو بالمصدر السابق فإن المصدر ينتصب بمثله كما فى قوله تعالى فإن جهنم جزاؤكم جزاء موفوراً والباء الأولى متعلقة بجزاء والثانية بيجحدون قدمت عليه لمراعاة الفواصل أى بسبب ما كانوا يجحدون بآياتنا الحقة أو يلغون

٢٩ فيها وذكر الجحود لكونه سبباً للغو (وقال الذين كفروا) وهم متقلبون فيما ذكر من العذاب (ربنا أرنا اللذين أضلانا من الجن والإنس) يعنون فريقى شياطين النوعين المقيضين لهم الحاملين لهم على الكفر والمعاصى بالتسويل والتزيين وقيل هما إبليس وقابيل فإنهما سنا الكفر والقتل بغير حق وقرىء أرنا تخفيفاً كفخذ فى فخذ وقيل معناه أعطناهما وقرىء باختلاس كسرة الراء (نجعلهما تحت أقدامنا) أى

٣٠ ندسهما انتقاماً منهما وقيل نجعلهما فى الدرك الأسفل (ليكونا من الأسفلين) أى ذلا ومهانة أو مكاناً (إن

نَحْنُ أَوْلِيَآؤُكُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَفِي ٱلْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِيٓ أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ ﴿٣١﴾ ٤١ فصلت

نُزُلًا مِّنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ ﴿٣٢﴾ ٤١ فصلت

وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّن دَعَآ إِلَى ٱللَّهِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿٣٣﴾ ٤١ فصلت

الذين قالوا ربنا الله) شروع فى بيان حسن أحوال المؤمنين فى الدنيا والآخرة بعد بيان سوء حال الكفرة فيهما أى قالوا اعترافا بربوبيته تعالى وإقرارا بوحدانيته (ثم استقاموا) أى ثبتوا على الإقرار ومقتضياته * على أن ثم للتراخى فى الزمان أو فى الرتبة فإن الاستقامة لها الشأن كله وما روى عن الخلفاء الراشدين رضى الله تعالى عنهم فى معناها من الثبات على الإيمان وإخلاص العمل وأداء الفرائض بيان لجزئياتها (تتنزل * عليهم الملائكة) من جهته تعالى يمدونهم فيما يعن لهم من الأمور الدينية والدنيوية بما يشرح صدورهم ويدفع عنهم الخوف والحزن بطريق الإلهام كما أن الكفرة يغويهم ما قيض لهم من قرناء السوء بتزيين القبائح وقيل تتنزل عند الموت بالبشرى وقيل إذا قاموا من قبورهم وقيل البشرى فى مواطن ثلاثة عند الموت وفى القبر وعند البعث والأظهر هو العموم والإطلاق كما ستعرفه (أن لا تخافوا) ما تقدمون عليه فإن الخوف غم * يلحق لتوقع المكروه (ولا تحزنوا) على ما خلفتم فإنه غم يلحق لوقوعه من فوات نافع أو حصول ضار * وقيل المراد نهيهم عن الغموم على الإطلاق والمعنى أن الله تعالى كتب لكم الأمن من كل غم فلن تذوقوه أبداً وأن إما مفسرة أو مخففة من الثقيلة والأصل بأنه لا تخافوا والهاء ضمير الشأن وقرىء لا تخافوا أى يقولون لا تخافوا على أنه حال من الملائكة أو استئناف (وأبشروا) أى سروا (بالجنة * التى كنتم توعدون) فى الدنيا على ألسنة الرسل هذا من بشاراتهم فى أحد المواطن الثلاثة وقوله تعالى (نحن أولياؤكم فى الحياة الدنيا) الخ من بشاراتهم فى الدنيا أى أعوانكم فى أموركم نلهمكم الحق ونرشدكم ٣١ إلى ما فيه خيركم وصلاحكم ولعل ذلك عبارة عما يخطر ببال المؤمنين المستمرين على الطاعات من أن ذلك بتوفيق الله تعالى وتأييده لهم بواسطة الملائكة عليهم السلام (وفى الآخرة) نمدكم بالشفاعة * ونتلقاكم بالكرامة حين يقع بين الكفرة وقرنائهم ما يقع من التعادى والخصام (ولكم فيها) أى فى الآخرة (ما تشتهى أنفسكم) من فنون الطيبات (ولكم فيها ما تدعون) ما تتمنون افتعال من الدعاء * بمعنى الطلب أى تدعون لأنفسكم وهو أعم من الأول ولكم فى الموضعين خبر وما مبتدأ وفيها حال من ضميره فى الخبر وعدم الاكتفاء بعطف ما تدعون على ما تشتهى للإشباع فى البشارة والإيذان باستقلال كل منهما (نزلا من غفور رحيم) حال مما تدعون مفيدة لكون ما يتمنونه بالنسبة إلى ٣٢ ما يعطون من عظائم الأجور كالنزل للضيف (ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله) أى إلى توحيده ٣٣ تعالى وطاعته. عن ابن عباس رضى الله عنهما هو رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا إلى الإسلام

وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ ٤١ فصلت

وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ ٤١ فصلت

وَإِمَّا يَنْزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ٤١ فصلت

وَمِنْ آيَاتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لَا تَسْجُدُوا لِلشَّمْسِ وَلَا لِلْقَمَرِ وَاسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي خَلَقَهُنَّ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ ﴿٣٧﴾ ٤١ فصلت

وعنه أنهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل نزلت فى المؤذنين والحق أن حكمها عام لكل من جمع مافيها من الخصال الحميدة وإن نزلت فيمن ذكر (وعمل صالحاً) فيما بينه وبين ربه (وقال إننى من المسلمين) ابتهاجا بأنه منهم أو اتخاذاً للإسلام ديناً ونحلة من قولهم هذا قول فلان أى مذهبه لا أنه تكلم بذلك وقرىء إنى بنون واحدة (ولا تستوى الحسنة ولا السيئة) جملة مستأنفة سيقت لبيان محاسن الأعمال الجارية بين العباد إثر بيان محاسن الأعمال الجارية بين العبد وبين الرب عز وجل ترغيباً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فى الصبر على أذية المشركين ومقابلة إساءتهم بالإحسان أى لاتستوى الخصلة الحسنة والسيئة فى الآثار والأحكام ولا الثانية مزيدة لتأكيد النفى وقوله تعالى (ادفع بالتى هى أحسن) الخ استئناف مبين لحسن عاقبة الحسنة أى ادفع السيئة حيث اعترضتك من بعض أعاديك بالتى هى أحسن مايمكن دفعها به من الحسنات كالإحسان إلى من أساء فإنه أحسن من العفو وإخراجه مخرج الجواب عن سؤال من قال كيف أصنع للمبالغة ولذلك وضع أحسن موضع الحسنة وقوله تعالى (فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم) بيان لنتيجة الدفع المأمور به أى فإذا فعلت ذلك صار عدوك المشاق مثل الولى الشفيق (وما يلقاها) أى مايلقى هذه الخصلة والسجية التى هى مقابلة الإساءة بالإحسان (إلا الذين صبروا) أى شأنهم الصبر (وما يلقاها إلا ذو حظ عظيم) من الخير وكمال النفس وقيل الحظ العظيم الجنة وقيل هو الثواب وقيل نزلت فى أبى سفيان بن حرب وكان مؤذياً لرسول الله صلى الله عليه وسلم فصار ولياً مصافياً (وإما ينزغنك من الشيطان نزغ) النزغ والنسغ بمعنى وهو شبه النخس شبه به وسوسة الشيطان لأنها بعث على الشر وجعل نازغا على طريقة جد جده أو أريد وإما ينزغنك نازغ وصفاً للشيطان بالمصدر أى وإن صرفك الشيطان عما وصيت به من الدفع بالتى هى أحسن (فاستعذ بالله) من شره ولا قطعه (إنه هو السميع) باستعاذتك (العليم) بنيتك أو بصلاحك وفى جعل ترك الدفع بالأحسن من آثار نزغات الشيطان مزيد تحذير وتنفير عنه (ومن آياته) الدالة على شئونه العظيمة (الليل والنهار

فَإِنِ ٱسْتَكْبَرُوا۟ فَٱلَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُۥ بِٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَهُمْ لَا يَسْـَٔمُونَ ۩ (٣٨) ٤١ فصلت

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ (٣٩) ٤١ فصلت

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَآ ۗ أَفَمَن يُلْقَىٰ فِى ٱلنَّارِ خَيْرٌ أَم مَّن يَأْتِىٓ ءَامِنًا يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۚ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ (٤٠) ٤١ فصلت

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِٱلذِّكْرِ لَمَّا جَآءَهُمْ ۖ وَإِنَّهُۥ لَكِتَٰبٌ عَزِيزٌ (٤١) ٤١ فصلت

والشمس والقمر) كل منها مخلوق من مخلوقاته مسخر لأمره (لاتسجدوا للشمس ولا للقمر) لأنهما من جملة مخلوقاته المسخرة لأوامره مثلكم (واسجدوا لله الذى خلقهن) الضمير للأربعة لأن حكم جماعة * مالا يعقل حكم الأنثى أو الإناث أو لأنها عبارة عن الآيات وتعليق الفعل بالكل مع كفاية بيان مخلوقية الشمس والقمر للإيذان بكمال سقوطهما عن رتبة المسجودية بنظمهما فى المخلوقية فى سلك الأعراض التى لاقيام لها بذاتها وهو السر فى نظم الكل فى سلك آياته تعالى (إن كنتم إياه تعبدون) * فإن السجود أقصى مراتب العبادة فلابد من تخصيصه به سبحانه وهو موضع للسجود عند الشافعى رحمه الله وعندنا آخر الآية الأخرى لأنه تمام المعنى (فإن استكبروا) عن الامتثال (فالذين عند ٣٨ ربك) من الملائكة (يسبحون له بالليل والنهار) أى دائماً (وهم لايسأمون) لايفترون ولا يملون وقرىء لايسأمون بكسر الياء (ومن آياته أنك ترى الأرض خاشعة) يابسة متطامنة مستعار من ٣٩ الخشوع بمعنى التذلل (فإذا أنزلنا عليها الماء) أى المطر (اهتزت وربت) أى تحركت بالنبات وانتفخت لأن النبت إذا دنا أن يظهر ارتفعت له الأرض وانتفخت ثم تصدعت عن النبات وقيل تزخرفت بالنبات وقرىء ربأت أى ارتفعت (إن الذى أحياها) بما ذكر بعد موتها (لمحيى الموتى) بالبعث (إنه على كل شىء) من الأشياء التى من جملتها الإحياء (قدير) مبالغ فى القدرة (إن الذين ٤٠ يلحدون) يميلون عن الاستقامة وقرىء يلحدون (فى آياتنا) بالطعن فيها وتحريفها بحملها على المحامل الباطلة (لايخفون علينا) فنجازيهم بإلحادهم وقوله تعالى (أفمن يلقى فى النار خير أم من يأتى آمناً يوم القيامة) تنبيه على كيفية الجزاء (اعملوا ماشئتم) من الأعمال المؤدية إلى ماذكر من الإلقاء فى النار والإتيان آمناً وفيه تهديد شديد (إنه بما تعملون بصير) فيجازيكم بحسب أعمالكم وقوله تعالى (إن ٤١ الذين كفروا بالذكر لما جاءهم) بدل من قوله تعالى إن الذين يلحدون الخ وخبر إن هو الخبر السابق وقيل مستأنف وخبرها محذوف وقال الكسائى سد مسده الخبر السابق والذكر القرآن وقوله تعالى (وإنه لكتاب عزيز) أى كثير المنافع عديم النظير أو منيع لاتتأتى معارضته جملة حالية مفيدة لغاية *

لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴿٤٢﴾ ٤١ فصلت

مَّا يُقَالُ لَكَ إِلَّا مَا قَدْ قِيلَ لِلرُّسُلِ مِن قَبْلِكَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ وَذُو عِقَابٍ أَلِيمٍ ﴿٤٣﴾ ٤١ فصلت

وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ۖ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ ﴿٤٤﴾ ٤١ فصلت

---

٤٢ شناعة الكفر به وقوله تعالى (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه) أى لا يتطرق إليه الباطل من جهة من الجهات صفة أخرى لكتاب وقوله تعالى (تنزيل من حكيم حميد) خبر لمبتدأ محذوف أو صفة أخرى لكتاب مفيدة لفخامته الإضافية كما أن الصفتين السابقتين مفيدتان لفخامته الذاتية وقوله تعالى لا يأتيه الخ اعتراض عند من لا يجوز تقديم غير الصريح من الصفات على الصريح كل ذلك لتأكيد بطلان

٤٣ الكفر بالقرآن وقوله تعالى (ما يقال لك) الخ تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عما يصيبه من أذية الكفار أى ما يقال فى شأنك وشأن ما أنزل إليك من القرآن من جهة كفار قومك (إلا ما قد قيل للرسل من قبلك) أى إلا مثل ما قد قيل فى حقهم مما لا خير فيه (إن ربك لذو مغفرة) لأنبيائه (وذو عقاب أليم) لأعدائهم وقد نصر من قبلك من الرسل وانتقم من أعدائهم وسيفعل مثل ذلك بك

٤٤ وبأعدائك أيضاً (ولو جعلناه قرآناً أعجمياً) جواب لقولهم هلا أنزل القرآن بلغة العجم والضمير للذكر (لقالوا لولا فصلت آياته) أى بينت بلسان نفقهه وقوله تعالى (أأعجمى وعربى) إنكار مقرر للتحضيض والأعجمى يقال لكلام لا يفهم وللمتكلم به والياء للمبالغة فى الوصف كأحمرى والمعنى أكلام أعجمى ورسول أو مرسل إليه عربى على أن الإفراد مع كون المرسل إليهم أمة جمة لما أن المراد بيان التنافى والتنافر بين الكلام وبين المخاطب به لا بيان كون المخاطب واحداً أو جمعاً وقرىء أعجمى أى أكلام منسوب إلى أمة العجم وقرىء أعجمى على الإخبار بأن القرآن أعجمى والمتكلم والمخاطب عربى ويجوز أن يراد هلا فصلت آياته فجعل بعضها أعجمياً لإفهام العجم وبعضها عربياً لإفهام العرب * وأياً ما كان فالمقصود بيان أن آيات الله تعالى على أى وجه جاءتهم وجدوا فيها متعنتا يتعللون به (قل هو للذين آمنوا هدى) يهديهم إلى الحق (وشفاء) لما فى الصدور من شك وشبهة (والذين لا يؤمنون) مبتدأ خبره (فى آذانهم وقر) على أن التقدير هو أى القرآن فى آذانهم وقر على أن وقر خبر للضمير المقدر وفى آذانهم متعلق بمحذوف وقع حالا من وقر وهو أوفق لقوله تعالى (وهو عليهم عمى) وقيل خبر الموصول فى آذانهم ووقر فاعل الظرف وقيل وقر مبتدأ والظرف خبره والجملة خبر للموصول وقيل التقدير والذين لا يؤمنون فى آذانهم منه وقر ومن جوز العطف على عاملين عطف الموصول على الموصول الأول أى هو للأولين هدى وشفاء وللآخرين وقر فى آذانهم (أولئك) إشارة إلى

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَٱخْتُلِفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ لَقُضِىَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿٤٥﴾ ٤١ فصلت

مَّنْ عَمِلَ صَٰلِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٤٦﴾ ٤١ فصلت

إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِن ثَمَرَٰتٍ مِّنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِۦ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَآءِى قَالُوٓا۟ ءَاذَنَّٰكَ مَا مِنَّا مِن شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ ٤١ فصلت

الموصول الثانى باعتبار اتصافه بما فى حيز صلته وملاحظة ما أثبت له وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته فى الشر مع مافيه من كمال المناسبة للنداء من بعيد أى أولئك البعداء الموصوفون بما ذكر من التصام عن الحق الذى يسمعونه والتعامى عن الآيات الظاهرة التى يشاهدونها (ينادون من مكان بعيد) تمثيل لهم فى عدم قبولهم واستماعهم له بمن ينادى من مسافة نائية لا يكاد يسمع من مثلها الأصوات (ولقد آتينا موسى الكتاب فاختلف فيه) كلام مستأنف مسوق لبيان أن الاختلاف فى شأن الكتب عادة قديمة للأمم غير مختص بقومك على منهاج قوله تعالى مايقال لك إلا ماقد قيل للرسل من قبلك أى وبالله لقد آتيناه التوراة فاختلف فيها فمن مصدق لها ومكذب وهكذا حال قومك فى شأن ما آتيناك من القرآن فمن مؤمن به وكافر (ولولا كلمة سبقت من ربك) فى حق أمتك المكذبة وهى العدة بتأخير عذابهم وفصل مابينهم وبين المؤمنين من الخصومة إلى يوم القيامة بنحو قوله تعالى بل الساعة موعدهم وقوله تعالى ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى (لقضى بينهم) باستئصال المكذبين كما فعل بمكذبى الأمم السالفة (وإنهم) أى كفار قومك (لفى شك منه مريب) أى من القرآن وجعل الضمير الأول لليهود والثانى للتوراة مما لا وجه له (من عمل صالحاً) بأن آمن بالكتب وعمل بموجبها (فلنفسه) أى فلنفسه يعمله أو فنفعه لنفسه لا لغيره (ومن أساء فعليها) ضرره لا على غيره (وما ربك بظلام للعبيد) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله مبنى على تنزيل ترك إثابة المحسن بعمله أو إثابة الغير بعمله وتنزيل التعذيب بغير إساءة أو بإساءة غيره منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه سبحانه وتعالى وقد مر مافى المقام من التحقيق والتفصيل فى سورة آل عمران وسورة الأنفال (إليه يرد علم الساعة) أى إذا سئل عنها يقال الله يعلم أولا يعلمها إلا الله تعالى (وما تخرج من ثمرات من أكمامها) أى من أوعيتها جمع كم بالكسر وهو وعاء الثمرة كجف الطلعة وقرىء من ثمرة على إرادة الجنس والجمع لاختلاف الأنواع وقد قرىء بجمع الضمير أيضاً وما نافية ومن الأولى مزيدة للاستغراق واحتمال أن تكون ماموصولة معطوفة على الساعة ومن مبينة بعيد (وما تحمل من أنثى ولا تضع) أى حملها وقوله تعالى (إلا بعلمه) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أى وما يحدث شىء

وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَدْعُونَ مِن قَبْلُ وَظَنُّوا۟ مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٍ ﴿٤٨﴾ ٤١ فصلت

لَّا يَسْـَٔمُ ٱلْإِنسَٰنُ مِن دُعَآءِ ٱلْخَيْرِ وَإِن مَّسَّهُ ٱلشَّرُّ فَيَـُٔوسٌ قَنُوطٌ ﴿٤٩﴾ ٤١ فصلت

وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنۢ بَعْدِ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ هَٰذَا لِى وَمَآ أَظُنُّ ٱلسَّاعَةَ قَآئِمَةً وَلَئِن رُّجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّىٓ إِنَّ لِى عِندَهُۥ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَلَنُذِيقَنَّهُم مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ ﴿٥٠﴾ ٤١ فصلت

من خروج ثمرة ولا حمل حامل ولا وضع واضع ملابساً بشىء من الأشياء إلا ملابساً بعلمه المحيط * (ويوم يناديهم أين شركائى) أى بزعمكم كما نص عليه فى قوله تعالى نادوا شركائى الذين زعمتم وفيه تهكم بهم وتقريع لهم ويوم منصوب باذكر أو ظارف لمضمر مؤخر قد ترك إيذانا بقصور البيان عنه كما مر * فى قوله تعالى يوم يجمع الله الرسل (قالوا آذناك) أى أخبرناك (مامنا من شهيد) من أحد يشهد لهم بالشركة إذ تبرأنا منهم لما عاينا الحال ومامنا أحد إلا وهو موحد لك أو مامنا من أحد يشاهدهم لأنهم ضلوا عنهم حينئذ وقيل هو قول الشركاء أى مامنا من شهيد يشهد لهم بأنهم كانوا محقين وقولهم آذناك إما لأن هذا التوبيخ مسبوق بتوبيخ آخر مجاب بهذا الجواب أو لأن معناه أنك علمت من قلوبنا وعقائدنا الآن أنا لا نشهد تلك الشهادة الباطلة لأنه إذا علمه من نفوسهم فكأنهم أعلموه أو لأن معناه الإنشاء لا ٤٨ الإخبار بإيذان قد كان قبل ذلك (وضل عنهم ما كانوا يدعون) أى يعبدون (من قبل) أى غابوا عنهم أو ظهر عدم نفعهم فكان حضورهم كغيبتهم (وظنوا) أى أيقنوا (مالهم من محيص) مهرب والظن ٤٩ معلق عنه بحرف النفى (لايسأم الإنسان) أى لايمل ولايفتر (من دعاء الخير) من طلب السعة فى النعمة وأسباب المعيشة وقرىء من دعاء بالخير (وإن مسه الشر) أى العسر والضيقة (فيؤوس قنوط) فيه مبالغة من جهة البناء ومن جهة التكرير ومن جهة أن القنوط عبارة عن يأس مفرط يظهر أثره فى الشخص فيتضاءل وينكسر أى مبالغ فى قطع الرجاء من فضل الله تعالى ورحمته وهذا وصف للجنس ٥٠ بوصف غالب أفراده لما أن اليأس من رحمته تعالى لايتأتى إلا من الكافر وسيصرح به (ولئن أذقناه رحمة منا من بعد ضراء مسته) بتفريجها عنه (ليقولن هذا لى) أى حقى أستحقه لما لى من الفضل والعمل أولى لا لغيرى فلا يزول عنى أبداً (وما أظن الساعة قائمة) أى تقوم فيما سيأتى (ولئن رجعت إلى ربى) على تقدير قيامها (إن لى عنده للحسنى) أى للحالة الحسنى من الكرامة وذلك لاعتقاده أن ما أصابه من نعم الدنيا لاستحقاقه له وأن نعم الآخرة كذلك (فلننبئن الذين كفروا بما عملوا) أى لنعلمنهم بحقيقة أعمالهم حين أظهرناها بصورها الحقيقة وقدمر تحقيقه فى سورة الأعراف عند قوله تعالى والوزن يومئذ الحق وفى قوله تعالى إنما بغيكم على أنفسكم من سورة يونس (ولنذيقنهم من عذاب غليظ) لايقادر قدره ولا يبلغ كنهه .

وَإِذَآ أَنْعَمْنَا عَلَى ٱلْإِنسَٰنِ أَعْرَضَ وَنَـَٔا بِجَانِبِهِۦ وَإِذَا مَسَّهُ ٱلشَّرُّ فَذُو دُعَآءٍ عَرِيضٍ ﴿٥١﴾ ٤١ فصلت

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ثُمَّ كَفَرْتُم بِهِۦ مَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ هُوَ فِى شِقَاقٍۭ بَعِيدٍ ﴿٥٢﴾ ٤١ فصلت

سَنُرِيهِمْ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلْءَافَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ ٤١ فصلت

٥١ (وإذا أنعمنا على الإنسان أعرض) أى عن الشكر (ونأى بجانبه) أى ذهب بنفسه وتباعد بكليته تكبراً وتعظما والجانب مجاز عن النفس كما فى قوله تعالى فى جنب الله ويجوز أن يراد به عطفه ويكون عبارة عن الانحراف والازورار كما قالوا ثنى عطفه وتولى بركنه (وإذا مسه الشر فذو دعاء عريض) أى كثير مستعار * مما له عرض متسع للإشعار بكثرته واستمراره وهو أبلغ من الطويل إذ الطول أطول الامتدادين فإذا كان عرضه كذلك فما ظنك بطوله ولعل هذا شأن بعض غير البعض الذى حكى عنه اليأس والقنوط أو شأن الكل فى بعض الأوقات (قل أرأيتم) أى أخبرونى (إن كان) أى القرآن (من عند الله ثم كفرتم ٥٢ به) مع تعاضد موجبات الإيمان به (من أضل ممن هو فى شقاق بعيد) أى من أضل منكم فوضع الموصول موضع الضمير شرحا لحالهم وتعليلا لمزيد ضلالهم (سنريهم آياتنا) الدالة على حقيته وكونه من عند الله ٥٣ (فى الآفاق) هو ما أخبرهم به النبى صلى الله عليه وسلم من الحوادث الآتية وآثار النوازل الماضية وما يسر الله تعالى له ولخلفائه من الفتوح والظهور على آفاق الدنيا والاستيلاء على بلاد المشارق والمغارب على وجه خارق للعادة (وفى أنفسهم) هو ما ظهر فيما بين أهل مكة وما حل بهم وقال ابن عباس رضى الله * عنهما فى الآفاق أى منازل الأمم الخالية وآثارهم وفى أنفسهم يوم بدر وقال مجاهد والحسن والسدى فى الآفاق ما يفتح الله من القرى عليه عليه الصلاة والسلام والمسلمين وفى أنفسهم فتح مكة وقيل فى الآفاق أى فى أقطار السموات والأرض من الشمس والقمر والنجوم وما يترتب عليها من الليل والنهار والأضواء والظلال والظلمات ومن النبات والأشجار والأنهار وفى أنفسهم من لطيف الصنعة وبديع الحكمة فى تكوين الأجنة فى ظلمات الأرحام وحدوث الأعضاء العجيبة والتركيبات الغريبة كقوله تعالى وفى أنفسكم أفلا تبصرون واعتذر بأن معنى السين مع أن إراءة تلك الآيات قد حصلت قبل ذلك أنه تعالى سيطلعهم على تلك الآيات زمانا فزمانا ويزيدهم وقوفا على حقائقها يوماً فيوماً (حتى يتبين * لهم) بذلك (أنه الحق) أى القرآن أو الإسلام والتوحيد (أو لم يكف بربك) استئناف وارد لتوبيخهم على ترددهم فى شأن القرآن وعنادهم المحوج إلى إراءة الآيات وعدم اكتفائهم بإخباره تعالى والهمزة للإنكار والواو للعطف على مقدر يقتضيه المقام أى ألم يغن ولم يكف ربك والباء مزيدة للتأكيد ولا تكاد تزاد إلا مع كفى وقوله تعالى (أنه على كل شىء شهيد) بدل منه أى ألم يغنهم عن * إراءة الآيات الموعودة المبينة لحقية القرآن ولم يكفهم فى ذلك أنه تعالى شهيد على جميع الأشياء وقد أخبر بأنه من عنده وقيل معناه إن هذا الموعود من إظهار آيات الله فى الآفاق وفى أنفسهم سيرونه

أَلَآ إِنَّهُمْ فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآءِ رَبِّهِمْ أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ٤١ فصلت

ويشاهدونه فيتبينون عند ذلك أن القرآن تنزيل عالم الغيب الذى هو على كل شىء شهيد أى مطلع يستوى عنده غيبه وشهادته فيكفيهم ذلك دليلا على أنه حق وأنه من عنده ولو لم يكن كذلك لما قوى هذه القوة ولما نصر حاملوه هذه النصرة فتأمل وأما ماقيل من أن المعنى أو لم يكفك أنه تعالى على كل شىء شهيد محقق له فيحقق أمرك بإظهار الآيات الموعودة كما حقق سائر الأشياء الموعودة فمع إشعاره بما لا يليق بجلالة منصبه عليه السلام من التردد فيما ذكر من تحقيق الموعود يرده قوله تعالى (ألا إنهم فى مرية من لقاء ربهم) أى فى شك عظيم من ذلك بالبعث والجزاء فإنه صريح فى أن عدم الكفاية معتبر بالنسبة إليهم وقرىء مرية بالضم وهو لغة فيها (ألا إنه بكل شىء محيط) عالم بجميع الأشياء جملها وتفاصيلها وظواهرها وبواطنها فلا تخفى عليه خافية منهم وهو مجازيهم على كفرهم ومريتهم لامحالة . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة السجدة أعطاه الله تعالى بكل حرف عشر حسنات والله أعلم .

٤٢ — سورة الشورى
نزلت بمكة وآياتها ثلاث وخمسون آية

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

حمٓ (١) ٤٢ الشورى

عٓسٓقٓ (٢) ٤٢ الشورى

كَذَٰلِكَ يُوحِىٓ إِلَيْكَ وَإِلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكَ ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ (٣) ٤٢ الشورى

﴿ سورة الشورى مكية وآياتها ثلاث وخمسون آية ﴾

١ ، ٢ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم عسق) اسمان للسورة ولذلك فصل بينهما وعدا آيتين وقيل اسم واحد والفصل ليناسب سائر الحواميم وقرىء حم سق فعلى الأول هما خبران لمبتدأ محذوف وقيل حم مبتدأ وعسق خبره وعلى الثانى الكل خبر واحد وقوله تعالى (كذلك يوحى إليك وإلى الذين من
٣ قبلك الله العزيز الحكيم) كلام مستأنف وارد لتحقيق أن مضمون السورة موافق لما فى تضاعيف سائر الكتب المنزلة على الرسل المتقدمة فى الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق أو أن إيحاءها مثل إيحائها بعد تنويهها بذكر اسمها والتنبيه على فخامة شأنها والكاف فى حيز النصب على أنه مفعول ليوحى على الأول وعلى أنه نعت لمصدر مؤكد له على الثانى وذلك على الأول إشارة إلى مافيها وعلى الثانى إلى إيحائها وما فيه من معنى البعد للإيذان بعلو رتبة المشار إليه وبعد منزلته فى الفضل أى مثل مافى هذه السورة من المعانى أوحى إليك فى سائر السور وإلى من قبلك من الرسل فى كتبهم على أن مناط المماثلة ما أشير إليه من الدعوة إلى التوحيد والإرشاد إلى الحق وما فيه صلاح العباد فى المعاش والمعاد أو مثل إيحائها أوحى إليك عند إيحاء سائر السور وإلى سائر الرسل عند إيحاء كتبهم إليهم لا إيحاء مغايراً له كما فى قوله تعالى إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح الآية على أن مدار المثلية كونه بواسطة الملك وصيغة المضارع على حكاية الحال الماضية للإيذان باستمرار الوحى وأن إيحاء مثله عادته وفى جعل مضمون السورة أو إيحائها مشبهاً به من تفخيمها مالا يخفى وكذا فى وصفه تعالى بوصفى العزة والحكمة وتأخير الفاعل لمراعاة الفواصل مع مافيه من التشويق وقرىء يوحى على البناء للمفعول على أن كذلك مبتدأ ويوحى خبره المسند إلى ضميره أو مصدر ويوحى مسند إلى إليك والله مرتفع بما دل عليه يوحى كأنه قيل من يوحى فقيل الله والعزيز الحكيم صفتان له أو مبتدأ كما فى قراءة نوحى والعزيز وما بعده خبران له أو العزيز الحكيم صفتان له .

لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَلِيُّ ٱلْعَظِيمُ ﴿٤﴾ ٤٢ الشورى

تَكَادُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ يَتَفَطَّرْنَ مِن فَوْقِهِنَّ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَن فِي ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥﴾ ٤٢ الشورى

وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ ٱللَّهُ حَفِيظٌ عَلَيْهِمْ وَمَآ أَنتَ عَلَيْهِم بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾ ٤٢ الشورى

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّتُنذِرَ أُمَّ ٱلْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَتُنذِرَ يَوْمَ ٱلْجَمْعِ لَا رَيْبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي ٱلْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي ٱلسَّعِيرِ ﴿٧﴾ ٤٢ الشورى

---

٤ وقوله تعالى (له ما فى السموات وما فى الأرض وهو العلى العظيم) خبران له وعلى الوجوه السابقة استئناف
٥ مقرر لعزته وحكمته (تكاد السموات) وقرىء بالياء (يتفطرن) يتشققن من عظمة الله تعالى وقيل
من دعاء الولد له كما فى سورة مريم وقرىء ينفطرن والأول أبلغ لأنه مطاوع فطر وهذا مطاوع
* فطر وقرىء تتفطرن بالتاء لتأكيد التأنيث وهو نادر (من فوقهن) أى يبتدأ التفطر من جهتهن
الفوقانية وتخصيصها على الأول لما أن أعظم الآيات وأدلها على العظمة والجلال من تلك الجهة وعلى
الثانى للدلالة على التفطر من تحتهن بالطريق الأولى لأن تلك الكلمة الشنعاء الواقعة فى الأرض
حيث أثرت فى جهة الفوق فلأن تؤثر فى جهة التحت أولى وقيل الضمير للأرض فإنها فى معنى الأرضين
* (والملائكة يسبحون بحمد ربهم) ينزهونه تعالى عما لا يليق به ملتبسين بحمده (ويستغفرون لمن فى
الأرض) بالسعى فيما يستدعى مغفرتهم من الشفاعة والإلهام وترتيب الأسباب المقربة إلى الطاعة
واستدعاء تأخير العقوبة طمعاً فى إيمان الكافر وتوبة الفاسق وهذا يعم المؤمن والكافر بل لو فسر
الاستغفار بالسعى فيما يدفع الخلل المتوقع عم الحيوان بل الجماد وحيث خص بالمؤمنين كما فى قوله
* تعالى ويستغفرون للذين آمنوا فالمراد به الشفاعة (ألا إن الله هو الغفور الرحيم) إذ ما من مخلوق
إلا وله حظ عظيم من رحمته تعالى والآية على الأول زيادة تقرير لعظمته تعالى وعلى الثانى بيان لكمال
تقدسه عما نسب إليه وأن ترك معاجلتهم بالعقاب على تلك الكلمة الشنعاء بسبب استغفار الملائكة
وفرط غفرانه ورحمته ففيها رمز إلى أنه تعالى يقبل استغفارهم ويزيدهم على ما طلبوه من المغفرة
٦ رحمة (والذين اتخذوا من دونه أولياء) شركاء وأنداداً (الله حفيظ عليهم) رقيب على أحوالهم
وأعمالهم فيجازيهم بها (وما أنت عليهم بوكيل) بموكل بهم أو بموكول إليه أمرهم وإنما وظيفتك
٧ الإنذار (وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً) ذلك إشارة إلى مصدر أوحينا ومحل الكاف النصب
على المصدرية وقرآناً عربياً مفعول لأوحينا أى ومثل ذلك الإيحاء البديع البين المفهم أوحينا إليك
قرآناً عربياً لا لبس فيه عليك ولا على قومك وقيل إشارة إلى معنى الآية المتقدمة من أنه تعالى هو
الحفيظ عليهم وإنما أنت نذير فحسب فالكاف مفعول به لأوحينا وقرآناً عربياً حال من المفعول

وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ ٤٢ الشورى

به أى أوحيناه إليك وهو قرآن عربى بين (لتنذر أم القرى) أى أهلها وهى مكة (ومن حولها) من العرب (وتنذر يوم الجمع) أى يوم القيامة لأنه يجمع فيه الخلائق قال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع وقيل تجمع فيه الأرواح والأشباح وقيل الأعمال والعمال والإنذار يتعدى إلى مفعولين وقد يستعمل ثانيهما بالباء وقد حذف ههنا ثانى مفعولى الأول وأول مفعولى الثانى للتهويل وإيهام التعميم وقرىء لينذر بالياء على أن فاعله ضمير القرآن (لاريب فيه) اعتراض مقرر لما قبله (فريق فى الجنة وفريق فى السعير) أى بعد جمعهم فى الموقف فإنهم يجمعون فيه أولا ثم يفرقون بعد الحساب والتقدير منهم فريق والضمير للمجموعين لدلالة الجمع عليه وقرئا منصوبين على الحالية منهم أى وتنذر يوم جمعهم متفرقين أى مشارفين للتفرق أو متفرقين فى دارى الثواب والعقاب (ولو شاء الله لجعلهم) أى فى الدنيا (أمة واحدة) قيل مهتدين أو ضالين وهو تفصيل لما أجمله ابن عباس رضى الله عنهما فى قوله على دين واحد فمعنى قوله تعالى (ولكن يدخل من يشاء فى رحمته) أنه تعالى يدخل فى رحمته من يشاء أن يدخله فيها ويدخل فى عذابه من يشاء أن يدخله فيه ولا ريب فى أن مشيئته تعالى لكل من الإدخالين تابعة لاستحقاق كل من الفريقين لدخول مدخله ومن ضرورة اختلاف الرحمة والعذاب اختلاف حال الداخلين فيهما قطعاً فلم يشأ جعل الكل أمة واحدة بل جعلهم فريقين وإنما قيل (والظالمون مالهم من ولى ولا نصير) للإيذان بأن الإدخال فى العذاب من جهة الداخلين بموجب سوء اختيارهم لامن جهته تعالى كما فى الإدخال فى الرحمة لالما قيل من المبالغة فى الوعيد وقيل مؤمنين كلهم وهو ماقاله مقاتل على دين الإسلام كما فى قوله تعالى ولو شاء الله لجمعهم على الهدى وقوله تعالى ولو شئنا لآتينا كل نفس هداها والمعنى ولو شاء الله مشيئة قدرة لقسرهم على الإيمان ولكنه شاء مشيئة حكمة وكلفهم وبنى أمرهم على مايختارون ليدخل المؤمنين فى رحمته وهم المرادون بقوله تعالى يدخل من يشاء وترك الظالمين بغير ولى ولا نصير وأنت خبير بأن فرض جعل الكل مؤمنين يأباه تصدير الاستدراك بإدخال بعضهم فى رحمته إذ الكل حينئذ داخلون فيها فكان المناسب حينئذ تصديره بإخراج بعضهم من بينهم وإدخالهم فى عذابه فالذى يقتضيه سياق النظم الكريم وسباقه أن يراد الاتحاد فى الكفر كما فى قوله تعالى كان الناس أمة واحدة فبعث الله النبيين الآية على أحد الوجهين بأن يراد بهم الذين هم فى فترة إدريس أو فى فترة نوح عليهما السلام فالمعنى ولو شاء الله لجعلهم أمة واحدة متفقة على الكفر بأن لا يرسل إليهم رسولا لينذرهم ماذكر من يوم الجمع وما فيه من ألوان الأهوال فيبقوا على ماهم عليه من الكفر ولكن يدخل من يشاء فى رحمته أى شأنه ذلك فيرسل إلى الكل من ينذرهم ما ذكر فيتأثر بعضهم بالإنذار فيصرفون اختيارهم إلى الحق فيوفقهم الله للإيمان والطاعة ويدخلهم فى رحمته ولا يتأثر به الآخرون ويتمادون فى غيهم وهم الظالمون فيبقون فى الدنيا

أَمِ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءَ فَٱللَّهُ هُوَ ٱلْوَلِىُّ وَهُوَ يُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ ٤٢ الشورى

وَمَا ٱخْتَلَفْتُمْ فِيهِ مِن شَىْءٍ فَحُكْمُهُۥٓ إِلَى ٱللَّهِ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبِّى عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ ٤٢ الشورى

فَاطِرُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ أَزْوَٰجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ٤٢ الشورى

على ماهم عليه من الكفر ويصيرون فى الآخرة إلى السعير من غير ولى يلى أمرهم ولا نصير يخلصهم من العذاب (أم اتخذوا من دونه أولياء) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها من انتفاء أن يكون للظالمين ولى أو نصير وأم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان ماقبلها إلى بيان مابعدها والهمزة لإنكار الوقوع ونفيه على أبلغ وجه وآكده لا لإنكار الواقع واستقباحه كما قيل إذ المراد بيان أن مافعلوا ليس من اتخاذ الأولياء فى شىء لأن ذلك فرع كون الأصنام أولياء وهو أظهر الممتنعات أى بل أتخذوا متجاوزين الله أولياء من الأصنام وغيرها هيهات وقوله تعالى (فالله هو الولى) جواب شرط محذوف كأنه قيل بعد إبطال ولاية مااتخذوه أولياء إن أرادوا ولياً فى الحقيقة فالله هو الولى لاولى سواه (وهو يحيى الموتى) أى ومن شأنه ذلك (وهو على كل شىء قدير) فهو الحقيق بأن يتخذ ولياً فليخصوه بالاتخاذ دون من لا يقدر على شىء (وما اختلفتم فيه من شىء) حكاية لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم للمؤمنين أى وما خالفكم الكفار فيه من أمور الدين فاختلفتم أنتم وهم (فحكمه) راجع (إلى الله) وهو إثابة المحقين وعقاب المبطلين (ذلكم) الحاكم العظيم الشأن (الله ربى) مالكى (عليه توكلت) فى مجامع أمورى خاصة لا على غيره (وإليه أنيب) أرجع فى كل مايعن لى من معضلات الأمور لا إلى أحد سواه وحيث كان التوكل أمراً واحداً مستمراً والإنابة متعددة متجددة حسب تجدد موادها أوثر فى الأول صيغة الماضى وفى الثانى صيغة المضارع وقيل وما اختلفتم فيه وتنازعتم فى شىء من الخصومات فتحاكموا فيه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا تؤثروا على حكومته حكومة غيره وقيل وما اختلفتم فيه من تأويل آية واشتبه عليكم فارجعوا فى بيانه إلى المحكم من كتاب الله والظاهر من سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل وما وقع بينكم الخلاف فيه من العلوم التى لا تتعلق بتكليفكم ولا طريق لكم إلى علمه فقولوا الله أعلم كمعرفة الروح ولا مساغ لحمل هذا على الاجتهاد لعدم جوازه بحضرة الرسول صلى الله عليه وسلم (فاطر السموات والأرض) خبر آخر لذلكم أو خبر لمبتدأ محذوف أو مبتدأ خبره (جعل لكم) وقرىء بالجر على أنه بدل من الضمير أو وصف للاسم الجليل فى قوله تعالى إلى الله وما بينهما اعتراض بين الصفة والموصوف (من أنفسكم) من جنسكم (أزواجا) نساء وتقديم الجار والمجرور على المفعول الصريح قد مر سره غير مرة (ومن الأنعام) أى وجعل للأنعام من جنسها (أزواجا) أو خلق لكم من الأنعام أصنافا أو ذكوراً وإناثاً (يذرؤكم) يكثركم من الذرء وهو البث وفى معناه الذرو والذر (فيه) أى

لَهُۥ مَقَالِيدُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾ ٤٢ الشورى

شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾ ٤٢ الشورى

فيما ذكر من التدبير فإن جعل الناس والأنعام ازواجا يكون بينهم توالد كالمنبع للبث والتكثير (ليس كمثله شيء) أى ليس مثله شيء فى شأن من الشئون التى من جملتها هذا التدبير البديع والمراد من مثله ذاته كما فى قولهم مثلك لايفعل كذا على قصد المبالغة فى نفيه عنه فإنه إذا نفى عمن يناسبه كان نفيه عنه أولى ثم سلكت هذه الطريقة فى شأن من لامثل له وقيل مثله صفته أى ليس كصفته صفة (وهو السميع البصير) المبالغ فى العلم بكل مايسمع ويبصر (له مقاليد السموات والأرض) أى خزائنهما ١٢ (يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر) يوسع ويضيق حسبما تقتضيه مشيئته المؤسسة على الحكم البالغة (إنه بكل شيء عليم) مبالغ فى الإحاطة به فيفعل كل مايفعل على ماينبغى أن يفعل عليه والجملة تعليل لما قبلها وتمهيد لما بعدها من قوله تعالى (شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا والذى أوحينا إليك وما ١٣ وصينا به إبراهيم وموسى وعيسى) وإيذان بأن ماشرع لهم صادر عن كمال العلم والحكمة كما أن بيان نسبته إلى المذكورين عليهم الصلاة والسلام تنبيه على كونه ديناً قديماً أجمع عليه الرسل والخطاب لأمته عليه الصلاة والسلام أى شرع لكم من الدين ماوصى به نوحا ومن بعده من أرباب الشرائع وأولى العزائم من مشاهير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأمرهم به أمراً مؤكداً على أن تخصيصهم بالذكر لما ذكر من علو شأنهم ولاستمالة قلوب الكفرة إليه لاتفاق الكل على نبوة بعضهم وتفرد اليهود فى شأن موسى عليه السلام وتفرد النصارى فى حق عيسى عليه السلام وإلا فما من نبى إلا وهو مأمور بما أمروا به وهو عبارة عن التوحيد ودين الإسلام وما لايختلف باختلاف الأمم وتبدل الأعصار من أصول الشرائع والأحكام كما ينبيء عنه التوصية فإنها معربة عن تأكيد الأمر والاعتناء بشأن المأمور به والمراد بإيحائه إليه عليه الصلاة والسلام إما ماذكر فى صدر السورة الكريمة وفى قوله تعالى وكذلك أوحينا الآية أو مايعمهما وغيرهما مما وقع فى سائر المواقع التى من جملتها قوله تعالى ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفاً وقوله تعالى قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد وغير ذلك والتعبير عن ذلك عند نسبته إليه عليه الصلاة والسلام بالذى لزيادة تفخيم شأنه من تلك الحيثية وإيثار الإيحاء على ماقبله وما بعده من التوصية لمراعاة ماوقع فى الآيات المذكورة ولما فى الإيحاء من التصريح برسالته عليه الصلاة والسلام القامع لإنكار الكفرة والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال الاعتناء بإيحائه وهو السر فى تقديمه على مابعده مع تقدمه عليه زماناً وتقديم

وَمَا تَفَرَّقُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ ۚ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِن رَّبِّكَ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى لَّقُضِىَ بَيْنَهُمْ ۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُورِثُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِنۢ بَعْدِهِمْ لَفِى شَكٍّ مِّنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ ٤٢ الشورى

توصية نوح عليه السلام للمسارعة إلى بيان كون المشروع لهم ديناً قديماً وتوجيه الخطاب إليه عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين للتشريف والتنبيه على أنه تعالى شرعه لهم على لسانه عليه الصلاة والسلام (أن أقيموا الدين) أي دين الإسلام الذي هو توحيد الله تعالى وطاعته والإيمان بكتبه ورسله وبيوم الجزاء وسائر ما يكون الرجل به مؤمناً والمراد بإقامته تعديل أركانه وحفظه من أن يقع فيه زيغ أو المواظبة عليـه والتشمر له ومحل أن أقيموا إما النصب على أنه بدل من مفعول شرع والمعطوفين عليه أو الرفع على أنه جواب عن سؤال نشأ من إبهام المشروع كأنه قيل وما ذاك فقيل هو إقامة الدين وقيل بدل من ضمير به وليس بذاك لما أنه مع إفضائه إلى خروجه عن حيز الإيحاء إلى النبي صلى الله عليه وسلم مستلزم لكون الخطاب في قوله تعالى (ولا تتفرقوا فيه) للأنبياء المذكورين عليهم الصلاة والسلام وتوجيه النهي إلى أممهم تمحل ظاهر مع أن الأظهر أنه متوجه إلى أمته صلى الله عليه وسلم وأنهم المتفرقون كما ستحيط به خبراً أي لاتتفرقوا في الدين الذي هو عبارة عما ذكر من الأصول دون الفروع المختلفة حسب اختلاف الأمم باختلاف الأعصار كما ينطق به قوله تعالى لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا وقوله تعالى (كبر على المشركين) شروع في بيان أحوال بعض من شرع لهم ماشرع من الدين القويم أي عظم وشق عليهم (ماتدعوهم إليه) من التوحيد ورفض عبادة الأصنام واستبعدوه حيث قالوا أجعل الآلهة إلهاً واحداً إن هذا لشيء عجاب وقوله تعالى (الله يجتبي إليه من يشاء) استئناف وارد لتحقيق الحق وفيه إشعار بأن منهم من يجيب إلى الدعوة أي الله يجتلب إلى ماتدعوهم إليه من يشاء أن يجتبيه إليه وهو من صرف اختياره إلى مادعي إليه كما ينبيء عنه قوله تعالى (ويهدى إليه من ينيب) أي يقبل إليه حيث يمده بالتوفيق والألطاف

١٤ وقوله تعالى (وما تفرقوا) شروع في بيان أحوال أهل الكتاب عقيب الإشارة الإجمالية إلى أحوال أهل الشرك قال ابن عباس رضي الله عنهما هم اليهود والنصارى لقوله تعالى وما تفرق الذين أوتوا الكتاب إلا من بعد ماجاءتهم البينة أي وما تفرقوا في الدين الذي دعوا إليه ولم يؤمنوا كما آمن بعضهم (إلا من بعد ماجاءهم العلم) بحقيته بما شاهدوا في رسول الله صلى الله عليه وسلم والقرآن من دلائل الحقية حسبما وجدوه في كتابهم أو العلم بمبعثه صلى الله عليه وسلم وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو من أعم الأوقات أي وما تفرقوا في حال من الأحوال أو في وقت من الأوقات إلا حال مجيء العلم أو إلا وقت مجيء العلم (بغياً بينهم) وحمية وطلباً للرياسة لالأن لهم في ذلك شبهة (ولولا كلمـة سبقت من ربك) وهي العدة بتأخير العقوبة (إلى أجل مسمى) هو يوم القيامة (لقضى بينهم) لأوقع القضاء بينهم باستئصالهم لاستيجاب جناياتهم لذلك قطعاً وقوله تعالى (وإن الذين

فَلِذَٰلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنتُ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ مِن كِتَٰبٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمُ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَٰلُنَا وَلَكُمْ أَعْمَٰلُكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

٤٢ الشورى

أورثوا الكتاب من بعدهم) الخ بيان لكيفية كفر المشركين بالقرآن إثر بيان كيفية كفر أهل الكتاب وقرىء ورثوا وورثوا أى وإن المشركين الذين أورثوا القرآن من بعد ما أورث أهل الكتاب كتابهم (لفى شك منه) من القرآن (مريب) موقع فى القلق أو فى الريبة ولذلك لا يؤمنون به لا لمحض البغى والمكابرة بعد ما علموا بحقيته كدأب أهل الكتابين هذا وأما ماقيل من أن ضمير تفرقوا لأمم الأنبياء عليهم الصلاة والسلام وأن المراد تفرق كل أمة بعد نبيها مع علمهم بأن الفرقة ضلال وفساد وأمر متوعد عليه على ألسنة الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فيرده قوله تعالى ولولا كلمة سبقت من ربك إلى أجل مسمى لقضى بينهم وكذا ماقيل من أن الناس كانوا أمة واحدة مؤمنين بعد ما أهلك الله تعالى أهل الأرض بالطوفان فلما مات الآباء اختلف الأبناء فيما بينهم وذلك حين بعث الله تعالى النبيين مبشرين ومنذرين وجاءهم العلم وإنما اختلفوا للبغى بينهم فإن مشاهير الأمم المذكورة قد أصابهم عذاب الاستئصال من غير إنظار وإمهال على أن مساق النظم الكريم لبيان أحوال هذه الأمة وإنما ذكر من ذكر من الأنبياء عليهم الصلاة والسلام لتحقيق أن ماشرع لهؤلاء دين قديم أجمع عليه أولئك الأعلام عليهم الصلاة والسلام تأكيداً لوجوب إقامته وتشديداً للزجر عن التفرق والاختلاف فيه فالتعرض لبيان تفرق أممهم عنه ربما يوهم الإخلال بذلك المرام (فلذلك) أى فلأجل ماذكر من التفرق ١٥ والشك المريب أو فلأجل أنه شرع لهم الدين القويم القديم الحقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون (فادع) أى الناس كافة إلى إقامة ذلك الدين والعمل بموجبه فإن كلا من تفرقهم وكونهم فى شك * مريب ومن شرع ذلك الدين لهم على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم سبب للدعوة إليه والأمر بها وليس المشار إليه ما ذكر من التوصية والأمر بالإقامة والنهى عن التفرق حتى يتوهم شائبة التكرار وقيل المشار إليه نفس الدين المشروع واللام بمعنى إلى كما فى قوله تعالى بأن ربك أوحى لها أى فإلى ذلك الدين فادع (واستقم) عليه وعلى الدعوة إليه (كما أمرت) وأوحى إليك (ولا تتبع أهواءهم) * الباطلة (وقل آمنت بما أنزل الله من كتاب) أى كتاب كان من الكتب المنزلة لا كالذين آمنوا ببعض منها وكفروا ببعض وفيه تحقيق للحق وبيان لاتفاق الكتب فى الأصول وتأليف لقلوب أهل الكتابين وتعريض بهم وقد مر بيان كيفية الإيمان بها فى خاتمة سورة البقرة (وأمرت لأعدل * بينكم) فى تبليغ الشرائع والأحكام وفصل القضايا عند المحاكمة والخصام وقيل معناه لاسوى بينى وبينكم ولا آمركم بما لا أعمله ولا أخالفكم إلى ما أنهاكم عنه ولا أفرق بين أكابركم وأصاغركم واللام إما على حقيقتها والمأمور به محذوف أى أمرت بذلك لأعدل أو زائدة أى أمرت أن أعدل والباء محذوفة (الله ربنا وربكم) أى خالقنا جميعاً ومتولى أمورنا (لنا أعمالنا) لا يتخطانا جزاؤها ثواباً كان

وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ حُجَّتُهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ ٤٢ الشورى

اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ ٤٢ الشورى

يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ ٤٢ الشورى

أو عقاباً (ولكم أعمالكم) لاتجاوزكم آثارها لنستفيد بحسناتكم ونتضرر بسيآتكم (لا حجة بيننا وبينكم) لامحاجة ولا خصومة لأن الحق قد ظهر ولم يبق للمحاجة حاجة ولا للمخالفة محمل سوى المكابرة (الله يجمع بيننا) يوم القيامة (وإليه المصير) فيظهر هناك حالنا وحالكم وهذا كما ترى محاجزة فى مواقف المجاوبة لامتاركة فى مواطن المحاربة حتى يصار إلى النسخ بآية القتال (والذين يحاجون فى الله) أى فى دينه (من بعد ما استجيب له) من بعدما استجاب له الناس ودخلوا فيه والتعبير عن ذلك بالاستجابة باعتبار دعوتهم إليه أو من بعد ما استجاب الله لرسوله صلى الله عليه وسلم وأيده بنصره أو من بعد ما استجاب له أهل الكتاب بأن أقروا بنبوته صلى الله عليه وسلم واستفتحوا به قبل مبعثه صلى الله عليه وسلم وذلك أن اليهود والنصارى كانوا يقولون للمؤمنين كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم ونحن خير منكم وأولى بالحق (حجتهم داحضة عند ربهم) زالة زائلة باطلة بل لاحجة لهم أصلا وإنما عبر عن أباطيلهم بالحجة مجاراة معهم على زعمهم الباطل (وعليهم غضب) عظيم لمكابرتهم الحق بعد ظهوره (ولهم عذاب شديد) لايقادر قدره (الله الذى أنزل الكتاب) أى جنس الكتاب (بالحق) ملتبساً به فى أحكامه وأخباره أو بما يحق إنزاله من العقائد والأحكام (والميزان) والشرع الذى يوزن به الحقوق ويسوى بين الناس أو نفس العدل بأن أنزل الأمر به أو آلة الوزن (وما يدريك) أى أى شىء يجعلك عالماً (لعل الساعة) التى يخبر بمجيئها الكتاب الناطق بالحق (قريب) أى شىء قريب أو قريب مجيئها وقيل القريب بمعنى ذات قرب أو الساعة بمعنى البعث والمعنى أنها على جناح الإتيان فاتبع الكتاب واعمل به وواظب على العدل قبل أن يفاجئك اليوم الذى يوزن فيه الأعمال ويوفى جزاؤها (يستعجل بها الذين لايؤمنون بها) استعجال إنكار واستهزاء كانوا يقولون متى هى ليتها قامت حتى يظهر لنا الحق أهو الذى نحن عليه أم الذى عليه محمد وأصحابه (والذين آمنوا مشفقون منها) خائفون منها مع اعتناء بها لتوقع الثواب (ويعلمون أنها الحق) أى الكائن لامحالة (ألا إن الذين يمارون فى الساعة) يجادلون فيها من المرية أو من مريت الناقة إذا مسحت ضرعها بشدة للحلب لأن كلا من المتجادلين يستخرج ماعند صاحبه بكلام فيه شدة (لفى ضلال بعيد) عن الحق فإن البعث أشبه الغائبات بالمحسوسات فمن لم يهتد إلى تجويزه فهو عن

ٱللَّهُ لَطِيفُۢ بِعِبَادِهِۦ يَرۡزُقُ مَن يَشَآءُۖ وَهُوَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡعَزِيزُ ﴿١٩﴾ ٤٢ الشورى

مَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلۡأٓخِرَةِ نَزِدۡ لَهُۥ فِي حَرۡثِهِۦۖ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرۡثَ ٱلدُّنۡيَا نُؤۡتِهِۦ مِنۡهَا وَمَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ ﴿٢٠﴾ ٤٢ الشورى

أَمۡ لَهُمۡ شُرَكَـٰٓؤُاْ شَرَعُواْ لَهُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا لَمۡ يَأۡذَنۢ بِهِ ٱللَّهُۚ وَلَوۡلَا كَلِمَةُ ٱلۡفَصۡلِ لَقُضِيَ بَيۡنَهُمۡۗ وَإِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٢١﴾ ٤٢ الشورى

تَرَى ٱلظَّـٰلِمِينَ مُشۡفِقِينَ مِمَّا كَسَبُواْ وَهُوَ وَاقِعُۢ بِهِمۡۗ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَٰتِ فِي رَوۡضَاتِ ٱلۡجَنَّاتِۖ لَهُم مَّا يَشَآءُونَ عِندَ رَبِّهِمۡۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ ﴿٢٢﴾ ٤٢ الشورى

---

١٩ الاهتداء إلى ماوراءه أبعد وأبعد (الله لطيف بعباده) أى بر بليغ البر بهم يفيض عليهم من فنون ألطافه مالا يكاد يناله أيدى الأفكار والظنون (يرزق من يشاء) أن يرزقه كيفما يشاء فيخص كلا من عباده بنوع من البر على ماتقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة (وهو القوى) الباهر القدرة الغالب على كل شيء (العزيز) المنيع الذى لايغلب (من كان يريد حرث الآخرة) الحرث فى الأصل إلقاء البذر فى الأرض يطلق على الزرع الحاصل منه ويستعمل فى ثمرات الأعمال ونتائجها بطريق الاستعارة المبنية على تشبيهها بالغلال الحاصلة من البذور المتضمن لتشبيه الأعمال بالبذور أى من كان يريد بأعماله ثواب الآخرة (نزد له فى حرثه) نضاعف له ثوابه بالواحد عشرة إلى سبعمائة فما فوقها (ومن كان يريد) بأعماله (حرث الدنيا) وهو متاعها وطيباتها (نؤته منها) أى شيئاً منها حسبما قسمنا له لا ما يريده ويبتغيه (وما له فى الآخرة من نصيب) إذ كانت همته مقصورة على الدنيا وقد مر تفصيله فى سورة

٢٠

٢١ الإسراء (أم لهم شركاء) أى بل ألهم شركاء من الشياطين والهمزة للتقرير والتقريع (شرعوا لهم) بالتسويل (من الدين مالم يأذن به الله) كالشرك وإنكار البعث والعمل للدنيا وقيل شركاؤهم أوثانهم وإضافتها إليهم لأنهم الذين جعلوها شركاء لله تعالى وإسناد الشرع إليها لأنها سبب ضلالتهم وافتتانهم كقوله تعالى إنهن أضللن كثيراً أو تماثيل من سن الضلالة لهم (ولولا كلمة الفصل) أى القضاء السابق بتأخير الجزاء أو العدة بأن الفصل يكون يوم القيامة (لقضى بينهم) أى بين الكافرين والمؤمنين أو بين المشركين وشركائهم (وإن الظالمين لهم عذاب أليم) وقرىء بالفتح عطفا على كلمة الفصل أى ولولا كلمة الفصل وتقدير عذاب الظالمين فى الآخرة لقضى بينهم فى الدنيا فإن العذاب الأليم غالب فى عذاب

٢٢ الآخرة (ترى الظالمين) يوم القيامة والخطاب لكل أحد ممن يصلح له للقصد إلى أن سوء حالهم غير مختص برؤية راء دون راء (مشفقين) خائفين (مما كسبوا) من السيآت (وهو واقع بهم) أى ووباله لاحق بهم لامحالة أشفقوا أو لم يشفقوا والجملة حال من ضمير مشفقين أو اعتراض (والذين آمنوا وعملوا

ذَٰلِكَ ٱلَّذِى يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ قُل لَّآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا ٱلْمَوَدَّةَ فِى ٱلْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُۥ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ ٤٢ الشورى

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَإِ ٱللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ ٱللَّهُ ٱلْبَٰطِلَ وَيُحِقُّ ٱلْحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦٓ إِنَّهُۥ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ ٤٢ الشورى

الصالحات فى روضات الجنات) مستقرون فى أطيب بقاعها وأنزهها (لهم مايشاءون عند ربهم) أى مايشتهونه من فنون المستلذات حاصل لهم عند ربهم ظرف للاستقرار العامل فى لهم وقيل ظرف ليشاءون (ذلك) إشارة إلى ماذكر من حال المؤمنين وما فيه من معنى البعد للإيذان ببعد منزلة المشار إليه) هو الفضل الكبير) الذى لايقادر قدره ولا يبلغ غايته (ذلك) الفضل الكبير هو (الذى يبشر الله عباده) أى يبشرهم به لحذف الجار ثم العائد إلى الموصول كما فى قوله تعالى أهذا الذى بعث الله رسولا أو ذلك التبشير الذى يبشره الله تعالى عباده (الذين آمنوا وعملوا الصالحات) وقرىء يبشر من أبشر (قل لا أسألكم عليه) روى أنه اجتمع المشركون فى مجمع لهم فقال بعضهم لبعض أترون أن محمداً يسأل على ما يتعاطاه أجراً فنزلت أى لا أطلب منكم على ماأنا عليه من التبليغ والبشارة (أجراً) نفعاً (إلا المودة فى القربى) أى إلا أن تودونى لقرابتى منكم أو تودوا أهل قرابتى وقيل الاستثناء منقطع والمعنى لا أسألكم أجراً قط ولكن أسألكم المودة وفى القربى حال منها أى إلا المودة ثابتة فى القربى متمكنة فى أهلها أو فى حق القرابة والقربى مصدر كالزلفى بمعنى القرابة روى أنها لما نزلت قيل يارسول الله من قرابتك هؤلاء الذين وجبت علينا مودتهم قال على وفاطمة وابناهما وعن النبى صلى الله عليه وسلم حرمت الجنة على من ظلم أهل بيتى وآذانى فى عترتى ومن اصطنع صنيعة إلى أحد من ولد عبد المطلب ولم يجازه فأنا أجازيه عليها غداً إذا لقينى يوم القيامة وقيل القربى التقرب إلى الله أى إلا أن تودوا الله ورسوله فى تقربكم إليه بالطاعة والعمل الصالح وقرىء إلا مودة فى القربى (ومن يقترف حسنة) أى يكتسب أى حسنة كانت فتتناول مودة ذى القربى تناولا أولياً وعن السدى أنها المرادة وقيل نزلت فى الصديق رضى الله عنه ومودته فيهم (نزد له فيها) أى فى الحسنة (حسناً) بمضاعفة الثواب وقرىء يزد أى يزد الله وقرىء حسنى (إن الله غفور) لمن أذنب (شكور) لمن أطاع بتوفية الثواب والتفضل عليه بالزيادة (أم يقولون) بل أيقولون (افترى) محمد (على الله كذباً) بدعوى النبوة وتلاوة القرآن على أن الهمزة للإنكار التوبيخى كأنه قيل أيتمالكون أن ينسبوا مثله عليه السلام وهو هو إلى الافتراء لاسيما الافتراء على الله الذى هو أعظم الفرى وأفحشها وقوله تعالى (فإن يشأ الله يختم على قلبك) استشهاد على بطلان ماقالوا ببيان أنه عليه السلام لو افترى على الله تعالى لمنعه من ذلك قطعاً وتحقيقه أن دعوى كون القرآن افتراء عليه تعالى قول منهم بأنه تعالى لايشاء صدوره عن النبى صلى الله عليه وسلم بل يشاء عدم صدوره

وَهُوَ ٱلَّذِى يَقْبَلُ ٱلتَّوْبَةَ عَنْ عِبَادِهِۦ وَيَعْفُواْ عَنِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ ٤٢ الشورى
وَيَسْتَجِيبُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِۦ وَٱلْكَٰفِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ
شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾
٤٢ الشورى

عنه ومن ضرورته منعه عنه قطعاً فكأنه قيل لوكان افتراء عليه تعالى لشاء عدم صدوره عنك وإن يشأ ذلك يختم على قلبك بحيث لم يخطر ببالك معنى من معانيه ولم تنطق بحرف من حروفه وحيث لم يكن الأمر كذلك بل تواتر الوحي حيناً فحيناً تبين أنه من عند الله تعالى هذا وقيل المعنى إن يشأ يجعلك من المختوم على قلوبهم فإنه لايجترىء على الافتراء عليه تعالى إلا من كان كذلك ومؤداه استبعاد الافتراء من مثله عليه السلام وأنه فى البعد مثل الشرك بالله والدخول فى جملة المختوم على قلوبهم وعن قتادة يختم على قلبك ينسك القرآن ويقطع عنك الوحي يعنى لو افترى على الله الكذب لفعل به ذلك وهذا معنى ماقيل لو كذب على الله لأنساه القرآن وقيل يختم على قلبك يربط عليه بالصبر حتى لايشق عليك أذاهم (ويمحو الله الباطل ويحق الحق بكلماته) استئناف مقرر لنفى الافتراء غير معطوف على يختم كما ينبىء عنه إظهار الاسم الجليل وسقوط الواو كما فى بعض المصاحف لاتباع اللفظ كما فى قوله تعالى ويدع الإنسان بالشر أى ومن عادته تعالى أنه يمحو الباطل ويثبت الحق بوحيه أو بقضائه كقوله تعالى بل نقذف بالحق على الباطل فيدمغه فلوكان افتراء كما زعموا لمحقه ودمغه أو عدة لرسول الله صلى الله عليه وسلم بأنه تعالى يمحو الباطل الذى هم عليه من البهت والتكذيب ويثبت الحق الذى هو عليه بالقرآن أو بقضائه الذى لامرد له بنصرته عليهم (إنه عليم بذات الصدور) فيجرى عليها أحكامها اللائقة بها من المحو والإثبات (وهو الذى يقبل التوبة عن عباده) التوبة هى الرجوع عن المعاصى بالندم عليها والعزم على أن لايعاودها أبداً وروى جابر رضى الله عنه أن أعرابياً دخل مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال اللهم إنى استغفرك وأتوب إليك وكبر فلما فرغ من صلاته قال له على رضى الله عنه ياهذا إن سرعة اللسان بالاستغفار توبة الكذابين وتوبتك هذه تحتاج إلى التوبة فقال ياأمير المؤمنين وما التوبة قال اسم يقع على ستة معان على الماضى من الذنوب الندامة ولتضييع الفرائض الإعادة ورد المظالم وإذابة النفس فى الطاعة كما ربيتها فى المعصية وإذاقتها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية والبكاء بدل كل ضحك ضحكته (ويعفو عن السيئات) صغيرها وكبيرها لمن يشاء (ويعلم مايفعلون) كائناً ما كان من خير وشر فيجازى ويتجاوز حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح وقرىء ماتفعلون بالتاء (ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات) أى يستجيب الله لهم فحذف اللام كما فى قوله تعالى وإذا كالوهم أى كالوا لهم والمراد إجابة دعوتهم والإثابة على طاعتهم فإنها كدعاء وطلب لما يترتب عليها ومنه قوله صلى الله عليه وسلم أفضل الدعاء الحمد لله أو يستجيبون الله بالطاعة إذا دعاهم إليها وعن إبراهيم بن أدهم أنه قيل له ما بالنا ندعو فلا

وَلَوْ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزْقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوْا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرٌۢ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ ٤٢ الشورى

وَهُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ مِنۢ بَعْدِ مَا قَنَطُوا۟ وَيَنشُرُ رَحْمَتَهُۥ ۚ وَهُوَ ٱلْوَلِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ ٤٢ الشورى

وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَآءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ ٤٢ الشورى

نجاب قال لأنه دعاكم ولم تجيبوه ثم قرأ والله يدعو إلى دار السلام (ويزيدهم من فضله) على ماسألوا واستحقوا بموجب الوعد (والكافرون لهم عذاب شديد) بدل ما للمؤمنين من الثواب والفضل المزيد (ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا فى الأرض) لتكبروا وأفسدوا فيها بطراً أو لعلا بعضهم على بعض بالاستيلاء والاستعلاء كما عليه الجبلة البشرية وأصل البغى طلب تجاوز الاقتصاد فيمايتحرى من حيث الكمية أو الكيفية (ولكن ينزل بقدر) أى بتقدير (مايشاء) أن ينزله مما تقتضيه مشيئته (إنه بعباده خبير بصير) محيط بخفايا أمورهم وجلاياها فيقدر لكل واحد منهم فى كل وقت من أوقاتهم مايليق بشأنهم فيفقر ويغني ويمنع ويعطى ويقبض ويبسط حسبما تقتضيه الحكمة الربانية ولو أغناهم جميعاً لبغوا ولو أفقرهم لهلكوا وروى أن أهل الصفة تمنوا الغنى فنزلت وقيل نزلت فى العرب كانوا إذا أخصبوا تحاربوا وإذا أجدبوا انتجعوا (وهو الذى ينزل الغيث) أى المطر الذى يغيثهم من الجدب ولذلك خص بالنافع منه وقرىء ينزل من الإنزال (من بعد ماقنطوا) يئسوا منه وتقييد تنزيله بذلك مع تحققه بدونه أيضاً لتذكر كمال النعمة وقرىء بكسر النون (وينشر رحمته) أى بركات الغيث ومنافعه فى كل شىء من السهل والجبل والنبات والحيوان أو رحمته الواسعة المنتظمة لما ذكر انتظاماً أولياً (وهو الولى) الذى يتولى عباده بالإحسان ونشر الرحمة (الحميد) المستحق للحمد على ذلك لاغيره (ومن آياته خلق السموات والأرض) على ماهما عليه من تعاجيب الصنائع فإنها بذاتها وصفاتها تدل على شئونه العظيمة (وما بث فيهما) عطف على السموات أو الخلق (من دابة) من حى على إطلاق اسم المسبب على السبب أو مما يدب على الأرض فإن مايختص بأحد الشيئين المتجاورين يصح نسبته إليهما كما فى قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان وإنما يخرج من الملح وقد جوز أن يكون للملائكة عليهم السلام مشى مع الطيران فيوصفوا بالدبيب وأن يخلق الله فى السماء حيواناً يمشون فيها مشى الأناسى على الأرض كما ينبىء عنه قوله تعالى ويخلق مالا تعلمون وقد روى أن النبى صلى الله عليه وسلم قال فوق السماء السابعة بحر بين أسفله وأعلاه كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك ثمانية أوعال بين ركبهن وأظلافهن كما بين السماء والأرض ثم فوق ذلك العرش العظيم (وهو على جمعهم) أى حشرهم بعد البعث للمحاسبة وقوله تعالى (إذا يشاء) متعلق بما قبله لا بقوله تعالى

وَمَآ أَصَٰبَكُم مِّن مُّصِيبَةٖ فَبِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٠﴾ ٤٢ الشورى

وَمَآ أَنتُم بِمُعۡجِزِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيّٖ وَلَا نَصِيرٖ ﴿٣١﴾ ٤٢ الشورى

وَمِنۡ ءَايَٰتِهِ ٱلۡجَوَارِ فِي ٱلۡبَحۡرِ كَٱلۡأَعۡلَٰمِ ﴿٣٢﴾ ٤٢ الشورى

إِن يَشَأۡ يُسۡكِنِ ٱلرِّيحَ فَيَظۡلَلۡنَ رَوَاكِدَ عَلَىٰ ظَهۡرِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٍ ﴿٣٣﴾ ٤٢ الشورى

أَوۡ يُوبِقۡهُنَّ بِمَا كَسَبُواْ وَيَعۡفُ عَن كَثِيرٖ ﴿٣٤﴾ ٤٢ الشورى

وَيَعۡلَمَ ٱلَّذِينَ يُجَٰدِلُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا مَا لَهُم مِّن مَّحِيصٖ ﴿٣٥﴾ ٤٢ الشورى

(قدير) فإن المقيد بالمشيئة جمعه تعالى لاقدرته وإذا عند كونها بمعنى الوقت كما تدخل الماضى تدخل المضارع (وما أصابكم من مصيبة) أى مصيبة كانت (فبما كسبت أيديكم) أى فهى بما معاصيكم التى اكتسبتموها والفاء لأن ما شرطية أو متضمنة لمعنى الشرط وقرىء بدونها اكتفاء بما فى الباء من معنى السببية (ويعفوا عن كثير) من الذنوب فلا يعاقب عليها والآية مخصوصة بالمجرمين فإن ما أصاب غيرهم لأسباب أخرى منها تعريضه للثواب بالصبر عليه (وما أنتم بمعجزين فى الأرض) فائتين ماقضى عليكم من المصائب وإن هربتم من أقطارها كل مهرب (وما لكم من دون الله من ولى) يحميكم منها (ولا نصير) يدفعها عنكم (ومن آياته الجوار) السفن الجارية (فى البحر) وقرىء الجوارى (كالأعلام) أى كالجبال على الإطلاق لا التى عليها النار للاهتداء خاصة (إن يشأ يسكن الريح) التى تجريها وقرىء الرياح (فيظللن رواكد على ظهره) فيبقين ثوابت على ظهر البحر أى غير جاريات لا غير متحركات أصلا (إن فى ذلك) الذى ذكر من السفن اللاتى يجرين تارة ويركدن أخرى على حسب مشيئته تعالى (لآيات) عظيمة فى أنفسها كثيرة فى العدد دالة على ما ذكر من شئونه تعالى (لكل صبار شكور) لكل من حبس نفسه عن التوجه إلى ما لا ينبغى ووكل همته بالنظر فى آيات الله تعالى والتفكر فى آلائه أو لكل مؤمن كامل فإن الإيمان نصفه صبر ونصفه شكر (أو يوبقهن بما كسبوا) عطف على يسكن والمعنى إن يشأ يسكن الريح فيركدن أو يرسلها فيغرقن بعصفها وإيقاع الإيباق عليهن مع أنه حال أهلهن للمبالغة والتهويل وإجراء حكمه على العفو فى قوله تعالى (ويعف عن كثير) لما أن المعنى أو يرسلها فيوبق ناساً وينج آخرين بطريق العفو عنهم وقرىء ويعفو على الاستئناف (ويعلم الذين يجادلون فى آياتنا) عطف على علة مقدرة مثل لينتقم منهم وليعلم الخ كما فى قوله تعالى ولنجعله آية للناس وقوله ولنعلمه من تأويل الأحاديث ونظائرهما وقرىء بالرفع على الاستئناف وبالجزم عطفاً على يعف فيكون المعنى وإن يشأ يجمع بين إهلاك قوم وإنجاء قوم وتحذير قوم (مالهم من محيص) أى من مهرب من العذاب والجملة معلق عنها الفعل .

فَمَآ أُوتِيتُم مِّن شَيْءٍ فَمَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَا عِندَ ٱللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٣٦﴾ ٤٢ الشورى

وَٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٤٢ الشورى

وَٱلَّذِينَ ٱسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣٨﴾ ٤٢ الشورى

وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلْبَغْيُ هُمْ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ ٤٢ الشورى

وَجَزَٰٓؤُا سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِّثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ ٤٢ الشورى

---

٣٦ (فما أوتيتم من شيء) مما ترغبون وتتنافسون فيه (فمتاع الحياة الدنيا) أى فهو متاعها تتمتعون به مدة حياتكم (وما عند الله) من ثواب الآخرة (خير) ذاتاً لخلوص نفعه (وأبقى) زماناً حيث لايزول ولا يفنى (للذين آمنوا وعلى ربهم يتوكلون) لا على غيره أصلا والموصول الأول لما كان متضمناً لمعنى الشرط من حيث أن إيتاء ما أوتوا سبب للتمتع بها فى الحياة الدنيا دخلت جوابها الفاء بخلاف الثانى وعن على رضى الله عنه أنه تصدق أبو بكر رضى الله عنه بماله فلامه جمع من المسلمين

٣٧ فنزلت وقوله تعالى (والذين يجتنبون كبائر الإثم) أى الكبائر من هذا الجنس (والفواحش وإذا ماغضبوا هم يغفرون) مع مابعده عطف على الذين آمنوا أو مدح بالنصب أو الرفع وبناء يغفرون على الضمير خبراً له للدلالة على أنهم الأخصاء بالمغفرة حال الغضب لعزة منالها وقرىء كبير الإثم

٣٨ وعن ابن عباس رضى الله عنهما كبير الإثم الشرك (والذين استجابوا لربهم وأقاموا الصلاة) نزل فى الأنصار دعاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان فاستجابوا له (وأمرهم شورى بينهم) أى ذو شورى لاينفردون برأى حتى يتشاوروا ويجتمعوا عليه وكانوا قبل الهجرة وبعدها إذا حزبهم أمر اجتمعوا وتشاوروا (ومما رزقناهم ينفقون) أى فى سبيل الخير ولعل فصله عن قرينه بذكر

٣٩ المشاورة لوقوعها عند اجتماعهم للصلوات (والذين إذا أصابهم البغى هم ينتصرون) أى ينتقمون ممن بغى عليهم على ماجعله الله تعالى لهم كراهة التذلل وهو وصف لهم بالشجاعة بعد وصفهم بسائر مهمات الفضائل وهذا لاينافى وصفهم بالغفران فإن كلا منهما فضيلة محمودة فى موقع نفسه ورذيلة مذمومة فى موقع صاحبه فإن الحلم عن العاجز وعوراء الكرام محمود وعن المتغلب ولغواء اللئام مذموم فإنه إغراء على البغى وعليه قول من قال [إذا أنت أكرمت الكريم ملكته * وإن أنت أكرمت اللئيم تمردا] [فوضع الندى فى موضع السيف بالعلا * مضر كوضع السيف فى موضع

٤٠ الندى] وقوله تعالى (وجزاء سيئة سيئة مثلها) بيان لوجه كون الانتصار من الخصال الحميدة مع كونه فى نفسه إساءة إلى الغير بالإشارة إلى أن البادىء هو الذى فعله لنفسه فإن الأفعال مستتبعة لأجزيتها حتما إن خيراً فخير وإن شراً فشر وفيه تنبيه على حرمة التعدى وإطلاق السيئة على الثانية

وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ مَا عَلَيْهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ ٤٢ الشورى

إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظْلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبْغُونَ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤٢﴾ ٤٢ الشورى

وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنْ عَزْمِ ٱلْأُمُورِ ﴿٤٣﴾ ٤٢ الشورى

وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن وَلِىٍّ مِّنۢ بَعْدِهِۦ ۗ وَتَرَى ٱلظَّٰلِمِينَ لَمَّا رَأَوُا۟ ٱلْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِّن سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ ٤٢ الشورى

وَتَرَىٰهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَٰشِعِينَ مِنَ ٱلذُّلِّ يَنظُرُونَ مِن طَرْفٍ خَفِىٍّ ۗ وَقَالَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ ٱلْخَٰسِرِينَ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ أَلَآ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ فِى عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ ٤٢ الشورى

لأنها تسوء من نزلت به (فمن عفا) عن المسيء إليه (وأصلح) بينه وبين من يعاديه بالعفو والإغضاء *
كما فى قوله تعالى فإذا الذى بينك وبينه عداوة كأنه ولى حميم (فأجره على الله) عدة مبهمة منبئة عن *
عظم شأن الموعود وخروجه عن الحد المعهود (إنه لا يحب الظالمين) البادئين بالسيئة والمعتدين فى *
الانتقام (ولمن انتصر بعد ظلمه) أى بعد ماظلم وقد قرىء به (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار المعنى ٤١
كما أن الضميرين لها باعتبار اللفظ (ماعليهم من سبيل) بالمعاتبة أو المعاقبة (إنما السبيل على الذين ٤٢
يظلمون الناس) يبتدئونهم بالإضرار أو يعتدون فى الانتقام (ويبغون فى الأرض بغير الحق) أى *
يتكبرون فيها تجبراً وفساداً (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الظلم والبغى بغير الحق (لهم عذاب *
أليم) بسبب ظلمهم وبغيهم (ولمن صبر) على الأذى (وغفر) لمن ظلمه ولم ينتصر وفوض أمره إلى ٤٣
الله تعالى (إن فى ذلك) الذى ذكر من الصبر والمغفرة (لمن عزم الأمور) أى إن ذلك منه فحذف *
ثقة بغاية ظهوره كما فى قولهم السمن منوان بدرهم وهذا فى المواد التى لا يؤدى العفو إلى الشر كما أشير إليه
(ومن يضلل الله فما له من ولى من بعده) من ناصر يتولاه من بعد خذلانه تعالى إياه (وترى الظالمين ٤٤
لما رأوا العذاب) أى حين يرونه وصيغة الماضى للدلالة على التحقق (يقولون هل إلى مرد) أى *
إلى رجعة إلى الدنيا (من سبيل) حتى نؤمن ونعمل صالحاً (وتراهم يعرضون عليها) أى على النار ٤٥
المدلول عليها بالعذاب والخطاب فى الموضعين لكل من يتأتى منه الرؤية (خاشعين من الذل) متذللين *
متضائلين مما دهاهم (ينظرون من طرف خفى) أى يبتدىء نظرهم إلى النار من تحريك لأجفانهم ضعيف *
كالمصبور ينظر إلى السيف (وقال الذين آمنوا إن الخاسرين) أى المتصفين بحقيقة الخسران (الذين *
خسروا أنفسهم وأهليهم) بالتعريض للعذاب الخالد (يوم القيامة) أما ظرف لخسروا فالقول فى *

وَمَا كَانَ لَهُم مِّنْ أَوْلِيَآءَ يَنصُرُونَهُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ وَمَن يُضْلِلِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾ ٤٢ الشورى

ٱسْتَجِيبُوا۟ لِرَبِّكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ يَوْمٌ لَّا مَرَدَّ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَكُم مِّن مَّلْجَإٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُم مِّن نَّكِيرٍ ﴿٤٧﴾ ٤٢ الشورى

فَإِنْ أَعْرَضُوا۟ فَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا ٱلْبَلَٰغُ وَإِنَّآ إِذَآ أَذَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌۢ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ٤٢ الشورى

لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ ٤٢ الشورى

الدنيا أو لقال فالقول يوم القيامة أى يقولون حين يرونهم على تلك الحال وصيغة الماضى للدلالة على تحققه وقوله تعالى (ألا إن الظالمين فى عذاب مقيم) إما من تمام كلامهم أو تصديق من الله تعالى

٤٦ لهم (وما كان لهم من أولياء ينصرونهم) برفع العذاب عنهم (من دون الله) حسبما كانوا يرجون ذلك

٤٧ فى الدنيا (ومن يضلل الله فما له من سبيل) يؤدى سلوكه إلى النجاة (إستجيبوا لربكم) إذا دعاكم إلى الإيمان على لسان نبيه (من قبل أن يأتى يوم لامرد له من الله) أى لايرده الله بعد ماحكم به على أن من صلة مرد أو من قبل أن يأتى من الله يوم لايمكن رده (مالكم من ملجأ يومئذ) أى مفر تلتجئون إليه (وما لكم من نكير) أى إنكاره لما اقترفتموه لأنه مدون فى صحائف أعمالكم وتشهد عليكم

٤٨ جوارحكم (فإن أعرضوا فما أرسلناك عليهم حفيظاً) تلوين للكلام وصرف له عن خطاب الناس بعد أمرهم بالاستجابة وتوجيه له إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أى فإن لم يستجيبوا وأعرضوا عما تدعوهم إليه فما أرسلناك رقيباً ومحاسباً عليهم (إن عليك إلا البلاغ) وقد فعلت (وإنا إذاً أذقنا الإنسان منا رحمة) أى نعمة من الصحة والغنى والأمن (فرح بها) أريد بالإنسان الجنس لقوله تعالى

* (وإن تصبهم سيئة) أى بلاء من مرض وفقر وخوف (بما قدمت أيديهم فإن الإنسان كفور) بليغ الكفر ينسى النعمة رأساً ويذكر البلية ويستعظمها ولا يتأمل سببها بل يزعم أنها أصابته بغير استحقاق لها وإسناد هذه الخصلة إلى الجنس مع كونها من خواص المجرمين لغلبتهم فيما بين الأفراد وتصدير الشرطية الأولى بإذا مع إسناد الإذاقة إلى نون العظمة للتنبيه على أن إيصال النعمة محقق الوجود كثير الوقوع وأنه مقتضى الذات كما أن تصدير الثانية بأن وإسناد الإصابة إلى السيئة وتعليلها بأعمالهم للإيذان بندرة وقوعها وأنها بمعزل عن الانتظام فى سلك الإرادة بالذات ووضع الظاهر

٤٩ موضع الضمير للتسجيل على أن هذا الجنس موسوم بكفران النعم (لله ملك السموات والأرض) فمن قضيته أن يملك التصرف فيهما وفى كل مافيهما كيفما يشاء ومن جملته أن يقسم النعمة والبلية حسبما يريده (يخلق مايشاء) مما تعلمه ومما لاتعلمه (يهب لمن يشاء إناثاً) من الأولاد (ويهب لمن يشاء الذكور)

أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَن يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾ ٤٢ الشورى

وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ٤٢ الشورى

٥٠ منهم من غير أن يكون فى ذلك مدخل لأحد (أو يزوجهم) أى يقرن بين الصنفين فيهبهما جميعاً (ذكراناً وإناثاً) قالوا معنى يزوجهم أن تلد غلاماً ثم جارية أو جارية ثم غلاماً أو تلد ذكراً وأنثى توأمين (ويجعل من يشاء عقيماً) والمعنى يجعل أحوال العباد فى حق الأولاد مختلفة على ماتقتضيه المشيئة فيهن فيهب لبعض إما صنفاً واحداً من ذكر أو أنثى وإما صنفين ويعقم آخرين ولعل تقديم الإناث لأنها أكثر لتكثير النسل أو لأن مساق الآية للدلالة على أن الواقع ماتتعلق به مشيئته تعالى لا ما تتعلق به مشيئة الإنسان والإناث كذلك أو لأن الكلام فى البلاء والعرب تعدهن أعظم البلايا أو لتطييب قلوب آبائهن أو للمحافظة على الفواصل ولذلك عرف الذكور أو لجبر التأخير وتغيير العاطف فى الثالث لأنه قسيم المشترك بين القسمين ولا حاجة إليه فى الرابع لإفصاحه بأنه قسيم المشترك بين الأقسام المتقدمة وقيل المراد بيان أحوال الأنبياء عليهم السلام حيث وهب لشعيب ولوط إناثاً ولإبراهيم ذكوراً وللنبي صلى الله عليه وسلم ذكوراً وإناثاً وجعل يحيى وعيسى عقيمين (إنه عليم قدير) مبالغ فى العلم والقدرة فيفعل مافيه حكمة ومصلحة (وما كان لبشر) أى وما صح لفرد من ٥١ أفراد البشر (أن يكلمه الله) بوجه من الوجوه (إلا وحياً) أى إلا بأن يوحى إليه ويلهمه ويقذف فى قلبه كما أوحى إلى أم موسى وإلى ابراهيم عليهما السلام فى ذبح ولده وقد روى عن مجاهد أوحى الله الزبور إلى دواود عليه السلام فى صدره أو بأن يسمعه كلامه الذى يخلقه فى بعض الأجرام من غير أن يبصر السامع من يكلمه وهو المراد بقوله تعالى (أو من وراء حجاب) فإنه تمثيل له بحال الملك المحتجب الذى يكلم بعض خواصه من وراء الحجاب يسمع صوته ولا يرى شخصه وذلك كما كلم موسى وكما يكلم الملائكة عليهم السلام أو بأن يكلمه بواسطة الملك وذلك قوله تعالى (أو يرسل رسولا) أى ملكا (فيوحى) ذلك الرسول إلى المرسل إليه الذى هو الرسول البشرى (بإذنه) أى بأمره تعالى وتيسيره (مايشاء) أن يوحيه إليه وهذا هو الذى يجرى بينه تعالى وبين الأنبياء عليهم الصلاة والسلام فى عامة الأوقات من الكلام وقيل قوله تعالى وحياً وقوله تعالى أو يرسل مصدران واقعان موقع الحال وقوله تعالى أو من وراء حجاب ظرف واقع موقعها والتقدير وما صح أن يكلم الا موحياً أو مسمعاً من وراء حجاب أو مرسلا وقرىء أو يرسل بالرفع على إضمار مبتدأ وروى أن اليهود قالت للنبي صلى الله عليه وسلم ألا تكلم الله وتنظر إليه إن كنت نبياً كما كلمه موسى ونظر إليه فإنا لن نؤمن حتى تفعل ذلك فقال عليه السلام لم ينظر موسى عليه السلام إلى الله تعالى فنزلت وعن عائشة رضي الله عنها من زعم أن محمداً رأى ربه فقد أعظم على الله الفرية ثم قالت رضي الله عنها

وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ ٤٢ الشورى

صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥٣﴾ ٤٢ الشورى

* أو لم تسمعوا ربكم يقول فتلت هذه الآية (إنه على) متعال عن صفات المخلوقين لا يتأتى جريان
* المفاوضة بينه تعالى وبينهم إلا بأحد الوجوه المذكورة (حكيم) يجرى أفعاله على سنن الحكمة

٥٢ فيكلم تارة بواسطة وأخرى بدونها إما الهاماً وإما خطاباً (وكذلك) أى ومثل ذلك الإيحاء البديع
* (أوحينا إليك روحا من أمرنا) هو القرآن الذى هو للقلوب بمنزلة الروح للأبدان حيث يحييها حياة
* أبدية وقيل جبريل عليه السلام ومعنى إيحائه إليه عليهما السلام إرساله إليه بالوحى (ما كنت تدرى)
* قبل الوحى (ما الكتاب) أى أى شىء هو (ولا الإيمان) أى الإيمان بتفاصيل ما فى تضاعيف
الكتاب من الأمور التى لا تهتدى إليها العقول لا الإيمان بما يستقل به العقل والنظر فإن درايته عليه
* الصلاة والسلام له بما لا ريب فيه قطعاً (ولكن جعلناه) أى الروح الذى أوحيناه إليك (نوراً
* نهدى به من نشاء) هدايته (من عبادنا) وهو الذى يصرف اختياره نحو الاهتداء به وقوله تعالى
* (وإنك لتهدى) تقرير لهدايته تعالى وبيان لكيفيتها ومفعول لتهدى محذوف ثقة بغاية الظهور أى
* وإنك لتهدى بذلك النور من نشاء هدايته (إلى صراط مستقيم) هو الإسلام وسائر الشرائع والأحكام

٥٣ وقرىء لتهدى أى ليهديك الله وقرىء لتدعو (صراط الله) بدل من الأول وإضافته إلى الاسم الجليل
* ثم وصفه بقوله تعالى (الذى له ما فى السموات والأرض) لتفخيم شأنه وتقرير استقامته وتأكيد
وجوب سلوكه فإن كون جميع ما فيهما من الموجودات له تعالى خلقاً وملكا وتصرفا مما يوجب ذلك
* أتم إيجاب (ألا إلى الله تصير الأمور) أى أمور ما فيهما قاطبة لا إلى غيره ففيه من الوعد للمهتدين
إلى الصراط المستقيم والوعيد للضالين عنه ما لا يخفى. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ
سورة حم عسق كان ممن تصلى عليه الملائكة ويستغفرون ويسترحمون له.

---

٤٣ — سورة الزخرف

(مكية وآياتها تسع وثمانون)

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ (١) ٤٣ الزخرف

وَالْكِتَٰبِ الْمُبِينِ (٢) ٤٣ الزخرف

إِنَّا جَعَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ (٣) ٤٣ الزخرف

وَإِنَّهُۥ فِىٓ أُمِّ الْكِتَٰبِ لَدَيْنَا لَعَلِىٌّ حَكِيمٌ (٤) ٤٣ الزخرف

﴿ سورة الزخرف مكية وقيل الا قوله واسأل من ارسلنا وآياتها تسع وثمانون ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الكلام فيه كالذى مر فى فاتحة سورة يس خلا أن الظاهر على تقدير إسميته كونه اسما للقرآن لا للسورة كما قيل فإن ذلك مخل بجزالة النظم الكريم (والكتاب) بالجر على ٢ أنه مقسم به إما ابتداء أو عطفاً على حم على تقدير كونه مجروراً بإضمار باء القسم على أن مدار العطف المغايرة فى العنوان ومناط تكرير القسم المبالغة فى تأكيد مضمون الجملة القسمية (المبين) أى البين * لمن أنزل عليهم لكونه بلغتهم وعلى أساليبهم أو المبين لطريق الهدى من طريق الضلالة الموضح لكل مايحتاج إليه فى أبواب الديانة (إنا جعلناه قرآناً عربياً) جواب للقسم لكن لاعلى أن مرجع التأكيد ٣ جعله كذلك كما قيل بل ماهو غايته التى يعرب عنها قوله تعالى (لعلكم تعقلون) فإنها المحتاجة إلى التحقيق * والتأكيد لكونها منبئة عن الاعتناء بأمرهم وإتمام النعمة عليهم وإزاحة أعذارهم أى جعلنا ذلك الكتاب قرآناً عربياً لكى تفهموه وتحيطوا بما فيه من النظم الرائق والمعنى الفائق وتقفوا على مايتضمنه من الشواهد الناطقة بخروجه عن طوق البشر وتعرفوا حق النعمة فى ذلك وتنقطع أعذاركم بالكلية (وإنه فى أم الكتاب) أى فى اللوح المحفوظ فإنه أصل الكتب السماوية وقرىء إم الكتاب بالكسر ٤ (لدينا) أى عندنا (لعلى) رفيع القدر بين الكتب شريف (حكيم) ذو حكمة بالغة أو محكم وهما * خبران لأن وما بينهما بيان لمحل الحكم كأنه قيل بعد بيان اتصافه بماذكر من الوصفين الجليلين هذا فى أم الكتاب ولدينا والجملة إما عطف على الجملة المقسم عليها داخلة فى حكمها ففى الإقسام بالقرآن على علو قدره عنده تعالى براعة بديعة وإيذان بأنه من علو الشأن بحيث لايحتاج فى بيان إلى الاستشهاد عليه بالإقسام بغيره بل هو بذاته كاف فى الشهادة على ذلك من حيث الإقسام به كما أنه كاف فيها من حيث إعجازه ورمز إلى أنه لا يخطر بالبال عند ذكره شىء آخر أولى منه بالإقسام به وأما مستأنفة مقررة لعلو شأنه الذى أنبأ عنه الإقسام به على منهاج الاعتراض فى قوله تعالى وإنه لقسم لو تعلمون عظيم

أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ﴿٥﴾ ٤٣ الزخرف
وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِى ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٦﴾ ٤٣ الزخرف
وَمَا يَأْتِيهِم مِّن نَّبِيٍّ إِلَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٧﴾ ٤٣ الزخرف
فَأَهْلَكْنَآ أَشَدَّ مِنْهُم بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ٤٣ الزخرف
وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ ٱلْعَزِيزُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٩﴾ ٤٣ الزخرف
ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَّعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿١٠﴾ ٤٣ الزخرف

وبعد ما بين علو شأن القرآن العظيم وحقق أن إنزاله على لغتهم ليعقلوه ويؤمنوا به ويعملوا بموجبه
٥ عقب ذلك بإنكار أن يكون الأمر بخلافه فقيل (أفنضرب عنكم الذكر) أى ننحيه ونبعده عنكم مجاز من قولهم ضرب الغرائب عن الحوض وفيه إشعار باقتضاء الحكمة توجه الذكر إليهم وملازمته لهم كأنه يتهافت عليهم والفاء للعطف على محذوف يقتضيه المقام أى أنهملكم فننحى الذكر عنكم (صفحاً) أى إعراضاً عنكم على أنه مفعول له للمذكور أو مصدر مؤكد لما دل هو عليه فإن التنحية منبئة عن الصفح والإعراض قطعاً كأنه قيل أفنصفح عنكم صفحاً أو بمعنى الجانب فينتصب على الظرفية أى أفننحيه عنكم جانباً (أن كنتم قوماً مسرفين) أى لأن كنتم منهمكين فى الإسراف مصرين عليه على معنى أن حالكم وإن اقتضى تخليتكم وشأنكم حتى تموتوا على الكفر والضلالة وتبقوا فى العذاب الخالد لكننا لسعة رحمتنا لا نفعل ذلك بل نهديكم إلى الحق بإرسال الرسول الأمين وإنزال الكتاب المبين وقرىء إن بالكسر على أن الجملة شرطية مخرجة للمحقق مخرج المشكوك لاستجهالهم والجزاء
٦،٧ محذوف ثقة بدلالة ما قبله عليه وقوله تعالى (وكم أرسلنا من نبى فى الأولين) (وما يأتيهم من نبى إلا كانوا به يستهزؤن) تقرير لما قبله ببيان أن إسراف الأمم السالفة لم يمنعه تعالى من إرسال الأنبياء
٨ إليهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم عن استهزاء قومه به وقوله تعالى (فأهلكنا أشد منهم بطشاً) أى من هؤلاء القوم المسرفين عدة له عليه الصلاة والسلام ووعيد لهم بمثل ماجرى على الأولين ووصفهم بأشدية البطش لإثبات حكمهم لهؤلاء بطريق الأولوية (ومضى مثل الأولين) أى سلف
٩ فى القرآن غير مرة ذكر قصتهم التى حقها أن تسير مسير المثل (ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن خلقهن العزيز العليم) أى ليسندن خلقها الى من هذا شأنه فى الحقيقة وفى نفس الأمر لأنهم يعبرون عنه بهذا العنوان وسلوك هذه الطريقة للإشعار بأن اتصافه تعالى بما سرد من جلائل الصفات والأفعال وبما يستلزمه ذلك من البعث والجزاء أمر بين لاريب فيه وأن الحجة قائمة عليهم شاؤا أو
١٠ أبوا وقد جوز أن يكون ذلك عين عبارتهم وقوله تعالى (الذى جعل لكم الأرض مهداً) استئناف من جهته تعالى أى بسطها لكم تستقرون فيها (وجعل لكم فيها سبلا) تسلكونها فى أسفاركم (لعلكم

وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيْتًا كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ (١١) ٤٣ الزخرف

وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ (١٢) ٤٣ الزخرف

لِتَسْتَوُوا عَلَىٰ ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَٰذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ (١٣) ٤٣ الزخرف

وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ (١٤) ٤٣ الزخرف

تهتدون) أى لكى تهتدوا بسلوكها إلى مقاصدكم أو بالتفكر فيها إلى التوحيد الذى هو المقصد الأصلى (والذى نزل من السماء ماء بقدر) بمقدار تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (فأنشرنا به) أى ١١ أحيينا بذلك الماء (بلدة ميتاً) خالياً عن النماء والنبات بالكلية وقرىء ميتاً بالتشديد وتذكيره لأن البلدة فى معنى البلد والمكان والالتفات إلى نون العظمة لإظهار كمال العناية بأمر الإحياء والإشعار بعظم خطره (كذلك) أى مثل ذلك الإحياء الذى هو فى الحقيقة إخراج النبات من الأرض (تخرجون) * أى تبعثون من قبوركم أحياء وفى التعبير عن إخراج النبات بالإنشار الذى هو إحياء الموتى وعن إحيائهم بالإخراج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث لتقويم سنن الاستدلال وتوضيح منهاج القياس (والذى خلق الأزواج كلها) أى أصناف المخلوقات وعن ابن عباس رضى الله عنهما الأزواج ١٢ الضروب والأنواع كالحلو والحامض والأبيض والأسود والذكر والأنثى وقيل كل ما سوى الله تعالى فهو زوج كالفوق والتحت واليمين واليسار إلى غير ذلك (وجعل لكم من الفلك والأنعام ماتركبون) أى ماتركبونه تغليباً للأنعام على الفلك فإن الركوب متعد بنفسه واستعماله فى الفلك ونحوها بكلمة فى للرمز إلى مكانيتها وكون حركتها غير إرادية كما مر فى سورة هود عند قوله تعالى وقال اركبوا فيها (لتستووا على ظهوره) أى لتستعلوا على ظهور ماتركبونه من الفلك والأنعام والجمع ١٣ باعتبار المعنى (ثم تذكروا نعمة ربكم إذا استويتم عليه) أى تذكروها بقلوبكم معترفين بها مستعظمين لها ثم تحمدوا عليها بألسنتكم (وتقولوا سبحان الذى سخر لنا هذا) متعجبين من ذلك كما يروى عن * النبى صلى الله عليه وسلم أنه كان إذا وضع رجله فى الركاب قال بسم الله فإذا استوى على الدابة قال الحمد لله على كل حال سبحان الذى سخر لنا هذا إلى قوله تعالى لمنقلبون وكبر ثلاثاً وهلل ثلاثاً (وما * كنا له مقرنين) أى مطيقين من أقرن الشىء إذا أطاقه وأصله وجده قرينته لأن الصعب لا يكون قرينة للضعيف وقرىء بالتشديد والمعنى واحد وهذا من تمام ذكر نعمته تعالى إذ بدون اعتراف المنعم عليه بالعجز عن تحصيل النعمة لايعرف قدرها ولاحق المنعم بها (وإنا إلى ربنا لمنقلبون) أى ١٤ راجعون وفيه إيذان بأن حق الراكب أن يتأمل فيما يلابسه من المسير ويتذكر منه المسافرة العظمى التى هى الانقلاب إلى الله تعالى فيبنى أموره فى مسيره ذلك على تلك الملاحظة ولا يخطر بباله فى شىء

وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُبِينٌ ﴿١٥﴾ ٤٣ الزخرف

أَمِ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَاكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَٰنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ ٤٣ الزخرف

أَوَمَنْ يُنَشَّأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ ٤٣ الزخرف

---

١٥ مما يأتي ويذر أمراً ينافيها ومن ضرورته أن يكون ركوبه لأمر مشروع (وجعلوا له من عباده جزءاً) متصل بقوله تعالى ولئن سألتهم الخ أي وقد جعلوا له سبحانه بألسنتهم واعتقادهم بعد ذلك الاعتراف من عباده ولداً وإنما عبر عنه بالجزء لمزيد استحالته في حق الواحد الحق من جميع الجهات وقرىء جزؤاً بضمتين (إن الإنسان لكفور مبين) ظاهر الكفران مبالغ فيه ولذلك يقولون مايقولون سبحان الله *

١٦ عما يصفون (أم اتخذ مما يخلق بنات) أم منقطعة وما فيها من معنى بل للإنتقال من بيان بطلان جعلهم له تعالى ولداً على الإطلاق إلى بيان بطلان جعلهم ذلك الولد من أخس صنفيه والهمزة للإنكار والتوبيخ والتعجيب من شأنهم وقوله تعالى (وأصفاكم بالبنين) إما عطف على اتخذ داخل في حكم الإنكار والتعجيب * الخلاف المشهور والالتفات إلى خطابهم لتأكيد الإلزام وتشديد التوبيخ أي بل اتخذ من خلقه أخس أو حال من فاعله بإضمار قد أو بدونه على الصنفين واختار لكم أفضلهما على معنى هبوا أنكم اجترأتم على إضافة اتخاذ جنس الولد إليه سبحانه مع ظهور استحالته وامتناعه أما كان لكم شيء من العقل ونبذ من الحياء حتى اجترأتم على التفوه بالعظيمة الخارقة للعقول من ادعاء أنه تعالى آثركم على نفسه بخير الصنفين وأعلاهما وترك له شرهما وأدناهما وتنكير بنات وتعريف البنين لتربية ما اعتبر فيهما من الحقارة

١٧ والفخامة (وإذا بشر أحدهم بما ضرب للرحمن مثلا) الخ استئناف مقرر لما قبله وقيل حال على معنى أنهم نسبوا إليه ماذكر ومن حالهم أن أحدهم إذا بشر به اغتم والالتفات للإيذان باقتضاء ذكر قبائحهم أن يعرض عنهم وتحكى لغيرهم تعجيباً منها أي إذا أخبر أحدهم بولادة ماجعله مثلا له سبحانه إذ الولد لابد أن يجانس الوالد ويماثله (ظل وجهه مسوداً) أي صار أسود في الغاية من سوء مابشر به (وهو * كظيم) مملوء من الكرب والكآبة والجملة حال وقرىء مسود ومسواد على أن في ظل ضمير المبشر

١٨ ووجهه مسود جملة وقعت خبراً له (أومن ينشأ في الحلية) تكرير للإنكار وتثنية للتوبيخ ومن منصوبة بمضمر معطوف على جعلوا أي أو جعلوا من شأنه أن يربى في الزينة وهو عاجز عن أن يتولى لأمره بنفسه فالهمزة لإنكار الواقع واستقباحه وقد جوز انتصابها بمضمر معطوف على اتخذ فالهمزة حينئذ لإنكار الوقوع واستبعاده وإقحامها بين المعطوفين لتذكير مافي أم منقطعة من الإنكار وتأكيده والعطف للتغاير العنواني أي أو اتخذ من هذه الصفة الذميمة صفته (وهو) مع ماذكر من القصور (في الخصام) * أي الجدال الذي لا يكاد يخلو عنه الإنسان في العادة (غير مبين) غير قادر على تقرير دعواه وإقامة * حجته لنقصان عقله وضعف رأيه وإضافة غير لاتمنع عمل مابعده في الجار المتقدم لأنه بمعنى النفي وقرىء

وَجَعَلُواْ ٱلْمَلَـٰٓئِكَةَ ٱلَّذِينَ هُمْ عِبَـٰدُ ٱلرَّحْمَـٰنِ إِنَـٰثًا أَشَهِدُواْ خَلْقَهُمْ سَتُكْتَبُ شَهَـٰدَتُهُمْ وَيُسْـَٔلُونَ ﴿١٩﴾ ٤٣ الزخرف

وَقَالُواْ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَـٰنُ مَا عَبَدْنَـٰهُم مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٣ الزخرف

أَمْ ءَاتَيْنَـٰهُمْ كِتَـٰبًا مِّن قَبْلِهِۦ فَهُم بِهِۦ مُسْتَمْسِكُونَ ﴿٢١﴾ ٤٣ الزخرف

بَلْ قَالُوٓاْ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَـٰرِهِم مُّهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ ٤٣ الزخرف

---

١٩ ينشأ ويناشأ من الأفعال والمفاعلة والكل بمعنى واحد ونظيره غلاه وأغلاه وغالاه (وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً) بيان لتضمن كفرهم المذكور لكفر آخر وتقريع لهم بذلك وهو جعلهم أكمل العباد وأكرمهم على الله عز وجل أنقصهم رأياً وأخسهم صنفاً وقرىء عبيد الرحمن وقرىء عند الرحمن على تمثيل زلفاهم وقرىء أنثاً وهو جمع الجمع (أشهدوا خلقهم) أى أحضروا خلق الله * تعالى إياهم فشاهدوهم إناثا حتى يحكموا بأنوثتهم فإن ذلك مما يعلم بالمشاهدة وهو تجهيل لهم وتهكم بهم وقرىء أأشهدوا بهمزتين مفتوحة ومضمومة وآأشهدوا بألف بينهما (ستكتب شهادتهم) هذه فى * ديوان أعمالهم (ويسألون) عنها يوم القيامة وقرىء سيكتب وسنكتب بالياء والنون وقرىء شهاداتهم * وهى قولهم إن لله جزءاً وإن له بنات وإنها الملائكة وقرىء يسألون من المسألة للمبالغة (وقالوا لو شاء ٢٠ الرحمن ماعبدناهم) بيان لفن آخر من كفرهم أى لو شاء عدم عبادتنا للملائكة مشيئة ارتضاء ماعبدناهم أرادوا بذلك بيان أن مافعلوه حق مرضى عنده تعالى وأنهم إنما يفعلونه بمشيئته تعالى إياه منهم مع اعترافهم بقبحه حتى ينتهض ذمهم به دليلا للمعتزلة ومبنى كلامهم الباطل على مقدمتين إحداهما أن عبادتهم لهم بمشيئته تعالى والثانية أن ذلك مستلزم لكونها مرضية عنده تعالى ولقد أخطأوا فى الثانية حيث جهلوا أن المشيئة عبارة عن ترجيح بعض الممكنات على بعض كائناً ما كان من غير اعتبار الرضا أو السخط فى شىء من الطرفين ولذلك جهلوا بقوله تعالى (مالهم بذلك) أى بما أرادوا بقولهم ذلك من كون مافعلوه * بمشيئة الارتضاء لا بمطلق المشيئة فإن ذلك محقق ينطق به مالا يحصى من الآيات الكريمة (من علم) * يستند إلى سند ما (إن هم إلا يخرصون) يتمحلون تمحلا باطلا وقد جوز أن يشار بذلك إلى أصل * الدعوى كأنه لما أظهر وجوه فسادها وحكى شبههم المزيفة نفى أن يكون لهم بها علم من طريق العقل ثم أضرب عنه إلى إبطال أن يكون لهم سند من جهة النقل فقيل (أم آتيناهم كتاباً من قبله) من قبل ٢١ القرآن أو من قبل ادعائهم ينطق بصحة مايدعونه (فهم به) بذلك الكتاب (مستمسكون) وعليه معولون * (بل قالوا إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثرهم مهتدون) أى لم يأتوا بحجة عقلية أو نقلية بل اعترفوا ٢٢ بأن لاسند لهم سوى تقليد آبائهم الجهلة مثلهم والأمة الدين والطريقة التى تأم أى تقصد كالرحلة لما يرحل إليه وقرىء إمة بالكسر وهى الحالة التى يكون عليها الآم أى القاصد وقوله تعالى على آثارهم مهتدون خبران والظرف صلة لمهتدون .

وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِى قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ﴿٢٣﴾ ٤٣ الزخرف

قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْ قَالُوٓا۟ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٢٤﴾ ٤٣ الزخرف

فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ ٤٣ الزخرف

إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ ٤٣ الزخرف

---

٢٣ (وكذلك) أي والأمر كما ذكر من عجزهم عن الحجة وتشبثهم بذيل التقليد وقوله تعالى (ما أرسلنا من قبلك فى قرية من نذير إلا قال مترفوها إنا وجدنا آباءنا على أمة وإنا على آثارهم مقتدون) استئناف مبين لذلك دال على التقليد فيما بينهم ضلال قديم ليس لأسلافهم أيضاً سند غيره وتخصيص المترفين

٢٤ بتلك المقالة للإيذان بأن التنعم وحب البطالة هو الذى صرفهم عن النظار إلى التقليد (قال) حكاية لما جرى بين المنذرين وبين أممهم عند تعللهم بتقليد آبائهم أى قال كل نذير من أولئك المنذرين لأممهم

* (أولو جئتكم) أى أتقتدون بآبائكم ولو جئتكم (بأهدى) بدين أهدى (مما وجدتم عليه آباءكم) من الضلالة التى ليست من الهداية فى شىء وإنما عبر عنها بذلك مجاراة معهم على مسلك الإنصاف وقرىء قل على أنه حكاية أمر ماض أوحى حينئذ إلى كل نذير لاعلى أنه خطاب للرسول صلى الله عليه وسلم

* كما قيل لقوله تعالى (قالوا إنا بما أرسلتم به كافرون) فإنه حكاية عن الأمم قطعاً أى قال كل أمة لنذيرها إنا بما أرسلت به الخ وقد أجمل عند الحكاية للإيجاز كما مر فى قوله تعالى يأيها الرسل كلوا من الطيبات وجعله حكاية عن قومه عليه الصلاة والسلام بحمل صيغة الجمع على تغليبه على سائر المنذرين عليهم السلام وتوجيه كفرهم إلى ما أرسل به الكل من التوحيد لإجماعهم عليه كما فى نظائر قوله تعالى كذبت

٢٥ عاد المرسلين تمحل بعيد يرده بالكلية قوله تعالى (فانتقمنا منهم) أى بالاستئصال (فانظر كيف كان

٢٦ عاقبة المكذبين) من الأمم المذكورين فلا تكترث بتكذيب قومك (وإذ قال إبراهيم) أى واذكر لهم وقت قوله عليه الصلاة والسلام (لأبيه وقومه) المكبين على التقليد كيف تبرأ مما هم فيه بقوله

* (إننى براء مما تعبدون) وتمسك بالبرهان ليسلكوا مسلكه فى الاستدلال أو ليقلدوه إن لم يكن لهم بد من التقليد فإنه أشرف آبائهم وبراء مصدر نعت به مبالغة ولذلك يستوى فيه الواحد والمتعدد والمذكر والمؤنث وقرىء برىء وبراء بضم الباء كـكريم وكرام وما إما مصدرية أو موصولة حذف

٢٧ عائدها أى إننى برىء من عبادتكم أو معبودكم (إلا الذى فطرنى) استثناء منقطع أو متصل على أن ماتعم أولى العلم وغيرهم وأنهم كانوا يعبدون الله والأصنام أو صفة على أن ما موصوفة أى إننى براء من آلهة تعبدونها غير الذى فطرنى (فإنه سيهدين) أى سيثبتنى على الهداية أو سيهدين إلى ماوراء الذى

وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ٤٣ الزخرف

بَلْ مَتَّعْتُ هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَمَّا جَآءَهُمُ ٱلْحَقُّ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِۦ كَٰفِرُونَ ﴿٣٠﴾ ٤٣ الزخرف

وَقَالُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ ٱلْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ٤٣ الزخرف

هدانى إليه إلى الآن والأوجه أن السين للتأكيد دون التسويف وصيغة المضارع للدلالة على الاستمرار (وجعلها) أى جعل إبراهيم كلمة التوحيد التى ماتكلم به عبارة عنها (كلمة باقية فى عقبه) أى فى ذريته ٢٨ حيث وصاهم بها كما نطق به قوله تعالى ووصى بها إبراهيم بنيه ويعقوب الآية فلا يزال فيهم من يوحد الله تعالى ويدعو إلى توحيده وقرىء كلمة وفى عقبه على التخفيف (لعلهم يرجعون) علة للجعل أى جعلها باقية فى عقبه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد (بل متعت هؤلاء) إضراب ٢٩ عن محذوف ينساق إليه الكلام كأنه قيل جعلها كلمة باقية فى عقبه بأن وصى بها بنيه رجاء أن يرجع إليها من أشرك منهم بدعاء الموحد فلم يحصل مارجاه بل متعت منهم هؤلاء المعاصرين للرسول صلى الله عليه وسلم من أهل مكة (وآباءهم) بالمد فى العمر والنعمة فاغتروا بالمهلة وانهمكوا فى الشهوات * وشغلوا بها عن كلمة التوحيد (حتى جاءهم) أى هؤلاء (الحق) أى القرآن (ورسول) أى رسول (مبين) ظاهر الرسالة واضحها بالمعجزات الباهرة أو مبين للتوحيد بالآيات البينات والحجج وقرىء * متعنا ومتعت بالخطاب على أنه تعالى اعترض به على ذاته فى قوله تعالى وجعلها كلمة باقية الخ مبالغة فى تعييرهم فإن التمتيع بزيادة النعم يوجب عليهم أن يجعلوه سبباً لزيادة الشكر والثبات على التوحيد والإيمان فجعله سبباً لزيادة الكفران أقصى مراتب الكفر والضلال (ولما جاءهم الحق) لينبههم عما ٣٠ هم فيه من الغفلة ويرشدهم إلى التوحيد ازدادوا كفراً وعتواً وضموا إلى كفرهم السابق معاندة الحق والاستهانة به حيث (قالوا هذا سحر وإنا به كافرون) فسموا القرآن سحراً وكفروا به واستحقروا الرسول صلى الله عليه وسلم (وقالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين) أى من إحدى ٣١ القريتين مكة والطائف على نهج قوله تعالى يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان (عظيم) أى بالجاه والمال كالوليد بن المغيرة المخزومى وعروة بن مسعود الثقفى وقيل حبيب بن عمر بن عمير الثقفى وعن مجاهد عتبة بن ربيعة وكنانة بن عبد ياليل ولم يتفوهوا بهذه العظيمة حسداً على نزوله إلى الرسول صلى الله عليه وسلم دون من ذكر من عظمائهم مع اعترافهم بقرآنيته بل استدلالا على عدمها بمعنى أنه لو كان قرآنا لنزل إلى أحد هؤلاء بناء على مازعموا من أن الرسالة منصب جليل لا يليق به إلا من له جلالة من حيث المال والجاه ولم يدروا أنها رتبة روحانية لايترقى إليها إلا همم الخواص المختصين بالنفوس الزكية المؤيدين بالقوة القدسية المتحلين بالفضائل الإنسية وأما المتزخرفون بالزخارف الدنيوية المتمتعون بالحظوظ الدنية فهم من استحقاق تلك الرتبة بألف منزل .

أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَوْلَآ أَن يَكُونَ ٱلنَّاسُ أُمَّةً وَٰحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِٱلرَّحْمَٰنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ ٤٣ الزخرف

وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَٰبًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِـُٔونَ ﴿٣٤﴾ ٤٣ الزخرف

وَزُخْرُفًا وَإِن كُلُّ ذَٰلِكَ لَمَّا مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةُ عِندَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾ ٤٣ الزخرف

٣٢ وقوله تعالى (أهم يقسمون رحمت ربك) إنكار فيه تجهيل لهم وتعجيب من تحكمهم والمراد بالرحمة النبوة (نحن قسمنا بينهم معيشتهم) أى أسباب معيشتهم (فى الحياة الدنيا) قسمة تقتضيها مشيئتنا المبنية على الحكم والمصالح ولم نفوض أمرها إليهم علماً منا بعجزهم عن تدبيرها بالكلية (ورفعنا بعضهم فوق بعض) فى الرزق وسائر مبادى المعاش (درجات) متفاوتة بحسب القرب والبعد حسبما تقتضيه الحكمة فمن ضعيف وقوى وفقير وغنى وخادم ومخدوم وحاكم ومحكوم (ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً) ليصرف بعضهم بعضاً فى مصالحهم ويستخدموهم فى مهنهم ويتسخروهم فى أشغالهم حتى يتعايشوا ويترافدوا ويصلوا إلى مرافقهم لا لكمال فى الموسع ولا لنقص فى المقتر ولو فوضنا ذلك إلى تدبيرهم لضاعوا وهلكوا فإذا كانوا فى تدبير خويصة أمرهم وما يصلحهم من متاع الدنيا الدنيئة وهو فى طرف الثمام على هذه الحالة فما ظنهم بأنفسهم فى تدبير أمر الدين وهو أبعد من مناط العيوق ومن أين لهم البحث عن أمر النبوة والتخير لها من يصلح لها ويقوم بأمرها (ورحمت ربك) أى النبوة وما يتبعها من سعادة

٣٣ الدارين (خير مما يجمعون) من حطام الدنيا الدنيئة الفانية وقوله تعالى (ولولا أن يكون الناس أمة واحدة) استئناف مبين لحقارة متاع الدنيا ودناءة قدره عند الله عز وجل والمعنى أن حقارة شأنه بحيث لولا أن لا يرغب الناس لحبهم الدنيا فى الكفر إذا رأوا أهله فى سعة وتنعم فيجتمعوا عليه لأعطيناه بحذافيره من هو شر الخلائق وأدناهم منزلة وذلك قوله تعالى (لجعلنا لمن يكفر بالرحمن لبيوتهم سقفاً من فضة) أى متخذة منها ولبيوتهم بدل اشتمال من لمن وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن أفراد المستكن فى يكفر باعتبار لفظها والسقف جمع سقف كرهن جمع رهن وعن الفراء أنه جمع سقيفة كسفن وسفينة وقرىء سقفاً بسكون القاف تخفيفاً وسقفاً اكتفاء بجمع البيوت وسقفاً كأنه لغة فى سقف وسقوفاً (ومعارج) أى جعلنا لهم معارج من فضة أى مصاعد جمع معرج وقرىء معاريج جمع معراج (عليها

٣٤ يظهرون) أى يعلون السطوح والعلالى (ولبيوتهم) أى وجعلنا لبيوتهم (أبواباً وسرراً) من فضة

٣٥ (عليها) أى على السرر (يتكئون) ولعل تكرير ذكر بيوتهم لزيادة التقرير (وزخرفاً) أى زينة عطف على سقفاً أو ذهباً عطف على محل من فضة (وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا) أى وما

وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ ٱلرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُۥ شَيْطَٰنًا فَهُوَ لَهُۥ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ ٤٣ الزخرف

حَتَّىٰٓ إِذَا جَآءَنَا قَالَ يَٰلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ ٱلْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ ٱلْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَن يَنفَعَكُمُ ٱلْيَوْمَ إِذ ظَّلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي ٱلْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ ٤٣ الزخرف

كل ماذكر من البيوت الموصوفة بالصفات المفصلة إلا شيء يتمتع به فى الحياة الدنيا وفى معناه ماقرىء وما كل ذلك إلا متاع الحياة الدنيا وقرىء بتخفيف ماعلى أن أن هى المخففة واللام هى الفارقة وقرىء بكسر اللام على أنها لام العلة وما موصولة قد حذف عائدها أى للذى هو متاع الخ كما فى قوله تعالى تماما على الذى أحسن (والآخرة) بما فيها من فنون النعم التى يقصر عنها البيان (عند ربك للمتقين) *

٣٦ أى عن الكفر والمعاصى وبهذا تبين أن العظيم هو العظيم فى الآخرة لا فى الدنيا (ومن يعش) أى يتعام (عن ذكر الرحمن) وهو القرآن وإضافته إلى اسم الرحمن للإيذان بنزوله رحمة للعالمين وقرىء * يعش بالفتح أى يعم يقال عشى يعشى إذا كان فى بصره آفة وعشا يعشو إذا تعشى بلا آفة كعرج وعرج وقرىء يعشو على أن من موصولة غير مضمنة معنى الشرط والمعنى ومن يعرض عنه لفرط اشتغاله بزهرة الحياة الدنيا وانهما كه فى حظوظها الفانية والشهوات (نقيض له شيطاناً فهو له قرين) * لايفارقه ولايزال يوسوسه ويغويه وقرىء يقيض بالياء على إسناده إلى ضمير الرحمن ومن رفع يعشو

٣٧ فحقه أن يرفع يقيض (وإنهم) أى الشياطين الذين قيض كل واحد منهم لكل واحد ممن يعشو (ليصدونهم) أى قرناءهم فمدار جمع الضميرين اعتبار معنى من كما أن مدار إفراد الضمائر السابقة اعتبار لفظها (عن * السبيل) المستبين الذى يدعو إليه القرآن (ويحسبون) أى العاشون (أنهم) أى الشياطين (مهتدون) * أى إلى السبيل المستقيم وإلا لما اتبعوهم أو يحسبون أن أنفسهم مهتدون لأن اعتقاد كون الشياطين مهتدين مستلزم لاعتقاد كونهم كذلك لاتحاد مسلكهما والجملة حال من مفعول يصدون بتقدير المبتدأ أو من فاعله أو منهما لاشتمالها على ضميريهما أى وإنهم ليصدونهم عن الطريق الحق وهم يحسبون أنهم

٣٨ مهتدون إليه وصيغة المضارع فى الأفعال الأربعة للدلالة على الاستمرار التجددى لقوله تعالى (حتى إذا جاءنا) فإن حتى وإن كانت ابتدائية داخلة على الجملة الشرطية لكنها تقتضى حتما أن تكون غاية لأمر ممتد كما مر مراراً وإفراد الضمير فى جاء وما بعده لما أن المراد حكاية مقالة كل واحد واحد من العاشين لقرينه لتهويل الأمر وتفظيع الحال والمعنى يستمر العاشون على ماذكر من مقارنة الشياطين والصدر والحسبان الباطل حتى إذا جاءنا كل واحد منهم مع قرينه يوم القيامة (قال) مخاطباً له (ياليت * بينى وبينك) فى الدنيا (بعد المشرقين) أى بعد المشرق والمغرب أى تباعد كل منهما عن الآخر فغلب * المشرق وثنى وأضيف البعد إليهما (فبئس القرين) أى أنت وقوله تعالى (ولن ينفعكم) الخ حكاية

٣٩ لما سيقال لهم حينئذ من جهة الله عز وجل توبيخاً وتقريعاً أى لن ينفعكم (اليوم) أى يوم القيامة

أَفَأَنتَ تُسْمِعُ ٱلصُّمَّ أَوْ تَهْدِى ٱلْعُمْىَ وَمَن كَانَ فِى ضَلَـٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ ٤٣ الزخرف

فَإِمَّا نَذْهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُم مُّنتَقِمُونَ ﴿٤١﴾ ٤٣ الزخرف

أَوْ نُرِيَنَّكَ ٱلَّذِى وَعَدْنَـٰهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِم مُّقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ ٤٣ الزخرف

فَٱسْتَمْسِكْ بِٱلَّذِىٓ أُوحِىَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِنَّهُۥ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْـَٔلُونَ ﴿٤٤﴾ ٤٣ الزخرف

وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَـٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ٤٣ الزخرف

تمنيكم لمباعدتهم (إذ ظلمتم) أى لأجل ظلمكم أنفسكم فى الدنيا باتباعكم إياهم فى الكفر والمعاصى وقيل إذ ظلمتم بدل من اليوم أى إذ تبين عندكم وعند الناس جميعاً أنكم ظلمتم أنفسكم فى الدنيا وعليه قول من قال [إذا ما انتسبنا لم تلدنى لئيمة] أى تبين أنى لم تلدنى لئيمة بل كريمة وقوله تعالى (أنكم فى العذاب مشتركون) تعليل لنفى النفع أى لأن حقكم أن تشتركوا أنتم وقرناؤكم فى العذاب كما كنتم مشتركين فى سببه فى الدنيا ويجوز أن يسند الفعل إليه لكن لا بمعنى لن ينفعكم اشتراككم فى العذاب كما ينفع الواقعين فى شدائد الدنيا اشتراكهم فيها لتعاونهم فى تحمل أعبائها وتقسمهم لعنائها لأن لكل منهم مالا تبلغه طاقته كما قيل لأن الانتفاع بذلك الوجه ليس مما يخطر ببالهم حتى يرد عليهم بنفيه بل بمعنى لن يحصل لكم التشفى بكون قرنائكم معذبين مثلكم حيث كنتم تدعون عليهم بقولكم ربنا آتهم ضعفين من العذاب والعنهم لعناً كبيراً وقولكم فآتهم عذاباً ضعفاً من النار ونظائرهما لتتشفوا بذلك . كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يبالغ فى المجاهدة فى دعاء قومه وهم لا يزيدون إلا غياً وتعامياً عما

٤٠ يشاهدونه من شواهد النبوة وتصاما عما يسمعونه من بينات القرآن فنزل (أفأنت تسمع الصم أو تهدى العمى) وهو إنكار تعجيب من أن يكون هو الذى يقدر على هدايتهم وهم قد تمرنوا فى الكفر واستغرقوا فى الضلال بحيث صار ما بهم من العشى عمى مقروناً بالصمم (ومن كان فى ضلال مبين) عطف على العمى باعتبار تغاير الوصفين ومدار الإنكار هو التمكن والاستقرار فى الضلال المفرط بحيث لا ارعواء له منه لا توهم القصور من قبل الهادى ففيه رمز إلى أنه لا يقدر على ذلك إلا الله تعالى وحده بالقسر والإلجاء

٤١ (فإما نذهبن بك) أى فإن قبضناك قبل أن نبصرك عذابهم ونشفى بذلك صدرك وصدور المؤمنين (فإنا منتقمون) لا محالة فى الدنيا والآخرة فما مزيدة للتأكيد بمنزلة لام القسم فى أنها لا تفارق النون المؤكدة

٤٢ (أو نرينك الذى وعدناهم) أى أو أردنا أن نريك العذاب الذى وعدناهم (فإنا عليهم مقتدرون) بحيث

٤٣ لا مناص لهم من تحت ملكتنا وقهرنا ولقد أراه عليه السلام ذلك يوم بدر (فاستمسك بالذى أوحى إليك) من الآيات والشرائع سواء عجلنا لك الموعود أو أخرناه إلى يوم الآخرة وقرىء أوحى على

٤٤ البناء للفاعل وهو الله عز وجل (إنك على صراط مستقيم) تعليل للاستمساك أو للأمر به (وإنه

٤٥ لذكر) لشرف عظيم (لك ولقومك وسوف تسألون) يوم القيامة عنه وعن قيامكم بحقوقه (واسأل

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِۦ فَقَالَ إِنِّى رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٤٦﴾ ٤٣ الزخرف

فَلَمَّا جَآءَهُم بِـَٔايَٰتِنَآ إِذَا هُم مِّنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ ٤٣ الزخرف

وَمَا نُرِيهِم مِّنْ ءَايَةٍ إِلَّا هِىَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَٰهُم بِٱلْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ ٤٣ الزخرف

وَقَالُوا۟ يَٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ إِنَّنَا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ ٤٣ الزخرف

فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمُ ٱلْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنكُثُونَ ﴿٥٠﴾ ٤٣ الزخرف

وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِى قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِى مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِى مِن تَحْتِىٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ ٤٣ الزخرف

من أرسلنامن قبلك من رسلنا) أى واسأل أممهم وعلماء دينهم كقوله تعالى فاسأل الذين يقرؤن الكتاب من قبلك وفائدة هذا المجاز التنبيه على أن المسؤل عنه عين مانطقت به ألسنة الرسل لا ما يقوله أممهم وعلماؤهم من تلقاء أنفسهم قال الفراء هم إنما يخبرونه عن كتاب الرسل فإذاسألهم فكأنه سأل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام (أجعلنا من دون الرحمن آلهة يعبدون) أى هل حكمنا بعبادة الأوثان وهل * جاءت فى ملة من مللهم والمراد به الاستشهاد بإجماع الأنبياء على التوحيد والتنبيه على أنه ليس ببدع ابتدعه حتى يكذب ويعادى (ولقد أرسلناموسى بآياتنا) ملتبساً بها (إلى فرعون وملإه فقال إنى رسول ٤٦ رب العالمين) أريد باقتصاصه تسلية رسول الله صلى الله عليه وسلم والاستشهاد بدعوة موسى عليه السلام إلى التوحيد إثر ماأشير إلى إجماع جميع الرسل عليهم السلام عليه (فلما جاءهم بآياتنا إذاهم منها يضحكون) ٤٧ أى فاجؤا وقت ضحكهم منها أى استهزؤا بها أول مارأوها ولم يتأملوا فيها (وما نريهم من آية) من ٤٨ الآيات (إلا هى أكبر من أختها) إلا وهى بالغة أقصى مراتب الإعجاز بحيث يحسب كل من ينظر * إليها أنها أكبر من كل مايقاس بها من الآيات والمراد وصف الكل بغاية الكبر من غير ملاحظة قصور فى شىء منها أو إلا وهى مختصة بضرب من الإعجاز مفضلة بذلك الاعتبار على غيرها (وأخذناهم بالعذاب) * كالسنين والطوفان والجراد وغيرها (لعلهم يرجعون) لكى يرجعوا عما هم عليه من الكفر (وقالوا ٤٩ يأيها الساحر) نادوه بذلك فى مثل تلك الحال لغاية عتوهم ونهاية حماقتهم وقيل كانوا يقولون للعالم الماهر ساحر لاستعظامهم علم السحر وقرىء أيه الساحر بضم الهاء (ادع لنا ربك) ليكشف عنا العذاب * (بما عهد عندك) بعهده عندك من النبوة أو من استجابة دعوتك أو من كشف العذاب عمن اهتدى * أو بما عهد عندك فوفيت به من الإيمان والطاعة (إننا لمهتدون) أى لمؤمنون على تقدير كشف العذاب * عنا بدعوتك كقولهم لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك (فلما كشفنا عنهم العذاب) بدعوته (إذا هم ٥٠ ينكثون) فاجؤا وقت نكث عهدهم بالاهتداء وقد مر تفصيله فى الأعراف (ونادى فرعون) بنفسه ٥١

أَمْ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْ هَٰذَا ٱلَّذِى هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ ٤٣ الزخرف

فَلَوْلَآ أُلْقِىَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِّن ذَهَبٍ أَوْ جَآءَ مَعَهُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ ٤٣ الزخرف

فَٱسْتَخَفَّ قَوْمَهُۥ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٥٤﴾ ٤٣ الزخرف

فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَٰهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ ٤٣ الزخرف

فَجَعَلْنَٰهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْءَاخِرِينَ ﴿٥٦﴾ ٤٣ الزخرف

* أو بمناديه (فى قومه) فى مجمعهم وفيما بينهم بعد أن كشف العذاب عنهم مخافة أن يؤمنوا (قال ياقوم أليس لى ملك مصر وهذه الأنهار) أنهار النيل ومعظمها أربعة أنهر الملك ونهر طولون ونهر دمياط
* ونهر تنيس (تجرى من تحتى) أى من تحت قصرى أو أمرى وقيل من تحت سريرى لارتفاعه وقيل بين يدى فى جنانى وبساتينى والواو إما عاطفة لهذه الأنهار على ملك مصر فتجرى حال منها أو للحال
٥٢ فهذه مبتدأ والأنهار صفتها وتجرى خبر للمبتدأ (أفلا تبصرون) ذلك يريد به استعظام ملكه (أم أنا
* خير) مع هذه المملكة والبسطة (من هذا الذى هو مهين) ضعيف حقير من المهابة وهى القلة (ولا يكاد يبين) أى الكلام قاله افتراء عليه عليه السلام وتنقيصاله عليه السلام فى أعين الناس باعتبار ماكان فى لسانه عليه السلام من نوع رتة وقد كانت ذهبت عنه لقوله تعالى قد أوتيت سؤلك وأم إما منقطعة والهمزة للتقرير كأنه قال إثر ماعدد أسباب فضله ومبادى خيريته أثبت عندكم واستقر لديكم أنى أنا خير وهذه حالى من هذا الخ وإما متصلة فالمعنى أفلا تبصرون أم تبصرون خلا أنه وضع قوله أنا خير موضع تبصرون لأنهم إذا قالوا له أنت خير فهم عنده بصراء وهذا من باب تنزيل السبب منزلة المسبب ويجوز أن يجعل من تنزيل المسبب منزلة السبب فإن أبصارهم لما ذكر من أسباب فضله
٥٣ سبب على زعمه لحكمهم بخيريته (فلولا ألقى عليه أسورة من ذهب) أى فهلا ألقى إليه مقاليد الملك إن كان صادقا لما أنهم كانوا إذا سودوا رجلا سوروه وطوقوه بطوق من ذهب وأسورة جمع سوار وقرىء أساور جمع أسورة وقرىء أساورة جمع أسوار بمعنى السوار على تعويض التاء من ياء أساوير
* وقد قرىء كذلك وقرىء ألقى عليه أسورة وأساور على البناء للفاعل وهو الله تعالى (أو جاء معه الملائكة مقترنين) مقرونين يعينونه أو يصدقونه من قرنته به فاقترن أو متقارنين من اقترن بمعنى تقارن
٥٤ (فاستخف قومه) فاستفزهم وطلب منهم الخفة فى مطاوعته أو فاستخف أحلامهم (فأطاعوه) فيما
٥٥ أمرهم به (إنهم كانوا قوماً فاسقين) فلذلك سارعوا إلى طاعة ذلك الفاسق الغوى (فلما آسفونا) أى
* أغضبونا أشد الغضب منقول من أسف إذا اشتد غضبه (انتقمنا منهم فأغرقناهم أجمعين) فى اليم
٥٦ (فجعلناهم سلفاً) قدوة لمن بعدهم من الكفار يسلكون مسلكهم فى استيجاب مثل ماحل بهم من العذاب وهو إما مصدر نعت به أو جمع سالف كخدم جمع خادم وقرىء بضم السين واللام على أنه جمع سليف أى فريق قد سلف كرغف أو سالف كصبر أو سلف كأسد وقرىء سلفاً بإبدال ضمة اللام

وَلَمَّا ضُرِبَ ٱبْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ ٤٣ الزخرف
وَقَالُوٓا۟ ءَأَٰلِهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًۢا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ ٤٣ الزخرف

* فتحة أو على أنه جمع سلفة أى ثلة قد سلفت (ومثلا للآخرين) أى عظة لهم أو قصة عجيبة تسير مسير الأمثال لهم فيقال مثلكم مثل قوم فرعون (ولما ضرب ابن مريم مثلا) أى ضربه ابن الزبعرى حين جادل رسول ٥٧ الله صلى الله عليه وسلم فى قوله تعالى إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم حيث قال أهذا لنا ولآلهتنا أو لجميع الأمم فقال عليه الصلاة والسلام هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم فقال اللعين خصمتك ورب الكعبة أليس النصارى يعبدون المسيح واليهود عزيراً وبنو مليح الملائكة فإن كان هؤلاء فى النار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم ففرح به قومه وضحكوا وارتفعت أصواتهم وذلك قوله تعالى (إذا قومك منه) * أى من ذلك المثل (يصدون) أى يرتفع لهم جلبة وضجيج فرحا وجذلا وقرىء يصدون أى من أجل ذلك * المثل يعرضون عن الحق أى يثبتون على ما كانوا عليه من الإعراض أو يزدادون فيه وقيل هو أيضاً من الصديد وهما لغتان فيه نحو يعكف ويعكف وهو الأنسب بمعنى المفاجأة (وقالوا أآلهتنا خير ٥٨ أم هو) حكاية لطرف من المثل المضروب قالوه تمهيداً لما بنوا عليه من الباطل المموه بما يغتر به السفهاء أى ظاهر أن عيسى خير من آلهتنا فحيث كان هو فى النار فلا بأس بكوننا مع آلهتنا فيها واعلم أن ما نقل عنهم من الفرح ورفع الأصوات لم يكن لما قيل من أنه عليه الصلاة والسلام سكت عند ذلك إلى أن نزل قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية فإن ذلك مع إيهامه لما يجب تنزيه ساحته عليه الصلاة والسلام عنه من شائبة الإفحام من أول الأمر خلاف الواقع كيف لا وقد روى أن قول ابن الزبعرى خصمتك ورب الكعبة صدر عنه من أول الأمر عند سماع الآية الكريمة فرد عليه النبى صلى الله عليه وسلم بقوله عليه السلام ما أجهلك بلغة قومك أما فهمت أن ما لما لا يعقل وإنما لم يخص عليه السلام هذا الحكم بآلهتهم حين سأل الفاجر عن الخصوص والعموم عملا بما ذكر من اختصاص كلمة ما بغير العقلاء لأن إخراج بعض المعبودين عنه عند المحاجة موهم للرخصة فى عبادته فى الجملة فعممه عليه السلام للكل لكن لا بطريق عبارة النص بل بطريق الدلالة بجامع الاشتراك فى المعبودية من دون الله تعالى ثم بين عليه الصلاة والسلام بقوله بل هم عبدوا الشياطين التى أمرتهم بذلك أن الملائكة والمسيح بمعزل من أن يكونوا معبوديهم كما نطق به قوله تعالى سبحانك أنت ولينا من دونهم بل كانوا يعبدون الجن الآية وقد مر تحقيق المقام عند قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية بل إنما كان ما أظهروه من الأحوال المنكرة لمحض وقاحتهم وتهالكهم على المكابرة والعناد كما ينطق به قوله * تعالى (ما ضربوه لك إلا جدلا) أى ما ضربوا لك ذلك المثل إلا لأجل الجدال والخصام لا لطلب * الحق حتى يذعنوا له عند ظهوره ببيانك (بل هم قوم خصمون) أى لد شداد الخصومة مجبولون على المحك واللجاج وقيل لما سمعوا قوله تعالى إن مثل عيسى عند الله كمثل آدم خلقه من تراب قالوا نحن أهدى من النصارى لأنهم عبدوا آدمياً ونحن نعبد الملائكة فنزلت فقولهم أآلهتنا خير أم هو حينئذ

إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ ﴿٦٠﴾ ٤٣ الزخرف

وَإِنَّهُ لَعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمْتَرُنَّ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ ٤٣ الزخرف

تفضيل لآلهتهم على عيسى عليه السلام لأن المراد بهم الملائكة ومعنى ماضربوه الخ ماقالوا هذا القول إلا للجدل وقيل لما نزلت إن مثل عيسى الآية قالوا مايريد محمد بهذا إلا أن نعبده وأنه يستأهل أن يعبد وإن كان بشراً كما عبدت النصارى المسيح وهو بشر ومعنى يصدون يضجون ويضجرون والضمير فى أم هو لمحمد عليه الصلاة والسلام وغرضهم بالموازنة بينه عليه السلام وبين آلهتهم الاستهزاء به وقد جوز أن يكون مرادهم التنصل عما أنكر عليهم من قولهم الملائكة بنات الله تعالى ومن عبادتهم لهم كأنهم قالوا ماقلنا بدعا من القول ولا فعلنا منكراً من الفعل فإن النصارى جعلوا المسيح ابن الله وعبدوه فنحن أشف منهم قولا وفعلا حيث نسبنا إليه الملائكة وهم نسبوا إليه الأناسى فقوله تعالى (إن هو إلا عبد أنعمنا عليه) أى بالنبوة (وجعلناه مثلا لبنى إسرائيل) أى أمراً عجيباً حقيقاً بأن يسير ذكره كالأمثال السائرة على الوجه الأول استئناف مسوق لتنزيهه عليه السلام عن أن ينسب إليه مانسب إلى الأصنام بطريق الرمز كما نطق به صريحاً قوله تعالى إن الذين سبقت لهم منا الحسنى الآية وفيه تنبيه على بطلان رأى من رفعه عن رتبة العبودية وتعريض بفساد رأى من يرى رأيهم فى شأن الملائكة وعلى الثانى والرابع لبيان أنه قياس باطل بباطل أو بأبطل على زعمهم وما عيسى إلا عبد كسائر العبيد قصارى أمره أنه ممن أنعمنا عليهم بالنبوة وخصصناه ببعض الخواص البديعة بأن خلقناه بوجه بديع وقد خلقنا آدم بوجه أبدع منه فأين هو من رتبة الربوبية ومن أين يتوهم صحة مذهب عبدته حتى يفتخر عبدة الملائكة بكونهم أهدى منهم أو يعتذروا بأن حالهم أشف أو أخف من حالهم وأما على الوجه الثالث فهو لردهم وتكذيبهم فى افترائهم على رسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان أن عيسى فى الحقيقة وفيما أوحى إلى الرسول عليهما الصلاة والسلام ليس إلا أنه عبد منعم عليه كما ذكر فكيف يرضى عليه السلام بمعبوديته أو كيف يتوهم الرضا بمعبودية نفسه وقوله تعالى (ولو نشاء) الخ لتحقيق أن مثل عيسى عليه السلام ليس ببدع من قدرة الله وأنه تعالى قادر على أبدع من ذلك وأبرع مع التنبيه على سقوط الملائكة أيضاً من درجة المعبودية أى قدرتنا بحيث لو نشاء (لجعلنا) أى لخلقنا بطريق التوالد (منكم) وأنتم رجال ليس من شأنكم الولادة (ملائكة) كما خلقناهم بطريق الإبداع (فى الأرض) مستقرين فيها كما جعلناهم مستقرين فى السماء (يخلفون) أى يخلفونكم مثل أولادكم فيما تأتون وما تذرون ويباشرون الأفاعيل المنوطة بمباشرتكم مع أن شأنهم التسبيح والتقديس فى السماء فمن شأنهم بهذه المثابة بالنسبة إلى القدرة الربانية كيف يتوهم استحقاقهم للمعبودية أو انتسابهم إليه تعالى عن ذلك علواً (وإنه) وإن عيسى (لعلم للساعة) أى إنه بنزوله شرط من أشراطها وتسميته علماً لحصوله به

وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ إِنَّهُۥ لَكُمْ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٦٢﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَمَّا جَآءَ عِيسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُم بِٱلْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُم بَعْضَ ٱلَّذِى تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿٦٣﴾ ٤٣ الزخرف

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ رَبِّى وَرَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ هَٰذَا صِرَٰطٌ مُّسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ ٤٣ الزخرف

فَٱخْتَلَفَ ٱلْأَحْزَابُ مِنۢ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ مِنْ عَذَابِ يَوْمٍ أَلِيمٍ ﴿٦٥﴾ ٤٣ الزخرف

هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾ ٤٣ الزخرف

أو بحدوثه بغير أب أو بإحيائه الموتى دليل على صحة البعث الذى هو معظم ماينكره الكفرة من الأمور الواقعة فى الساعة وقرىء لعلم أى علامة وقرىء للعلم وقرىء لذكر على تسمية مايذكر به ذكرا كتسمية مايعلم به علماً وفى الحديث أن عيسى عليه السلام ينزل على ثنية بالأرض المقدسة يقال لها أفيق وعليه ممصرتان وبيده حربة وبها يقتل الدجال فيأتى بيت المقدس والناس فى صلاة الصبح فيتأخر الإمام فيقدمه عيسى عليه السلام ويصلى خلفه على شريعة محمد صلى الله عليه وسلم ثم يقتل الخنازير ويكسر الصليب ويخرب البيع والكنائس ويقتل النصارى إلا من آمن به وقيل الضمير للقرآن لما أن فيه الإعلام بالساعة (فلا تمترن بها) فلا تشكن فى وقوعها (واتبعون) أى واتبعوا هداى أو شرعى أو رسولى * وقيل هو قول الرسول مأموراً من جهته تعالى (هذا) أى الذى أدعوكم إليه أو القرآن على أن الضمير * فى أنه له (صراط مستقيم) موصل إلى الحق (ولا يصدنكم الشيطان) عن اتباعى (إنه لكم عدو ٦٢ مبين) بين العداوة حيث أخرج أباكم من الجنة وعرضكم للبلية (ولما جاء عيسى بالبينات) أى بالمعجزات ٦٣ أو بآيات الإنجيل أو بالشرائع الواضحات (قال) لبنى إسرائيل (قد جئتكم بالحكمة) أى الإنجيل * أو الشريعة (ولأبين لكم) عطف على مقدر ينبىء عنه المجىء بالحكمة كأنه قيل قد جئتكم بالحكمة * لأعلمكم إياها ولأبين لكم (بعض الذى تختلفون فيه) وهو مايتعلق بأمور الدين وأما مايتعلق بأمور * الدنيا فليس بيانه من وظائف الأنبياء عليهم السلام كما قال عليه السلام أنتم أعلم بأمور دنياكم (فاتقوا * الله) فى مخالفتى (وأطيعون) فيما أبلغه عنه تعالى (إن الله هو ربى وربكم فاعبدوه) بيان لما أمرهم ٦٤ بالطاعة فيه وهو اعتقاد التوحيد والتعبد بالشرائع (هذا) أى التوحيد والتعبد بالشرائع (صراط * مستقيم) لا يضل سالكه وهو إما من تتمة كلامه عليه السلام أو استئناف من جهته تعالى مقرر لمقالة عيسى عليه السلام (فاختلف الأحزاب) الفرق المتحزبة (من بينهم) أى من بين من بعث إليهم من ٦٥ اليهود والنصارى (فويل للذين ظلموا) من المختلفين (من عذاب يوم أليم) هو يوم القيامة (هل ينظرون) ٦٦ أى ما ينتظر الناس (إلا الساعة أن تأتيهم) أى إلا إتيان الساعة (بغتة) أى فجأة لكن لا عند كونهم * مترقبين لها بل غافلين عنها مشتغلين بأمور الدنيا منكرين لها وذلك قوله تعالى (وهم لا يشعرون) *

ٱلْأَخِلَّآءُ يَوْمَئِذٍۭ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٦٧﴾ ٤٣ الزخرف

يَـٰعِبَادِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمُ ٱلْيَوْمَ وَلَآ أَنتُمْ تَحْزَنُونَ ﴿٦٨﴾ ٤٣ الزخرف

ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا وَكَانُوا۟ مُسْلِمِينَ ﴿٦٩﴾ ٤٣ الزخرف

ٱدْخُلُوا۟ ٱلْجَنَّةَ أَنتُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ تُحْبَرُونَ ﴿٧٠﴾ ٤٣ الزخرف

يُطَافُ عَلَيْهِم بِصِحَافٍ مِّن ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ ٱلْأَنفُسُ وَتَلَذُّ ٱلْأَعْيُنُ وَأَنتُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٧١﴾ ٤٣ الزخرف

وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾ ٤٣ الزخرف

لَكُمْ فِيهَا فَـٰكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٧٣﴾ ٤٣ الزخرف

---

٦٧ (الأخلاء) المتحابون فى الدنيا على الإطلاق أو فى الأمور الدنيوية (يومئذ) يوم إذ تأتيهم الساعة (بعضهم لبعض عدو) لانقطاع مابينهم من علائق الخلة والتحاب لظهور كونها أسباباً للعذاب (إلا المتقين) فإن خلتهم فى الدنيا لما كانت فى الله تبقى على حالها بل تزداد بمشاهدة كل منهم آثار خلتهم

٦٨ من الثواب ورفع الدرجات والاستثناء على الأول متصل وعلى الثانى منقطع (ياعبادى لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون) حكاية لما ينادى به المتقون المتحابون فى الله يومئذ تشريفاً لهم وتطيباً لقلوبهم

٦٩ (الذين آمنوا بآياتنا) صفة للمنادى أو نصب على المدح (وكانوا مسلمين) أى مخلصين وجوههم لنا جاعلين أنفسهم سالمة لطاعتنا وهو حال من واو آمنوا عن مقاتل إذا بعث الله الناس فزع كل أحد فينادى مناد ياعبادى فيرفع الخلائق رؤسهم على الرجاء ثم يتبعها الذين آمنوا الآية فينكس أهل الأديان

٧٠ الباطلة رؤسهم (ادخلوا الجنة أنتم وأزواجكم) نساؤكم المؤمنات (تحبرون) تسرون سروراً يظهر حباره أى أثره على وجوهكم أو تزينون من الحبرة وهو حسن الهيئة أو تكرمون إكراماً بليغاً والحبرة

٧١ المبالغة فيما وصف بجميل (يطاف عليهم) بعد دخولهم الجنة حسبما أمروا به (بصحاف من ذهب وأكواب) كذلك والصحاف جمع صحفة قيل هى كالقصعة وقيل أعظم القصاع الجفنة ثم القصعة ثم المكيلة والأكواب جمع كوب وهو كوز لاعروة له (وفيها) أى فى الجنة (ماتشتهيه الأنفس) من فنون الملاذ وقرىء ماتشتهى (وتلذ الأعين) أى تستلذه وتقر بمشاهدته وقرىء وتلذه (وأنتم فيها خالدون) إتمام للنعمة وإكمال للسرور فإن كل نعيم له زوال بالآخرة مقارن لخوفه لامحالة والالتفات

٧٢ للتشريف (وتلك الجنة) مبتدأ وخبر (التى أورثتموها) وقرىء ورثتموها (بماكنتم تعملون) فى الدنيا من الأعمال الصالحة شبه جزاء العمل بالميراث لأنه يخلفه العامل عليه وقيل تلك الجنة مبتدأ وصفة والموصول مع صلته خبره وقيل هو صفة الجنة كالوجه الأول والخبر بماكنتم تعملون فتتعلق

٧٣ الباء بمحذوف لا بأورثتموها كما فى الأولين (لكم فيها فاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأصناف

إِنَّ ٱلْمُجْرِمِينَ فِى عَذَابِ جَهَنَّمَ خَـٰلِدُونَ ﴿٧٤﴾ ٤٣ الزخرف

لَا يُفَتَّرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ ٤٣ الزخرف

وَمَا ظَلَمْنَـٰهُمْ وَلَـٰكِن كَانُوا۟ هُمُ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٧٦﴾ ٤٣ الزخرف

وَنَادَوْا۟ يَـٰمَـٰلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ ۖ قَالَ إِنَّكُم مَّـٰكِثُونَ ﴿٧٧﴾ ٤٣ الزخرف

لَقَدْ جِئْنَـٰكُم بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَـٰرِهُونَ ﴿٧٨﴾ ٤٣ الزخرف

أَمْ أَبْرَمُوٓا۟ أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ ٤٣ الزخرف

لابحسب الأفراد فقط (منها تأكلون) أى بعضها تأكلون فى كل نوبة وأما الباقى فعلى الأشجار على * الدوام لاترى فيها شجرة خلت عن ثمرها لحظة فهى مزينة بالثمار أبداً موقرة بها وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاينزع رجل فى الجنة من ثمرها إلا نبت مثلاها مكانها (إن المجرمين) أى الراسخين فى ٧٤ الإجرام وهم الكفار حسبما ينبىء عنه إيرادهم فى مقابلة المؤمنين بالآيات (فى عذاب جهنم خالدون) * خبر إن أو خالدون هو الخبر وفى متعلقة به (لايفتر عنهم) أى لا يخفف العذاب عنهم من قولهم فترت ٧٥ عنه الحمى إذاسكنت قليلاوالتركيب للضعف (وهم فيه) أى فى العذاب وقرىء فيهاأى فى النار (مبلسون) * آيسون من النجاة (وما ظلمناهم) بذلك (ولكن كانوا هم الظالمين) لتعريضهم أنفسهم للعذاب الخالد ٧٦ (ونادوا) خازن النار (يامالك) وقرىء يامال على الترخيم بالضم والكسر ولعله رمز إلى ضعفهم ٧٧ وعجزهم عن تأدية اللفظ بتمامه (ليقض علينا ربك) أى ليمتنا حتى نستريح من قضى عليه إذا أماته والمعنى * سل ربك أن يقضى علينا وهذا لاينافى ماذكر من إبلاسهم لأنه جؤار وتمن للموت لفرط الشدة (قال * إنكم ماكثون) أى فى العذاب أبداً لاخلاص لكم منه بموت ولا بغيره عن ابن عباس رضى الله عنهما أنه لايجيبهم إلا بعد ألف سنة وقيل بعد مائة وقيل بعد أربعين سنة (لقد جئناكم بالحق) فى الدنيا ٧٨ بإرسال الرسل وإنزال الكتب وهو خطاب توبيخ وتقريع من جهة الله تعالى مقرر لجواب مالك ومبين لسبب مكثهم وقيل فى قال ضمير الله تعالى (ولكن أكثركم للحق) أى حق كان (كارهون) لايقبلونه * وينفرون عنه أما الحق المعهود الذى هو التوحيد أو القرآن فكلهم كارهون له مشمئزون منه (أم ٧٩ أبرموا أمراً) كلام مبتدأ ناع على المشركين مافعلوا من الكيد برسول الله صلى الله عليه وسلم وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من توبيخ أهل النار إلى حكاية جناية هؤلاء والهمزة للإنكار فإن أريد بالإبرام الأحكام حقيقة فهى لإنكار الوقوع واستبعاده وإن أريد الأحكام صورة فهى لإنكار الواقع واستقباحه أى أأبرم مشركو مكة أمراً من كيدهم ومكرهم برسول الله صلى الله عليه (فإنا مبرمون) كيدنا حقيقة لاهم أو فإنا مبرمون كيدنا بهم حقيقة كما أبرموا كيدهم صورة كقوله * تعالى أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون وكانوا يتناجون فى أنديتهم ويتشاورون فى أموره

أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُم بَلَىٰ وَرُسُلُنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُبُونَ ﴿٨٠﴾	٤٣ الزخرف
قُلْ إِن كَانَ لِلرَّحْمَٰنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَابِدِينَ ﴿٨١﴾	٤٣ الزخرف
سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٨٢﴾	٤٣ الزخرف
فَذَرْهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ ﴿٨٣﴾	٤٣ الزخرف
وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَٰهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَٰهٌ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾	٤٣ الزخرف

٨٠ عليه الصلاة والسلام (أم يحسبون) أى بل أيحسبون (أنا لانسمع سرهم) وهوماحدثوا به أنفسهم
أو غيرهم فى مكان خال (ونجواهم) أى ماتكلموا به فيما بينهم بطريق التناجى (بلى) نحن نسمعهما
ونطلع عليهما (ورسلنا) الذين يحفظون عليهم أعمالهم ويلازمونهم أينما كانوا (لديهم) عندهم (يكتبون)
أى يكتبونهما أو يكتبون كل ماصدر عنهم من الأفعال والأقوال التى من جملتها ماذكر من سرهم
٨١ ونجواهم والجملة إما عطف على مايترجم عنه بلى أو حال أى نسمعهما والحال أن رسلنا يكتبون (قل)
أى للكفرة تحقيقاً للحق وتنبيهاً لهم على أن مخالفتك لهم بعدم عبادتك لما يعبدونه من الملائكة عليهم
السلام ليست لبغضك وعداوتك لهم أو لمعبوديهم بل إنما هو لجزمك باستحالة مانسبوا إليهم وبنوا
عليه عبادتهم من كونهم بنات الله تعالى (إن كان للرحمن ولد فأنا أول العابدين) أى له وذلك لأنه عليه
الصلاة والسلام أعلم الناس بشؤنه تعالى وبما يجوز عليه وبما لايجوز وأولاهم بمراعاة حقوقه ومن
مواجب تعظيم الوالد تعظيم ولده وفيه من الدلالة على انتفاء كونهم كذلك على أبلغ الوجوه وأقواها
وعلى كون رسول الله صلى الله عليه وسلم على قوة يقين وثبات قدم فى باب التوحيد مالايخفى مع مافيه
من استنزال الكفرة عن رتبة المكابرة حسبما يعرب عنه إيراد أن مكان لو المنبئة عن امتناع مقدم
الشرطية وقيل إن كان للرحمن ولد فى زعمكم فأنا أول العابدين الموحدين لله تعالى وقيل فأنا أول الآنفين
أى المستنكفين منه أو من أن يكون له ولد من عبد يعبد إذا اشتد أنفه وقيل إن نافية أى ما كان
٨٢ للرحمن ولد فأنا أول من قال بذلك وقرىء ولد (سبحان رب السموات والأرض رب العرش عما
يصفون) أى يصفونه به من أن يكون له ولد وفى إضافة اسم الرب إلى أعظم الأجرام وأقواها تنبيه
على أنها وما فيها من المخلوقات حيث كانت تحت ملكوته وربوبيته كيف يتوهم أن يكون شىء منها جزأ
٨٣ منه سبحانه وفى تكرير اسم الرب تفخيم لشأن العرش (فذرهم) حيث لم يذعنوا للحق بعد ما سمعوا
هذا البرهان الجلى (يخوضوا) فى أباطيلهم (ويلعبوا) فى دنياهم فإن ماهم فيه من الأفعال والأقوال
ليست إلا من باب الجهل واللعب والجزم فى الفعل لجواب الأمر (حتى يلاقوا يومهم الذى يوعدون)
٨٤ من يوم القيامة فإنهم يومئذ يعلمون ما فعلوا وما يفعل بهم (وهو الذى فى السماء إله وفى الأرض إله)
الظرفان متعلقان بالمعنى الوصفى الذى ينبىء عنه الاسم الجليل من معنى المعبودية بالحق بناء على اختصاصه

وَتَبَارَكَ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٥﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَا يَمْلِكُ ٱلَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ ٱلشَّفَٰعَةَ إِلَّا مَن شَهِدَ بِٱلْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٨٦﴾ ٤٣ الزخرف

وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ فَأَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ٤٣ الزخرف

وَقِيلِهِۦ يَٰرَبِّ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ قَوْمٌ لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٨٨﴾ ٤٣ الزخرف

فَٱصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلَٰمٌ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ٤٣ الزخرف

بالمعبود بالحق كما مر فى تفسير البسملة كأنه قيل وهو الذى مستحق لأن يعبد فيهما وقد مر تحقيقه فى سورة الأنعام وقرىء وهو الذى فى السماء الله وفى الأرض الله والراجع إلى الموصول مبتدأ قد حذف لطول الصلة بمتعلق الخبر والعطف عليه ولا مساغ لكون الجار خبراً مقدماً وإله مبتدأ مؤخر للزوم عراء الجملة حينئذ عن العائد نعم يجوز أن يكون صلة للموصول وإله خبراً لمبتدأ محذوف على أن الجملة بيان للصلة وأن كونه فى السماء على سبيل الإلهية لا على سبيل الاستقرار وفيه نفى الآلهة السماوية والأرضية وتخصيص لاستحقاق الإلهية به تعالى وقوله تعالى (وهو الحكيم العليم) كالدليل على ماقبله *

(وتبارك الذى له ملك السموات والأرض وما بينهما) إما على الدوام كالهواء أو فى بعض الأوقات كالطير (وعنده علم الساعة) أى العلم بالساعة التى فيها تقوم القيامة (وإليه ترجعون) للجزاء والالتفات للتهديد وقرىء على الغيبة وقرىء تحشرون بالتاء ٨٥ *

(ولا يملك الذين يدعون) أى يدعونهم وقرىء بالتاء مخففاً ومشدداً (من دونه الشفاعة) كما يزعمون (إلا من شهد بالحق) الذى هو التوحيد (وهم يعلمون) بما يشهدون به عن بصيرة وإيقان وإخلاص وجمع الضمير باعتبار معنى من كما أن الإفراد أولا باعتبار لفظها والاستثناء إما متصل والموصول عام لكل مايعبد من دون الله أو منفصل على أنه خاص بالأصنام ٨٦ *

(ولئن سألتهم من خلقهم) أى سألت العابدين والمعبودين (ليقولن الله) لتعذر الإنكار لغاية بطلانه (فأنى يؤفكون) فكيف يصرفون عن عبادته إلى عبادة غيره مع اعترافهم بكون الكل مخلوقا له تعالى ٨٧ *

(وقيله) بالجر إما على أنه عطف على الساعة أى عنده علم الساعة وعلم قوله عليه الصلاة والسلام (يارب) الخ فإن القول والقيل والقال كلها مصادر أو على أن الواو للقسم وقوله تعالى (إن هؤلاء قوم لا يؤمنون) جوابه وفى الإقسام به من رفع شأنه عليه الصلاة والسلام وتفخيم دعائه والتجائه إليه تعالى ما لا يخفى وقرىء بالنصب بالعطف على سرهم أو على محل الساعة أو بإضمار فعله أو بتقدير فعل القسم وقرىء بالرفع على الابتداء والخبر مابعده وقد جوز عطفه على علم الساعة ٨٨ *

(فاصفح عنهم) فأعرض عن دعوتهم واقنط عن إيمانهم (وقل سلام) أى أمرى تسلم منكم ومتاركة (فسوف يعلمون) حالهم البتة وإن تأخر ذلك وهو وعيد من الله تعالى لهم وتسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقرىء تعلمون على أنه داخل ٨٩ *

٤٤ ـــ سورة الدخان

نزلت بمكة وآياتها تسع وخمسون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

حمٓ ﴿١﴾ ٤٤ الدخان

وَٱلْكِتَـٰبِ ٱلْمُبِينِ ﴿٢﴾ ٤٤ الدخان

إِنَّآ أَنزَلْنَـٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَـٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ ٤٤ الدخان

فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ ٤٤ الدخان

فى حيز قل . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الزخرف كان ممن يقال له يوم القيامة ياعباد لاخوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون ادخلوا الجنة بغير حساب .

﴿ سورة الدخان مكية إلا قوله إنا كاشفوا العذاب وآياتها تسع وخمسون آية ﴾

١ ، ٢ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) (والكتاب المبين) الكلام فيه كالذى سلف فى السورة السابقة

٣ (إنا أنزلناه) أى الكتاب المبين الذى هو القرآن (فى ليلة مباركة) هى ليلة القدر وقيل ليلة البراءة ابتدىء فيها إنزاله أو أنزل فيها جملة إلى السماء الدنيا من اللوح وأملاه جبريل عليه السلام على السفرة ثم كان ينزله على النبي صلى الله عليه وسلم نجوما فى ثلاث وعشرين سنة كما مر فى سورة الفاتحة ووصفها بالبركة لما أن نزول القرآن مستتبع للمنافع الدينية والدنيوية بأجمعها أو لما فيها من تنزل الملائكة والرحمة وإجابة الدعوة وقسم النعمة وفصل الأقضية وفضيلة العبادة وإعطاء تمام الشفاعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل يزيد فى هذه الليلة ماء زمزم زيادة ظاهره (إنا كنا منذرين) استئناف مبين لما يقضى الإنزال كأنه قيل إنا أنزلناه لأن من شأننا الإنذار والتحذير من العقاب وقيل جواب

٤ للقسم وقوله تعالى إنا أنزلناه الخ اعتراض وقيل جواب ثان بغير عاطف (فيها يفرق كل أمر حكيم) استئناف كما قبله فإن كونها مفرق الأمور المحكمة أو الملتبسة بالحكمة الموافقة لها يستدعى أن ينزل فيها القرآن الذى هو من عظائمها وقيل صفة أخرى لليلة وما بينهما اعتراض وهذا يدل على أنها ليلة القدر ومعنى يفرق أنه يكتب وينفصل كل أمر حكيم من أرزاق العباد وآجالهم وجميع أمورهم من هذه الليلة إلى الأخرى من السنة القابلة وقيل يبدأ فى استنساخ ذلك من اللوح فى ليلة البراءة ويقع الفراغ فى ليلة القدر فتدفع نسخة الأرزاق إلى ميكائيل ونسخة الحروب إلى جبريل وكذا الزلازل والخسف والصواعق ونسخة الأعمال إلى إسماعيل صاحب سماء الدنيا وهو ملك عظيم ونسخة المصائب إلى ملك الموت عليهم السلام وقرىء يفرق بالتشديد وقرىء يفرق على البناء للفاعل أى يفرق الله تعالى

أَمْرًا مِّنْ عِندِنَآ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ ٤٤ الدخان

رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦﴾ ٤٤ الدخان

رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِن كُنتُم مُّوقِنِينَ ﴿٧﴾ ٤٤ الدخان

لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِۦ وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ ءَابَآئِكُمُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٨﴾ ٤٤ الدخان

بَلْ هُمْ فِى شَكٍّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ ٤٤ الدخان

كل أمر حكيم وقرىء نفرق بنون العظمة (أمراً من عندنا) نصب على الاختصاص أى أعنى بهذا الأمر ٥
أمراً حاصلا من عندنا على مقتضى حكمتنا وهو بيان لفخامته الإضافية بعد بيان فخامته الذاتية ويجوز كونه
حالا من كل أمر لتخصصه بالوصف أو من ضميره فى حكيم وقد جوز أن يراد به مقابل النهى ويجعل مصدراً
مؤكداً ليفرق لاتحاد الأمر والفرقان فى المعنى أو لفعله المضمر لما أن الفرق به أو حالا من أحد ضميرى
أنزلناه أى آمرين أو مأموراً به (إنا كنا منذرين) بدل من إنا كنا منذرين وقيل جواب ثالث وقيل *
مستأنف وقوله تعالى (رحمة من ربك) غاية للإرسال متأخرة عنه على أن المراد بها الرحمة الواصلة إلى ٦
العباد وباعث متقدم عليه على أن المراد مبدؤها أى إنا أنزلنا القرآن لأن من عادتنا إرسال الرسل بالكتب
إلى العباد لأجل إفاضة رحمتنا عليهم أو لاقتضاء رحمتنا السابقة إرسالهم ووضع الرب موضع الضمير
للإيذان بأن ذلك من أحكام الربوبية ومقتضياتها وإضافته إلى ضميره عليه الصلاة والسلام لتشريفه
أو تعليل ليفرق أو لقوله تعالى أمراً على أن قوله تعالى رحمة مفعول للإرسال كما فى قوله تعالى وما
يمسك فلا مرسل له أى يفرق فيها كل أمر أو تصدر الأوامر من عندنا لأن من عادتنا إرسال رحمتنا
ولا ريب فى أن كلا من قسمة الأرزاق وغيرها والأوامر الصادرة منه تعالى من باب الرحمة فإن الغاية
لتكليف العباد تعريضهم للمنافع وقرىء رحمة بالرفع أى تلك رحمة وقوله تعالى (إنه هو السميع العليم) *
تحقيق لربوبيته تعالى وأنها لاتحق إلا لمن هذه نعوته (رب السموات والأرض وما بينهما) بدل من ٧
أو بيان أو نعت وقرىء بالرفع على أنه خبر آخر أو استئناف على إضمار مبتدأ (إن كنتم موقنين) *
أى إن كنتم من أهل الإيقان فى العلوم أو إن كنتم موقنين فى إقراركم بأنه تعالى رب السموات والأرض
وما بينهما إذا سئلتم من خلقها فقلتم الله علمتم أن الأمر كما قلنا أو إن كنتم مريدين اليقين فاعلموا ذلك
(لا إله إلا هو) جملة مستأنفة مقررة لما قبلها وقيل خبر لقوله رب السموات الخ وما بينهما اعتراض ٨
(يحيى ويميت) مستأنفة كما قبلها وكذا قوله تعالى (ربكم ورب آبائكم الأولين) بإضمار مبتدأ أو بدل *
من رب السموات على قراءة الرفع أو بيان أو نعت له وقيل فاعل ليميت وفى يحيى ضمير راجع إلى رب
السموات وقرىء بالجر بدلا من رب السموات على قراءة الجر (بل هم فى شك) مما ذكر من شئونه ٩
تعالى غير موقنين فى إقرارهم (يلعبون) لا يقولون ما يقولون عن جد وإذعان بل مخلوطاً بهزؤ ولعب *

فَٱرۡتَقِبۡ يَوۡمَ تَأۡتِي ٱلسَّمَآءُ بِدُخَانٖ مُّبِينٖ ﴿١٠﴾ ٤٤ الدخان

يَغۡشَى ٱلنَّاسَۖ هَٰذَا عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿١١﴾ ٤٤ الدخان

رَّبَّنَا ٱكۡشِفۡ عَنَّا ٱلۡعَذَابَ إِنَّا مُؤۡمِنُونَ ﴿١٢﴾ ٤٤ الدخان

أَنَّىٰ لَهُمُ ٱلذِّكۡرَىٰ وَقَدۡ جَآءَهُمۡ رَسُولٞ مُّبِينٞ ﴿١٣﴾ ٤٤ الدخان

ثُمَّ تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَقَالُواْ مُعَلَّمٞ مَّجۡنُونٌ ﴿١٤﴾ ٤٤ الدخان

---

١٠ والفاء فى قوله تعالى (فارتقب) لترتيب الارتقاب أو الأمر به على ماقبلها فإن كونهم فى شك مما يوجب ذلك حتما أى فانتظر لهم (يوم تأتى السماء بدخان مبين) أى يوم شدة ومجاعة فإن الجائع يرى بينه وبين السماء كهيئة الدخان إما لضعف بصره أولأن فى عام القحط يظلم الهواء لقلة الأمطار وكثرة الغبار أو لأن العرب تسمى الشر الغالب دخاناً وذلك أن قريشاً لما استعصت رسول الله صلى الله عليه وسلم دعا عليهم فقال اللهم اشدد وطأتك على مضر واجعلها عليهم سنين كسنى يوسف فأخذتهم سنة حتى أكلوا الجيف والعظام والعلهز وكان الرجل يرى بين السماء والأرض الدخان وكان يحدث الرجل

١١ يسمع كلامه ولا يراه من الدخان وذلك قوله تعالى (يغشى الناس) أى يحيط بهم (هذا عذاب أليم) أى قائلين ذلك فمشى إليه عليه الصلاة والسلام أبو سفيان ونفر معه وناشدوه الله تعالى والرحم وواعدوه

١٢ إن دعا لهم وكشف عنهم أن يؤمنوا وذلك قوله تعالى (ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون) وهذا قول ابن عباس وابن مسعود رضى الله عنهم وبه أخذ مجاهد ومقاتل وهو اختيار الفراء والزجاج وقيل هو دخان يأتى من السماء قبل يوم القيامة فيدخل فى أسماع الكفرة حتى يكون رأس الواحد كالرأس الحنيذ ويعترى المؤمن منه كهيئة الزكام وتكون الأرض كلها كبيت أوقد فيه ليس فيه خصاص وعن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول الآيات الدخان ونزول عيسى ابن مريم ونار تخرج من قعر عدن أبين تسوق الناس إلى المحشر قال حذيفة يارسول الله وما الدخان فتلا الآية وقال يملأ ما بين المشرق والمغرب يمكث أربعين يوماً وليلة أما المؤمن فيصيبه كهيئة الزكمة وأما الكافر فهو كالسكران يخرج من منخريه وأذنيه ودبره والأول هو الذى تستدعيه مساق النظم الكريم قطعاً فإن قوله تعالى

١٣ (أنى لهم الذكرى) الخ رد لكلامهم واستدعائهم الكشف وتكذيب لهم فى الوعد بالإيمان المنبىء عن التذكر والاتعاظ بما اعتراهم من الداهية أى كيف يتذكرون أومن أين يتذكرون بذلك ويفون بما وعدوه من الإيمان عند كشف العذاب عنهم (وقد جاءهم رسول مبين) أى والحال أنهم شاهدوا من دواعى التذكر وموجبات الاتعاظ ماهو أعظم منه فى إيجابها حيث جاءهم رسول عظيم الشأن وبين

١٤ لهم مناهج الحق بإظهار آيات ظاهرة ومعجزات قاهرة تخر لها صم الجبال (ثم تولوا عنه) عن ذلك الرسول وهو هو ريثما شاهدوا منه ماشاهدوه من العظائم الموجبة للإقبال عليه ولم يقتنعوا بالتولى

إِنَّا كَاشِفُوا الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ ٤٤ الدخان

يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ إِنَّا مُنتَقِمُونَ ﴿١٦﴾ ٤٤ الدخان

وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ ٤٤ الدخان

أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ ٤٤ الدخان

وَأَن لَّا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٩﴾ ٤٤ الدخان

* (وقالوا) فى حقه (معلم مجنون) أى قالوا تارة يعلمه غلام أعجمى لبعض ثقيف وأخرى مجنون أو يقول بعضهم كذا وآخرون كذا فهل يتوقع من قوم هذه صفاتهم أن يتأثروا بالعظة والتذكير وما مثلهم إلا كمثل الكلب إذا جاع ضغا وإذا شبع طغى وقوله تعالى (إنا كاشفوا العذاب قليلا إنكم عائدون) جواب من جهته تعالى عن قولهم ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون بطريق الالتفات لمزيد التوبيخ والتهديد وما بينهما اعتراض أى إنا نكشف العذاب المعهود عنكم كشفاً قليلا أو زماناً قليلا إنكم تعودون إثر ذلك إلى ما كنتم عليه من العتو والإصرار على الكفر وتنسون هذه الحالة وصيغة الفاعل فى الفعلين للدلالة على تحققهما لا محالة ولقد وقع كلاهما حيث كشفه الله تعالى بدعاء النبى صلى الله عليه وسلم فما لبثوا أن عادوا إلى ما كانوا عليه من العتو والعناد ومن فسر الدخان بما هو من الأشراط قال إذا جاء الدخان تضور المعذبون به من الكفار والمنافقين وغوثوا وقالوا ربنا اكشف عنا العذاب إنا مؤمنون فيكشفه الله تعالى عنهم بعد أربعين يوماً وريثما يكشفه عنهم يرتدون ولا يتمهلون (يوم نبطش البطشة الكبرى) يوم القيامة وقيل يوم بدر وهو ظرف لما دل عليه ١٥ ١٦

* قوله تعالى (إنا منتقمون) لا لمنتقمون لأن إن مانعة من ذلك أى يومئذ ننتقم إنا منتقمون وقيل هو بدل من يوم تأتى الخ وقرىء نبطش أى نحمل الملائكة على أن يبطشوا بهم البطشة الكبرى وهو التناول بعنف وصولة أو نجعل البطشة الكبرى باطشة بهم وقرىء نبطش بضم الطاء وهى لغة (ولقد فتنا قبلهم قوم فرعون) أى امتحناهم بإرسال موسى عليه السلام أو أوقعناهم فى الفتنة بالإمهال وتوسيع الرزق عليهم وقرىء بالتشديد للمبالغة أو لكثرة القوم (وجاءهم رسول كريم) على الله تعالى أو على ١٧

* المؤمنين أو فى نفسه لأن الله تعالى لم يبعث نبياً إلا من سراة قومه وكرامهم (أن أدوا إلى عباد الله) أى بأن أدوا إلى بنى اسرائيل وأرسلوهم معى أو بأن أدوا إلى يا عباد الله حقه من الإيمان وقبول الدعوة وقيل أن مفسرة لأن مجىء الرسول لا يكون إلا برسالة ودعوة وقيل مخففة من الثقيلة أى جاءهم بأن الشأن أدوا إلى الخ وقوله تعالى (إنى لكم رسول أمين) تعليل للأمر أو لوجوب المأمور به أى رسول ١٨

* غير ظنين قد ائتمننى الله تعالى على وحيه وصدقنى بالمعجزات القاهرة (وأن لا تعلوا على الله) أى لا تتكبروا عليه تعالى بالاستهانة بوحيه وبرسوله وأن كالتى سلفت وقوله تعالى (إنى آتيكم) أى من جهته تعالى ١٩ *

وَإِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَن تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ ٤٤ الدخان

وَإِن لَّمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ ﴿٢١﴾ ٤٤ الدخان

فَدَعَا رَبَّهُ أَنَّ هَٰؤُلَاءِ قَوْمٌ مُّجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ ٤٤ الدخان

فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ ٤٤ الدخان

وَاتْرُكِ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُندٌ مُّغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ ٤٤ الدخان

كَمْ تَرَكُوا مِن جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ ٤٤ الدخان

وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ ٤٤ الدخان

وَنَعْمَةٍ كَانُوا فِيهَا فَاكِهِينَ ﴿٢٧﴾ ٤٤ الدخان

كَذَٰلِكَ وَأَوْرَثْنَاهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ ٤٤ الدخان

---

* (بسلطان مبين) تعليل للنهى أى آتيكم بحجة واضحة لا سبيل إلى إنكارها وآتيكم على صيغة الفاعل
٢٠ أو المضارع وفى إيراد الأداء مع الأمين والسلطان مع العلا من الجزالة مالا يخفى (وإنى عذت بربى
* وربكم) أى التجأت إليه وتوكلت عليه (أن ترجمون) من أن ترجمونى أى تؤذونى ضرباً أو شتما أو
٢١ أن تقتلونى قيل لما قال وأن لا تعلوا على الله توعدوه بالقتل وقرىء بإدغام الذال فى التاء (وإن لم
تؤمنوا لى فاعتزلون) أى وإن كابرتم مقتضى العقل ولم تؤمنوا لى فخلونى كفافا لا على ولا لى ولا تتعرضوا
بشر ولا أذى فليس ذلك جزاء من يدعوكم إلى مافيه فلاحكم وحمله على معنى فاقطعوا أسباب الوصلة
٢٢ عنى فلا موالاة بينى وبين من لا يؤمن يأباه المقام (فدعا ربه) بعد ماتموا على تكذيبه عليه السلام
* (إن هؤلاء) أى بأن هؤلاء (قوم مجرمون) وهو تعريض بالدعاء عليهم بذكر ما استوجبوه ولذلك
سمى دعاء وقرىء بالكسر على إضمار القول قيل كان دعاؤه اللهم عجل لهم مايستحقونه بإجرامهم وقيل
٢٣ هو قوله ربنا لا تجعلنا فتنة للقوم الظالمين (فأسر بعبادى ليلا) بإضمار القول إما بعد الفاء أى فقال
ربه أسر بعبادى وإما قبلها كأنه قيل إن كان الأمر كما تقول فأسر بعبادى أى ببنى إسرائيل فقد دبر
* الله تعالى أن تتقدموا وقرىء بوصل الهمزة من سرى (إنكم متبعون) أى يتبعكم فرعون وجنوده
٢٤ بعد ماعلموا بخروجكم (واترك البحر رهواً) مفتوحا ذا فجوة واسعة أو ساكناً على هيئته بعد ما جاوزته
* ولا تضربه بعصاك لينطبق ولا تغيره عن حاله ليدخله القبط (إنهم جند مغرقون) وقرىء أنهم
٢٥، ٢٦ بالفتح أى لأنهم (كم تركوا) أى كثيراً تركوا بمصر (من جنات وعيون) (وزروع ومقام
٢٧ كريم) محافل مزينة ومنازل محسنة (ونعمة) أى تنعم (كانوا فيها فاكهين) متنعمين وقرىء فكهين
٢٨ (كذلك) الكاف فى حيز النصب وذلك إشارة إلى مصدر يدل عليه تركوا أى مثل ذلك السلب سلبناهم

فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ ٤٤ الدخان

وَلَقَدْ نَجَّيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ مِنَ ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ ٤٤ الدخان

مِن فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ كَانَ عَالِيًا مِّنَ ٱلْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ ٤٤ الدخان

وَلَقَدِ ٱخْتَرْنَٰهُمْ عَلَىٰ عِلْمٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٢﴾ ٤٤ الدخان

وَءَاتَيْنَٰهُم مِّنَ ٱلْءَايَٰتِ مَا فِيهِ بَلَٰٓؤٌا۟ مُّبِينٌ ﴿٣٣﴾ ٤٤ الدخان

إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ ٤٤ الدخان

إِنْ هِىَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ ٤٤ الدخان

إياها (وأورثناها قوماً آخرين) وقيل مثل ذلك الإخراج أخرجناهم منها وقيل فى حيز الرفع على * الخبرية أى الأمر كذلك فحينئذ يكون أورثناها معطوفا على تركوا وعلى الأولين على الفعل المقدر
٢٩ (فما بكت عليهم السماء والأرض) مجاز عن عدم الاكتراث بهلاكهم والاعتداد بوجودهم فيه تهكم بهم وبحالهم المنافية لحال من يعظم فقده فيقال له بكت السماء والأرض ومنه ماروى أن المؤمن ليبكى عليه مصلاه ومحل عبادته ومصاعد عمله ومهابط رزقه وآثاره فى الأرض وقيل تقديره أهل السماء
* والأرض (وما كانوا) لما جاء وقت هلاكهم (منظرين) ممهلين إلى وقت آخر أو إلى الآخرة بل
٣٠ عجل لهم فى الدنيا (ولقد نجينا بنى إسرائيل) بأن فعلنا بفرعون وقومه مافعلنا (من العذاب المهين)
٣١ من استعباد فرعون إياهم وقتل أبنائهم واستحياء نسائهم على الخسف والضيم (من فرعون) بدل من العذاب إما على جعله نفس العذاب لإفراطه فيه وإما على حذف المضاف أى عذاب فرعون أو حال من المهين أى كائناً من فرعون وقرىء من فرعون على معنى هل تعرفونه من هو فى عتوه وتفرعنه
* وفى إبهام أمره أولا وتبيينه بقوله تعالى (إنه كان عالياً من المسرفين) ثانياً من الإفصاح عن كنه أمره فى الشر والفساد مالا مزيد عليه وقوله تعالى من المسرفين إما خبر ثان لكان أى كان متكبراً مسرفا
٣٢ أو حال من الضمير فى عالياً أى كان رفيع الطبقة من بين المسرفين فائقاً لهم بليغاً فى الإسراف (ولقد
* اخترناهم) أى بنى إسرائيل (على علم) أى عالمين بأنهم أحقاء بالاختيار أو عالمين بأنهم يزيغون فى
٣٣ الأوقات ويكثر منهم الفرطات (على العالمين) جميعاً لكثرة الأنبياء فيهم أو على عالمى زمانهم (وآتيناهم من الآيات) كفلق البحر وتظليل الغمام وإنزال المن والسلوى وغيرها من عظائم الآيات التى لم يعهد
٣٤ مثلها فى غيرهم (مافيه بلاء مبين) نعمة جلية أو اختبار ظاهر لننظر كيف يعملون (إن هؤلاء) يعنى كفار قريش لأن الكلام فيهم وقصة فرعون وقومه مسوقة للدلالة على تماثلهم فى الإصرار على الضلالة
٣٥ والتحذير عن حلول مثل ما حل بهم (ليقولون) (إن هى إلا موتتنا الأولى) أى ما العاقبة ونهاية الأمر إلا الموتة الأولى المزيلة للحياة الدنيوية ولا قصد إلى إثبات موتة أخرى كما فى قولك حج زيد

فَأْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿٣٦﴾ ٤٤ الدخان

أَهُمْ خَيْرٌ أَمْ قَوْمُ تُبَّعٍ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۚ أَهْلَكْنَـٰهُمْ ۖ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ ٤٤ الدخان

وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَـٰعِبِينَ ﴿٣٨﴾ ٤٤ الدخان

مَا خَلَقْنَـٰهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ٤٤ الدخان

إِنَّ يَوْمَ ٱلْفَصْلِ مِيقَـٰتُهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٤٠﴾ ٤٤ الدخان

الحجة الأولى ومات وقيل لما قيل لهم إنكم تموتون موتة تعقبها حياة كما تقدمتكم موتة كذلك قالوا ماهى إلا موتتنا الأولى أى ما الموتة التى تعقبها حياة إلا الموتة الأولى وقيل المعنى ليست الموتة إلا

٣٦ هذه الموتة دون الموتة التى تعقب حياة القبر كما تزعمون (وما نحن بمنشرين) بمبعوثين (فأتوا بآبائنا) خطاب لمن وعدهم بالنشور من الرسول عليه الصلاة والسلام والمؤمنين (إن كنتم صادقين) فيما تعدونه من قيام الساعة وبعث الموتى ليظهر أنه حق وقيل كانوا يطلبون إليهم أن يدعوا الله تعالى

٣٧ فينشر لهم قصى ابن كلاب ليشاوروه وكان كبيرهم ومفزعهم فى المهمات والملمات (أهم خير) رد لقولهم وتهديد لهم أى أهم خير فى القوة والمنعة اللتين يدفع بهما أسباب الهلاك (أم قوم تبع) هو تبع الحميرى الذى سار بالجيوش وحير الحيرة وبنى سمرقند وقيل هدمها وكان مؤمناً وقومه كافرين ولذلك ذمهم الله تعالى دونه وكان يكتب فى عنوان كتابه بسم الله الذى ملك بحراً وبحراً أى بحاراً كثيرة وعن النبى صلى الله عليه وسلم لاتسبوا تبعاً فإنه كان قد أسلم وعنه عليه الصلاة والسلام ما أدرى أكان تبع نبياً أو غير نبى وعن ابن عباس رضى الله عنهما أنه كان نبياً وقيل لملوك اليمن التبابعة لأنهم يتبعون كما يقال لهم الأقيال لأنهم يتقيلون (والذين من قبلهم) عطف على قوم تبع والمراد بهم عاد وثمود وأضرابهم من كل جبار عنيد أولى بأس شديد والاستفهام لتقرير أن أولئك أقوى من هؤلاء وقوله تعالى (أهلكناهم) استئناف لبيان عاقبة أمرهم وقوله تعالى (إنهم كانوا مجرمين) تعليل لإهلاكهم ليعلم أن أولئك حيث أهلكوا بسبب إجرامهم مع ما كانوا فى غاية القوة والشدة فلأن يهلك هؤلاء وهم شركاء لهم فى الإجرام

٣٨ أضعف منهم فى الشدة والقوة أولى (وما خلقنا السموات والأرض وما بينهما) أى ما بين الجنسين

٣٩ وقرىء وما بينهن (لاعبين) لاهين من غير أن يكون فى خلقهما غرض صحيح وغاية حميدة (ما خلقناهما) وما بينهما (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم الأحوال أو أعم الأسباب أى ما خلقناهما ملتبساً بشىء من الأشياء إلا ملتبساً بالحق أو ما خلقناهما بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق الذى هو الإيمان والطاعة

٤٠ والبعث والجزاء (ولكن أكثرهم لا يعلمون) أن الأمر كذلك فينكرون البعث والجزاء (إن يوم الفصل) أى فصل الحق عن الباطل وتمييز المحق من المبطل أو فصل الرجل عن أقاربه وأحبائه (ميقاتهم) وقت موعدهم (أجمعين) وقرىء ميقاتهم بالنصب على أنه اسم إن ويوم الفصل خبرها أى إن ميعاد حسابهم وجزائهم فى يوم الفصل .

يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلًى عَن مَّوْلًى شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ ٤٤ الدخان

إِلَّا مَن رَّحِمَ اللَّهُ إِنَّهُۥ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ ٤٤ الدخان

إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ ٤٤ الدخان

طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ ٤٤ الدخان

كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ ٤٤ الدخان

كَغَلْيِ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ٤٤ الدخان

خُذُوهُ فَاعْتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ٤٤ الدخان

ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِۦ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ٤٤ الدخان

ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ ٤٤ الدخان

إِنَّ هَٰذَا مَا كُنتُم بِهِۦ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ ٤٤ الدخان

---

٤١ (يوم لايغنى) بدل من يوم الفصل أو صفة لميقاتهم أو ظرف لما دل عليه الفصل لالنفسه (مولى) من قرابة أو غيرها (عن مولى) أى مولى كان (شيئاً) أى شيئاً من الإغناء (ولا هم ينصرون) الضمير ☼
٤٢ لمولى الأول باعتبار المعنى لأنه عام (إلا من رحم الله) بالعفو عنه وقبول الشفاعة فى حقه ومحله الرفع على البدل من الواو أو النصب على الاستثناء (إنه هو العزيز) الذى لاينصر من أراد تعذيبه (الرحيم) ☼
٤٣ لمن أراد أن يرحمه (إن شجرة الزقوم) وقرىء بكسر الشين وقد مر معنى الزقوم فى سورة الصافات
٤٤.٤٥ (طعام أثيم) أى الكثير الآثام والمراد به الكافر لدلالة ما قبله وما بعده عليه (كالمهل) وهو مايمهل فى النار حتى يذوب وقيل هو دردى الزيت (يغلى فى البطون) وقرىء بالتاء على إسناد الفعل ☼
٤٦.٤٧ إلى الشجرة (كغلى الحميم) غلياناً كغليه (خذوه) على إرادة القول والخطاب للزبانية (فاعتلوه) أى جروه والعتل الأخذ بمجامع الشىء وجره بقهر وعنف وقرىء بضم التاء وهى لغة فيه (إلى سواء ☼
٤٨ الجحيم) أى وسطه (ثم صبوا فوق رأسه من عذاب الحميم) كان الأصل يصب من فوق رؤسهم الحميم فقيل يصب من فوق رؤسهم عذاب هو الحميم للمبالغة ثم أضيف العذاب إلى الحميم للتخفيف وزيد من
٤٩ للدلالة على أن المصبوب بعض هذا النوع (ذق إنك أنت العزيز الكريم) أى وقولوا له ذلك استهزاء به وتقريعاً له على ما كان يزعمه روى أن أبا جهل قال لرسول الله صلى الله عليه وسلم ما بين جبليها أعز ولا أكرم منى فو الله ماتستطيع أنت ولا ربك أن تفعلا بى شيئاً وقرىء بالفتح أى لأنك أو عذاب
٥٠ أنك (إن هذا) أى العذاب (ما كنتم به تمترون) تشكون وتمارون فيه والجمع باعتبار المعنى لأن

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ ٤٤ الدخان

فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ ٤٤ الدخان

يَلْبَسُونَ مِن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَقَٰبِلِينَ ﴿٥٣﴾ ٤٤ الدخان

كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ ٤٤ الدخان

يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَٰكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ ٤٤ الدخان

لَا يَذُوقُونَ فِيهَا ٱلْمَوْتَ إِلَّا ٱلْمَوْتَةَ ٱلْأُولَىٰ وَوَقَىٰهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ ٤٤ الدخان

فَضْلًا مِّن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ ٤٤ الدخان

فَإِنَّمَا يَسَّرْنَٰهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ ٤٤ الدخان

فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾ ٤٤ الدخان

---

٥١ المراد جنس الأثيم (إن المتقين) أى عن الكفر والمعاصى (فى مقام) فى موضع قيام والمراد المكان
على الإطلاق فإنه من الخاص الذى شاع استعماله فى معنى العموم وقرىء بضم الميم وهو موضع إقامة
* (أمين) يأمن صاحبه الآفات والانتقال عنه وهو من الأمن الذى هو ضد الخيانة وصف به المكان
٥٢ بطريق الاستعارة كان المكان المخيف يخون صاحبه لما يلقى فيه من المكاره (فى جنات وعيون)
٥٣ بدل من مقام جىء به دلالة على نزاهته واشتماله على طيبات المآكل والمشارب (يلبسون من سندس
واستبرق) إما خبر ثان أو حال من الضمير فى الجار أو استئناف والسندس مارق من الحرير والاستبرق
٥٤ ماغلظ منه معرب (متقابلين) فى المجالس ليستأنس بعضهم ببعض (كذلك) أى الأمر كذلك أو
* كذلك أثبناهم (وزوجناهم بحور عين) على الوصف وقرىء بالإضافة أى قرناهم بهن والحور جمع
الحوراء وهى البيضاء والعين جمع العيناء وهى العظيمة العينين واختلف فى أنهن نساء الدنيا أوغيرها
٥٥ (يدعون فيها بكل فاكهة) أى يطلبون ويأمرون بإحضار مايشتهونه من الفواكه لايتخصص شىء
٥٦ منها بمكان ولازمان (آمنين) من كل مايسوؤهم (لايذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى) بل يستمرون
على الحياة أبداً والاستثناء منقطع أو متصل على أن المراد بيان استحالة ذوق الموت فيها على الإطلاق
* كأنه قيل لايذوقون فيها الموت إلا إذا أمكن ذوق الموتة الأولى حينئذ (ووقاهم عذاب الجحيم) وقرىء
٥٧ مشدداً للمبالغة فى الوقاية (فضلا من ربك) أى أعطوا ذلك كله عطاء وتفضلا منه تعالى وقرىء بالرفع
* أى ذلك فضل (ذلك هو الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه إذ هو خلاص عن جميع المكاره ونيل
٥٨ لكل المطالب وقوله تعالى (فإنما يسرناه بلسانك لعلهم يتذكرون) فذلكة للسورة الكريمة أى إنما
٥٩ أنزلنا الكتاب المبين بلغتك كى يفهمه قومك ويتذكروا ويعملوا بموجبه وإذا لم يفعلوا ذلك (فارتقب)

٤٥ — سورة الجاثية

(مكية وهى سبع وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ ٤٥ الجاثية

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ٤٥ الجاثية

إِنَّ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَءَايَٰتٍ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ ٤٥ الجاثية

وَفِى خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِن دَآبَّةٍ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ ٤٥ الجاثية

فانتظر مايحل بهم (إنهم مرتقبون) مايحل بك . روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الدخان * ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له .

﴿سورة الجاثية مكية وهى سبع وثلاثون آية﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) الكلام فيه كما مر فى فاتحة سورة المؤمن فإن جعل اسماً للسورة ١ فمحله الرفع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى هذا مسمى بحم والإشارة إلى السورة قبل جريان ذكرها قد وقفت على سره مراراً وإن جعل مسروداً على نمط التعديد فلاحظ له من الإعراب وقوله تعالى (تنزيل الكتاب) على الأول خبر بعد خبر على أنه مصدر أطلق على المفعول مبالغة وعلى الثانى خبر ٢ لمبتدأ مضمر يلوح به ماقبله أى المؤلف من جنس ماذكر تنزيل الكتاب وقيل هو خبر لحم أى المسمى به تنزيل الخ وقد مر مراراً أن الذى يجعل عنواناً للموضوع حقه أن يكون قبل ذلك معلوم الانتساب إليه وإذ لاعهد بالتسمية بعد فحقها الإخبار بها وأما جعله خبراً له بتقدير المضاف وإبقاء التنزيل على أصله أى تنزيل حم تنزيل الكتاب فمع عرائه عن إفادة فائدة يعتد بها تمحل وقوله تعالى (من الله العزيز الحكيم) كما مر فى صدر سورة الزمر على التفصيل وقيل حم مقسم به وتنزيل الكتاب * صفته وجواب القسم قوله تعالى (إن فى السموات والأرض لآيات للمؤمنين) وهو على الوجوه المتقدمة ٣ كلام مستأنف مسوق للتنبيه على الآيات التكوينية الآفاقية والأنفسية ومحل الآيات إما نفس السموات والأرض فإنهما منطويتان من فنون الآيات على مايقصر عنه البيان وإما خلقهما كما فى قوله تعالى إن فى خلق السموات والأرض وهو الأوفق بقوله تعالى (وفى خلقكم) أى من نطفة ثم من علقة متقلبة ٤ فى أطوار مختلفة إلى تمام الخلق (وما يبث من دابة) عطف على المضاف دون المضاف إليه أى وفيما * نشره وبفرقه من دابة (آيات) بالرفع على أنه مبتدأ خبره الظرف المقدم والجمل معطوفة على ماقبلها * من الجملة المصدرة بأن وقيل آيات عطف على ما قبلها من آيات باعتبار المحل عند من يجوزه وقرىء

وَٱخْتِلَٰفِ ٱلَّيْلِ وَٱلنَّهَارِ وَمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مِن رِّزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ ٱلرِّيَٰحِ ءَايَٰتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ ٤٥ الجاثية

تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِٱلْحَقِّ فَبِأَيِّ حَدِيثٍ بَعْدَ ٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾ ٤٥ الجاثية

وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ ٤٥ الجاثية

يَسْمَعُ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ تُتْلَىٰ عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ ٤٥ الجاثية

آية بالتوحيد وقرىء آيات بالنصب عطفاً على ماقبلها من اسم إن والخبر كأنه قيل وإن فى خلقكم
٥ وما يبث من دابة آيات (لقوم يوقنون) أى من شأنهم أن يوقنوا بالأشياء على ماهى عليه (واختلاف
الليل والنهار) بالجر على إضمار الجار المذكور فى الآيتين قبله وقد قرىء بذكره والمراد باختلافهما
* إما تعاقبهما أو تفاوتهما طولا وقصراً (وما أنزل الله من السماء) عطف على اختلاف (من رزق)
* أى من مطر وهو سبب للرزق عبر عنه بذلك تنبيهاً على كونه آية من جهتى القدرة والرحمة (فأحيا به
* الأرض) بأن أخرج منها أصناف الزروع والثمرات والنبات (بعد موتها) وعرائها عن آثار الحياة
* وانتفاء قوة التنمية عنها وخلو أشجارها عن الثمار (وتصريف الرياح) من جهة إلى أخرى ومن
حال إلى حال وقرىء بتوحيد الريح وتأخيره عن إنزال المطر مع تقدمه عليه فى الوجود إما للإيذان
بأنه آية مستقلة حيث لوروعى الترتيب الوجودى لربما توهم أن مجموع تصريف الرياح وإنزال المطر
آية واحدة وإما لأن كون التصريف آية ليس لمجرد كونه مبدأ لإنشاء المطر بل له ولسائر المنافع التى
* من جملتها سوق السفن فى البحار (آيات لقوم يعقلون) بالرفع على أنه مبتدأ خبره ما تقدم من الجار
والمجرور والجملة معطوفة على ماقبلها وقرىء بالنصب على الاختصاص وقيل على أنها اسم إن والمجرور
المتقدم خبرها بطريق العطف على معمولى عاملين مختلفين هما إن وفى أقيمت الواو مقامهما فعملت
الجر فى اختلاف والنصب فى آيات وتنكير آيات فى المواقع الثلاثة للتفخيم كما وكيفا واختلاف
٦ الفواصل لاختلاف مراتب الآيات فى الدقة والجلاء (تلك آيات الله) مبتدأ وخبر وقوله تعالى (نتلوها
* عليك) حال عاملها معنى الإشارة وقيل هو الخبر وآيات الله بدل أو عطف بيان (بالحق) حال من
* فاعل نتلو ومن مفعوله أى نتلوها محقين أو ملتبسة بالحق (فبأى حديث) من الأحاديث (بعد الله
وآياته) أى بعد آيات الله وتقديم الاسم الجليل لتعظيمها كما فى قولهم أعجبنى زيد وكرمه أو بعد حديث
الله الذى هو القرآن حسبما نطق به قوله تعالى الله نزل أحسن الحديث وهو المراد بآياته أيضاً ومناط
٧ العطف التغاير العنوانى (يؤمنون) بصيغة الغيبة وقرىء بالتاء (ويل لكل أفاك) كذاب (أثيم)
٨ كثير الآثام (يسمع آيات الله) صفة أخرى لأفاك وقيل استئناف وقيل حال من الضمير فى أثيم (تتلى
عليه) حال من آيات الله ولا مساغ لجعله مفعولا ثانياً ليسمع لأن شرطه أن يكون مابعده مما لا يسمع

وَإِذَا عَلِمَ مِنْ ءَايَٰتِنَا شَيْـًٔا ٱتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَٰٓئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ ٤٥ الجاثية

مِّن وَرَآئِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُم مَّا كَسَبُوا شَيْـًٔا وَلَا مَا ٱتَّخَذُوا مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوْلِيَآءَ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١٠﴾ ٤٥ الجاثية

هَٰذَا هُدًى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزٍ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ ٤٥ الجاثية

كقولك سمعت زيداً يقرأ (ثم يصر) أى يقيم على كفره وأصله من إصرار الحمار على العانة (مستكبراً) عن الإيمان بما سمعه من آيات الله تعالى والإذعان لما تنطق مزدرياً لها معجباً بما عنده من الأباطيل وقيل نزلت فى النضر بن الحرث وكان يشترى من أحاديث الأعاجم ويشغل بها الناس عن استماع القرآن لكنها وردت بعبارة عامة ناعية عليه وعلى كل من يسير سيرته ماهم فيه من الشر والفساد وكلمة ثم لاستبعاد الإصرار والاستكبار بعد سماع الآيات التى حقها أن تذعن لها القلوب وتخضع لها الرقاب كما فى قول من قال [يرى غمرات الموت ثم يزورها] (كأن لم يسمعها) أى كأنه لم يسمعها فخفف وحذف ضمير الشأن والجملة حال من يصر أى يصر شبيهاً بغير السامع (فبشره بعذاب أليم) على إصراره واستكباره (وإذا علم من آياتنا شيئاً) أى إذا بلغه من آياتنا شىء وعلم أنه من آياتنا لا أنه علمه كما هو عليه فإنه بمعزل من ذلك العلم وقيل إذا علم منها شيئاً يمكن أن يتشبث به المعاند ويجد له محملا فاسداً يتوصل به إلى الطعن والغميزة (اتخذها) أى الآيات كلها (هزواً) أى مهزوءاً بها لاما سمعه فقط وقيل الضمير للشىء والتأنيث لأنه فى معنى الآيات (أولئك) إشارة إلى كل أفاك من حيث الاتصاف بما ذكر من القبائح والجمع باعتبار الشمول للكل كما فى قوله تعالى كل حزب بما لديهم فرحون كما أن الإفراد فيما سبق من الضمائر باعتبار كل واحد واحد (لهم) بسبب جناياتهم المذكورة (عذاب مهين) وصف العذاب بالإهانة توفية لحق استكبارهم واستهزائهم بآيات الله سبحانه وتعالى (من ورائهم جهنم) أى من قدامهم لأنهم متوجهون إلى ما أعد لهم أو من خلفهم لأنهم معرضون عن ذلك مقبلون على الدنيا فإن الوراء اسم للجهة التى يواريها الشخص من خلف وقدام (ولا يغنى عنهم) ولا يدفع (ما كسبوا) من الأموال والأولاد (شيئاً) من عذاب الله تعالى أو شيئاً من الإغناء (ولا ما اتخذوا من دون الله أولياء) أى الأصنام وتوسيط حرف النفى بين المعطوفين مع أن عدم إغناء الأصنام أظهر وأجلى من عدم إغناء الأموال والأولاد قطعاً مبنى على زعمهم الفاسد حيث كانوا يطمعون فى شفاعتهم وفيه تهكم (ولهم) فيما وراءهم من جهنم (عذاب عظيم) لا يقادر قدره (هذا) أى القرآن (هدى) فى غاية الكمال من الهداية كأنه نفسها (والذين كفروا) أى بالقرآن وإنما وضع موضع ضميره قوله تعالى (بآيات ربهم) لزيادة تشنيع كفرهم به وتفظيع حالهم (لهم عذاب من رجز) أى من أشد العذاب (أليم) بالرفع صفة عذاب وقرىء بالجر على أنه صفة رجز وتنوين عذاب فى المواقع الثلاثة للتفخيم ورفعه إما على الابتداء وإما على الفاعلية .

ٱللَّهُ ٱلَّذِى سَخَّرَ لَكُمُ ٱلْبَحْرَ لِتَجْرِىَ ٱلْفُلْكُ فِيهِ بِأَمْرِهِۦ وَلِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ٤٥ الجاثية

وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ ٤٥ الجاثية

قُل لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ يَغْفِرُوا۟ لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ ٱللَّهِ لِيَجْزِىَ قَوْمًۢا بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ ٤٥ الجاثية

١٢ (الله الذى سخر لكم البحر) بأن جعله أملس السطح يطفو عليه ما يتخلل كالأخشاب ولا يمنع الغوص والخرق لميعانه (لتجرى الفلك فيه بأمره) وأنتم راكبوها (ولتبتغوا من فضله) بالتجارة والغوص

١٣ والصيد وغيرها (ولعلكم تشكرون) ولكى تشكروا النعم المترتبة على ذلك (وسخر لكم مافى السموات ومافى الأرض) من الموجودات بأن جعلها مدار المنافع كم (جميعاً) إما حال من مافى السموات والأرض أو توكيد له (منه) متعلق بمحذوف هو صفة لجميعاً أو حال من ما أى جميعاً كائناً منه تعالى أو سخر لكم هذه الأشياء كائنة منه مخلوقة له تعالى أو خبر لمحذوف أى هى جميعاً منه تعالى وقرىء منة على المفعول له ومنه على أنه فاعل سخر على الإسناد المجازى أو خبر مبتدأ محذوف أى ذلك منه (إن فى ذلك) أى فيما ذكر من الأمور العظائم (لآيات) عظيمة الشأن كثيرة العدد (لقوم يتفكرون)

١٤ فى بدائع صنع الله تعالى فإنهم يقفون بذلك على جلائل نعمه تعالى ودقائقها ويوفقون لشكرها (قل للذين آمنوا) حذف المقول لدلالة (يغفروا) عليه فإنه جواب للأمر باعتبار تعلقه به لا باعتبار نفسه فقط أى قل لهم اغفروا يغفروا (للذين لا يرجون أيام الله) أى يعفوا ويصفحوا عن الذين لا يتوقعون وقائعه تعالى بأعدائه من قولهم أيام العرب لوقائعها وقيل لا يأملون الأوقات التى وقتها الله تعالى لثواب المؤمنين ووعدهم الفوز فيها قيل نزلت قبل آية القتال ثم نسخت بها وقيل نزلت فى عمر رضى الله عنه حين شتمه غفارى فهم أن يبطش به وقيل حين قال ابن أبى ماقال وذلك أنهم نزلوا فى غزوة بنى المصطلق على بئر يقال لها المريسيع فأرسل ابن أبى غلامه يستقى فأبطأ عليه فلما أتاه قال له ماحبسك قال غلام عمر قعد على طرف البئر فما ترك أحداً يستقى حتى ملأ قرب النبى صلى الله عليه وسلم وقرب أبى بكر فقال ابن أبى مامثلنا ومثل هؤلاء إلا كما قيل سمن كلبك يأكلك فبلغ ذلك عمر رضى الله عنه فاشتمل سيفه يريد التوجه إليه فأنزلها الله تعالى (ليجزى قوماً بما كانوا يكسبون) تعليل للأمر بالمغفرة والمراد بالقوم المؤمنون والتنكير لمدحهم والثناء عليهم أى أمروا بذلك ليجزى يوم القيامة قوماً أيما قوم قوماً مخصوصين بما كسبوا فى الدنيا من الأعمال الحسنة التى من جملتها الصبر على أذية الكفار والإغضاء عنهم بكظم الغيظ واحتمال المكروه مايقصر عنه البيان من الثواب العظيم هذا وقد جوز أن يراد بالقوم الكفرة وبما كانوا يكسبون سيئاتهم التى من جملتها ماحكى من الكلمة الخبيثة والتنكير للتحقير وفيه أن مطلق الجزاء لا يصلح تعليلا للأمر بالمغفرة لتحققه على تقديرى المغفرة وعدمها فلابد من تخصيصه بالكل بأن لا يتحقق بعض منه فى الدنيا أو بما يصدر عنه تعالى بالذات وفى ذلك من التكلف مالا

مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِۦ وَمَنْ أَسَآءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾ ٤٥ الجاثية

وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ٤٥ الجاثية

وَءَاتَيْنَٰهُم بَيِّنَٰتٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَمَا ٱخْتَلَفُوٓا۟ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَهُمُ ٱلْعِلْمُ بَغْيًۢا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِى بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ٤٥ الجاثية

ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ ٤٥ الجاثية

إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا۟ عَنكَ مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَإِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَآءُ بَعْضٍ وَٱللَّهُ وَلِىُّ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ ٤٥ الجاثية

هَٰذَا بَصَٰٓئِرُ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٥ الجاثية

يخفى وأن يراد كلا الفريقين وهو أكثر تكلفاً وأشد تمحلا وقرىء ليجزى قوم وليجزى قوماً أى ليجزى الجزاء قوماً وقرىء لنجزى بنون العظمة (من عمل صالحاً فلنفسه ومن أساء فعليها) لايكاد يسرى عمل إلى غير عامله (ثم إلى ربكم) مالك أموركم (ترجعون) فيجازيكم على أعمالكم خيراً كان أو شراً (ولقد آتينا بنى إسرائيل الكتاب) أى التوراة (والحكم) أى الحكمة النظرية والعملية والفقه فى الدين أو فصل الخصومات بين الناس إذ كان الملك فيهم (والنبوة) حيث كثر فيهم الأنبياء ما لم يكثر فى غيرهم (ورزقناهم من الطيبات) مما أحل الله تعالى من اللذائذ كالمن والسلوى (وفضلناهم على العالمين) حيث آتيناهم مالم يؤت من عداهم من فلق البحر وإظلال الغمام ونظائرهما وقيل على عالمى زمانهم (وآتيناهم بينات من الأمر) دلائل ظاهرة فى أمر الدين ومعجزات قاهرة وقال ابن عباس رضى الله عنهما هو العلم بمبعث النبى صلى الله عليه وسلم وما بين لهم من أمره وأنه يهاجر من تهامة إلى يثرب ويكون أنصاره أهل يثرب (فما اختلفوا) فى ذلك الأمر (إلا من بعد ماجاءهم العلم) بحقيقته وحقيته فجعلوا مايوجب زوال الخلاف موجباً لرسوخه (بغياً بينهم) أى عداوة وحسداً لاشكا فيه (إن ربك يقضى بينهم يوم القيامة) بالمؤاخذة والجزاء (فيما كانوا فيه يختلفون) من أمر الدين (ثم جعلناك على شريعة) أى سنة وطريقة عظيمة الشأن (من الأمر) أى أمر الدين (فاتبعها) بإجراء أحكامها فى نفسك وفى غيرك من غير إخلال بشىء منها (ولا تتبع أهواء الذين لايعلمون) أى آراء الجهلة واعتقاداتهم الزائغة التابعة للشهوات وهم رؤساء قريش كانوا يقولون له عليه الصلاة والسلام ارجع إلى دين آبائك (إنهم لن يغنوا عنك من الله شيئاً) مما أراد بك إن اتبعتهم (وإن الظالمين بعضهم أولياء بعض) لايواليهم ولا يتبع أهواءهم إلا من كان ظالماً مثلهم (والله ولى المتقين) الذين أنت قدوتهم فدم على ما أنت عليه من توليه خاصة والإعراض عما سواه بالكلية (هذا) أى القرآن أو اتباع الشريعة (بصائر للناس)

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ ٱجْتَرَحُوا۟ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ سَوَآءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَآءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ ٤٥ الجاثية

وَخَلَقَ ٱللَّهُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾ ٤٥ الجاثية

فإن مافيه من معالم الدين وشعائر الشرائع بمنزلة البصائر فى القلوب (وهدى) من ورطة الضلالة (ورحمة) عظيمة (لقوم يوقنون) من شأنهم الإيقان بالأمور (أم حسب الذين اجترحوا السيئات) استئناف مسوق لبيان تباين حالى المسيئين والمحسنين إثر بيان تباين حالى الظالمين والمتقين وأم منقطعة وما فيها من معنى بل للانتقال من البيان الأول إلى الثانى والهمزة لإنكار الحسبان لكن لا بطريق إنكار الوقوع ونفيه كما فى قوله تعالى أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات كالمفسدين فى الأرض أم نجعل المتقين كالفجار بل بطريق إنكار الواقع واستقباحه والتوبيخ عليه والاجتراح الاكتساب (أن نجعلهم) أى نصيرهم فى الحكم والاعتبار وهم على ماهم عليه من مساوى الأحوال (كالذين آمنوا وعملوا الصالحات) وهم فيما هم فيه من محاسن الأعمال ونعاملهم معاملتهم فى الكرامة ورفع الدرجة (سواء محياهم ومماتهم) أى محيا الفريقين جميعاً ومماتهم حال من الضمير فى الظرف والموصول معاً لاشتماله على ضميريهما على أن السواء بمعنى المستوى ومحياهم ومماتهم مرتفعان به على الفاعلية والمعنى أم حسبوا أن نجعلهم كائنين مثلهم حال كون الكل مستوياً محياهم ومماتهم كلا لايستوون فى شىء منهما فإن هؤلاء فى عز الإيمان والطاعة وشرفهما فى المحيا وفى رحمة الله تعالى ورضوانه فى الممات وأولئك فى ذل الكفر والمعاصى وهوانهما فى المحيا وفى لعنة الله والعذاب الخالد فى الممات شتان بينهما وقد قيل المراد إنكار أن يستووا فى الممات كما استووا فى الحياة لأن المسيئين والمحسنين مستو محياهم فى الرزق والصحة وإنما يفترقون فى الممات وقرىء محياهم ومماتهم بالنصب على أنهما ظرفان كمقدم الحاج وسواء حال على حاله أى حال كونهم مستوين فى محياهم ومماتهم وقد ذكر فى الآية الكريمة وجوه أخر من الإعراب والذى يليق بجزالة التنزيل هو الأول فتدبر وقرىء سواء بالرفع على أنه خبر ومحياهم مبتدأ فقيل الجملة بدل من الكاف وقيل حال وأياً ما كان فنسبة حسبان التساوى إليهم فى ضمن الإنكار التوبيخى مع أنهم بمعزل منه جازمون بفضلهم على المؤمنين للمبالغة فى الإنكار والتشديد فى التوبيخ فإن إنكار حسبان التساوى والتوبيخ عليه إنكار لحسبان الجزم بالفضل وتوبيخ عليه على أبلغ وجه وآكده (ساء ما يحكمون) أى ساء حكمهم هذا أو بئس شيئاً حكموا به ذلك (وخلق الله السموات والأرض بالحق) استئناف مقرر لما سبق من الحكم فإن خلق الله تعالى لهما ولما فيهما بالحق المقتضى للعدل يستدعى لامحالة تفضيل المحسن على المسىء فى المحيا والممات وانتصار المظلوم من الظالم وإذا لم يطرد ذلك فى المحيا فهو بعد الممات حتما (ولتجزى كل نفس بما كسبت) عطف على بالحق لأن فيه معنى التعليل إذ معناه خلقها مقرونة بالحكمة والصواب دون العبث والباطل فحاصله خلقها لأجل ذلك ولتجزى الخ أو على علة

أَفَرَءَيْتَ مَنِ ٱتَّخَذَ إِلَٰهَهُۥ هَوَىٰهُ وَأَضَلَّهُ ٱللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِۦ وَقَلْبِهِۦ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِۦ غِشَٰوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنۢ بَعْدِ ٱللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ ٤٥ الجاثية

وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ ٤٥ الجاثية

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا بَيِّنَٰتٍ مَّا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّآ أَن قَالُوا۟ ٱئْتُوا۟ بِـَٔابَآئِنَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٢٥﴾ ٤٥ الجاثية

محذوفة مثل ليدل بها على قدرته أو ليعدل ولتجزى (وهم) أى النفوس المدلول عليها بكل نفس (لا يظلمون) بنقص ثواب أو بزيادة عقاب وتسمية ذلك ظلماً مع أنه ليس كذلك على ماعرف قاعدة أهل السنة لبيان غاية تنزه ساحة لطفه تعالى عما ذكر بتنزيله منزلة الظلم الذى يستحيل صدوره عنه تعالى (أفرأيت من اتخذ إلهه هواه) تعجيب من حال من ترك متابعة الهدى إلى مطاوعة الهوى فكأنه عبده أى أنظرت فرأيته فإن ذلك مما يقضى منه العجب وقرىء آلهة هواه لأن أحدهم كان يستحسن حجراً فيعبده فإذا رأى أحسن منه رفضه إليه فكأنه اتخذ آلهة شتى (وأضله الله) وخذله (على علم) أى عالماً بضلاله وتبديله لفطرة الله تعالى التى فطر الناس عليها (وختم على سمعه وقلبه) بحيث لايتأثر بالمواعظ ولا يتفكر فى الآيات والنذر (وجعل على بصره غشاوة) مانعة عن الاستبصار والاعتبار وقرىء بفتح الغين وضمها وقرىء غشوة (فمن يهديه من بعد الله) أى من بعد إضلاله تعالى إياه بموجب تعاميه عن الهدى وتماديه فى الغى (أفلاتذكرون) أى ألا تلاحظون فلاتذكرون وقرىء تتذكرون على الأصل (وقالوا) بيان لأحكام ضلالهم المحكى أى قالوا من غاية غيهم وضلالهم (ماهى) أى ماالحياة (إلا حياتنا الدنيا) التى نحن فيها (نموت ونحيا) أى يصيبنا الموت والحياة فيها وليس وراء ذلك حياة وقيل نكون نطفاً وما قبلها وما بعدها ونحيا بعد ذلك أو نموت بأنفسنا ونحيا ببقاء أولادنا أو يموت بعضنا ويحيا بعضنا وقد جوز أن يريدوا به التناسخ فإنه عقيدة أكثر عبدة الأوثان وقرىء نحيا (وما يهلكنا إلا الدهر) إلا مرور الزمان وهو فى الأصل مدة بقاء العالم من دهره أى غلبه وقرىء إلا دهر يمر وكانوا يزعمون أن المؤثر فى هلاك الأنفس هو مرور الأيام والليالى وينكرون ملك الموت وقبضه للأرواح بأمر الله تعالى ويضيفون الحوادث إلى الدهر والزمان ومنه قوله صلى الله عليه وسلم لا تسبوا الدهر فإن الله هو الدهر أى فإن الله هو الآتى بالحوادث لا الدهر (وما لهم بذلك) أى بما ذكر من اقتصار الحياة على مافى الدنيا واستناد الحياة والموت إلى الدهر (من علم) ما مستند إلى عقلى أو نقلى (إن هم إلا يظنون) ماهم إلا قوم قصارى أمرهم الظن والتقليد من غير أن يكون لهم شىء يصح أن يتمسك به فى الجملة هذا معتقدهم الفاسد فى أنفسهم (وإذا تتلى عليهم آياتنا) الناطقة بالحق الذى من جملته البعث (بينات) واضحات الدلالة على مانطقت به أو مبينات له (ما كان حجتهم) بالنصب

قُلِ ٱللَّهُ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ ٤٥ الجاثية

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ ٱلسَّاعَةُ يَوْمَئِذٍ يَخْسَرُ ٱلْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ ٤٥ الجاثية

وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَاثِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰٓ إِلَىٰ كِتَٰبِهَا ٱلْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ ٤٥ الجاثية

هَٰذَا كِتَٰبُنَا يَنطِقُ عَلَيْكُم بِٱلْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾ ٤٥ الجاثية

على أنه خبر كان أى ما كان متمسكا لهم شيء من الأشياء (إلا أن قالوا ائتوا بآبائنا إن كنتم صادقين) فى أنا نبعث بعد الموت أى هذا القول الباطل الذى يستحيل أن يكون من قبيل الحجة وتسمية حجة إما لسوقهم إياه مساق الحجة على سبيل التهكم بهم أو لأنه من قبيل [تحية بينهم ضرب وجيع] وقرىء ٢٦ برفع حجتهم على أنها اسم كان فالمعنى ما كان حجتهم شيئاً من الأشياء إلا هذا القول الباطل (قل الله يحييكم) ابتداء (ثم يميتكم) عند انقضاء آجالكم لا كما تزعمون من أنكم تحيون وتموتون بحكم الدهر (ثم يجمعكم) بعد الموت (إلى يوم القيامة) للجزاء (لاريب فيه) أى فى جمعكم فإن من قدر على البدء قدر على الإعادة والحكمة اقتضت الجمع للجزاء لامحالة والوعد المصدق بالآيات دل على وقوعها حتما والإتيان بآبائهم حيث كان مزاحماً للحكمة التشريعية امتنع إيقاعه (ولكن أكثر الناس لا يعلمون) استدراك من قوله تعالى لاريب فيه وهو إما من تمام الكلام المأمور به أو كلام مسوق من جهته تعالى تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أن ارتيابهم لجهلهم وقصورهم فى النظر والتفكر لا لأن فيه شائبة ريب ما ٢٧ (ولله ملك السموات والأرض) بيان لاختصاص الملك المطلق والتصرف الكلى فيهما وفيما بينهما بالله عز وجل إثر بيان تصرفه تعالى فى الناس بالإحياء والإماتة والبعث والجمع للمجازاة (ويوم تقوم ٢٨ الساعة يومئذ يخسر المبطلون) العامل فى يوم يخسر ويومئذ بدل منه (وترى كل أمة) من الأمم المجموعة (جاثية) باركة على الركب مستوفزة وقرىء جاذية أى جالسة على أطراف الأصابع والجذو أشد استيفازاً من الجثو وعن ابن عباس رضى الله عنهما جاثية مجتمعة وقيل جماعات من الجثو وهى الجماعة (كل أمة تدعى إلى كتابها) إلى صحيفة أعمالها وقرىء كل بالنصب على أنه بدل من الأول وتدعى ٢٩ صفة أو حال أو مفعول ثان (اليوم تجزون ماكنتم تعملون) أى يقال لهم ذلك وقوله تعالى (هذا كتابنا) الخ من تمام مايقال حينئذ وحيث كان كتاب كل أمة مكتوباً بأمر الله تعالى أضيف إلى نون العظمة تفخيما لشأنه وتهويلا لأمره فهذا مبتدأ وكتابنا خبره وقوله تعالى (ينطق عليكم) أى يشهد عليكم (بالحق) من غير زيادة ولا نقص خبر آخر أو حال وبالحق حال من فاعل ينطق وقوله تعالى (إنا كنا نستنسخ) الخ تعليل لنطقه عليهم بأعمالهم من غير إخلال بشيء منها أى إنا كنا فيما قبل نستكتب الملائكة (ما كنتم تعملون) فى الدنيا من الأعمال حسنة كانت أو سيئة .

فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِى رَحْمَتِهِۦ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْمُبِينُ ﴿٣٠﴾ ٤٥ الجاثية

وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَٰتِى تُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فَٱسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿٣١﴾ ٤٥ الجاثية

وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَٱلسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُم مَّا نَدْرِى مَا ٱلسَّاعَةُ إِن نَّظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُسْتَيْقِنِينَ ﴿٣٢﴾ ٤٥ الجاثية

وَبَدَا لَهُمْ سَيِّـَٔاتُ مَا عَمِلُواْ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٣٣﴾ ٤٥ الجاثية

وَقِيلَ ٱلْيَوْمَ نَنسَىٰكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَآءَ يَوْمِكُمْ هَٰذَا وَمَأْوَىٰكُمُ ٱلنَّارُ وَمَا لَكُم مِّن نَّٰصِرِينَ ﴿٣٤﴾ ٤٥ الجاثية

ذَٰلِكُم بِأَنَّكُمُ ٱتَّخَذْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فَٱلْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ ﴿٣٥﴾ ٤٥ الجاثية

---

٣٠ وقوله تعالى (فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيدخلهم ربهم فى رحمته) أى فى جنته تفصيل لما يفعل بالأمم بعد بيان ماخوطبوا به من الكلام المنطوى على الوعد والوعيد (ذلك) أى الذى ذكر من * الإدخال فى رحمته تعالى (هو الفوز المبين) الظاهر كونه فوزاً لافوز وراءه (وأما الذين كفروا أفلم ٣١ تكن آياتى تتلى عليكم) أى فيقال لهم بطريق التوبيخ والتقريع ألم يكن تأتيكم رسلى فلم تكن آياتى تتلى عليكم فحذف المعطوف عليه ثقة بدلالة القرينة عليه (فاستكبرتم) عن الإيمان بها (وكنتم قوماً * مجرمين) أى قوماً عادتهم الإجرام (وإذا قيل إن وعد الله) أى ماوعده من الأمور الآتية أو وعده ٣٢ بذلك (حق) أى واقع لامحالة أو مطابق للواقع (والساعة) التى هى أشهر ما وعده (لاريب فيها) * أى فى وقوعها وقرىء والساعة بالنصب عطفاً على اسم إن وقراءة الرفع للعطف على محل إن واسمها (قلتم) لغاية عتوكم (ماندرى ما الساعة) أى أى شىء هى استغراباً لها (إن نظن إلا ظناً) أى مانفعل * إلا ظناً وقدمر تحقيقه فى قوله تعالى إن أتبع إلا مايوحى إلى وقيل مانعتقد إلاظناً أى لاعلماً وقيل مانحن إلا نظن ظناً وقيل مانظن إلا ظناً ضعيفاً ويرده قوله تعالى (ومانحن بمستيقنين) أى لامكانه فإن مقابل * الإستيقان مطلق الظن لاالضعيف منه ولعل هؤلاء غير القائلين ماهى إلاحياتنا الدنيا (وبدا لهم) أى ظهر ٣٣ لهم حينئذ (سيئات ماعملوا) على ماهى عليه من الصورة المنكرة الهائلة وعاينوا وخامة عاقبتها أو جزاءها * فإن جزاء السيئة سيئة (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) من الجزاء والعقاب (وقيل اليوم ننساكم) نترككم ٣٤ فى العذاب ترك المنسى (كما نسيتم) فى الدنيا (لقاء يومكم هذا) أى كما تركتم عدته ولم تبالوا به وإضافة * اللقاء إلى اليوم إضافة المصدر إلى ظرفه (ومأواكم النار وما لكم من ناصرين) أى ما لأحد منكم * ناصر واحد يخلصكم منها (ذلكم) العذاب (بأنكم) بسبب أنكم (اتخذتم آيات الله هزواً) مهزوءاً ٣٥

فَلِلَّهِ ٱلْحَمْدُ رَبِّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَرَبِّ ٱلْأَرْضِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٣٦﴾ ٤٥ الجاثية

وَلَهُ ٱلْكِبْرِيَآءُ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٣٧﴾ ٤٥ الجاثية

* بها ولم ترفعوا لها رأساً (وغرتكم الحياة الدنيا) فحسبتم أن لاحياة سواها (فاليوم لايخرجون منها) أى من النار وقرىء يخرجون من الخروج والالتفات إلى الغيبة للإيذان بإسقاطهم عن رتبة الخطاب
* استهانة بهم أو بنقلهم من مقام الخطاب إلى غيابة النار (ولا هم يستعتبون) أى يطلب منهم أن يعتبوا
٣٦ ربهم أى يرضوه لفوات أوانه (فلله الحمد) خاصة (رب السموات ورب الأرض رب العالمين) فلايستحق الحمد أحد سواه وتكرير الرب للتأكيد والإيذان بأن ربوبيته تعالى لكل منها بطريق الأصالة وقرىء
٢٧ برفع الثلاثة على المدح بإضمار هو (وله الكبرياء فى السموات والأرض) لظهور آثارها وأحكامها
* فيهما وإظهارهما فى موقع الإضمار لتفخيم شأن الكبرياء (وهو العزيز) الذى لايغلب (الحكيم) فى كل ماقضى وقدر فاحمدوه وكبروه وأطيعوه . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ حم الجاثية ستر الله تعالى عورته وسكن روعته يوم الحساب .

٤٦ ـ سورة الأحقاف

(مكية وهي خمس وثلاثون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

حمٓ ﴿١﴾ ٤٦ الأحقاف

تَنزِيلُ ٱلْكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَكِيمِ ﴿٢﴾ ٤٦ الأحقاف

مَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى وَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ عَمَّآ أُنذِرُوا۟ مُعْرِضُونَ ﴿٣﴾ ٤٦ الأحقاف

قُلْ أَرَءَيْتُم مَّا تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَرُونِى مَاذَا خَلَقُوا۟ مِنَ ٱلْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱئْتُونِى بِكِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ هَٰذَآ أَوْ أَثَٰرَةٍ مِّنْ عِلْمٍ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٤﴾ ٤٦ الأحقاف

﴿ سورة الأحقاف مكية وآيها خمس وثلاثون ﴾

١ ، ٢ (بسم الله الرحمن الرحيم) (حم) (تنزيل الكتاب من الله العزيز الحكيم) الكلام فيه كالذى مر فى مطلع السورة السابقة ٣ (ماخلقنا السموات والأرض) بمافيهما من حيث الجزئية منهما ومن حيث الاستقرار فيهما (وما بينهما) من المخلوقات (إلا بالحق) استثناء مفرغ من أعم المفاعيل أى إلا خلقاً ملتبساً بالحق الذى تقتضيه الحكمة التكوينية والتشريعية أو من أعم الأحوال من فاعل خلقنا أو مفعوله أى ماخلقناها فى حال من الأحوال إلا حال ملابستنا بالحق أو حال ملابستها به وفيه من الدلالة على وجود الصانع تعالى وصفات كماله وابتناء أفعاله على حكم بالغة وانتهائها إلى غايات جليلة مالا يخفى (وأجل مسمى) عطف على الحق بتقدير مضاف أى وبتقدير أجل مسمى ينتهى إليه أمر الكل وهو يوم القيامة يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وقيل هو آخر مدة البقاء المقدر لكل واحد ويأباه قوله تعالى (والذين كفروا عما أنذروا معرضون) فإن ماأنذروه يوم القيامة ومافيه من الطامة التامة والأهوال العامة لا آخر أعمارهم وقد جوز كون مامصدرية والجملة حالية أى ما خلقنا الخلق إلا بالحق وتقدير الأجل الذى يجاوزون عنده والحال أنهم غير مؤمنين به معرضون عنه وعن الاستعداد له ٤ (قل) توبيخاً لهم وتبكيتاً (أرأيتم) أخبرونى وقرىء أرأيتكم (ماتدعون) ماتعبدون (من دون الله) من الأصنام (أرونى) تأكيد لأرأيتم (ماذا خلقوا من الأرض) بيان للإبهام فى ماذا (أم لهم شرك) أى شركة مع الله تعالى (فى السموات) أى فى خلقها أو ملكها وتدبيرها حتى يتوهم أن يكون لهم شائبة استحقاق للمعبودية فإن مالا مدخل له فى وجود

وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّن يَدْعُوا مِن دُونِ اللَّهِ مَن لَّا يَسْتَجِيبُ لَهُۥٓ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَـٰمَةِ وَهُمْ عَن دُعَآئِهِمْ غَـٰفِلُونَ ﴿٥﴾ ٤٦ الأحقاف

وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَآءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَـٰفِرِينَ ﴿٦﴾ ٤٦ الأحقاف

وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتُنَا بَيِّنَـٰتٍ قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٧﴾ ٤٦ الأحقاف

شيء من الأشياء بوجه من الوجوه فهو بمعزل من ذلك الاستحقاق بالمرة وإن كان من الأحياء العقلاء فما ظنكم بالجماد وقوله تعالى (ائتونى بكتاب) الخ تبكيت لهم بتعجيزهم عن الإتيان بسند نقلى بعد تبكيتهم بالتعجيز عن الإتيان بسند عقلى أى ائتونى بكتاب إلهى كائن (من قبل هذا) الكتاب أى القرآن الناطق بالتوحيد وإبطال الشرك دال على صحة دينكم (أو أثارة من علم) أو بقية من علم بقيت عليكم من علوم الأولين شاهدة باستحقاقهم للعبادة (إن كنتم صادقين) فى دعواكم فإنها لا تكاد تصح مالم يقم عليها برهان عقلى أو سلطان نقلى وحيث لم يقم عليها شيء منهما وقد قامت على خلافها أدلة العقل والنقل تبين بطلانها وقرىء إثارة بكسر الهمزة أى مناظرة فإنها تثير المعانى وأثرة أى شيء أوثرتم به وخصصتم من علم مطوى من غيركم وأثرة بالحركات الثلاث مع سكون الثاء أما المكسورة فبمعنى الأثرة وأما المفتوحة فهى المرة من أثر الحديث أى رواه وأما المضمومة فاسم مايؤثر كالخطبة التى هى اسم مايخطب به (ومن أضل ممن يدعو من دون الله من لايستجيب له) إنكار ونفى لأن يكون أحد يساوى المشركين فى الضلال وإن كان سبك التركيب لنفى الأضل منهم من غير تعرض لنفى المساوى كما مر غير مرة أى هم أضل من كل ضال حيث تركوا عبادة خالقهم السميع القادر المجيب الخبير إلى عبادة مصنوعهم العارى عن السمع والقدرة والاستجابة (إلى يوم القيامة) غاية لنفى الاستجابة (وهم عن دعائهم) الضمير الأول لمفعول يدعو والثانى لفاعله والجمع فيهما باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما سبق باعتبار لفظها (غافلون) لكونهم جمادات وضمائر العقلاء لإجرائهم إياها مجرى العقلاء ووصفها بما ذكر من ترك الاستجابة والغفلة مع ظهور حالها للتهكم بها وبعبدتها كقوله تعالى إن تدعوهم لايسمعوا دعاءكم الآية (وإذا حشر الناس) عند قيام القيامة (كانوا لهم أعداء وكانوا بعبادتهم كافرين) أى مكذبين بلسان الحال أو المقال على ما يروى أنه تعالى يحيى الأصنام فتتبرأ عن عبادتهم وقد يجوز أن يراد بهم كل من يعبد من دون الله من الملائكة والجن والإنس وغيرهم ويبنى إرجاع الضمائر وإسناد العداوة والكفر إليهم على التغليب ويراد بذلك تبرؤهم عنهم وعن عبادتهم وقيل ضمير كانوا للعبدة وذلك قولهم والله ربنا ماكنا مشركين (وإذا تتلى عليهم آياتنا بينات) واضحات أو مبينات (قال الذين كفروا للحق) أى لأجله وفى شأنه وهو عبارة عن الآيات المتلوة وضع موضع ضميرها تنصيصاً على حقيتها ووجوب الإيمان بها كما وضع الموصول موضع ضمير المتلو عليهم تسجيلا عليهم بكمال الكفر والضلالة (لما جاءهم) أى فى أول ماجاءهم من غير تدبر وتأمل (هذا سحر مبين) أى ظاهر كونه

أَمْ يَقُولُونَ ٱفْتَرَىٰهُ قُلْ إِنِ ٱفْتَرَيْتُهُۥ فَلَا تَمْلِكُونَ لِى مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا هُوَ أَعْلَمُ بِمَا تُفِيضُونَ فِيهِ كَفَىٰ بِهِۦ شَهِيدًۢا بَيْنِى وَبَيْنَكُمْ وَهُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٨﴾ ٤٦ الأحقاف

قُلْ مَا كُنتُ بِدْعًا مِّنَ ٱلرُّسُلِ وَمَآ أَدْرِى مَا يُفْعَلُ بِى وَلَا بِكُمْ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ وَمَآ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٩﴾ ٤٦ الأحقاف

٨ (أم يقولون افتراه) إضراب وانتقال من حكاية شناعتهم السابقة إلى حكاية ماهو أشنع منها وما فى أم من الهمزة للإنكار التوبيخى المتضمن للتعجيب أى بل أيقولون افترى القرآن (قل إن افتريته) * على الفرض (فلا تملكون لى من الله شيئاً) إذ لاريب فى أنه تعالى يعاجلنى حينئذ بالعقوبة فكيف أجترىء * على أن افترى عليه تعالى كذباً فأعرض نفسى للعقوبة التى لامناص عنها (هو أعلم بما تفيضون فيه) أى * تندفعون فيه من القدح فى وحى الله والطعن فى آياته وتسميته سحراً تارة وفرية أخرى (كفى به شهيداً * بينى وبينكم) حيث يشهد لى بالصدق والبلاغ وعليكم بالكذب والجحود وهو وعيد بجزاء إفاضتهم وقوله تعالى (وهو الغفور الرحيم) وعد بالغفران والرحمة لمن تاب وآمن وإشعار بحلم الله تعالى عنهم * مع عظم جرائمهم (قل ما كنت بدعا من الرسل) البدع بمعنى البديع كالخل بمعنى الخليل وهو مالا ٩ مثل له وقرىء بفتح الدال على أنه صفة كقيم وزيم أو جمع مقدر بمضاف أى ذا بدع وقد جوز ذلك فى القراءة الأولى أيضاً على أنه مصدر كانوا يقترحون عليه عليه الصلاة والسلام آيات عجيبة ويسألونه عن المغيبات عناداً ومكابرة فأمر عليه السلام بأن يقول لهم ما كنت بديعاً من الرسل قادراً على مالم يقدروا عليه حتى آتيكم بكل ماتقترحونه وأخبركم بكل ماتسلون عنه من الغيوب فإن من قبلى من الرسل عليهم الصلاة والسلام ما كانوا يأتون إلا بما آتاهم الله تعالى من الآيات ولا يخبرونهم إلا بما أوحى إليهم (وما أدرى ما يفعل بى ولا بكم) أى أى شىء يصيبنا فيما يستقبل من الزمان من أفعاله تعالى وماذا * يقدر لنا من القضايا وعن الحسن رضى الله عنه ماأدرى مايصير إليه أمرى وأمركم فى الدنيا وعن ابن عباس رضى الله عنهما مايفعل بى ولا بكم فى الآخرة وقال هى منسوخة بقوله تعالى ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك وما تأخر وقيل يجوز أن يكون المنفى هى الدراية المفصلة والأظهر الأوفق لما ذكر من سبب النزول أن ماعبارة عما ليس علمه من وظائف النبوة من الحوادث والواقعات الدنيوية دون ماسيقع فى الآخرة فإن العلم بذلك من وظائف النبوة وقد ورد به الوحى الناطق بتفاصيل مايفعل بالجانبين هذا وقد روى عن الكلبى أن أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم قالوا له عليه السلام وقد ضجروا من أذية المشركين حتى متى نكون على هذا فقال ماأدرى مايفعل بى ولا بكم أأترك بمكة أم أومر بالخروج إلى أرض ذات نخيل وشجر قد رفعت لى ورأيتها يعنى فى منامه وجوز أن تكون ماموصولة والاستفهامية أقضى لحق مقام التبرؤ عن الدراية وتكرير لا لتذكير النفى المنسحب إليه وتأكيده

قُلْ أَرَءَيْتُمْ إِن كَانَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ وَكَفَرْتُم بِهِۦ وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَلَىٰ مِثْلِهِۦ فَـَٔامَنَ وَٱسْتَكْبَرْتُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٠﴾ ٤٦ الأحقاف

وقرىء مايفعل على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى (إن أتبع إلا مايوحى إلى) أى ماأفعل إلا اتباع مايوحى إلى على معنى قصر أفعاله عليه الصلاة والسلام على اتباع الوحى لاقصر اتباعه على الوحى كما هو المتسارع إلى الأفهام وقد مر تحقيقه فى سورة الأنعام وقرىء يوحى على البناء للفاعل وهو جواب عن اقتراحهم الإخبار عما لم يوح إليه عليه السلام من الغيوب وقيل عن استعجال المسلمين أن يتخلصوا عن أذية المشركين والأول هو الأوفق لقوله تعالى (وما أنا إلا نذير) أنذركم عقاب الله تعالى حسبما يوحى إلى (مبين) بين الإنذار بالمعجزات الباهرة (قل أرأيتم إن كان) أى ما يوحى إلى من القرآن (من عند الله) لاسحراً ولامفترى كما تزعمون وقوله تعالى (وكفرتم به) حال بإضمار قد من الضمير فى الخبر وسطت بين أجزاء الشرط مسارعة إلى التسجيل عليهم بالكفر أوعطف على كان كما فى قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به لكن لاعلى أن نظمه فى سلك الشرط المتردد بين الوقوع وعدمه عندهم باعتبار حاله فى نفسه بل باعتبار حال المعطوف عليه عندهم فإن كفرهم به أمر محقق عندهم أيضاً وإنما ترددهم فى أن ذلك كفر بما من عند الله تعالى أم لا وكذا الحال فى قوله تعالى (وشهد شاهد من بنى إسرائيل) وما بعده من الفعلين فإن الكل أمور محققة عندهم وإنما ترددهم فى أنها شهادة وإيمان بما من عند الله تعالى واستكبار عنه أولا والمعنى أخبرونى إن كان ذلك فى الحقيقة من عند الله وكفرتم به وشهد شاهد عظيم الشأن من بنى إسرائيل الواقفين على شئون الله تعالى وأسرار الوحى بما أوتوا من التوراة (على مثله) أى مثل القرآن من المعانى المنطوية فى التوراة المطابقة لما فى القرآن من التوحيد والوعد والوعيد وغير ذلك فإنها عين مافيه فى الحقيقة كما يعرب عنه قوله تعالى وإنه لفى زبر الأولين وقوله تعالى إن هذا لفى الصحف الأولى والمثلية باعتبار تأديتها بعبارات أخر أو على مثل ماذكر من كونه من عند الله تعالى والمثلية لما ذكر وقيل المثل صلة والفاء فى قوله تعالى (فآمن) للدلالة على أنه سارع إلى الإيمان بالقرآن لما علم أنه من جنس الوحى الناطق بالحق وهو عبد الله بن سلام لما سمع بمقدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة أتاه فنظر إلى وجهه الكريم فعلم أنه ليس بوجه كذاب وتأمله فتحقق أنه النبى المنتظر فقال له إنى سائلك عن ثلاث لايعلمهن إلا نبى ما أول أشراط الساعة وما أول طعام أكله أهل الجنة والولد ينزع إلى أبيه أو إلى أمه فقال عليه الصلاة والسلام أما أول أشراط الساعة فنار تحشرهم من المشرق إلى المغرب وأما طعام أهل الجنة فزيادة كبد حوت وأما الولد فإن سبق ماء الرجل نزعه وإن سبق ماء المرأة نزعته فقال أشهد أنك رسول الله حقاً فقام ثم قال يارسول الله إن اليهود قوم بهت فإن علموا بإسلامى قبل أن تسألهم عنى بهتونى عندك فجاءت اليهود فقال لهم النبى عليه الصلاة والسلام أى رجل عبد الله فيكم فقالوا خيرنا

وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَآ إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُواْ بِهِۦ فَسَيَقُولُونَ هَٰذَآ إِفْكٌ قَدِيمٌ ﴿١١﴾

٤٦ الأحقاف

وَمِن قَبْلِهِۦ كِتَٰبُ مُوسَىٰٓ إِمَامًا وَرَحْمَةً وَهَٰذَا كِتَٰبٌ مُّصَدِّقٌ لِّسَانًا عَرَبِيًّا لِّيُنذِرَ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ وَبُشْرَىٰ لِلْمُحْسِنِينَ ﴿١٢﴾

٤٦ الأحقاف

وابن خيرنا وسيدنا وابن سيدنا وأعلمنا وابن أعلمنا قال أرأيتم إن أسلم عبد الله قالوا أعاذه الله من ذلك فخرج إليهم عبد الله فقال أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله فقالوا شرنا وابن شرنا وانتقصوه قال هذا ما كنت أخاف يارسول الله وأحذر قال سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ماسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لأحد يمشي على الأرض إنه من أهل الجنة إلا لعبد الله ابن سلام وفيه نزل وشهد شاهد الآية وقيل الشاهد موسى عليه السلام وشهادته بما في التوراة من بعثة النبي عليهما الصلاة والسلام وبه قال الشعبي وقال مسروق والله مانزلت في عبد الله بن سلام فإن آل حم نزلت بمكة وإنما أسلم عبد الله بالمدينة وأجاب الكلبي بأن الآية مدنية وإن كانت السورة مكية

* (واستكبرتم) عطف على شهد شاهد وجواب الشرط محذوف والمعنى أخبروني إن كان من عند الله تعالى وشهد على ذلك أعلم بني إسرائيل فآمن به من غير تلعثم واستكبرتم عن الإيمان به بعد هذه المرتبة من أضل منكم بقرينة قوله تعالى قل أرأيتم إن كان من عند الله ثم كفرتم به من أضل ممن هو في شقاق بعيد وقوله تعالى

* (إن الله لايهدي القوم الظالمين) فإن عدم الهداية مما ينبيء عن الضلال قطعاً ووصفهم بالظلم للإشعار بعلة الحكم فإن تركه تعالى لهدايتهم لظلمهم

١١ (وقال الذين كفروا) حكاية لبعض آخر من أقاويلهم الباطلة في حق القرآن العظيم والمؤمنين به أي قال كفار مكة

* (للذين آمنوا) أي لأجلهم

* (لو كان) أي ماجاء به عليه الصلاة والسلام من القرآن والدين (خيراً ماسبقونا إليه) فإن معالي الأمور لاينالها أيدي الأراذل وهم سقاط عامتهم فقراء وموال ورعاة قالوه زعما منهم أن الرياسة الدينية مما ينال بأسباب دنيوية كما قالوا لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم وزل عنهم أنها منوطة بكمالات نفسانية وملكات روحانية مبناها الإعراض عن زخارف الدنيا الدنية والإقبال على الآخرة بالكلية وأن من فاز بها فقد حازها بحذافيرها ومن حرمها فاله منها من خلاق وقيل قاله بنو عامر وغطفان وأسد وأشجع لما أسلم جهينة ومزينة وأسلم وغفار وقيل قالته اليهود حين أسلم عبد الله بن سلام وأصحابه ويأباه أن السورة مكية ولابد حينئذ من الالتجاء إلى ادعاء أن الآية نزلت بالمدينة

* (وإذا لم يهتدوا به) ظرف لمحذوف يدل عليه ماقبله ويترتب عليه مابعده أي وإذ لم يهتدوا بالقرآن قالوا ماقالوا

* (فسيقولون) غير مكتفين بنفي خيريته (هذا إفك قديم) كما قالوا أساطير الأولين وقيل المحذوف ظهر عنادهم وليس بذاك

١٢ (ومن قبله) أي من قبل القرآن وهو خبر لقوله تعالى (كتاب موسى) قيل والجملة حالية أو مستأنفة وأياً

إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿١٣﴾ ٤٦ الأحقاف

أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴿١٤﴾ ٤٦ الأحقاف

وَوَصَّيْنَا الْإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي إِنِّي تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّي مِنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾ ٤٦ الأحقاف

ماكان فهو لرد قولهم هذا إفك قديم وإبطاله فإن كونه مصدقا لكتاب موسى مقرر لحقيته قطعاً * (إماماً ورحمة) حالان من كتاب موسى أى إماماً يقتدى به فى دين الله تعالى وشرائعه كما يقتدى * بالإمام ورحمة من الله تعالى لمن آمن به وعمل بموجبه (وهذا) الذى يقولون فى حقه مايقولون (كتاب) * عظيم الشأن (مصدق) أى لكتاب موسى الذى هو إمام ورحمة أو لما من بين يديه من جميع الكتب * الإلهية وقد قرىء كذلك (لساناً عربياً) حال من ضمير الكتاب فى مصدق أو من نفسه لتخصصه * بالصفة وعاملها معنى الإشارة وعلى الأول مصدق وقيل مفعول لمصدق أى يصدق ذا لسان عربى (لينذر الذين ظلموا) متعلق بمصدق وفيه ضمير الكتاب أو الله أو الرسول عليه الصلاة والسلام ويؤيد الأخير * القراءة بتاء الخطاب (وبشرى للمحسنين) فى حيز النصب عطفاً على محل لينذر وقيل فى محل الرفع ١٣ على أنه خبر مبتدأ مضمر أى وبشرى وقيل على أنه عطف على مصدق (إن الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا) أى جمعوا بين التوحيد الذى هو خلاصة العلم والاستقامة فى أمور الدين التى هى منتهى * العمل وثم للدلالة على تراخى رتبة العمل وتوقف الاعتداد به على التوحيد (فلا خوف عليهم) من * لحوق مكروه (ولا هم يحزنون) من فوات محبوب والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط والمراد بيان ١٤ دوام نفى الحزن لا بيان نفى دوام الحزن كما يوهمه كون الخبر مضارعا وقد مر بيانه مراراً (أولئك) * الموصوفون بما ذكر من الوصفين الجليلين (أصحاب الجنة خالدين فيها) حال من المستكن فى أصحاب * وقوله تعالى (جزاء) منصوب إما بعامل مقدر أى يجزون جزاء أو بمعنى ما تقدم فإن قوله تعالى أولئك ١٥ أصحاب الجنة فى معنى جازيناهم (بما كانوا يعملون) من الحسنات العلمية والعملية (ووصينا الإنسان) * بأن يحسن (بوالديه إحساناً) وقرىء حسناً أى بأن يفعل بهما حسناً أى فعلا ذا حسن أو كأنه فى ذاته نفس الحسن لفرط حسنه وقرىء بضم السين أيضاً وبفتحهما أى بأن يفعل بهما فعلا حسناً * أو وصيناه إيصاء حسناً (حملته أمه كرهاً ووضعته كرهاً) أى ذات كره أو حملا ذا كره وهو المشقة * وقرىء بالفتح وهما لغتان كالفقر والفقر وقيل المضموم اسم والمفتوح مصدر (وحمله وفصاله) أى مدة حمله وفصاله وهو الفطام وقرىء وفصله والفصل والفصال كالفطم والفطام بناء ومعنى والمراد

أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُواْ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُواْ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾ ٤٦ الأحقاف

وَٱلَّذِى قَالَ لِوَٰلِدَيْهِ أُفٍّ لَّكُمَآ أَتَعِدَانِنِىٓ أَنْ أُخْرَجَ وَقَدْ خَلَتِ ٱلْقُرُونُ مِن قَبْلِى وَهُمَا يَسْتَغِيثَانِ ٱللَّهَ وَيْلَكَ ءَامِنْ إِنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ فَيَقُولُ مَا هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٧﴾ ٤٦ الأحقاف

به الرضاع التام المنتهى به كما أراد بالأمد المدة من قال [كل حى مستكمل مدة العمر ومود إذا انتهى أمده] (ثلاثون شهراً) تمضى عليها بمعاناة المشاق ومقاساة الشدائد لأجله وهذا دليل على أن أقل مدة الحمل ستة أشهر لما أنه إذا حط عنه للفصال حولان لقوله تعالى حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة يبقى للحمل ذلك قيل ولعل تعيين أقل مدة الحمل وأكثر مدة الرضاع لانضباطهما وتحقق ارتباط النسب والرضاع بهما (حتى إذا بلغ أشده) أى اكتهل واستحكم قوته وعقله (وبلغ أربعين سنة) قيل لم يبعث نبى قبل أربعين وقرىء حتى إذا استوى وبلغ أشده (قال رب أوزعنى) أى ألهمنى وأصله أولعنى من أوزعته بكذا (أن أشكر نعمتك التى أنعمت على وعلى والدى) أى نعمة الدين أو ما يعمها وغيرها (وأن أعمل صالحاً ترضاه) التنكير للتفخيم والتكثير (وأصلح لى فى ذريتى) أى واجعل الصلاح سارياً فى ذريتى راسخاً فيهم كما فى قوله [يجرح فى عراقيبها نصلى] قال ابن عباس أجاب الله تعالى دعاء أبى بكر رضى الله عنهم فأعتق تسعة من المؤمنين منهم بلال وعامر بن فهيرة ولم يرد شيئاً من الخير إلا أعانه الله تعالى عليه ودعا أيضاً فقال وأصلح لى فى ذريتى فأجابه الله عز وجل فلم يكن له ولد إلا آمنوا جميعاً فاجتمع له إسلام أبويه وأولاده جميعاً فأدرك أبوه أبو قحافة رسول الله صلى الله عليه وسلم وابنه عبد الرحمن بن أبى بكر وابن عبد الرحمن أبو عتيق كلهم أدركوا النبى عليه الصلاة والسلام ولم يكن ذلك لأحد من الصحابة رضوان الله تعالى عليهم أجمعين (إنى تبت إليك) عما لا ترضاه أو عما يشغلنى عن ذكرك (وإنى من المسلمين) الذين أخلصوا لك أنفسهم (أولئك) إشارة إلى الإنسان والجمع لأن المراد به الجنس المتصف بالوصف المحكى عنه وما فيه من معنى البعد للإشعار بعلو رتبته وبعد منزلته أى أولئك المنعوتون بما ذكر من النعوت الجليلة (الذين نتقبل عنهم أحسن ما عملوا) من الطاعات فإن المباح حسن ولا يثاب عليه (ونتجاوز عن سيئاتهم) وقرىء الفعلان بالياء على إسنادهما إلى الله تعالى وعلى بنائهما للمفعول ورفع أحسن على أنه قائم مقام الفاعل وكذا الجار والمجرور (فى أصحاب الجنة) أى كائنين فى عدادهم منتظمين فى سلكهم (وعد الصدق) مصدر مؤكد لما أن قوله تعالى نتقبل ونتجاوز وعد من الله تعالى لهم بالتقبل والتجاوز (الذى كانوا يوعدون) على ألسنة الرسل (والذى قال لوالديه) عند دعوتهما له إلى الإيمان (أف لكما) هو صوت يصدر عن المرء عند تضجره واللام لبيان المؤفف له كما فى هيت لك وقرىء أف بالفتح والكسر بغير تنوين وبالحركات الثلاث مع التنوين والموصول عبارة عن الجنس القائل ذلك القول ولذلك أخبر عنه بالمجموع كما سبق قيل هو

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ فِي أُمَمٍ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْجِنِّ وَالْإِنسِ إِنَّهُمْ كَانُوا خَاسِرِينَ ﴿١٨﴾ ٤٦ الأحقاف

وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿١٩﴾ ٤٦ الأحقاف

وَيَوْمَ يُعْرَضُ الَّذِينَ كَفَرُوا عَلَى النَّارِ أَذْهَبْتُمْ طَيِّبَاتِكُمْ فِي حَيَاتِكُمُ الدُّنْيَا وَاسْتَمْتَعْتُم بِهَا فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَسْتَكْبِرُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَبِمَا كُنتُمْ تَفْسُقُونَ ﴿٢٠﴾ ٤٦ الأحقاف

فى الكافر العاق لوالديه المكذب بالبعث وعن قتادة هو نعت عبد سوء عاق لوالديه فاجر لربه وماروى من أنها نزلت فى عبد الرحمن بن أبى بكر رضى الله عنهما قبل إسلامه يرده ماسيأتى من قوله تعالى أولئك الذين حق عليهم القول الآية فإنه كان من أفاضل المسلمين وسرواتهم وقد كذبت الصديقة رضى الله عنها من قال ذلك (أتعداننى أن أخرج) أبعث من القبر بعد الموت وقرىء أخرج من الخروج (وقد خلت القرون من قبلى) ولم يبعث منهم أحد (وهما يستغيثان الله) يسألانه أن يغيثه ويوفقه للإيمان (ويلك) أى قائلين له ويلك وهو فى الأصل دعاء عليه بالثبور أريد به الحث والتحريض على الإيمان لاحقيقة الهلاك (آمن إن وعد الله حق) أى البعث أضافا إليه تعالى تحقيقاً للحق وتنبيهاً على خطئه فى إسناد الوعد إليهما وقرىء أن وعد الله أى آمن بأن وعد الله حق (فيقول) مكذباً لهما (ماهذا) الذى تسميانه وعد الله (إلا أساطير الأولين) أباطيلهم التى سطروها فى الكتب من غير أن يكون لها حقيقة (أولئك) القائلون هذه المقالات (الذين حق عليهم القول) وهو قوله تعالى لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين كما ينبىء عنه قوله تعالى (فى أمم قد خلت من قبلهم من الجن والإنس) وقد مر تفسيره فى سورة الم السجدة (إنهم) جميعاً (كانوا خاسرين) قد ضيعوا فطرتهم الأصلية الجارية مجرى رؤس أموالهم باتباعهم الشيطان والجملة تعليل للحكم بطريق الاستئناف التحقيق (ولكل) من الفريقين المذكورين (درجات مما عملوا) مراتب من أجزية ماعملوا من الخير والشر والدرجات غالبة فى مراتب المثوبة وإيرادها بطريق التغليب (وليوفيهم أعمالهم) أى أجزية أعمالهم وقرىء بنون العظمة (وهم لايظلمون) بنقص ثواب الأولين وزيادة عقاب الآخرين والجملة إما حال مؤكدة للتوفية أو استئناف مقرر لها واللام متعلقة بمحذوف مؤخر كأنه قيل وليوفيهم أعمالهم ولا يظلمهم حقوقهم فعل مافعل من تقدير الأجزية على مقادير أعمالهم فجعل الثواب والعقاب دركات (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) أى يعذبون بها من قولهم عرض الأسارى على السيف أى قتلوا وقيل يعرض النار عليهم بطريق القلب مبالغة (أذهبتم طيباتكم) أى يقال لهم ذلك وهو الناصب للظرف وقرىء أأذهبتم بهمزتين وبألف بينهما على الاستفهام التوبيخى أى أصبتم أو أخذتم ماكتب لكم من حظوظ الدنيا ولذائذها (فى حياتكم الدنيا واستمتعتم بها) فلم يبق لكم بعد ذلك شىء منها (فاليوم تجزون عذاب

وَٱذْكُرْ أَخَا عَادٍ إِذْ أَنذَرَ قَوْمَهُۥ بِٱلْأَحْقَافِ وَقَدْ خَلَتِ ٱلنُّذُرُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِۦٓ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّا ٱللَّهَ إِنِّىٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ ﴿٢١﴾ ٤٦ الأحقاف

قَالُوٓا۟ أَجِئْتَنَا لِتَأْفِكَنَا عَنْ ءَالِهَتِنَا فَأْتِنَا بِمَا تَعِدُنَآ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ﴿٢٢﴾ ٤٦ الأحقاف

قَالَ إِنَّمَا ٱلْعِلْمُ عِندَ ٱللَّهِ وَأُبَلِّغُكُم مَّآ أُرْسِلْتُ بِهِۦ وَلَٰكِنِّىٓ أَرَىٰكُمْ قَوْمًا تَجْهَلُونَ ﴿٢٣﴾ ٤٦ الأحقاف

فَلَمَّا رَأَوْهُ عَارِضًا مُّسْتَقْبِلَ أَوْدِيَتِهِمْ قَالُوا۟ هَٰذَا عَارِضٌ مُّمْطِرُنَا ۚ بَلْ هُوَ مَا ٱسْتَعْجَلْتُم بِهِۦ ۖ رِيحٌ فِيهَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٤﴾ ٤٦ الأحقاف

الهون) أى الهوان وقد قرىء كذلك (بما كنتم) فى الدنيا (تستكبرون فى الأرض بغير الحق) *
بغير استحقاق لذلك (وبما كنتم تفسقون) أى تخرجون عن طاعة الله عز وجل أى بسبب استكباركم *
وفسقكم المستمرين وقرىء تفسقون بكسر السين (واذكر) أى لكفار مكة (أخا عاد) أى هوداً عليه ٢١
السلام (إذ أنذر قومه) بدل اشتمال منه أى وقت إنذاره إياهم (بالأحقاف) جمع حقف وهو رمل *
مستطيل مرتفع فيه إنحناء من احقوقف الشىء إذا اعوج وكانت عاد أصحاب عمد يسكنون بين رمال
مشرفة على البحر بأرض يقال لها الشحر من بلاد اليمن وقيل بين عمان ومهرة (وقد خلت النذر) أى *
الرسل جمع نذير بمعنى المنذر (من بين يديه) أى من قبله (ومن خلفه) أى من بعده والجملة اعتراض *
مقرر لما قبله مؤكد لوجوب العمل بموجب الإنذار وسط بين أنذر قومه وبين قوله (أن لا تعبدوا *
إلا الله) مسارعة إلى ماذكر من التقرير والتأكيد وإيذاناً باشتراكهم فى العبارة المحكية والمعنى واذكر
لقومك إنذار هود قومه عاقبة الشرك والعذاب العظيم وقد أنذر من تقدمه من الرسل ومن تأخر عنه
قومهم مثل ذلك فاذكرهم وأما جعلها حالا من فاعل أنذر على معنى أنه عليه الصلاة والسلام أنذرهم وقال
لهم لا تعبدوا إلا الله (إنى أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) وقد أعلمهم أن الرسل الذين بعثوا قبله والذين *
سيبعثون بعده كلهم منذرون نحو إنذاره فع مافيه من تكلف تقدير الأعلام لابد فى نسبة الخلو إلى من
بعده من الرسل من تنزيل الآتى منزلة الخالى (قالوا أجئتنا لتأفكنا) أى تصرفنا (عن آلهتنا) عن ٢٢
عبادتها (فأتنا بما تعدنا) من العذاب العظيم (إن كنت من الصادقين) فى وعدك بنزوله بنا (قال إنما ٢٣
العلم) أى بوقت نزوله أو العلم بجميع الأشياء التى من جملتها ذلك (عند الله) وحده لاعلم لى بوقت *
نزوله ولا مدخل لى فى إتيانه وحلوله وإنما علمه عند الله تعالى فيأتيكم به فى وقته المقدر له (وأبلغكم *
ما أرسلت به) من مواجب الرسالة التى من جملتها بيان نزول العذاب إن لم تنتهوا عن الشرك من غير
وقوف على وقت نزوله وقرىء أبلغكم من الإبلاغ (ولكنى أراكم قوماً تجهلون) حيث تقترحون *
على ما ليس من وظائف الرسل من الإتيان بالعذاب وتعيين وقته والفاء فى قوله تعالى (فلما رأوه) فصيحة ٢٤

تُدَمِّرُ كُلَّ شَيْءٍ بِأَمْرِ رَبِّهَا فَأَصْبَحُوا لَا يُرَىٰ إِلَّا مَسَاكِنُهُمْ كَذَٰلِكَ نَجْزِي الْقَوْمَ الْمُجْرِمِينَ (٢٥) ٤٦ الأحقاف
وَلَقَدْ مَكَّنَّاهُمْ فِيمَا إِن مَّكَّنَّاكُمْ فِيهِ وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَارًا وَأَفْئِدَةً فَمَا أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَا أَبْصَارُهُمْ وَلَا أَفْئِدَتُهُم مِّن شَيْءٍ إِذْ كَانُوا يَجْحَدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ (٢٦) ٤٦ الأحقاف

والضمير إما مبهم يوضحه قوله تعالى (عارضاً) إما تمييزاً أوحالا أو راجع إلى ماستعجلوه بقولهم فأتنا بما تعدنا أى فأتاهم فلما رأوه سحاباً يعرض فى أفق السماء (مستقبل أوديتهم) أى متوجه أوديتهم والإضافة فيه لفظية كما فى قوله تعالى (قالوا هذا عارض ممطرنا) ولذلك وقعا وصفين للنكرة (بل هو) أى قال هود وقد قرىء كذلك وقرىء قل وهو رد عليهم أى ليس الأمر كذلك بل هو (ما استعجلتم به) من العذاب (ريح) بدل من ما أو خبر لمبتدأ محذوف (فيها عذاب أليم) صفة لريح وكذا قوله تعالى (تدمر) ٢٥ أى تهلك (كل شيء) من نفوسهم وأموالهم (بأمر ربها) وقرىء يدمر كل شيء من دمر دماراً إذا هلك فالعائد إلى الموصوف محذوف أو هو الهاء فى ربها ويجوز أن يكون استئنافا وارداً لبيان أن لكل ممكن فناء مقضياً منوطاً بأمر بارئه وتكون الهاء لكل شيء لكونه بمعنى الأشياء وفى ذكر الأمر والرب والإضافة إلى الريح من الدلالة على عظمة شأنه عز وجل مالا يخفى والفاء فى قوله تعالى (فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم) فصيحة أى فجاءتهم الريح فدمرتهم فأصبحوا بحيث لا يرى إلا مساكنهم وقرىء ترى بالتاء ونصب مساكنهم خطاباً لكل أحد يتأتى منه الرؤية تنبيهاً على أن حالهم بحيث لو حضر كل أحد بلادهم لا يرى فيها إلا مساكنهم (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء الفظيع (نجزى القوم المجرمين) وقد مر تفصيل القصة فى سورة الأعراف وقد روى أن الريح كانت تحمل الفسطاط والظاعنة فترفعها فى الجو حتى ترى كأنها جرادة قيل أول من أبصر العذاب امرأة منهم قالت رأيت ريحاً فيها كشهب النار وروى أن أول ماعرفوا به أنه عذاب مارأوا ما كان فى الصحراء من رحالهم ومواشيهم تطير بها الريح بين السماء والأرض فدخلوا بيوتهم وغلقوا أبوابهم فقلعت الريح الأبواب وصرعتهم فأمال الله تعالى الأحقاف فكانوا تحتها سبع ليال وثمانية أيام لهم أنين ثم كشفت الريح عنهم فاحتملتهم فطرحتهم فى البحر وروى أن هوداً عليه السلام لما أحس بالريح خط على نفسه وعلى المؤمنين خطاً إلى جنب عين تنبع وعن ابن عباس رضى الله عنهما اعتزل هود ومن معه فى حظيرة مايصيبهم من الريح إلا مايلين على الجلود وتلذه الأنفس وإنها لتمر من عاد بالظعن بين السماء والأرض وتدمغهم بالحجارة ٢٦ (ولقد مكناهم) أى قررنا عاداً أو أقدرناهم وما فى قوله تعالى (فيما إن مكناكم فيه) موصولة أو موصوفة وإن نافية أى فى الذى أو فى شيء ما مكناكم فيه من السعة والبسطة وطول الأعمار وسائر مبادى التصرفات كما فى قوله تعالى ألم يروا كم أهلكنا من قبلهم من قرن مكناهم فى الأرض ما لم نمكن لكم ومما يحسن

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا مَا حَوْلَكُم مِّنَ ٱلْقُرَىٰ وَصَرَّفْنَا ٱلْآيَـٰتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٧﴾ ٤٦ الأحقاف

فَلَوْلَا نَصَرَهُمُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مِن دُونِ ٱللَّهِ قُرْبَانًا ءَالِهَةًۢ ۖ بَلْ ضَلُّوا۟ عَنْهُمْ ۚ وَذَٰلِكَ إِفْكُهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَفْتَرُونَ ﴿٢٨﴾ ٤٦ الأحقاف

موقع إن ههنا التفصى عن تكرر لفظة ما وهو الداعى إلى قلب ألفها هاء فى مهما وجعلها شرطية أو زائدة مما لايليق بالمقام (وجعلنا لهم سمعاً وأبصاراً وأفئدة) ليستعملوها فيما خلقت له ويعرفوا بكل * منها مانيطت به معرفته من فنون النعم ويستدلوا بها على شؤن منعمها عز وجل ويداوموا على شكره (فما أغنى عنهم سمعهم) حيث لم يستعملوه فى استماع الوحى ومواعظ الرسل (ولا أبصارهم) حيث * لم يجتلوا بها الآيات التكوينية المنصوبة فى صحائف العلم (ولا أفئدتهم) حيث لم يستعملوها فى معرفة * الله تعالى (من شىء) أى شيئاً من الإغناء ومن مزيدة للتأكيد وقوله تعالى (إذ كانوا يجحدون بآيات * الله) متعلق بما أغنى وهو ظرف جرى مجرى التعليل من حيث إن الحكم مرتب على ما أضيف إليه فإن قولك أكرمته إذ أكرمنى فى قوة قولك أكرمته لإكرامه إذا أكرمته وقت إكرامه فإنما أكرمته فيه لوجود إكرامه فيه كذا الحال فى حيث (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) من العذاب الذى كانوا * يستعجلونه بطريق الاستهزاء ويقولون فأتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين (ولقد أهلكنا ما حولكم) ٢٧ يأهل مكة (من القرى) كحجر ثمود وقرى قوم لوط (وصرفنا الآيات) كررناها لهم (لعلهم يرجعون) * لكى يرجعوا عما هم فيه من الكفر والمعاصى (فلولا نصرهم الذين اتخذوا من دون الله قرباناً آلهة) ٢٨ القربان مايتقرب به إلى الله تعالى وأحد مفعولى اتخذوا ضمير الموصول المحذوف والثانى آلهة وقرباناً حال والتقدير فهلا نصرهم وخلصهم من العذاب الذين اتخذوهم آلهة حال كونها متقرباً بها إلى الله تعالى حيث كانوا يقولون مانعبدهم إلا ليقربونا إلى الله زلفى وهؤلاء شفعاؤنا عند الله وفيه تهكم بهم ولا مساغ لجعل قرباناً مفعولا ثانياً آلهة بدلا منه لفساد المعنى فإن البدل وإن كان هو المقصود لكنه لابد فى غير بدل الغلط من صحة المعنى بدونه ولا ريب فى أن قولنا اتخذوهم من دون الله قرباناً أى متقرباً به مالا صحة له قطعاً لأنه تعالى متقرب إليه لامتقرب به فلا يصح أنهم اتخذوهم قرباناً متجاوزين الله فى ذلك وقرىء قرباناً بضم الراء (بل ضلوا عنهم) أى غابوا عنهم وفيه تهكم آخر بهم كأن عدم * نصرهم لغيبتهم أوضاعوا عنهم أى ظهر ضياعهم عنهم بالكلية وقيل امتنع نصرهم امتناع نصر الغائب عن المنصور (وذلك) أى ضياع آلهتهم عنهم وامتناع نصرهم (إفكهم) أى إثر إفكهم الذى هو * اتخاذهم إياها آلهة ونتيجة شركهم وقرىء إفكهم وكلاهما مصدر كالحذر والحذر وقرىء إفكهم على صيغة الماضى فذلك إشارة حينئذ إلى الاتخاذ أى وذلك الاتخاذ الذى هو ثمرته وعاقبته صرفهم عن الحق وقرىء إفكهم بالتشديد للمبالغة وآفكهم من الأفعال أى جعلهم آفكين وقرىء آفكهم على صيغة اسم الفاعل مضافاً إلى ضميرهم أى قولهم الإفك كما يقال قول كاذب (وما كانوا يفترون) عطف على *

وَإِذْ صَرَفْنَآ إِلَيْكَ نَفَرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ يَسْتَمِعُونَ ٱلْقُرْءَانَ فَلَمَّا حَضَرُوهُ قَالُوٓا۟ أَنصِتُوا۟ فَلَمَّا قُضِىَ وَلَّوْا۟ إِلَىٰ قَوْمِهِم مُّنذِرِينَ ﴿٢٩﴾ ٤٦ الأحقاف

قَالُوا۟ يَٰقَوْمَنَآ إِنَّا سَمِعْنَا كِتَٰبًا أُنزِلَ مِنۢ بَعْدِ مُوسَىٰ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ وَإِلَىٰ طَرِيقٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٠﴾ ٤٦ الأحقاف

إفكهم أى وأثر افترائهم على الله أو أثر ما كانوا يفترونه عليه تعالى وقرىء وذلك إفك مما كانوا
٢٩ يفترون أى بعض ما كانوا يفترون من الإفك (وإذ صرفنا إليك نفراً من الجن) أملناهم إليك وأقبلنا
* بهم نحوك وقرىء صرفنا بالتشديد للتكثير لأنهم جماعة وهو السر فى جمع الضمير فى قوله تعالى (يستمعون
القرآن) وما بعده وهو حال مقدرة من نفراً لتخصصه بالصفة أو صفة أخرى له أى واذكر لقومك
* وقت صرفنا إليك نفراً كائناً من الجن مقدراً استماعهم القرآن (فلما حضروه) أى القرآن عند تلاوته
* أو الرسول عند تلاوته له على الالتفات والأول هو الأظهر (قالوا) أى قال بعضهم لبعض (أنصتوا)
* أى اسكتوا لنسمعه (فلما قضى) أتم وفرغ عن تلاوته وقرىء على البناء للفاعل وهو ضمير الرسول
* عليه الصلاة والسلام وهذا يؤيد ضمير حضروه إليه عليه الصلاة والسلام (ولوا إلى قومهم منذرين)
مقدرين إنذارهم عند رجوعهم إليهم . روى أن الجن كانت تسترق السمع فلما حرست السماء ورجموا
بالشهب قالوا ماهذا إلا لنبأ حدث فنهض سبعة نفر أو ستة نفر من أشراف جن نصيبين أو نينوى
منهم زوبعة فضربوا حتى بلغوا تهامة ثم اندفعوا إلى وادى نخلة فوافوا رسول الله صلى الله عليه وسلم
وهو قائم فى جوف الليل يصلى أو فى صلاة الفجر فاستمعوا لقراءته وذلك عند منصرفه من الطائف
وعن سعيد بن جبير ماقرأ رسول الله صلى الله عليه وسلم على الجن ولا رآهم وإنما كان يتلو فى صلاته
فمروا به فوقفوا مستمعين وهو لا يشعر بهم فأنبأه الله تعالى باستماعهم وقيل بل أمره الله تعالى أن ينذر
الجن ويقرأ عليهم فصرف إليه نفراً منهم جمعهم له فقال عليه الصلاة والسلام إنى أمرت أن أقرأ على
الجن الليلة فمن يتبعنى قالها ثلاثاً فأطرقوا إلا عبد الله بن مسعود رضى الله عنه قال فانطلقنا حتى إذا
كنا بأعلى مكة فى شعب الحجون خط لى خطاً فقال لاتخرج منه حتى أعود إليك ثم افتتح القرآن وسمعت
لغطاً شديداً حتى خفت على رسول الله صلى الله عليه وسلم وغشيته أسودة كثيرة حالت بينى وبينه
حتى ما أسمع صوته عليه الصلاة والسلام ثم انقطعوا كقطع السحاب فقال لى رسول الله صلى الله عليه
وسلم هل رأيت شيئاً قلت نعم رجالا سوداً مستشعرى ثياب بيض فقال أولئك جن نصيبين وكانوا
٣٠ إثنى عشر ألفاً والسورة التى قرأها عليهم اقرأ باسم ربك (قالوا) أى عند رجوعهم إلى قومهم (ياقومنا
إنا سمعنا كتاباً أنزل من بعد موسى) قيل قالوه لأنهم كانوا على اليهودية وعن ابن عباس رضى الله عنهما
* أن الجن لم تكن سمعت بأمر عيسى عليه السلام (مصدقاً لما بين يديه) أرادوا به التوراة (يهدى إلى
* الحق) من العقائد الصحيحة (وإلى طريق مستقيم) موصل إليه وهو الشرائع والأعمال الصالحة

يَٰقَوْمَنَآ أَجِيبُوا۟ دَاعِىَ ٱللَّهِ وَءَامِنُوا۟ بِهِۦ يَغْفِرْ لَكُم مِّن ذُنُوبِكُمْ وَيُجِرْكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣١﴾ ٤٦ الأحقاف

وَمَن لَّا يُجِبْ دَاعِىَ ٱللَّهِ فَلَيْسَ بِمُعْجِزٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَيْسَ لَهُۥ مِن دُونِهِۦٓ أَوْلِيَآءُ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٣٢﴾ ٤٦ الأحقاف

أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾ ٤٦ الأحقاف

٣١ (ياقومنا أجيبوا داعى الله وآمنوا به) أرادوا به ماسمعوه من الكتاب وصفوه بالدعوة إلى الله تعالى بعدماوصفوه بالهداية إلى الحق والصراط المستقيم لتلازمهمادعوهم إلى ذلك بعد بيان حقيته واستقامته ترغيباً لهم فى الإجابة ثم أكدوه بقولهم (يغفر لكم من ذنوبكم) أى بعض ذنوبكم وهو ما كان فى * خالص حق الله تعالى فإن حقوق العباد لا تغفر بالإيمان (ويجركم من عذاب أليم) معدللكفرة واختلف * فى أن لهم أجراً غير هذا أولا والأظهر أنهم فى حكم بنى آدم ثواباً وعقاباً وقوله تعالى (ومن لا يجب ٣٢ داعى الله فليس بمعجز فى الأرض) إيجاب للإجابة بطريق الترهيب إثر إيجابها بطريق الترغيب وتحقيق لكونهم منذرين وإظهار داعى الله من غير اكتفاء بأحد الضميرين للمبالغة فى الإيجاب بزيادة التقرير وتربية المهابة وإدخال الروعة وتقييد الإعجاز بكونه فى الأرض لتوسيع الدائرة أى فليس بمعجز له تعالى بالهرب وإن هرب كل مهرب من أقطارها أو دخل فى أعماقها وقوله تعالى (وليس له من دونه * أولياء) بيان لاستحالة نجاته بواسطة الغير إثر بيان استحالة نجاته بنفسه وجمع الأولياء باعتبار معنى من فيكون من باب مقابلة الجمع بالجمع لانقسام الآحاد إلى الآحاد كما أن الجمع فى قوله تعالى (أولئك) * بذلك الاعتبار أى أولئك الموصوفون بعدم إجابة داعى الله (فى ضلال مبين) أى ظاهر كونه ضلالا * بحيث لا يخفى على أحد أعرضوا عن إجابة من هذا شأنه (أولم يروا) الهمزة للإنكار والواو للعطف ٣٣ على مقدر يستدعيه المقام والرؤية قلبية أى ألم يتفكروا ولم يعلموا علماً جازماً متاخماً للمشاهدة والعيان (أن الله الذى خلق السموات والأرض) ابتداء من غير مثال يحتذيه ولا قانون ينتحيه (ولم يعى * بخلقهن) أى لم يتعب ولم ينصب بذلك أصلا أو لم يعجز عنه يقال عييت بالأمر إذا لم يعرف وجهه * وقوله تعالى (بقادر) فى حيز الرفع لأنه خبر إن كما ينبىء عنه القراءة بغير باء ووجه دخولها فى القراءة * الأولى اشتمال النفى الوارد فى صدر الآية على أن وما فى حيزها كأنه قيل أو ليس الله بقادر (على أن * يحيى الموتى) ولذلك أجيب عنه بقوله تعالى (بلى إنه على كل شىء قدير) تقريراً للقدرة على وجه عام * يكون كالبرهان على المقصود.

وَيَوْمَ يُعْرَضُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ عَلَى ٱلنَّارِ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَا قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٤﴾ ٤٦ الأحقاف

فَٱصْبِرْ كَمَا صَبَرَ أُوْلُواْ ٱلْعَزْمِ مِنَ ٱلرُّسُلِ وَلَا تَسْتَعْجِل لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ يَوْمَ يَرَوْنَ مَا يُوعَدُونَ لَمْ يَلْبَثُوٓاْ إِلَّا سَاعَةً مِّن نَّهَارٍ بَلَٰغٌ فَهَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٣٥﴾ ٤٦ الأحقاف

٣٤ (ويوم يعرض الذين كفروا على النار) ظرف عامله قول مضمر مقوله (أليس هذا بالحق) على أن الإشارة إلى مايشاهدونه حينئذ من حيث هو من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلا عن تذكيره وتأنيثه إذ هو اللائق بتهويله وتفخيمه وقد مر فى سورة الأحزاب وقيل هى إلى العذاب وفيه تهكم بهم وتوبيخ لهم على استهزائهم بوعد الله ووعيده وقولهم وما نحن بمعذبين (قالوا بلى وربنا) أكد جوابهم بالقسم كأنهم يطمعون فى الخلاص بالاعتراف بحقيتها كما فى الدنيا وأنى لهم ذلك (قال فذوقوا العذاب بما كنتم تكفرون) بها فى الدنيا ومعنى الأمر الإهانة بهم والتوبيخ لهم والفاء فى قوله تعالى

٣٥ (فاصبر كما صبر أولو العزم من الرسل) جواب شرط محذوف أى إذا كان عاقبة أمر الكفرة ماذكر فاصبر على مايصيبك من جهتهم كما صبر أولو الثبات والحزم من الرسل فإنك من جملتهم بل من عليتهم ومن للتبيين والمراد بأولى العزم أصحاب الشرائع الذين اجتهدوا فى تأسيسها وتقريرها وصبروا على تحمل مشاقها ومعاداة الطاعنين فيها ومشاهيرهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى عليهم الصلاة والسلام وقيل هم الصابرون على بلاء الله كنوح صبر على أذية قومه كانوا يضربونه حتى يغشى عليه وإبراهيم صبر على النار وعلى ذبح ولده والذبيح على الذبح ويعقوب على فقد الولد والبصر ويوسف على الجب والسجن وأيوب على الضر وموسى قال له قومه إنا لمدركون قال كلا إن معى ربى سيهدين وداود بكى على خطيئته أربعين سنة وعيسى لم يضع لبنة على لبنة صلوات الله تعالى عليهم أجمعين (ولا تستعجل لهم) أى لكفار مكة بالعذاب فإنه على شرف النزول بهم (كأنهم يوم يرون مايوعدون) من العذاب (لم يلبثوا) فى الدنيا (إلا ساعة) يسيرة (من نهار) لما يشاهدون من شدة العذاب وطول مدته وقوله تعالى (بلاغ) خبر مبتدأ محذوف أى هذا الذى وعظتم به كفاية فى الموعظة أو تبليغ من الرسول ويؤيده أنه قرىء بلغ وقرىء بلاغا أى بلغوا بلاغا (فهل يهلك إلا القوم الفاسقون) أى الخارجون عن الاتعاظ به أو عن الطاعة وقرىء بفتح الياء وكسر اللام وبفتحهما من هلك وهلك وبنون العظمة من الإهلاك ونصب القوم ووصفه . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الأحقاف كتب له عشر حسنات بعدد كل رملة فى الدنيا .

٤٧ — سورة محمد صلى الله عليه وسلم

(مكية وآياتها ثمان وثلاثون)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿١﴾ ٤٧ محمد

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَءَامَنُواْ بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ ﴿٢﴾ ٤٧ محمد

ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْبَٰطِلَ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّبَعُواْ ٱلْحَقَّ مِن رَّبِّهِمْ كَذَٰلِكَ يَضْرِبُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ أَمْثَٰلَهُمْ ﴿٣﴾ ٤٧ محمد

﴿سورة محمد صلى الله عليه وسلم وتسمى سورة القتال وهى مدنية وقيل مكية وآياتها ثمان وثلاثون﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله) أى أعرضوا عن الإسلام وسلوك طريقه من صد صدوداً أو منعوا الناس عن ذلك من صده صداً كالمطعمين يوم بدر وقيل هم إثنا عشر رجلا من أهل الشرك كانوا يصدون الناس عن الإسلام ويأمرونهم بالكفر وقيل أهل الكتاب الذين كفروا وصدوا من أراد منهم ومن غيرهم أن يدخل فى الإسلام وقيل هو عام فى كل من كفر وصد (أضل أعمالهم) أى أبطلها وأحبطها وجعلها ضائعة لا أثر لها أصلا لكن لا بمعنى أنه أبطلها وأحبطها بعد أن لم تكن كذلك بل بمعنى أنه حكم ببطلانها وضياعها فإن ما كانوا يعملون من أعمال البر كصلة الأرحام وقرى الأضياف وفك الأسارى وغيرها من المكارم ليس لها أثر من أصلها لعدم مقارنتها للإيمان أو أبطل ماعملوا من الكيد لرسول الله صلى الله عليه وسلم والصد عن سبيله بنصر رسوله وإظهار دينه على الدين كله وهو الأوفق لما سيأتى قوله تعالى فتعساً لهم وأضل أعمالهم وقوله

٢ فإذا لقيتم الخ (والذين آمنوا وعملوا الصالحات) قيل هم ناس من قريش وقيل من الأنصار وقيل هم مؤمنوا أهل الكتاب وقيل عام للكل (وآمنوا بما نزل على محمد) خص بالذكر الإيمان بذلك مع اندارجه فيما قبله تنويها بشأنه وتنبيهاً على سمو مكانه من بين سائر مايجب الإيمان به وأنه الأصل فى الكل ولذلك أكد بقوله تعالى (وهو الحق من ربهم) بطريق حصر الحقية فيه وقيل حقيته بكونه ناسخاً غير منسوخ فالحق على هذا مقابل الزائل وعلى الأول مقابل الباطل وأياً ما كان فقوله تعالى من ربهم حال من ضمير الحق وقرىء نزل على البناء للفاعل وأنزل على البناءين و نزل بالتخفيف (كفر عنهم سيئاتهم) أى سترها بالإيمان والعمل الصالح (وأصلح بالهم) أى حال فى الدين والدنيا بالتأييد

٣ والتوفيق (ذلك) إشارة إلى مامر من إضلال الأعمال وتكفير السيئات وإصلاح البال وهو مبتدأ

فَإِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَضَرْبَ ٱلرِّقَابِ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَثْخَنتُمُوهُمْ فَشُدُّوا۟ ٱلْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنًّۢا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَآءً حَتَّىٰ تَضَعَ ٱلْحَرْبُ أَوْزَارَهَا ذَٰلِكَ وَلَوْ يَشَآءُ ٱللَّهُ لَٱنتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَٰكِن لِّيَبْلُوَا۟ بَعْضَكُم بِبَعْضٍ وَٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَن يُضِلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٤﴾ ٤٧ محمد

خبره قوله تعالى (بأن الذين كفروا اتبعوا الباطل وأن الذين آمنوا اتبعوا الحق من ربهم) أى ذلك كائن بسبب أن الأولين اتبعوا الشيطان كما قاله مجاهد ففعلوا مافعلوا من الكفر والصدفبيان سببية اتباعه للإضلال المذكور متضمن لبيان سببيتهماله لكونه أصلا مستتبعاً لهما قطعاً وبسبب أن الآخرين اتبعوا الحق الذى لا محيد عنه كائناً من ربهم ففعلوا مافعلوا من الإيمان به وبكتابه ومن الأعمال الصالحة فبيان سببية اتباعه لما ذكر من التكفير والإصلاح بعد الإشعار بسببية الإيمان والعمل الصالح له متضمن لبيان سببيتهما له لكونه مبدأ ومنشأ لهما حتما فلا تدافع بين الإشعار والتصريح فى شىء من الموضعين ويجوز أن يحمل الباطل ما يقابل الحق وهو الزائل الذاهب الذى لا أصل له أصلا فالتصريح بسببية اتباعه لإضلال أعمالهم وإبطالها لبيان أن إبطالها لبطلان مبناها وزواله وأما حمله على مالا ينتفع به فليس كما ينبغى لما أن الكفر والصد أخش منه فلا وجه للتصريح بسببيته لما ذكر من إضلال أعمالهم بطريق القصر بعد الإشعار بسببيتهما له فتدبر ويجوز أن يراد بالباطل نفس الكفر والصد وبالحق نفس الإيمان والأعمال الصالحة فيكون التنصيص على سببيتهما لما ذكر من الإضلال ومن التكفير والإصلاح تصريحاً بالسببية المشعر بها فى الموقعين (كذلك) أى مثل ذلك الضرب البديع (يضرب الله) أى يبين (للناس أمثالهم) أى أحوال الفريقين وأوصافهما الجارية فى الغرابة مجرى الأمثال وهى اتباع الأولين الباطل وخيبتهم وخسرانهم واتباع الآخرين الحق وفوزهم وفلاحهم والفاء فى قوله تعالى (فإذا لقيتم الذين كفروا) لترتيب مافى حيزها من الأمر على ماقبلها فإن ضلال أعمال الكفرة وخيبتهم وصلاح أحوال المؤمنين وفلاحهم مما يوجب أن يرتب على كل من الجانبين ما يليق من الأحكام أى فإذا كان الأمر كما ذكر فإذا لقيتموهم فى المحاربة (فضرب الرقاب) أصله فاضربوا الرقاب ضرباً فحذف الفعل وقدم المصدر وأنيب منابه مضافا إلى المفعول وفيه اختصار وتأكيد بليغ والتعبير به عن القتل تصوير له بأشنع صورة وتهويل لأمره وإرشاد للغزاة إلى أيسر مايكون منه (حتى إذا أثخنتموهم) أى أكثرتم قتلهم وأغلظتموه من الشىء الثخين وهو الغليظ أو أثقلتموهم بالقتل والجراح حتى أذهبتم عنهم النهوض (فشدوا الوثاق) فأسروهم واحفظوهم والوثاق اسم لما يوثق به وكذا الوثاق بالكسر وقد قرىء بذلك (فإما مناً بعد وإما فداء) أى فإما تمنون مناً بعد ذلك أو تفدون فداء والمعنى التخيير بين القتل والاسترقاق والمن والفداء وهذا ثابت عند الشافعى رحمه الله تعالى وعندنا منسوخ قالوا نزل ذلك يوم بدر ثم نسخ والحكم إما القتل أو الاسترقاق وعن مجاهد ليس اليوم من ولا فداء إنما هو الإسلام أو ضرب العنق وقرىء فدا كعصا (حتى تضع الحرب أوزارها) أوزار الحرب آلاتها وأثقالها التى

سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ ﴿٥﴾ ٤٧ محمد

وَيُدْخِلُهُمُ ٱلْجَنَّةَ عَرَّفَهَا لَهُمْ ﴿٦﴾ ٤٧ محمد

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَنصُرُواْ ٱللَّهَ يَنصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ ﴿٧﴾ ٤٧ محمد

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَتَعْسًا لَّهُمْ وَأَضَلَّ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٨﴾ ٤٧ محمد

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٩﴾ ٤٧ محمد

لاتقوم إلا بها من السلاح والكراع وأسند وضعها إليها وهو لأهلها إسناداً مجازياً وحتى غاية عند الشافعى لأحد الأمور الأربعة أو للمجموع والمعنى أنهم لايزالون على ذلك أبداً إلى أن لا يكون مع المشركين حرب بأن لاتبقى لهم شوكة وقيل بأن ينزل عيسى عليه السلام وأما عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى فإن حمل الحرب على حرب بدر فهى غاية للمن والفداء والمعنى يمن عليهم ويفادون حتى تضع حرب بدر أوزارها وإن حملت على الجنس فهى غاية للضرب والشد والمعنى أنهم يقتلون ويؤسرون حتى يضع جنس الحرب أوزارها بأن لايبقى للمشركين شوكة وقيل أوزارها آثامها أى حتى يترك المشركون شركهم ومعاصيهم بأن أسلموا (ذلك) أى الأمر ذلك أو افعلوا ذلك (ولو يشاء الله لانتصر منهم) لانتقم منهم ببعض أسباب الهلكة والاستئصال (ولكن) لم يشأ ذلك (ليبلو بعضكم ببعض) فأمركم بالقتال وبلاكم بالكافرين لتجاهدوهم فتستوجبوا الثواب العظيم بموجب الوعد والكافرين بكم ليعاجلهم على أيديكم ببعض عذابهم كى يرتدع بعضهم عن الكفر (والذين قتلوا فى سبيل الله) أى استشهدوا وقرىء قاتلوا أى جاهدوا وقتلوا وقتلوا (فلن يضل أعمالهم) أى فلن يضيعها وقرىء يضل أعمالهم على البناء للمفعول ويضل أعمالهم من ضل وعن قتادة أنها نزلت فى يوم أحد (سيهديهم) فى الدنيا إلى أرشد الأمور وفى الآخرة إلى الثواب أو سيثبت هدايتهم (ويصلح بالهم) (ويدخلهم الجنة عرفها لهم) فى الدنيا بذكر أوصافها بحيث اشتاقوا إليها أو بينها لهم بحيث يعلم كل أحد منزله ويهتدى إليه كأنه كان ساكنه منذ خلق وعن مقاتل أن الملك الموكل بعمله فى الدنيا يمشى بين يديه فيعرفه كل شىء أعطاه الله تعالى أو طيبها لهم من العرف وهو طيب الرائحة أوحددها لهم وأفرزها من عرف الدار فجنة كل منهم محددة مفرزة والجملة إما مستأنفة أو حال بإضمار قد أو بدونه (يأيها الذين آمنوا إن تنصروا الله) أى دينه ورسوله (ينصركم) على أعدائكم ويفتح لكم (ويثبت أقدمكم) فى مواطن الحرب ومواقفها أو على محجة الإسلام (والذين كفروا فتعساً لهم) التعس الهلاك والعثار والسقوط والشر والبعد والانحطاط ورجل تاعس وتعس وانتصابه بفعله الواجب حذفه سماعاً أى فقال تعساً لهم أو فقضى تعساً لهم وقوله تعالى (وأضل أعمالهم) عطف عليه داخل معه فى حيز الخبرية للموصول (ذلك) أى ماذكر من التعس وإضلال الأعمال (بأنهم) بسبب أنهم (كرهوا ما أنزل الله) من القرآن

أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ دَمَّرَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلِلْكَافِرِينَ أَمْثَالُهَا (١٠) ٤٧ محمد

ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لَا مَوْلَىٰ لَهُمْ (١١) ٤٧ محمد

إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ (١٢) ٤٧ محمد

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ هِيَ أَشَدُّ قُوَّةً مِّن قَرْيَتِكَ الَّتِي أَخْرَجَتْكَ أَهْلَكْنَاهُمْ فَلَا نَاصِرَ لَهُمْ (١٣) ٤٧ محمد

لما فيه من التوحيد وسائر الأحكام المخالفة لما ألفوه واشتهته أنفسهم الأمارة بالسوء (فأحبط) لأجل ذلك (أعمالهم) التي لو كانوا عملوها مع الإيمان لأثيبوا عليها (أفلم يسيروا في الأرض) أي أقعدوا في أماكنهم فلم يسيروا فيها (فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) من الأمم المكذبة فإن آثار ديارهم تنبيء عن أخبارهم وقوله تعالى (دمر الله عليهم) استئناف مبنى على سؤال نشأ من الكلام كأنه قيل كيف كان عاقبتهم فقيل استأصل الله تعالى عليهم ما اختص بهم من أنفسهم وأهليهم وأموالهم يقال دمره أهلكه ودمر عليه أهلك عليه ما يختص به (وللكافرين) أي ولهؤلاء الكافرين السائرين بسيرتهم (أمثالها) أمثال عواقبهم أو عقوباتهم لكن لا على أن لهؤلاء أمثال ما لأولئك وأضعافه بل مثله وإنما جمع باعتبار مماثلته لعواقب متعددة حسب تعدد الأمم المعذبة وقيل يجوز أن يكون عذابهم أشد من عذاب الأولين وقد قتلوا وأسروا بأيدي من كانوا يستخفونهم ويستضعفونهم والقتل بيد المثل أشد ألما من الهلاك بسبب عام وقيل المراد بالكافرين المتقدمون بطريق وضع الظاهر موضع الضمير كأنه قيل دمر الله عليهم في الدنيا ولهم في الآخرة أمثالها (ذلك) إشارة إلى ثبوت أمثال عقوبة الأمم السالفة لهؤلاء (بأن الله مولى الذين آمنوا) أي ناصرهم على أعدائهم وقريء ولي الذين (وأن الكافرين لا مولى لهم) فيدفع عنهم ما حل بهم من العقوبة والعذاب ولا يخالف هذا قوله تعالى ثم ردوا إلى الله مولاهم الحق فإن المولى هناك بمعنى المالك (إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات جنات تجري من تحتها الأنهار) بيان لحكم ولايته تعالى لهم وثمرتها الأخروية (والذين كفروا يتمتعون) أي ينتفعون في الدنيا بمتاعها (ويأكلون كما تأكل الأنعام) غافلين عن عواقبهم (والنار مثوى لهم) أي منزل ثواء وإقامة والجملة إما حال مقدرة من واو يأكلون أو استئناف (وكأين) كلمة مركبة من الكاف وأي بمعنى كم الخبرية ومحلها الرفع بالابتداء وقوله تعالى (من قرية) تمييز لها وقوله تعالى (هي أشد قوة من قريتك) صفة لقرية كما أن قوله تعالى (التي أخرجتك) صفة لقريتك وقد حذف عنهما المضاف وأجرى أحكامه عليهما كما يفصح عنه الخبر الذي هو قوله تعالى (أهلكناهم) أي وكم من أهل قرية هم أشد

أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ كَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ وَٱتَّبَعُوٓاْ أَهْوَآءَهُم (١٤) ٤٧ محمد

مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ كَمَنْ هُوَ خَٰلِدٌ فِى ٱلنَّارِ وَسُقُواْ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ (١٥) ٤٧ محمد

قوة من أهل قريتك الذين كانوا سبباً لخروجك من بينهم ووصف القرية الأولى بشدة القوة للإيذان بأولوية الثانية منها بالإهلاك لضعف قوتها كما أن وصف الثانية بإخراجه عليه الصلاة والسلام للإيذان بأولويتها به لقوة جنايتها وعلى طريقته قول النابغة [كليب لعمرى كان أكثر ناصراً * وأيسر جرما منك ضرج بالدم] وقوله تعالى (فلا ناصر لهم) بيان لعدم خلاصهم من العذاب بواسطة الأعوان * والأنصار إثر بيان عدم خلاصهم منه بأنفسهم والفاء لترتيب ذكر ما بالغير على ذكر ما بالذات وهو حكاية حال ماضية (أفمن كان على بينة من ربه) تقرير لتباين حالى فريقى المؤمنين والكافرين وكون ١٤ الأولين فى أعلى عليين والآخرين فى أسفل سافلين وبيان لعلة مالكل منهما من الحال والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر يقتضيه المقام وقد قرىء بدونها ومن عبارة عن المؤمنين المتمسكين بأدلة الدين وجعلها عبارة عن النبي عليه الصلاة والسلام أو عنه وعن المؤمنين لا يساعده النظم الكريم على أن الموازنة بينه عليه الصلاة والسلام وبينهم مما يأباه منصبه الجليل والتقدير أليس الأمر كما ذكر فمن كان مستقراً على حجة ظاهرة وبرهان نير من مالك أمره ومربيه وهو القرآن الكريم وسائر المعجزات والحجج العقلية (كمن زين له سوء عمله) من الشرك وسائر المعاصى مع كونه فى نفسه أقبح القبائح (واتبعوا) * بسبب ذلك التزيين (أهواءهم) الزائغة وانهمكوا فى فنون الضلالات من غير أن يكون لهم شبهة توهم * صحة ما هم عليه فضلا عن حجة تدل عليه وجمع الضميرين الأخيرين باعتبار معنى من كما أن إفراد الأولين باعتبار لفظها (مثل الجنة التي وعد المتقون) استئناف مسوق لشرح محاسن الجنة الموعودة آنفاً للمؤمنين ١٥ وبيان كيفية أنهارها التى أشير إلى جريانها من تحتها وعبر عنهم بالمتقين إيذاناً بأن الإيمان والعمل الصالح من باب التقوى الذى هو عبارة عن فعل الواجبات بأسرها وترك السيئات عن آخرها ومثلها وصفها العجيب الشأن وهو مبتدأ محذوف الخبر فقدره النضر بن شميل مثل الجنة ما تسمعون وقوله تعالى (فيها * أنهار) الخ مفسر له وقدره سيبويه فيما يتلى عليكم مثل الجنة والأول هو الأنسب لصدر النظم الكريم وقيل المثل زائدة كزيادة الاسم فى قول من قال [إلى الحول ثم اسم السلام عليكما] والجنة مبتدأ خبره فيها أنهار الخ (من ماء غير آسن) غير متغير الطعم والرائحة وقرىء غير أسن (وأنهار من لبن لم يتغير * طعمه) بأن صار قارصاً ولا خازراً كألبان الدنيا (وأنهار من خمر لذة للشاربين) لذيذة ليس فيها كراهة * طعم وريح ولا غائلة سكر ولا خمار وإنما هى تلذذ محض ولذة إما تأنيث لذ بمعنى لذيذ أو مصدر نعت

وَمِنْهُم مَّن يَسْتَمِعُ إِلَيْكَ حَتَّىٰ إِذَا خَرَجُوا مِنْ عِندِكَ قَالُوا لِلَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ مَاذَا قَالَ آنِفًا أُولَٰئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَاتَّبَعُوا أَهْوَاءَهُمْ ﴿١٦﴾ ٤٧ محمد

وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ ﴿١٧﴾ ٤٧ محمد

فَهَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً فَقَدْ جَاءَ أَشْرَاطُهَا فَأَنَّىٰ لَهُمْ إِذَا جَاءَتْهُمْ ذِكْرَاهُمْ ﴿١٨﴾ ٤٧ محمد

* به مبالغة وقرىء لذة بالرفع على أنها صفة أنهار وبالنصب على العلة أى لأجل لذة للشاربين (وأنهار من عسل مصفى) لايخالطه الشمع وفضلات النحل وغيرها وفى هذا تمثيل لما يجرى مجرى الأشربة فى الجنة بأنواع مايستطاب منها ويستلذ فى الدنيا بالتخلية عما ينغصها وينقصها والتحلية بما يوجب غزارتها
* ودوامها (ولهم فيها) مع ماذكر من فنون الأنهار (من كل الثمرات) أى صنف من كل الثمرات (ومغفرة)
* أى ولهم مغفرة عظيمة لايقادر قدرها وقوله تعالى (من ربهم) متعلق بمحذوف هو صفة لمغفرة مؤكدة
* لما أفاده التنكير من الفخامة الذاتية بالفخامة الإضافية أى كائنة من ربهم وقوله تعالى (كمن هو خالد فى النار) خبر لمبتدأ محذوف تقديره أمن هو خالد فى هذه الجنة حسبما جرى به الوعد كمن هو خالد فى النار كما نطق به قوله تعالى والنار مثوى لهم وقيل هو خبر لمثل الجنة على أن فى الكلام حذفا تقديره أمثل الجنة كمثل جزاء من هو خالد فى النار أو أمثل أهل الجنة كمثل من هو خالد فى النار فعرى عن حرف الإنكار وحذف ماحذف تصويراً لمكابرة من يسوى بين المتمسك بالبينة وبين التابع للهوى
* بمكابرة من سوى بين الجنة الموصوفة بما فصل من الصفات الجليلة وبين النار (وسقوا ماء حميماً) مكان
* تلك الأشربة (فقطع أمعاءهم) من فرط الحرارة قيل إذا دنا منهم شوى وجوههم وانمارت فروة رؤسهم
١٦ فإذا شربوه قطع أمعاءهم (ومنهم من يستمع إليك) هم المنافقون وإفراد الضمير باعتبار لفظ من كما أن جمعه فيما سيأتى باعتبار معناها كانوا يحضرون مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فيسمعون كلامه
* ولا يعونه ولا يراعونه حق رعايته تهاوناً منهم (حتى إذا خرجوا من عندك قالوا للذين أوتوا العلم)
* من الصحابة رضى الله عنهم (ماذا قال آنفاً) أى ما الذى قال الساعة على طريقة الاستهزاء وإن كان بصورة الاستعلام وآنفاً من قولهم أنف الشىء لما تقدم منه مستعار من الجارحة ومنه استأنف الشىء
* وائتنف وهو ظرف بمعنى وقتاً مؤتنفاً أو حال من الضمير فى قال وقرىء أنفاً (أولئك) الموصوفون
* بما ذكر (الذين طبع الله على قلوبهم) لعدم توجههم نحو الخير أصلا (واتبعوا أهواءهم) الباطلة فلذلك
١٧ فعلوا مافعلوا مما لاخير فيه (والذين اهتدوا) إلى طريق الحق (زادهم) أى الله تعالى (هدى) بالتوفيق
١٨ والإلهام (وآتاهم تقواهم) أعانهم على تقواهم أو أعطاهم جزاءها أو بين لهم مايتقون (فهل ينظرون
* إلا الساعة) أى القيامة وقوله تعالى (أن تأتيهم بغتة) أى تباغتهم بغتة وهى المفاجأة بدل اشتمال من

فَاعْلَمْ أَنَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللَّهُ وَاسْتَغْفِرْ لِذَنْبِكَ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مُتَقَلَّبَكُمْ وَمَثْوَاكُمْ (١٩) ٤٧ محمد

وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلَا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنْزِلَتْ سُورَةٌ مُحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ (٢٠) ٤٧ محمد

الساعة والمعنى أنهم لايتذكرون بذكر أهوال الأمم الخالية ولا بالإخبار بإتيان الساعة وما فيها من عظائم الأهوال ومايتنظرون للتذكر إلا إتيان نفس الساعة بغتة وقرىء بغتة بفتح الغين وقوله تعالى (فقد جاء أشراطها) تعليل لمفاجأتها لا لإتيانها مطلقاً على معنى أنه لم يبق من الأمور الموجبة للتذكر * أمر مترقب ينتظرونه سوى إتيان نفس الساعة إذ قد جاء أشراطها فلم يرفعوا لها رأساً ولم يعدوها من مبادى إتيانها فيكون إتيانها بطريق المفاجأة لا محالة والأشراط جمع شرط بالتحريك وهى العلامة والمراد بها مبعثه صلى الله عليه وسلم وانشقاق القمر ونحوهما وقوله تعالى (فأنى لهم إذاجاءتهم ذكراهم) * حكم بخطئهم وفساد رأيهم فى تأخير التذكر إلى إتيانها ببيان استحالة نفع التذكر حينئذ كقوله تعالى يومئذ يتذكر الإنسان وأنى له الذكرى أى وكيف لهم ذكراهم إذا جاءتهم على أن أنى خبر مقدم وذكراهم مبتدأ وإذاجاءتهم اعتراض وسط بينهما رمزاً إلى غاية سرعة مجيئها وإطلاق المجيء عن قيد البغتة لما أن مدار استحالة نفع التذكر كونه عند مجيئه مطلقاً لا مقيداً بقيد البغتة وقرىء إن تأتهم على أنه شرط مستأنف جزاؤه فأنى لهم الخ والمعنى إن تأتهم الساعة بغتة لأنه قد ظهر أماراتها فكيف لهم تذكرهم واتعاظهم إذاجاءتهم (فاعلم ١٩ أنه لا إله إلا الله) أى إذا علمت أن مدار السعادة هو التوحيد والطاعة ومناط الشقاوة هو الإشراك والعصيان فاثبت على ما أنت عليه من العلم بالوحدانية والعمل بموجبه (واستغفر لذنبك) وهو الذى ربما يصدر * عنه عليه الصلاة والسلام من ترك الأولى عبر عنه بالذنب نظراً إلى منصبه الجليل كيف لا وحسنات الأبرار سيئات المقربين وإرشاد له عليه الصلاة والسلام إلى التواضع وهضم النفس واستقصار العمل (وللمؤمنين والمؤمنات) أى لذنوبهم بالدعاء لهم وترغيبهم فيما يستدعى غفرانهم وفى إعادة صلة الاستغفار * تنبيه على اختلاف متعلقيه جنساً وفى حذف المضاف وإقامة المضاف إليه مقامه إشعار بعراقتهم فى الذنب وفرط افتقارهم إلى الاستغفار (والله يعلم متقلبكم) فى الدنيا فإنها مراحل لابد من قطعها * لا محالة (ومثواكم) فى العقبى فإنها مواطن إقامتكم فلا يأمركم إلا بما هو خير لكم فيهما فبادروا إلى الامتثال * بما أمركم به فإنه المهم لكم فى المقامين وقيل يعلم جميع أحوالكم فلا يخفى عليه شىء منها (ويقول الذين ٢٠ آمنوا) حرصاً منهم على الجهاد (لولا نزلت سورة) أى هلا نزلت سورة تؤمر فيها بالجهاد (فإذا أنزلت * سورة محكمة وذكر فيها القتال) بطريق الأمر به أى سورة مبينة لاتشابه ولا احتمال فيها لوجه آخر سوى وجوب القتال . عن قتادة كل سورة فيها ذكر القتال فهى محكمة لم تنسخ وقرىء فإذا نزلت

طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ ٱلْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾ ٤٧ محمد

فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴿٢٢﴾ ٤٧ محمد

سورة وقرىء وذكر على إسناد الفعل إلى ضميره تعالى ونصب القتال (رأيت الذين فى قلوبهم مرض) أى ضعف فى الدين وقيل نفاق وهو الأظهر الأوفق لسياق النظم الكريم (ينظرون إليك نظر المغشى عليه من الموت) أى تشخص أبصارهم جبناً وهلعاً كدأب من أصابته غشية الموت (فأولى لهم) أى فويل لهم وهو أفعل من الولى وهو القرب وقيل من آل ومعناه الدعاء عليهم بأن يليهم المكروه أو يؤول إليه أمرهم وقيل هو مشتق من الويل وأصله أويل نقلت العين إلى ما بعد اللام فوزنه أفلع (طاعة وقول معروف) كلام مستأنف أى أمرهم طاعة الخ أو طاعة وقول معروف خير لهم أو حكاية لقولهم ويؤيده قراءة أبى يقولون طاعة وقول معروف أى أمرنا ذلك (فإذا عزم الأمر) أسند العزم وهو الجد إلى الأمر وهو لأصحابه مجازاً كما فى قوله تعالى إن ذلك من عزم الأمور وعامل الظرف محذوف أى خالفوا وتخلفوا وقيل ناقضوا وقيل كرهوا وقيل هو قوله تعالى (فلو صدقوا الله) على طريقة قولك إذا حضرنى طعام فلو جئتنى لأطعمتك أى فلو صدقوه تعالى فيما قالوا من الكلام المنبىء عن الحرص على الجهاد بالجرى على موجبه (لكان) أى الصدق (خيراً لهم) وفيه دلالة على اشتراك الكل فيما حكى عنهم من قوله تعالى لولا نزلت سورة وقيل فلو صدقوه فى الإيمان وواطأت قلوبهم فى ذلك ألسنتهم وأياً ما كان فالمراد بهم الذين فى قلوبهم مرض وهم المخاطبون بقوله تعالى (فهل عسيتم) الخ بطريق الالتفات لتأكيد التوبيخ وتشديد التقريع أى هل يتوقع منكم (إن توليتم) أمور الناس وتأمرتم عليهم (أن تفسدوا فى الأرض وتقطعوا أرحامكم) تناحراً على الملك وتهالكاً على الدنيا فإن من شاهد أحوالكم الدالة على الضعف فى الدين والحرص على الدنيا حين أمرتم بالجهاد الذى هو عبارة عن إحراز كل خير وصلاح ودفع كل شر وفساد وأنتم مأمورون شأنكم الطاعة والقول المعروف يتوقع منكم إذا أطلقت أعنتكم وصرتم آمرين ماذكر من الإفساد وقطع الأرحام وقيل إن أعرضتم عن الإسلام أن ترجعوا إلى ما كنتم عليه فى الجاهلية من الإفساد فى الأرض بالتغاور والتناهب وقطع الأرحام بمقاتلة بعض الأقارب بعضاً ووأد البنات وفيه أن الواقع فى حيز الشرط فى مثل هذا المقام لابد أن تكون محذوريته باعتبار مايستتبعه من المفاسد لا باعتبار ذاته ولا ريب فى أن الإعراض عن الإسلام رأس كل شر وفساد فحقه أن يجعل عمدة فى التوبيخ لا وسيلة للتوبيخ بما دونه من المفاسد وقرىء وليتم على البناء للمفعول أى جعلتم ولاة وقرىء توليتم أى تولاكم ولاة جور خرجتم معهم وساعدتموهم فى الإفساد وقطيعة الرحم وقرىء وتقطعوا من التقطع بحذف إحدى التاءين فانتصاب أرحامكم حينئذ على نزع الجار أى فى أرحامكم وقرىء وتقطعوا من القطع وإلحاق الضمير بعسى لغة أهل الحجاز وأما بنو

أُولَٰئِكَ الَّذِينَ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فَأَصَمَّهُمْ وَأَعْمَىٰ أَبْصَارَهُمْ ﴿٢٣﴾ ٤٧ محمد

أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴿٢٤﴾ ٤٧ محمد

إِنَّ الَّذِينَ ارْتَدُّوا عَلَىٰ أَدْبَارِهِم مِّن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَى ۙ الشَّيْطَانُ سَوَّلَ لَهُمْ وَأَمْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٥﴾ ٤٧ محمد

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَالُوا لِلَّذِينَ كَرِهُوا مَا نَزَّلَ اللَّهُ سَنُطِيعُكُمْ فِي بَعْضِ الْأَمْرِ ۖ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِسْرَارَهُمْ ﴿٢٦﴾ ٤٧ محمد

---

٢٣ تميم فيقولون عسى أن تفعل وعسى أن تفعلوا (أولئك) إشارة إلى المخاطبين بطريق الالتفات إيذاناً بأن ذكر هناتهم أوجب إسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية أحوالهم الفظيعة لغيرهم وهو مبتدأ خبره (الذين لعنهم الله) أى أبعدهم من رحمته (فأصمهم) عن استماع الحق لتصامهم عنه بسوء اختيارهم * (وأعمى أبصارهم) لتعاميهم عما يشاهدونه من الآيات المنصوبة فى الأنفس والآفاق (أفلا يتدبرون ٢٤ القرآن) أى ألا يلاحظونه ولا يتصفحونه وما فيه من المواعظ والزواجر حتى لايقعوا فيما وقعوا فيه من الموبقات (أم على قلوب أقفالها) فلا يكاد يصل إليها ذكر أصلا وأم منقطعة وما فيها من معنى * بل للانتقال من التوبيخ بعدم التدبر إلى التوبيخ بكون قلوبهم مقفلة لاتقبل التدبر والتفكر والهمزة للتقرير وتنكير القلوب إما لتهويل حالها وتفظيع شأنها بإبهام أمرها فى القساوة والجهالة كأنه قيل على قلوب منكرة لايعرف حالها ولا يقادر قدرها فى القساوة وإما لأن المراد بها قلوب بعض منهم وهم المنافقون وإضافة الأقفال إليها للدلالة على أنها أقفال مخصوصة بها مناسبة لها غير مجانسة لسائر الأقفال المعهودة وقرىء أقفلها وأقفالها على المصدر (إن الذين ارتدوا على أدبارهم) أى رجعوا إلى ما كانوا ٢٥ عليه من الكفر وهم المنافقون الذين وصفوا فيما سلف بمرض القلوب وغيره من قبائح الأفعال والأحوال فإنهم قد كفروا به عليه الصلاة والسلام (من بعد ماتبين لهم الهدى) بالدلائل الظاهرة والمعجزات * القاهرة وقيل هم اليهود وقيل أهل الكتابين جميعاً كفروا به عليه الصلاة والسلام بعد ماوجدوا نعته فى كتابهم وعرفوا أنه المنعوت بذلك وقوله تعالى (الشيطان سول لهم) جملة من مبتدأ وخبر وقعت * خبراً لأن أى سهل لهم ركوب العظائم من السول وهو الاسترخاء وقيل من السول المخفف من السؤل لاستمرار القلب فعنى سول له أمراً حينئذ أوقعه فى أمنيته فإن السؤل الأمنية وقرىء سول مبنياً للمفعول على حذف المضاف أى كيد الشيطان (وأملى لهم) ومد لهم فى الأمانى والآمال وقيل أمهلهم * الله تعالى ولم يعاجلهم بالعقوبة وقرىء وأملى لهم على صيغة المتكلم فالمعنى أن الشيطان يغويهم وأنا أنظرهم فالواو للحال أو للاستئناف وقرىء أملى لهم على البناء للمفعول أى أمهلوا ومد فى عمرهم (ذلك) ٢٦ إشارة إلى ماذكر من ارتدادهم لا إلى الإملاء كما نقل عن الواحدى ولا إلى التسويل كما قيل لأن شيئاً منهما ليس مسبباً عن القول الآتى وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (بأنهم) أى بسبب أنهم (قالوا) يعنى * المنافقين المذكورين لا لليهود الكافرين به عليه الصلاة والسلام بعد ماوجدوا نعته فى التوراة كما قيل

فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ ﴿٢٧﴾ ٤٧ محمد

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمُ ٱتَّبَعُوا۟ مَآ أَسْخَطَ ٱللَّهَ وَكَرِهُوا۟ رِضْوَٰنَهُۥ فَأَحْبَطَ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٢٨﴾ ٤٧ محمد

أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَن لَّن يُخْرِجَ ٱللَّهُ أَضْغَٰنَهُمْ ﴿٢٩﴾ ٤٧ محمد

فإن كفرهم به ليس بسبب هذا القول ولو فرض صدوره عنهم سواء كان المقول لهم المنافقين أو المشركين
على رأى القائل بل من حين بعثته عليه الصلاة والسلام (للذين كرهوا ما نزل الله) أى لليهود الكارهين
لنزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم مع علمهم بأنه من عند الله تعالى حسداً وطمعاً فى نزوله
عليهم لا للمشركين كما قيل فإن قوله تعالى (سنطيعكم فى بعض الأمر) عبارة قطعاً عما حكى عنهم بقوله
تعالى ألم تر إلى الذين نافقوا يقولون لإخوانهم الذين كفروا من أهل الكتاب لئن أخرجتم لنخرجن
معكم ولا نطيع فيكم أحداً أبداً وإن قوتلتم لننصرنكم وهم بنو قريظة والنضير الذين كانوا يوالونهم
ويوادونهم وأرادوا بالبعض الذى أشاروا إلى عدم إطاعتهم فيه إظهار كفرهم وإعلان أمرهم بالفعل
قبل قتالهم وإخراجهم من ديارهم فإنهم كانوا يأبون ذلك قبل مساس الحاجة الضرورية الداعية إليه
لما كان لهم فى إظهار الإيمان من المنافع الدنيوية وإنما كانوا يقولون لهم مايقولون سراً كما يعرب عنه
قوله تعالى (والله يعلم إسرارهم) أى إخفاءهم لما يقولونه لليهود وقرىء أسرارهم أى جميع أسرارهم التى
من جملتها قولهم هذا والجملة اعتراض مقرر لما قبله متضمن للإفشاء فى الدنيا والتعذيب فى الآخرة

٢٧ والفاء فى قوله تعالى (فكيف إذا توفتهم الملائكة) لترتيب مابعدها على ماقبلها وكيف منصوب بفعل
محذوف هو العامل فى الظرف كأنه قيل يفعلون فى حياتهم مايفعلون من الحيل فكيف يفعلون إذا توفتهم
الملائكة وقيل مرفوع على أنه خبر لمبتدأ محذوف أى فكيف حالهم أو حيلتهم إذا توفتهم الخ وقرىء
توفاهم على أنه إما ماض أو مضارع قد حذف إحدى تاءيه (يضربون وجوههم وأدبارهم) حال من
فاعل توفتهم أو من مفعوله وهو تصوير لتوفيهم على أهول الوجوه وأفظعها وعن ابن عباس رضى

٢٨ الله عنهما لايتوفى أحد على معصية إلا يضرب الملائكة وجهه ودبره (ذلك) التوفى الهائل (بأنهم)
أى بسبب أنهم (اتبعوا ما أسخط الله) من الكفر والمعاصى (وكرهوا رضوانه) أى مايرضاه من
الإيمان والطاعة حيث كفروا بعد الإيمان وخرجوا عن الطاعة بما صنعوا من المعاملة مع اليهود (فأحبط)
لأجل ذلك (أعمالهم) التى عملوها حال إيمانهم من الطاعات أو بعد ذلك من أعمال البر التى لو عملوها

٢٩ حال الإيمان لانتفعوا بها (أم حسب الذين فى قلوبهم مرض) هم المنافقون الذين فصلت أحوالهم
الشنيعة وصفوا بوصفهم السابق لكونه مدار لما نعى عليهم بقوله تعالى (أن لن يخرج الله أضغانهم)
فأم منقطعة وأن مخففة من أن وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف ولن بما فى حيزها خبرها والأضغان
جمع ضغن وهو الحقد أى بل أحسب الذين فى قلوبهم حقداً وعداوة للمؤمنين أنه لن يخرج الله أحقادهم

وَلَوْ نَشَاءُ لَأَرَيْنَٰكَهُمْ فَلَعَرَفْتَهُم بِسِيمَٰهُمْ وَلَتَعْرِفَنَّهُمْ فِي لَحْنِ الْقَوْلِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٠﴾ ٤٧ محمد

وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ حَتَّىٰ نَعْلَمَ الْمُجَٰهِدِينَ مِنكُمْ وَالصَّٰبِرِينَ وَنَبْلُوَا أَخْبَارَكُمْ ﴿٣١﴾ ٤٧ محمد

إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ وَشَاقُّوا الرَّسُولَ مِن بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْهُدَىٰ لَن يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْـًٔا وَسَيُحْبِطُ أَعْمَٰلَهُمْ ﴿٣٢﴾ ٤٧ محمد

يَٰأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَلَا تُبْطِلُوا أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٣﴾ ٤٧ محمد

ولن يبرزها لرسوله صلى الله عليه وسلم وللمؤمنين فتبقى أمورهم مستورة والمعنى أن ذلك مما لا يكاد يدخل تحت الاحتمال (ولو نشاء) إراءتهم (لأريناكهم) لعرفناكهم بدلائل تعرفهم بأعيانهم معرفة ٣٠ متاخمة للرؤية والالتفات إلى نون العظمة لإبراز العناية بالإراءة (فلعرفتهم بسيماهم) بعلامتهم التي نسمهم * بها وعن أنس رضى الله عنه ماخفي على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد هذه الآية شيء من المنافقين كان يعرفهم بسيماهم ولقد كنا في بعض الغزوات وفيها تسعة من المنافقين يشكوهم الناس فناموا ذات ليلة وأصبحوا وعلى كل واحد منهم مكتوب هذا منافق واللام لام الجواب كررت في المعطوف للتأكيد والفاء لترتيب المعرفة على الإراءة وأما ما في قوله تعالى (ولتعرفنهم في لحن القول) فلجواب قسم * محذوف ولحن القول نحوه وأسلوبه أو إمالته إلى جهة تعريض وتورية ومنه قيل للمخطىء لاحن لعدله بالكلام عن سمت الصواب (والله يعلم أعمالكم) فيجازيكم بحسب قصدكم وهذا وعد للمؤمنين وإيذان * بأن حالهم بخلاف حال المنافقين (ولنبلونكم) بالأمر بالجهاد ونحوه من التكاليف الشاقة (حتى نعلم ٣١ المجاهدين منكم والصابرين) على مشاق الجهاد علماً فعلياً يتعلق به الجزاء (ونبلوا أخباركم) مايخبر به * عن أعمالكم فيظهر حسنها وقبيحها وقرىء ويبلو بالياء وقرىء نبلو بسكون الواو على ونحن نبلوا (إن الذين ٣٢ كفروا وصدوا) الناس (عن سبيل الله وشاقوا الرسول) وعادوه (من بعد ماتبين لهم الهدى) بما شاهدوا * نعته عليه الصلاة والسلام في التوراة وبما ظهر على يديه من المعجزات ونزل عليه من الآيات وهم قريظة والنضير أو المطعمون يوم بدر (لن يضروا الله) بكفرهم وصدهم (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر * أو لن يضروا رسول الله صلى الله عليه وسلم بمشاقته شيئاً وقد حذف المضاف لتعظيمه وتفظيع مشاقته (وسيحبط أعمالهم) أي مكايدهم التي نصبوها في إبطال دينه تعالى ومشاقة رسوله عليه الصلاة والسلام * فلا يصلون بها إلى ما كانوا يبغون من الغوائل ولا تثمر لهم إلا القتل والجلاء عن أوطانهم (ياأيها ٣٣ الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم) بما أبطل به هؤلاء أعمالهم من الكفر والنفاق والعجب والرياء والمن والأذى ونحوها وليس فيه دليل على إحباط الطاعات بالكبائر .

إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ثُمَّ مَاتُواْ وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ ﴿٣٤﴾ ٤٧ محمد

فَلَا تَهِنُواْ وَتَدْعُوٓاْ إِلَى ٱلسَّلْمِ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ وَٱللَّهُ مَعَكُمْ وَلَن يَتِرَكُمْ أَعْمَٰلَكُمْ ﴿٣٥﴾ ٤٧ محمد

إِنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَإِن تُؤْمِنُواْ وَتَتَّقُواْ يُؤْتِكُمْ أُجُورَكُمْ وَلَا يَسْـَٔلْكُمْ أَمْوَٰلَكُمْ ﴿٣٦﴾ ٤٧ محمد

إِن يَسْـَٔلْكُمُوهَا فَيُحْفِكُمْ تَبْخَلُواْ وَيُخْرِجْ أَضْغَٰنَكُمْ ﴿٣٧﴾ ٤٧ محمد

هَٰٓأَنتُمْ هَٰٓؤُلَآءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِۦ وَٱللَّهُ ٱلْغَنِىُّ وَأَنتُمُ ٱلْفُقَرَآءُ وَإِن تَتَوَلَّوْاْ يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوٓاْ أَمْثَٰلَكُم ﴿٣٨﴾ ٤٧ محمد

---

٣٤ (إن الذين كفروا وصدوا عن سبيل الله ثم ماتوا وهم كفار فلن يغفر الله لهم) حكم يعم كل من مات
٣٥ على الكفر وإن صح نزوله فى أصحاب القليب (فلا تهنوا) أى لا تضعفوا (وتدعوا إلى السلم) أى
ولا تدعوا الكفار إلى الصلح خوراً فإن ذلك إعطاء الدنية ويجوز أن يكون منصوباً بإضمار أن على
جواب النهى وقرىء ولا تدعوا من ادعى القوم بمعنى تداعوا نحو ارتموا الصيد وترامووه ومنه تراءوا
الهلال فإن صيغة التفاعل قد يراد بها صدور الفعل عن المتعدد من غير اعتبار وقوعه عليه ومنه قوله
تعالى عم يتساءلون على أحد الوجهين والفاء لترتيب النهى على ما سبق من الأمر بالطاعة وقوله تعالى
* (وأنتم الأعلون) جملة حالية مقررة لمعنى النهى مؤكدة لوجوب الانتهاء وكذا قوله تعالى (والله معكم)
فإن كونهم الأعلين وكونه عز وجل ناصرهم من أقوى موجبات الاجتناب عما يوهم الذل والضراعة
* وكذا توفيته تعالى لأجور الأعمال حسبما يعرب عنه قوله تعالى (ولن يتركم أعمالكم) أى ولن يضيعها
من وترت الرجل إذا قتلت له قتيلا من ولد أو أخ أو حميم فأفردته عنه من الوتر الذى هو الفرد وعبر
عن ترك الإثابة فى مقابلة الأعمال بالوتر الذى هو إضاعة شىء معتد به من الأنفس والأموال مع أن
الأعمال غير موجبة للثواب على قاعدة أهل السنة إبرازاً لغاية اللطف بتصوير الثواب بصورة الحق
المستحق وتنزيل ترك الإثابة منزلة إضاعة أعظم الحقوق وإتلافها وقدمر فى قوله تعالى فاستجاب لهم
٣٦ ربهم أنى لا أضيع عمل عامل منكم (إنما الحياة الدنيا لعب ولهو) لاثبات لها ولا اعتداد بها (وإن
تؤمنوا وتتقوا يؤتكم أجوركم) أى ثواب إيمانكم وتقواكم من الباقيات الصالحات التى يتنافس فيها
* المتنافسون (ولا يسألكم أموالكم) بحيث يخل أداؤها بمعاشكم وإنما اقتصر على نزر يسير منها هو ربع
٣٧ العشر تؤدونها إلى فقرائكم (إن يسألكموها) أى أموالكم (فيحفكم) أى يجهدكم بطلب الكل فإن
* الإحفاء والإلحاف المبالغة وبلوغ الغاية يقال أحفى شاربه إذا استأصله (تبخلوا) فلا تعطوا (ويخرج
أضغانكم) أى أحقادكم وضمير يخرج لله تعالى ويعضده القراءة بنون العظمة أو للبخل لأنه سبب الأضغان
٣٨ وقرىء يخرج من الخروج بالياء والتاء مسنداً إلى الأضغان (ها أنتم هؤلاء) أى أنتم أيها المخاطبون

٤٨ — سورة الفتح

نزلت فى الحديبية وآياتها تسع وعشرون آية

بسم الله الرحمن الرحيم

إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾ ٤٨ الفتح

هؤلاء الموصوفون وقوله تعالى (تدعون لتنفقوا فى سبيل الله) استئناف مقرر لذلك أو صلة لهؤلاء * على أنه بمعنى الذين أى هاأنتم الذين تدعون ففيه توبيخ عظيم وتحقير من شأنهم والإنفاق فى سبيل الله يعم نفقة الغزو والزكاة وغيرهما (فمنكم من يبخل) أى ناس يبخلون وهو فى حيز الدليل على الشرطية * السابقة (ومن يبخل فإنما يبخل عن نفسه) فإن كلا من نفع الإنفاق وضرر البخل عائد إليه والبخل * يستعمل بعن وعلى لتضمنه معنى الإمساك والتعدى (والله الغنى) دون من عداه (وأنتم الفقراء) فما * يأمركم به فهو لاحتياجكم إلى مافيه من المنافع فإن امتثلتم فلكم وإن توليتم فعليكم وقوله تعالى (وإن * تتولوا) عطف على إن تؤمنوا أى وإن تعرضوا عن الإيمان والتقوى (يستبدل قوماً غيركم) يخلف * مكانكم قوماً آخرين (ثم لا يكونوا أمثالكم) فى التولى عن الإيمان والتقوى بل يكونوا راغبين فيهما * قيل هم الأنصار وقيل الملائكة وقيل أهل فارس لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سئل عن القوم وكان سلمان إلى جنبه فضرب على فخذه فقال هذا وقومه والذى نفسى بيده لوكان الإيمان منوطاً بالثريا لتناوله رجال من فارس وقيل كندة والنخع وقيل العجم وقيل الروم . عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة محمد كان حقاً على الله عز وجل أن يسقيه من أنهار الجنة .

﴿ سورة الفتح مدنية نزلت فى مرجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من الحديبية وآياتها تسع وعشرون ﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (إنا فتحنا لك) فتح البلد عبارة عن الظفر به عنوة أو صلحاً بحراب ١ أو بدونه فإنه ما لم يظفر به منغلق مأخوذ من فتح باب الدار وإسناده إلى نون العظمة لاستناد أفعال العباد إليه تعالى خلقاً وإيجاداً والمراد به فتح مكة شرفها الله وهو المروى عن أنس رضى الله عنه بشر به رسول الله صلى الله عليه وسلم عند انصرافه من الحديبية والتعبير عنه بصيغة الماضى على سنن سائر الأخبار الربانية للإيذان بتحققه لامحالة تأكيداً للتبشير كما أن تصدير الكلام بحرف التحقيق لذلك وفيه من الفخامة المنبئة عن عظمة شأن المخبر جل جلاله وعز سلطانه مالا يخفى وقيل هو ما أتيح له عليه الصلاة والسلام فى تلك السنة من فتح خيبر وهو المروى عن مجاهد وقيل هو صلح الحديبية فإنه وإن لم يكن فيه حراب شديد بل ترام بين الفريقين بسهام وحجارة لكن لما كان الظهور للمسلمين حيث سألهم المشركون الصلح كان فتحاً بلاريب وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما رموا المشركين حتى أدخلوهم ديارهم وعن الكلبى ظهروا عليهم حتى سألوا الصلح وقد روى أنه عليه الصلاة والسلام حين

لِيَغْفِرَ لَكَ ٱللَّهُ مَا تَقَدَّمَ مِن ذَنۢبِكَ وَمَا تَأَخَّرَ وَيُتِمَّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَيَهْدِيَكَ صِرَٰطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢﴾ ٤٨ الفتح

وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ﴿٣﴾ ٤٨ الفتح

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ لِيَزْدَادُوٓا۟ إِيمَٰنًا مَّعَ إِيمَٰنِهِمْ وَلِلَّهِ جُنُودُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٤﴾ ٤٨ الفتح

بلغه أن رجلا قال ماهذا بفتح لقد صددنا عن البيت وصد هدينا قال بل هو أعظم الفتوح وقد رضى المشركون أن يدفعوكم بالراح ويسألوكم القضية ويرغبوا إليكم فى الأمان وقد رأوا منكم مايكرهون وعن الشعبي نزلت بالحديبية وأصاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فى تلك الغزوة مالم يصب فى غزوة حيث أصاب أن بويع بيعة الرضوان وغفر له ما تقدم من ذنبه وماتأخر وبلغ الهدى محله وأطعموا نخل خيبر وظهرت الروم على فارس ففرح به المسلمون وكان فى فتح الحديبية آية عظيمة هى أنه نزح ماؤها حتى لم يبق فيها قطرة فتمضمض رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم مجه فيها فدرت بالماء حتى شرب جميع من كان معه وشبع وقيل فجاش الماء حتى امتلأت ولم ينفد ماؤها بعد وقيل هو جميع مافتح له عليه الصلاة والسلام من الفتوح وقيل هو مافتح الله له عليه الصلاة والسلام من الإسلام والنبوة والدعوة بالحجة والسيف ولا فتح أبين منه وأعظم وهو رأس الفتوح كافة إذ لافتح من فتوح الإسلام إلا وهو شعبة من شعبه وفرع من فروعه وقيل الفتح بمعنى القضاء ومنه الفتاحة للحكومة والمعنى قضينا لك على أهل مكة أن تدخلها من قابل وهو المروى عن قتادة رضى الله عنه وأياً ما كان فحذف المفعول للقصد إلى نفس الفعل والإيذان بأن مناط التبشير نفس الفتح الصادر عنه سبحانه لا خصوصية المفتوح

٢ (فتحاً مبيناً) بينا ظاهر الأمر مكشوف الحال أو فارقا بين الحق والباطل وقوله تعالى (ليغفر لك الله) غاية للفتح من حيث أنه مترتب على سعيه عليه الصلاة والسلام فى إعلاء كلمة الله تعالى بمكابدة مشاق الحروب واقتحام موارد الخطوب والالتفات إلى اسم الذات المستتبع لجميع الصفات للإشعار بأن كل واحد مما انتظم فى سلك الغاية من أفعاله تعالى صادر عنه تعالى من حيثية غير حيثية الآخر مترتبة على صفة من صفاته تعالى (ماتقدم من ذنبك وما تأخر) أى جميع مافرط منك من ترك الأولى وتسميته ذنبا بالنظر إلى منصبه الجليل (ويتم نعمته عليك) بإعلاء الدين وضم الملك إلى النبوة وغيرهما مما أفاضه عليه من النعم الدينية والدنيوية (ويهديك صراطا مستقيما) فى تبليغ الرسالة وإقامة مراسم الرياسة وأصل الاستقامة وإن كانت حاصلة قبل الفتح لكن حصل بعد ذلك من اتضاح سبل الحق

٣ واستقامة مناهجه مالم يكن حاصلا قبل (وينصرك الله) إظهار الاسم الجليل لكونه خاتمة الغايات ولإظهار كمال العناية بشأن النصر كما يعرب عنه تأكيده بقوله تعالى (نصراً عزيزاً) أى نصراً فيه عزة ومنعة

٤ أو قوياً منيعاً على وصف المصدر بوصف صاحبه مجازاً للمبالغة أو عزيزاً صاحبه (هو الذى أنزل السكينة)

لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ﴿٥﴾ ٤٨ الفتح

وَيُعَذِّبَ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ ٱلظَّآنِّينَ بِٱللَّهِ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ ۚ عَلَيْهِمْ دَآئِرَةُ ٱلسَّوْءِ ۖ وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ ۖ وَسَآءَتْ مَصِيرًا ﴿٦﴾ ٤٨ الفتح

بيان لما أفاض عليهم من مبادى الفتح من الثبات والطمأنينة أى أنزلها (فى قلوب المؤمنين) بسبب الصلح والأمن إظهاراً لفضله تعالى عليهم بتيسير الأمن بعد الخوف (ليزداودوا إيماناً مع إيمانهم) أى يقيناً منضما إلى يقينهم أو أنزل فيها السكون إلىماجاء بهعليه الصلاةوالسلام منالشرائع ليزدادوا إيماناً بها مقروناً مع إيمانهم بالوحدانية واليوم الآخر عن ابن عباس رضى الله عنهما أن أول ماأتاهم به النبي صلى الله عليه وسلم التوحيد ثم الصلاة والزكاة ثم الحج والجهاد فازدادوا إيمانا مع إيمانهم أو أنزل فيها الوقار والعظمة لله تعالىولرسوله ليزدادوا باعتقاد ذلكإيمانا إلىإيمانهم (ولله جنودالسموات والأرض) يدبر أمرها كيفما يريد يسلط بعضها على بعض تارة ويوقع بينهماالسلم أخرى حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم والمصالح (وكان الله عليما) مبالغا فى العلم بجميع الأمور (حكيما) فى تقديره وتدبيره وقوله تعالى (ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) متعلق ٥ بما يدل عليه ماذكر من كون جنود السموات والأرض له تعالى من معنى التصرف والتدبير أى دبر ما دبر من تسليط المؤمنينليعرفوا نعمةالله فى ذلكويشكروها فيدخلهم الجنة (ويكفر عنهم سيئاتهم) أى يغطيها ولا يظهرها وتقديم الإدخال فى الذكر على التكفير مع أن الترتيب فى الوجود على العكس للمسارعة إلى بيان ماهو المطلب الأعلى (وكان ذلك) أى ماذكر من الإدخال والتفكير (عند اللهفوزاً عظيما) لايقادر قدره لأنه منتهى مايمتد إليه أعناق الهمم من جلب نفع ودفع ضر وعند الله حال من فوزاً لأنه صفته فى الأصل فلما قدم عليه صار حالا أى كائنا عند الله أى فى علمه تعالى وقضائه والجملة اعتراض مقرر لما قبله (ويعذب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات) عطف على يدخل ٦ وفى تقديم المنافقين على المشركين مالا يخفى من الدلالة على أنهم أحق منهم بالعذاب (الظانين بالله ظن السوء) أى ظن الأمر السوء وهو أن لاينصر رسوله والمؤمنين (عليهم دائرة السوء) أى مايظنونه ويتربصونه بالمؤمنين فهوحائق بهم ودائر عليهموقرىء دائرةالسوء بالضموهما لغتان من ساء كالكره والكره خلا أن المفتوح غلب فى أن يضاف إليه مايراد ذمه من كل شىء وأما المضموم فجار مجرى الشر (وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدلهم جهنم) عطف على مااستحقوه فى الآخرة على مااستوجبوه فى الدنيا والواو فى الأخيرين مع أن حقها الفاء المفيدةلسببية ماقبلها لمابعدها للإيذان باستقلال كل منهما فى الوعيد وأصالته من غير اعتبار استتباع بعضها لبعض (وساءت مصيراً) أى جهنم .

وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿٧﴾ ٤٨ الفتح

إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿٨﴾ ٤٨ الفتح

لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٩﴾ ٤٨ الفتح

إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَنْ نَكَثَ فَإِنَّمَا يَنْكُثُ عَلَى نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَى بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴿١٠﴾ ٤٨ الفتح

سَيَقُولُ لَكَ الْمُخَلَّفُونَ مِنَ الْأَعْرَابِ شَغَلَتْنَا أَمْوَالُنَا وَأَهْلُونَا فَاسْتَغْفِرْ لَنَا يَقُولُونَ بِأَلْسِنَتِهِمْ مَا لَيْسَ فِي قُلُوبِهِمْ قُلْ فَمَنْ يَمْلِكُ لَكُمْ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا إِنْ أَرَادَ بِكُمْ ضَرًّا أَوْ أَرَادَ بِكُمْ نَفْعًا بَلْ كَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرًا ﴿١١﴾ ٤٨ الفتح

---

٧ (ولله جنود السموات والأرض وكان الله عزيزاً حكيما) إعادة لما سبق قالوا فائدتها التنبيه على أن لله تعالى جنود الرحمة وجنود العذاب وأن المراد ههنا جنود العذاب كما ينبيء عنه التعرض لوصف العزة

٨ (إنا أرسلناك شاهداً) أي على أمتك لقوله تعالى ويكون الرسول عليكم شهيداً (ومبشراً) على الطاعة

٩ (ونذيراً) على المعصية (لتؤمنوا بالله ورسوله) الخطاب للنبي عليه الصلاة والسلام ولأمته (وتعزروه)

* وتقووه بتقوية دينه ورسوله (وتوقروه) وتعظموه (وتسبحوه) وتنزهوه أو تصلوا له من السبحة

* (بكرة وأصيلا) غدوة وعشياً عن ابن عباس رضي الله عنهما صلاة الفجر وصلاة الظهر وصلاة العصر وقريء الأفعال الأربعة بالياء التحتانية وقريء وتعزروه بضم التاء وتخفيف الزاي المكسورة وقريء

١٠ بفتح التاء وضم الزاي وكسرها وتعززوه بزاءين وتوقروه من أوقره بمعنى وقره (إن الذين يبايعونك)

* أي على قتال قريش تحت الشجرة وقوله تعالى (إنما يبايعون الله) خبر ان يعني أن مبايعتك هي مبايعة

* الله عز وجل لأن المقصود توثيق العهد بمراعاة أوامره ونواهيه وقوله تعالى (يد الله فوق أيديهم) حال أو استئناف مؤكد له على طريقة التخييل والمعنى أن عقد الميثاق مع الرسول كعقده مع الله تعالى من غير تفاوت بينهما كقوله تعالى من يطع الرسول فقد أطاع الله وقريء إنما يبايعون الله أي لأجله

* ولوجهه (فمن نكث فإنما ينكث على نفسه) أي فمن نقض عهده فإنما يعود ضرر نكثه على نفسه

* وقريء بكسر الكاف (ومن أوفى بما عاهد عليه الله) بضم الهاء فإنه أبقى بعد حذف الواو توسلا

* بذلك إلى تفخيم لام الجلالة وقريء بكسرها أي ومن وفى بعهده (فسيؤتيه أجراً عظيما) هو الجنة

١١ وقريء بما عهد وقريء فسنؤتيه بنون العظمة (سيقول لك المخلفون من الأعراب) هم أعراب غفار ومزينة وجهينة وأشجع وأسلم والديل تخلفوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم حين استنفر من

بَلْ ظَنَنتُمْ أَن لَّن يَنقَلِبَ ٱلرَّسُولُ وَٱلْمُؤْمِنُونَ إِلَىٰٓ أَهْلِيهِمْ أَبَدًا وَزُيِّنَ ذَٰلِكَ فِى قُلُوبِكُمْ وَظَنَنتُمْ ظَنَّ ٱلسَّوْءِ وَكُنتُمْ قَوْمًۢا بُورًا ﴿١٢﴾ ٤٨ الفتح

حول المدينة من الإعراب وأهل البوادى ليخرجوا معه عند إرادته المسير إلى مكة عام الحديبية معتمراً حذراً من قريش أن يتعرضوا له بحرب أو يصدوه عن البيت وأحرم عليه الصلاة والسلام وساق معه الهدى ليعلم أنه لايريد الحرب وتثاقلوا عن الخروج وقالوا نذهب إلى قوم قد غزوه فى عقر داره بالمدينة وقتلوا أصحابه فنقاتلهم فأوحى الله تعالى إليه عليه الصلاة والسلام بأنهم سيعتلون ويقولون (شغلتنا أموالنا وأهلونا) ولم يكن لنا من يخلفنا فيهم ويقوم بمصالحهم ويحميهم من الضياع وقرىء شغلتنا بالتشديد للتكثير (فاستغفر لنا) الله تعالى ليغفر لنا تخلفنا عنك حيث لم يكن ذلك باختيار بل عن اضطرار (يقولون بألسنتهم ماليس فى قلوبهم) بدل من سيقول أو استئناف لتكذيبهم فى الاعتذار والاستغفار (قل) رداً لهم عند اعتذارهم إليك بأباطيلهم (فمن يملك لكم من الله شيئاً) أى فمن يقدر لأجلكم من مشيئة الله تعالى وقضائه على شىء من النفع (إن أراد بكم ضراً) أى ما يضركم من هلاك الأهل والمال وضياعهما حتى تتخلفوا عن الخروج لحفظهما ودفع الضرر عنهما وقرىء ضراً بالضم (أو أراد بكم نفعاً) أى ومن يقدر على شىء من الضرر إن أراد بكم ما ينفعكم من حفظ أموالكم وأهليكم فأى حاجة إلى التخلف لأجل القيام بحفظهما وهذا تحقيق للحق ورد لهم بموجب ظاهر مقالتهم الكاذبة وتعميم الضر والنفع لما يتوقع على تقدير الخروج من القتل والهزيمة والظفر والغنيمة يرده قوله تعالى (بل كان الله بما تعملون خبيراً) فإنه إضراب عما قالوا وبيان لكذبه بعد بيان فساده على تقدير صدقه أى ليس الأمر كما تقولون بل كان الله خبيراً بجميع ماتعملون من الأعمال التى من جملتها تخلفكم وما هو من مباديه وقوله تعالى (بل ظننتم) الخ بدل من كان الله الخ مفسر لما فيه من الإبهام أى بل ظننتم (أن لن ينقلب الرسول والمؤمنون إلى أهليهم أبداً) بأن يستأصلهم المشركون بالمرة فخشيتم إن كنتم معهم أن يصيبكم ما أصابهم فلأجل ذلك تخلفتم لا لما ذكرتم من المعاذير الباطلة والأهلون جمع أهل وقد يجمع على أهلات كأرضات على تقدير تاء التأنيث وأما الأهالى فاسم جمع كالليالى وقرىء إلى أهلهم (وزين ذلك فى قلوبكم) وقبلتموه واشتغلتم بشأن أنفسكم غير مبالين بهم وقرىء زين على البناء للفاعل بإسناده إلى الله سبحانه أو إلى الشيطان (وظننتم ظن السوء) المراد به إما الظن الأول والتكرير لتشديد التوبيخ والتسجيل عليه بالسوء أو مايعمه وغيره من الظنون الفاسدة التى من جملتها الظن بعدم صحة رسالته عليه الصلاة والسلام فإن الجازم بصحتها لايحوم حول فكره ماذكر من الاستئصال (وكنتم قوماً بوراً) أى هالكين عند الله مستوجبين لسخطه وعقابه على أنه جمع بائر كعائذ وعوذ أو فاسدين فى أنفسكم وقلوبكم ونياتكم لاخير فيكم وقيل البور من بار كالهلك من هلك بناء ومعنى ولذلك وصف به الواحد والجمع والمذكر والمؤنث .

وَمَن لَّمْ يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ فَإِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَـٰفِرِينَ سَعِيرًا ﴿١٣﴾ ٤٨ الفتح

وَلِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿١٤﴾ ٤٨ الفتح

سَيَقُولُ ٱلْمُخَلَّفُونَ إِذَا ٱنطَلَقْتُمْ إِلَىٰ مَغَانِمَ لِتَأْخُذُوهَا ذَرُونَا نَتَّبِعْكُمْ يُرِيدُونَ أَن يُبَدِّلُوا۟ كَلَـٰمَ ٱللَّهِ قُل لَّن تَتَّبِعُونَا كَذَٰلِكُمْ قَالَ ٱللَّهُ مِن قَبْلُ فَسَيَقُولُونَ بَلْ تَحْسُدُونَنَا بَلْ كَانُوا۟ لَا يَفْقَهُونَ إِلَّا قَلِيلًا ﴿١٥﴾ ٤٨ الفتح

---

١٣ (ومن لم يؤمن بالله ورسوله) كلام مبتدأ من جهته تعالى غير داخل فى الكلام الملقن مقرر لبوارهم ومبين لكيفيته أى ومن لم يؤمن بهما كدأب هؤلاء المخلفين (فإنا أعتدنا للكافرين سعيراً) أى لهم وإنما وضع موضع الضمير الكافرون إيذاناً بأن من لم يجمع بين الإيمان بالله وبرسوله فهو كافر وأنه مستوجب للسعير بكفره وتنكير سعيراً للتهويل أو لأنها نار مخصوصة (ولله ملك السموات والأرض) وما فيهما يتصرف فى الكل كيف يشاء (يغفر لمن يشاء) أن يغفر له (ويعذب من يشاء) أن يعذبه من غير دخل لأحد فى شىء منهما وجوداً وعدماً وفيه حسم لأطماعهم الفارغة فى استغفاره عليه الصلاة والسلام لهم (وكان الله غفوراً رحيما) مبالغاً فى المغفرة والرحمة لمن يشاء ولا يشاء إلا لمن تقتضى الحكمة مغفرته ممن يؤمن به وبرسوله وأما من عداه من الكافرين فهم بمعزل من ذلك قطعاً (سيقول المخلفون) أى المذكورون وقوله تعالى (إذا انطلقتم إلى مغانم لتأخذوها) ظرف لما قبله لا شرط لما بعده أى سيقولون عند انطلاقكم إلى مغانم خيبر لتحوزوها حسبما وعدكم إياها وخصكم بها عوضاً مما فاتكم من غنائم مكة (ذرونا نتبعكم) إلى خيبر ونشهد معكم قتال أهلها (يريدون أن يبدلوا كلام الله) بأن يشاركوا فى الغنائم التى خصها بأهل الحديبية فإنه عليه الصلاة والسلام رجع من الحديبية فى ذى الحجة من سنة ست وأقام بالمدينة بقيتها وأوائل المحرم من سنة سبع ثم غزا خيبر بمن شهد الحديبية ففتحها وغنم أموالاً كثيرة فخصها بهم حسبما أمره الله عز وجل وقرىء كلم الله وهو جمع كلمة وأياماً كان فالمراد ماذكر من وعده تعالى غنائم خيبر لأهل الحديبية خاصة لا قوله تعالى لن تخرجوا معى أبداً فإن ذلك فى غزوة تبوك (قل) إقناطا لهم (لن تتبعونا) أى لا تتبعونا فإنه نفى فى معنى النهى للمبالغة (كذلكم قال الله من قبل) أى عند الانصراف من الحديبية (فسيقولون) للمؤمنين عند سماع هذا النهى (بل تحسدوننا) أى ليس ذلك النهى حكم الله بل تحسدوننا أن نشارككم فى الغنائم وقرىء تحسدوننا بكسر السين وقوله تعالى (بل كانوا لا يفقهون) أى لا يفهمون (إلا قليلا) إلا فهما قليلا وهو فطنتهم لأمور الدنيا رد لقولهم الباطل ووصف لهم بما هو أعظم من الحسد وأطم من الجهل

قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُولِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَـٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ فَإِن تُطِيعُوا۟ يُؤْتِكُمُ ٱللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا وَإِن تَتَوَلَّوْا۟ كَمَا تَوَلَّيْتُم مِّن قَبْلُ يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٦﴾ ٤٨ الفتح

لَّيْسَ عَلَى ٱلْأَعْمَىٰ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلَا عَلَى ٱلْمَرِيضِ حَرَجٌ وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ يُدْخِلْهُ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَن يَتَوَلَّ يُعَذِّبْهُ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٧﴾ ٤٨ الفتح

لَّقَدْ رَضِىَ ٱللَّهُ عَنِ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ ٱلشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِى قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَـٰبَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ ٤٨ الفتح

المفرط وسوء الفهم فى أمور الدين (قل للمخلفين من الأعراب) كرر ذكرهم بهذا العنوان مبالغة فى ذمهم (ستدعون إلى قوم أولى بأس شديد) هم بنو حنيفة قوم مسيلمة الكذاب أو غيرهم ممن ارتدوا بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم أو المشركون لقوله تعالى (تقاتلونهم أو يسلمون) أى يكون أحد الأمرين إما المقاتلة أبداً أو الإسلام لاغير كما يفصح عنه قراءة أويسلموا وأمامن عداهم فينتهى قتالهم بالجزية كما ينتهى بالإسلام وفيه دليل على أمامة أبى بكر رضى الله عنه إذ لم تتفق هذه الدعوة لغيره إلا إذا صح أنهم ثقيف وهوازن فإن ذلك كان فى عهد النبوة فيخص دوام نفى الاتباع بما فى غزوة خيبر كما قاله محيي السنة وقيل هم فارس والروم ومعنى يسلمون ينقادون فإن الروم نصارى وفارس مجوس يقبل منهم الجزية (فإن تطيعوا يؤتكم الله أجراً حسناً) هو الغنيمة فى الدنيا والجنة فى الآخرة (وإن تتولوا) عن الدعوة (كما توليتم من قبل) فى الحديبية (يعذبكم عذاباً أليما) لتضاعف جرمكم (ليس على الأعمى حرج ولا على الأعرج حرج ولا على المريض حرج) أى فى التخلف عن الغزو لما بهم من العذر والعاهة فإن التكليف يدور على الاستطاعة وفى نفى الحرج عن كل من الطوائف المعدودة مزيد اعتناء بأمرهم وتوسيع لدائرة الرخصة (ومن يطع الله ورسوله) فيما ذكر من الأوامر والنواهى (يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) وقرىء ندخله بنون العظمة (ومن يتول) أى عن الطاعة (يعذبه) وقرىء بالنون (عذاباً أليما) لايقدر قدره (لقد رضى الله عن المؤمنين) هم الذين ذكرشأن مبايعتهم وبهذه الآية سميت بيعة الرضوان وقوله تعالى (إذ يبايعونك تحت الشجرة) منصوب برضى وصيغة المضارع لاستحضار صورتها وتحت الشجرة متعلق به أو بمحذوف هو حال من مفعوله روى أنه عليه الصلاة والسلام لما نزل الحديبية بعث خراش بن أمية الخزاعى رسولا إلى أهل مكة فهموا به فمنعه الأحابيش فرجع فبعث عثمان بن عفان رضى الله عنه فأخبرهم أنه عليه الصلاة والسلام لم يأت لحرب وإنما جاء زائراً لهذا البيت معظما لحرمته فوقروه وقالوا إن شئت أن تطوف بالبيت فافعل فقال ماكنت لأطوف قبل أن يطوف رسول الله صلى الله عليه وسلم واحتبس عندهم فأرجف بأنهم قتلوه فقال عليه الصلاة والسلام لانبرح حتى نناجز القوم ودعا الناس إلى البيعة فبايعوه تحت الشجرة وكانت

وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا ﴿١٩﴾ ٤٨ الفتح

وَعَدَكُمُ اللَّهُ مَغَانِمَ كَثِيرَةً تَأْخُذُونَهَا فَعَجَّلَ لَكُمْ هَٰذِهِ وَكَفَّ أَيْدِيَ النَّاسِ عَنكُمْ وَلِتَكُونَ آيَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ وَيَهْدِيَكُمْ صِرَاطًا مُّسْتَقِيمًا ﴿٢٠﴾ ٤٨ الفتح

وَأُخْرَىٰ لَمْ تَقْدِرُوا عَلَيْهَا قَدْ أَحَاطَ اللَّهُ بِهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴿٢١﴾ ٤٨ الفتح

سمرة وقيل سدرة على أن يقاتلوا قريشاً ولا يفروا وروى على الموت دونه وأن لا يفروا فقال لهم رسول الله صلى الله عليه وسلم أنتم اليوم خير أهل الأرض وكانوا ألفاً وخمسمائة وخمسة وعشرين وقيل ألفاً وأربعمائة وقيل ألفاً وثلثمائة وقوله تعالى (فعلم ما فى قلوبهم) عطف على يبايعونك لما عرفت من أنه بمعنى بايعوك لا على رضى فإن رضاه تعالى عنهم مترتب على علمه تعالى بما فى قلوبهم من الصدق والإخلاص عند مبايعتهم له صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (فأنزل السكينة عليهم) عطف على رضى أى فأنزل عليهم الطمأنينة والأمن وسكون النفس بالربط على قلوبهم وقيل بالصلح (وأثابهم فتحاً قريباً) هو فتح خيبر عقب انصرافهم من الحديبية كما مر تفصيله وقرىء وآتاهم (ومغانم كثيرة يأخذونها) أى مغانم خيبر والالتفات إلى الخطاب على قراءة الأعمش وطلحة ونافع لتشريفهم فى مقام الامتنان (وكان الله عزيزاً) غالبا (حكيما) مراعيا لمقتضى الحكمة فى أحكامه وقضاياه (وعدكم الله مغانم كثيرة) هى ما يفيؤه على المؤمنين إلى يوم القيامة (تأخذونها) فى أوقاتها المقدرة لكل واحدة منها (فعجل لكم هذه) أى غنائم خيبر (وكف أيدى الناس عنكم) أى أيدى أهل خيبر وحلفائهم من بنى أسد وغطفان حيث جاءوا لنصرتهم فقذف الله فى قلوبهم الرعب فنكصوا وقيل أيدى أهل مكة بالصلح (ولتكون آية للمؤمنين) أمارة يعرفون بها صدق رسول صلى الله عليه وسلم فى وعده إياهم عند رجوعه من الحديبية ما ذكر من المغانم وفتح مكة ودخول المسجد الحرام واللام متعلقة إما بمحذوف مؤخر أى ولتكون آية لهم فعل ما فعل من التعجيل والكف أو بما تعلق به علة أخرى محذوفة من أحد الفعلين أى فعجل لكم هذه أو كف أيدى الناس لتغتنموها ولتكون الخ فالواو على الأول اعتراضية وعلى الثانى عاطفة (ويهديكم) بتلك الآية (صراطاً مستقيما) هو الثقة بفضل الله تعالى والتوكل عليه فى كل ما تأتون وما تذرون (وأخرى) عطف على هذه أى فعجل لكم هذه المغانم ومغانم أخرى (لم تقدروا عليها) وهى مغانم هوازن فى غزوة حنين ووصفها بعدم القدرة عليها لما كان فيها من الجولة قبل ذلك لزيادة ترغيبهم فيها وقوله تعالى (قد أحاط الله بها) صفة أخرى لأخرى مفيدة لسهولة تأتيها بالنسبة إلى قدرته تعالى بعد بيان صعوبة منالها بالنظر إلى قدرتهم أى قد قدر الله عليها واستولى وأظهركم عليها وقيل حفظها لكم ومنعها من غيركم هذا وقد قيل إن أخرى منصوب بمضمر يفسره قد أحاط الله بها أى وقضى الله أخرى ولا ريب فى أن الإخبار بقضاء الله إياها بعد اندراجها فى جملة المغانم الموعودة بقوله تعالى وعدكم الله مغانم كثيرة تأخذونها ليس فيه مزيد فائدة وإنما الفائدة

وَلَوْ قَـٰتَلَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوَلَّوُا۟ ٱلْأَدْبَـٰرَ ثُمَّ لَا يَجِدُونَ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴿٢٢﴾ ٤٨ الفتح

سُنَّةَ ٱللَّهِ ٱلَّتِى قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلُ ۖ وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ ٱللَّهِ تَبْدِيلًا ﴿٢٣﴾ ٤٨ الفتح

وَهُوَ ٱلَّذِى كَفَّ أَيْدِيَهُمْ عَنكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ عَنْهُم بِبَطْنِ مَكَّةَ مِنۢ بَعْدِ أَنْ أَظْفَرَكُمْ عَلَيْهِمْ ۚ وَكَانَ ٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ﴿٢٤﴾ ٤٨ الفتح

هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ ۚ وَلَوْلَا رِجَالٌ مُّؤْمِنُونَ وَنِسَآءٌ مُّؤْمِنَـٰتٌ لَّمْ تَعْلَمُوهُمْ أَن تَطَـُٔوهُمْ فَتُصِيبَكُم مِّنْهُم مَّعَرَّةٌۢ بِغَيْرِ عِلْمٍ ۖ لِّيُدْخِلَ ٱللَّهُ فِى رَحْمَتِهِۦ مَن يَشَآءُ ۚ لَوْ تَزَيَّلُوا۟ لَعَذَّبْنَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿٢٥﴾ ٤٨ الفتح

في بيان تعجيلها (وكان الله على كل شيء قدير) لأن قدرته تعالى ذاتية لاتختص بشيء دون شيء (ولو ٢٢ قاتلكم الذين كفروا) أى أهل مكة ولم يصالحوكم وقيل حلفاء خيبر (لولوا الأدبار) منهزمين (ثم * لايجدون ولياً) يحرسهم (ولا نصيراً) ينصرهم (سنة الله التى قد خلت من قبل) أى سن الله غلبة ٢٣ أنبيائه سنة قديمة فيمن مضى من الأمم (ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييراً (وهو الذى كف أيديهم) ٢٤ أى أيدى كفار مكة (عنكم وأيديكم عنهم ببطن مكة) أى فى داخلها (من بعد أن أظفركم عليهم) وذلك * أن عكرمة بن أبى جهل خرج فى خمسمائة إلى الحديبية فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد على جند فهزمهم حتى أدخلهم حيطان مكة ثم عاد وقيل كان يوم الفتح وبه استشهد أبو حنيفة على أن مكة فتحت عنوة لاصلحاً (وكان الله بما تعملون) من مقاتلتهم وهزمهم أولا والكف عنهم * ثانيا لتعظيم بيته الحرام وقرىء بالياء (بصيراً) فيجازيكم بذلك أو يجازيهم (هم الذين كفروا وصدوكم ٢٥ عن المسجد الحرام والهدى) بالنصب عطفا على الضمير المنصوب فى صدوركم وقرىء بالجر عطفا على المسجد بحذف المضاف أى ونحر الهدى وبالرفع على وصد الهدى وقوله تعالى (معكوفا) حال * من الهدى أى محبوسا وقوله تعالى (أن يبلغ محله) بدل اشتمال من الهدى أو منصوب بنزع الخافض * أي محبوسا من أن يبلغ مكانه الذى يحل فيه نحره وبه استدل أبو حنيفة رحمه الله تعالى على أن المحصر محل هديه الحرم قالوا بعض الحديبية من الحرم وروى أن خيامه صلى الله عليه وسلم كانت فى الحل ومصلاه فى الحرم وهناك نحرت هداياه صلى الله عليه وسلم والمراد صدها عن محلها المعهود الذى هو منى (ولولا رجال مؤمنون ونساء مؤمنات لم تعلموهم) لم تعرفوهم بأعيانهم لاختلاطهم وهو صفة * لرجال ونساء وقوله تعالى (أن تطؤوهم) أى توقعوا بهم وتهلكوهم بدل اشتمال منهم أو من الضمير * المنصوب فى تعلموهم (فتصيبكم منهم) أى من جهتهم (معرة) أى مشقة ومكروه كوجوب الدية أو * الكفارة بقتلهم والتأسف عليهم وتعيير الكفار وسوء قالتهم والإثم بالتقصير فى البحث عنهم وهى مفعلة من عره إذا عراه ودهاه مايكرهه (بغير علم) متعلق بأن تطؤهم أى غير عالمين بهم وجواب لولا *

إِذْ جَعَلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْحَمِيَّةَ حَمِيَّةَ ٱلْجَٰهِلِيَّةِ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ وَعَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ ٱلتَّقْوَىٰ وَكَانُوٓا۟ أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمًا (٢٦) ٤٨ الفتح

محذوف لدلالة الكلام عليه والمعنى لولا كراهة أن تهلكوا ناساً مؤمنين بين الكافرين غير عالمين بهم فيصيبكم بذلك مكروه لما كف أيديكم عنهم وقوله تعالى (ليدخل الله فى رحمته) متعلق بما يدل عليه الجواب المحذوف كأنه قيل عقيبه لكن كفها عنهم ليدخل بذلك الكف المؤدى إلى الفتح بلا محذور فى رحمته الواسعة بقسميها (من يشاء) وهم المؤمنون فإنهم كانوا خارجين من الرحمة الدنيوية التى من جملتها الأمن مستضعفين تحت أيدى الكفرة وأما الرحمة الأخروية فهم وإن كانوا غير محرومين منها بالمرة لكنهم كانوا قاصرين فى إقامة مراسم العبادة كما ينبغى فتوفيقهم لإقامتها على الوجه الأتم إدخال لهم فى الرحمة الأخروية وقد جوز أن يكون من يشاء عبارة عمن رغب فى الإسلام من المشركين ويأباه قوله تعالى (لو تزيلوا) الخ فإن فرض التزيل وترتيب التعذيب عليه يقتضى تحقق المباينة بين الفريقين بالإيمان والكفر قبل التزيل حتماً أى لو تفرقوا وتميز بعضهم من بعض وقرىء لو تزايلوا (لعذبنا الذين كفروا منهم عذاباً أليماً) بقتل مقاتلتهم وسبي ذراريهم والجملة مستأنفة مقررة لما قبلها

٢٦ (إذ جعل الذين كفروا) منصوب باذكر على المفعولية أو بعذبنا على الظرفية وقيل بمضمر هو أحسن الله إليكم وأياً ما كان فوضع الموصول موضع ضميرهم لذمهم بما فى حيز الصلة وتعليل الحكم به والجعل إما بمعنى الإلقاء فقوله تعالى (فى قلوبهم الحمية) أى الأنفة والتكبر متعلق به أو بمعنى التصيير فهو متعلق بمحذوف هو مفعول ثان له أى جعلوها ثابتة راسخة فى قلوبهم (حمية الجاهلية) بدل من الحمية أى حمية الملة الجاهلية أو الحمية الناشئة من الجاهلية وقوله تعالى (فأنزل الله سكينته على رسوله وعلى المؤمنين) على الأول عطف على جعل والمراد تذكير حسن صنيع الرسول صلى الله عليه وسلم والمؤمنين بتوفيق الله تعالى وسوء صنيع الكفرة وعلى الثانى على مايدل عليه الجملة الامتناعية كأنه قيل لم يتزيلوا فلم نعذب فأنزل الخ وعلى الثالث على المضمر تفسير له والسكينة الثبات والوقار يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما نزل الحديبية بعث قريش سهيل بن عمرو القرشي وحويطب بن عبد العزى ومكوز ابن حفص بن الأحنف على أن يعرضوا على النبى صلى الله عليه وسلم أن يرجع من عامه ذلك على أن تخلى له قريش مكة من العام القابل ثلاثة أيام ففعل ذلك وكتبوا بينهم كتاباً فقال عليه الصلاة والسلام لعلى رضى الله عنه اكتب بسم الله الرحمن الرحيم فقالوا ما نعرف ماهذا اكتب باسمك اللهم ثم قال اكتب هذا ماصالح عليه رسول الله أهل مكة فقالوا لوكنا نعلم أنك رسول الله ماصددناك عن البيت وما قاتلناك اكتب هذا ماصالح عليه محمد بن عبد الله أهل مكة فقال صلى الله عليه وسلم اكتب مايريدون فهم المؤمنون أن يأبوا ذلك ويبطشوا بهم فأنزل الله السكينة عليهم فتوقروا وحلموا (وألزمهم كلمة التقوى) أى كلمة الشهادة أو بسم الله الرحمن الرحيم أو محمد رسول الله وقيل كلمة التقوى هى الوفاء بالعهد والثبات عليه وإضافتها إلى التقوى لأنها سبب التقوى وأساسها أو كلمة أهلها (وكانوا

لَقَدْ صَدَقَ ٱللَّهُ رَسُولَهُ ٱلرُّءْيَا بِٱلْحَقِّ لَتَدْخُلُنَّ ٱلْمَسْجِدَ ٱلْحَرَامَ إِن شَآءَ ٱللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا۟ فَجَعَلَ مِن دُونِ ذَٰلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا (٢٧) ٤٨ الفتح

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدًا (٢٨) ٤٨ الفتح

أحق بها) متصفين بمزيد استحقاق لها على أن صيغة التفضيل للزيادة مطلقاً وقيل أحق بها من الكفار (وأهلها) أى المستأهل لها (وكان الله بكل شىء عليما) فيعلم حق كل شىء فيسوقه إلى مستحقه (لقد ٢٧ صدق الله رسوله الرؤيا) رأى رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين وقد حلقوا رؤسهم وقصروا فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا واستبشروا وحسبوا أنهم داخلوها فى عامهم فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبى وعبد الله بن نفيل ورفاعة بن الحرث والله ما حلقنا ولا قصرنا ولا رأينا المسجد الحرام فنزلت أى صدقه صلى الله عليه وسلم فى رؤياه كما فى قولهم صدقنى سن بكره وتحقيقه أراه الرؤيا الصادقة وقوله تعالى (بالحق) إما صفة لمصدر مؤكد محذوف أى صدقا ﴿ ملتبساً بالحق أى بالغرض الصحيح والحكمة البالغة التى هى التمييز بين الراسخ فى الإيمان والمتزلزل فيه أو حال من الرؤيا أى ملتبسة بالحق ليست من قبيل أضغاث الأحلام وقد جوز أن يكون قسما بالحق الذى هو من أسماء الله تعالى أو بنقيض الباطل وقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام) جوابه ﴿ وهو على الأولين جواب قسم محذوف أى والله لتدخلن الخ وقوله تعالى (إن شاء الله) تعليق للعدة ﴿ بالمشيئة لتعليم العباد أو للإشعار بأن بعضهم لا يدخلونه لموت أو غيبة أو غير ذلك أو هى حكاية لما قاله ملك الرؤيا لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو لما قاله عليه الصلاة والسلام لأصحابه (آمنين) ﴿ حال من فاعل لتدخلن والشرط معترض وكذا قوله تعالى (محلقين رؤسكم ومقصرين) أى محلقاً ﴿ بعضكم ومقصراً آخرون وقيل محلقين حال من ضمير آمنين فتكون متداخلة (لا تخافون) حال مؤكدة ﴿ من فاعل لتدخلن أو آمنين أو محلقين أو مقصرين أو استئناف أى لا تخافون بعد ذلك (فعلم مالم تعلموا) ﴿ عطف على صدق والمراد بعلمه تعالى العلم الفعلى المتعلق بأمر حادث بعد المعطوف عليه أى فعلم عقيب ما أراه الرؤيا الصادقة مالم تعلموا من الحكمة الداعية إلى تقديم ما يشهد بالصدق علماً فعلياً (فجعل) ﴿ لأجله (من دون ذلك) أى من دون تحقق مصداق ما رآه من دخول المسجد الحرام الخ (فتحاً قريباً) ﴿ وهو فتح خيبر والمراد بجعله وعده وإنجازه من غير تسويف ليستدل به على صدق الرؤيا حسبما قال ولتكون آية للمؤمنين وأما جعل ما فى قوله تعالى مالم تعلموا عبارة عن الحكمة فى تأخير فتح مكة إلى العام القابل كما جنح إليه الجمهور فتأباه الفاء فإن علمه تعالى بذلك متقدم على إراءة الرؤيا قطعا (هو الذى ٢٨ أرسل رسوله بالهدى) أى ملتبسا به أو بسببه ولأجله (ودين الحق) وبدين الإسلام (ليظهره على ﴿ الدين كله) ليعليه على جنس الدين بجميع أفراده التى هى الأديان المختلفة بنسخ ما كان حقا من بعض

مُحَمَّدٌ رَسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا سِيمَاهُمْ فِى وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ ٱلسُّجُودِ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِى ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴿٢٩﴾ ٤٨ الفتح

الأحكام المتبدلة بتبدل الأعصار وإظهار بطلان ما كان باطلا أو بتسليط المسلمين على أهل سائر الأديان إذ ما من أهل دين إلا وقد قهرهم المسلمون وفيه فضل تأكيد لما وعد من الفتح وتوطين لنفوس المؤمنين على أنه سبحانه سيفتح لهم من البلاد ويتيح لهم من الغلبة على الأقاليم مايستقلون إليه فتح مكة (وكفى بالله شهيداً) على أن ماوعده كائن لامحالة أو على نبوته عليه الصلاة والسلام بإظهار المعجزات (محمد) خبر مبتدأ محذوف وقوله تعالى (رسول الله) بدل أو بيان أو نعت أى ذلك الرسول المرسل بالهدى ودين الحق محمد رسول الله وقيل محمد مبتدأ رسول الله خبره والجملة مبينة للمشهود به وقوله تعالى (والذين معه) مبتدأ خبره (أشداء على الكفار رحماء بينهم) وأشداء جمع شديد ورحماء جمع رحيم والمعنى أنهم يظهرون لمن خالف دينهم الشدة والصلابة ولمن وافقهم فى الدين الرحمة والرأفة كقوله تعالى أذلة على المؤمنين أعزة على الكافرين وقرىء أشداء ورحماء بالنصب على المدح أو على الحال من المستكن فى معه لوقوعه صلة فالخبر حينئذ قوله تعالى (تراهم ركعاً سجداً) أى تشاهدهم حال كونهم راكعين ساجدين لمواظبتهم على الصلوات وهو على الأول خبر آخر أو استئناف وقوله تعالى (يبتغون فضلا من الله ورضوانا) أى ثواباً ورضاً إما خبر آخر أو حال من ضمير تراهم أو من المستتر فى ركعاً سجداً أو استئناف مبنى على سؤال نشأ من بيان مواظبتهم على الركوع والسجود كأنه قيل ماذا يريدون بذلك فقيل يبتغون فضلا من الله الخ (سيماهم) أى سمتهم وقرىء سيمياؤهم بالياء بعد الميم والمد وهما لغتان وفيها لغة ثالثة هى السيماء بالمد وهو مبتدأ خبره (فى وجوههم) أى فى جباههم وقوله تعالى (من أثر السجود) حال من المستكن فى الجار أى من التأثير الذى يؤثره كثرة السجود وما روى عن النبى صلى الله عليه وسلم من قوله عليه الصلاة والسلام لاتعلبوا صوركم أى لاتسموها إنما هو فيما إذا اعتمد بجبهته على الأرض ليحدث فيها تلك السمة وذلك محض رياء ونفاق والكلام فيما حدث فى جبهة السجاد الذى لايسجد إلا خالصا لوجه الله عز وجل وكان الإمام زين العابدين وعلى بن عبد الله بن العباس رضى الله عنهما يقال لهما ذو الثفنات لما أحدثت كثرة سجودهما فى مواقعه منهما أشباه ثفنات البعير قال قائلهم [ديار على والحسين وجعفر * وحمزة والسجاد ذى الثفنات] وقيل صفرة الوجه من خشية الله تعالى وقيل ندى الطهور وتراب الأرض وقيل استنارة وجوههم من طول ما صلوا بالليل قال عليه الصلاة والسلام من كثرت صلاته بالليل حسن وجهه بالنهار وقرىء من آثار السجود ومن إثر السجود بكسر الهمزة (ذلك) إشارة إلى ماذكر

٤٩ ـــ سورة الحجرات

(مدنية وهى ثمانى عشرة آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُقَدِّمُوا۟ بَيْنَ يَدَىِ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿١﴾ ٤٩ الحجرات

من نعوتهم الجليلة وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو شأنه وبعد منزلته فى الفضل وهو مبتدأ خبره قوله تعالى (مثلهم) أى وصفهم العجيب الشأن الجارى فى الغرابة مجرى الأمثال وقوله تعالى (فى التوراة) حال من مثلهم والعامل معنى الإشارة وقوله تعالى (ومثلهم فى الإنجيل) عطف على مثلهم الأول كأنه قيل ذلك مثلهم فى التوراة والإنجيل وتكرير مثلهم لتأكيد غرابته وزيادة تقريرها وقوله تعالى (كزرع أخرج شطأه) الخ تمثيل مستأنف أى هم كزرع أخرج فراخه وقيل هو تفسير لذلك على أنه إشارة مبهمة وقيل خبر لقوله تعالى ومثلهم فى الإنجيل على أن الكلام قد تم عند قوله تعالى مثلهم فى التوراة وقرىء شطأه بفتحات وقرىء شطاه بفتح الطاء وتخفيف الهمزة وشطاءه بالمد وشطه بحذف الهمزة ونقل حركتها إلى ماقبلها وشطوه بقلبها واو (فآزره) فقواه من المؤازرة بمعنى المعاونة أو من الإيزار وهى الإعانة وقرىء فأزره بالتخفيف وأزره بالتشديد أى شد أزره وقوله تعالى (فاستغلظ) فصار غليظاً بعد ما كان دقيقاً (فاستوى على سوقه) فاستقام على قصبه جمع ساق وقرىء سؤقه بالهمزة (يعجب الزراع) بقوته وكثافته وغلظه وحسن منظره وهو مثل ضربه الله عز وجل لأصحابه عليه الصلاة والسلام قلوا فى بدء الإسلام ثم كثروا واستحكموا فترقى أمرهم يوماً فيوماً بحيث أعجب الناس وقيل مكتوب فى الإنجيل سيخرج قوم ينبتون نبات الزرع يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وقوله تعالى (ليغيظ بهم الكفار) علة لما يعرب عنه الكلام من تشبيههم بالزرع فى زكائه واستحكامه أو لما بعده من قوله تعالى (وعد الله الذين آمنوا وعملوا الصالحات منهم مغفرة وأجراً عظيما) فإن الكفار إذا سمعوا بما أعد للمؤمنين فى الآخرة مع مالهم فى الدنيا من العزة غاظهم ذلك أشد غيظ ومنهم للبيان . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الفتح فكأنما كان ممن شهد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فتح مكة .

﴿ سورة الحجرات مدنية وآياتها ثمانى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيها الذين آمنوا) تصدير الخطاب بالنداء لتنبيه المخاطبين على أن مافى حيزه أمر خطير يستدعى مزيد اعتنائهم بشأنه وفرط اهتمامهم بتلقيه ومراعاته ووصفهم بالإيمان لتنشيطهم والإيذان بأنه داع إلى المحافظة عليه ووازع عن الإخلال به (لاتقدموا) أى لاتفعلوا التقديم على أن ترك المفعول للقصد إلى نفس الفعل من غير اعتبار تعلقه بأمر من الأمور على طريقة قولهم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ فَوۡقَ صَوۡتِ ٱلنَّبِيِّ وَلَا تَجۡهَرُواْ لَهُۥ بِٱلۡقَوۡلِ كَجَهۡرِ بَعۡضِكُمۡ لِبَعۡضٍ أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ ﴿٢﴾ ٤٩ الحجرات

فلان يعطى ويمنع أى يفعل الإعطاء والمنع أو لاتقدموا أمراً من الأمور على أن حذف المفعول للقصد إلى تعميمه والأول أو فى بحق المقام لإفادته النهى عن التلبس بنفس الفعل الموجب لانتفائه بالكلية المستلزم لانتفاء تعلقه بمفعوله بالطريق البرهانى وقد جوز أن يكون التقديم بمعنى التقدم ومنه مقدمة الجيش للجماعة المتقدمة ويعضده قراءة من قرألاتقدموا بحذف إحدى التاءين من تتقدموا
* وقرىء لا تقدموا من القدوم وقوله تعالى (بين يدى الله ورسوله) مستعار مما بين الجهتين المسامتتين ليدى الإنسان تهجينا لما نهوا عنه والمعنى لاتقطعوا أمراً قبل أن يحكما به وقيل المراد بين يدى رسول الله وذكر الله تعالى لتعظيمه والإيذان بجلالة محله عنده عز وجل قيل نزل فيما جرى بين أبى بكر وعمر رضى الله عنهما لدى النبى صلى الله عليه وسلم فى تامير الأقرع بن حابس أو القعقاع بن معبد
* (واتقوا الله) فى كل ماتأتون وما تذرون من الأقوال والأفعال التى من جملتها مانحن فيه (إن الله
٢ سميع) لأقوالكم (عليم) بأفعالكم فمن حقه أن يتقى ويراقب (يأيها الذين آمنوا لاترفعوا أصواتكم فوق صوت النبى) شروع فى النهى عن التجاوز فى كيفية القول عند النبى عليه الصلاة والسلام بعد النهى عن التجاوز فى نفس القول والفعل وإعادة النداء مع قرب العهد به للمبالغة فى الإيقاظ والتنبيه والإشعار باستقلال كل من الكلامين باستدعاء الاعتناء بشأنه أى لا تبلغوا بأصواتكم وراء حد
* يبلغه عليه الصلاة والسلام بصوته وقرىء لاترفعوا بأصواتكم على أن الباء زائدة (ولا تجهروا له
* بالقول) إذا كلمتموه (كجهر بعضكم لبعض) أى جهراً كائناً كالجهر الجارى فيما بينكم بل اجعلوا صوتكم أخفض من صوته عليه الصلاة والسلام وتعهدوا فى مخاطبته اللين القريب من الهمس كما هو الدأب عند مخاطبة المهيب المعظم وحافظوا على مراعاة أبهة النبوة وجلالة مقدارها وقيل معنى لاتجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض لاتقولوا له يامحمد يا أحمد وخاطبوه بالنبوة قال ابن عباس رضى الله عنهما لما نزلت هذه الآية قال أبو بكر يارسول الله والله لاأكلمك إلا السرار أو أخا السرار حتى ألقى الله تعالى وعن عمر رضى الله عنه أنه كان يكلمه عليه الصلاة والسلام كأخى السرار لايسمعه حتى يستفهمه وكان أبو بكر رضى الله عنه إذا قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم الوفود أرسل إليهم من يعلمهم كيف يسلمون ويأمرهم بالسكينة والوقار عند رسول الله صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى
* (أن تحبط أعمالكم) إما علة للنهى أى لاتجهروا خشية أن تحبط أو كراهة أن تحبط كما فى قوله تعالى يبين الله لكم أن تضلوا أو للمنهى أى لاتجهروا لأجل الحبوط فإن الجهر حيث كان بصدد الأداء إلى الحبوط فكأنه فعل لأجله على طريقة التمثيل كقوله تعالى ليكون لهم عدواً وحزناً وليس المراد بما نهى عنه من الرفع والجهر ما يقارنه الاستخفاف والاستهانة فإن ذلك كفر بل مايتوهم أن يؤدى إليه مما يجرى بينهم فى أثناء المحاورة من الرفع والجهر حسبما يعرب عنه قوله تعالى كجهر بعضكم

إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصْوَٰتَهُمْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمْتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ لِلتَّقْوَىٰ لَهُم مَّغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿٣﴾ ٤٩ الحجرات

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُنَادُونَكَ مِن وَرَآءِ ٱلْحُجُرَٰتِ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿٤﴾ ٤٩ الحجرات

لبعض خلا أن رفع الصوت فوق صوته عليه الصلاة والسلام لما كان منكراً محضاً لم يقيد بشيء ولا مايقع منهما فى حرب أو مجادلة معاند أو إرهاب عدو أو نحو ذلك وعن ابن عباس رضى الله عنهما نزلت فى ثابت بن قيس بن شماس وكان فى أذنه وقر وكان جهورى الصوت وربما كان يكلم رسول الله صلى الله عليه وسلم فيتأذى بصوته وعن أنس رضى الله عنه أنه لما نزلت الآية فقد ثابت وتفقده عليه الصلاة والسلام فأخبر بشأنه فدعاه فسأله فقال يا رسول الله لقد أنزلت إليك هذه الآية وإنى رجل جهير الصوت فأخاف أن يكون عملى قد حبط فقال له عليه الصلاة والسلام لست هناك إنك تعيش بخير وتموت بخير وإنك من أهل الجنة وأماما يروى عن الحسن من أنها نزلت فى بعض المنافقين الذين كانوا يرفعون أصواتهم فوق صوته عليه الصلاة والسلام فقد قيل محمله أن نهيهم مندرج تحت نهى المؤمنين بدلالة النص (وأنتم لاتشعرون) حال من فاعل تحبط أى والحال أنكم لاتشعرون * بحبوطها وفيه مزيد تحذير مما نهوا عنه وقوله تعالى (إن الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله) الخ ٣ ترغيب فى الانتهاء عما نهوا عنه بعد الترهيب عن الإخلال به أى يخفضونها مراعاة للأدب أو خشية من مخالفة النهى (أولئك) إشارة إلى الموصول باعتبار اتصافه بما فى حيز الصلة وما فيه من معنى البعد * مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مراراً من تفخيم شأنه وهو مبتدأ خبره (الذين امتحن الله قلوبهم * للتقوى) أى جربها للتقوى ومرنها عليها أو عرفها كائنة للتقوى خالصة لها فإن الامتحان سبب المعرفة واللام صلة لمحذوف أو للفعل باعتبار الأصل أوضرب قلوبهم بضروب المحن والتكاليف الشاقة لأجل التقوى فإنها لاتظهر إلا بالاصطبار عليها أو أخلصها للتقوى من امتحن الذهب إذا أذابه وميز إبريزه * من خبثه وعن عمر رضى الله عنه أذهب عنها الشهوات (لهم) فى الآخرة (مغفرة) عظيمة لذنوبهم * (وأجر عظيم) لايقادر قدره والجملة إما خبر آخر لأن كالجملة المصدرة باسم الإشارة أو استئناف * لبيان جزائهم إحماداً لحالهم وتعريضاً بسوء حال من ليس مثلهم (إن الذين ينادونك من وراء الحجرات) ٤ أى من خارجها من خلفها أو قدامها ومن ابتدائية دالة على أن المناداة نشأت من جهة الوراء وأن المنادي داخل الحجرة لوجوب اختلاف المبدأ والمنتهى بحسب الجهة بخلاف ما لو قيل ينادونك وراء الحجرات وقرىء الحجرات بفتح الجيم وبسكونها وثلاثتها جمع حجرة وهى القطعة من الأرض المحجورة بالحائط ولذلك يقال لحظيرة الإبل حجرة وهى فعلة من الحجر بمعنى مفعول كالغرفة والقبضة والمراد بها حجرات أمهات المؤمنين ومناداتهم من ورائها إما بأنهم أتوها حجرة حجرة فنادوه عليه الصلاة والسلام من ورائها أو بأنهم تفرقوا على الحجرات متطلبين له عليه الصلاة والسلام فناد..

وَلَوْ أَنَّهُمْ صَبَرُوا۟ حَتَّىٰ تَخْرُجَ إِلَيْهِمْ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٥﴾ ٤٩ الحجرات

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِن جَآءَكُمْ فَاسِقٌۢ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوٓا۟ أَن تُصِيبُوا۟ قَوْمًۢا بِجَهَٰلَةٍ فَتُصْبِحُوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَٰدِمِينَ ﴿٦﴾ ٤٩ الحجرات

وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ فِيكُمْ رَسُولَ ٱللَّهِ ۚ لَوْ يُطِيعُكُمْ فِى كَثِيرٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ لَعَنِتُّمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ ﴿٧﴾ ٤٩ الحجرات

بعض من وراء هذه وبعض من وراء تلك فأسند فعل الأبعاض إلى الكل وقد جوز أن يكونوا قد نادوه من وراء الحجرة التي كان عليه الصلاة والسلام فيها ولكنها جمعت إجلالا له عليه الصلاة والسلام وقيل إن الذي ناداه عيينة بن حصن الفزاري والأقرع بن حابس وفدا على رسول الله صلى الله عليه وسلم في سبعين رجلا من بني تميم وقت الظهيرة وهو راقد فقالا يا محمد اخرج إلينا وإنما أسند النداء إلى الكل لأنهم رضوا بذلك أو أمروا به أو لأنه وجد فيما بينهم (أكثرهم لا يعقلون) إذ لو كان لهم عقل لما تجاسروا على هذه المرتبة من سوء الأدب (ولو أنهم صبروا حتى تخرج إليهم) أي ولو تحقق صبرهم وانتظارهم حتى تخرج إليهم فإن أن وإن دلت بما في حيزها على المصدر لكنها تفيد بنفسها التحقق والثبوت الفرق البين بين قولك بلغني قيامك وبلغني أنك قائم وحتى تفيد أن الصبر ينبغي أن يكون مغيا بخروجه عليه الصلاة والسلام فإنها مختصة بما هو غاية للشيء في نفسه ولذلك تقول أكلت السمكة حتى رأسها ولا تقول حتى نصفها أو ثلثها بخلاف إلى فإنها عامة وفي إليهم إشعار بأنه لو خرج لا لأجلهم ينبغي أن يصبروا حتى يفاتحهم بالكلام أو يتوجه إليهم (لكان) أي الصبر المذكور (خيراً لهم) من الاستعجال لما فيه من رعاية حسن الأدب وتعظيم الرسول الموجبين للثناء والثواب والإسعاف بالمسؤول إذ روى أنهم وفدوا شافعين في أسارى بني العنبر فأطلق النصف وفادى النصف (والله غفور رحيم) بليغ المغفرة والرحمة واسعهما فلن يضيق ساحتهما عن هؤلاء إن تابوا وأصلحوا (يا أيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا) أي فتعرفوا وتفحصوا روى أنه عليه الصلاة والسلام بعث الوليد ابن عقبة أخا عثمان رضي الله عنه لأمه مصدقا إلى بني المصطلق وكان بينه وبينهم أحنة فلما سمعوا به استقبلوه فحسب أنهم مقاتلوه فرجع وقال لرسول الله صلى الله عليه وسلم قد ارتدوا ومنعوا الزكاة فهم عليه الصلاة والسلام بقتالهم فنزلت وقيل بعث إليهم خالد بن الوليد فوجدهم منادين بالصلاة متهجدين فسلموا إليه الصدقات فرجع وفي ترتيب الأمر بالتبين على فسق المخبر إشارة إلى قبول خبر الواحد العدل في بعض المواد وقرىء فتثبتوا أي توقفوا إلى أن يتبين لكم الحال (أن تصيبوا) حذاراً أن تصيبوا (قوما بجهالة) ملتبسين بجهالة حالهم (فتصبحوا) بعد ظهور براءتهم عما أسند إليهم (على ما فعلتم) في حقهم (نادمين) مغتمين غما لازماً متمنين أنه لم يقع فإن تركيب هذه الأحرف الثلاثة يدور مع الدوام (واعلموا

* أن فيكم رسول الله) أن بما فى حيزها ساد مسد مفعولى اعلموا باعتبار مابعده من قوله تعالى (لو يطيعكم فى كثير من الأمر لعنتم) فإنه حال من أحد الضميرين فى فيكم والمعنى أن فيكم رسول الله كائناً على حالة يجب عليكم تغييرها أو كائنين على حالة الخ وهى أنكم تريدون أن يتبع عليه الصلاة والسلام رأيكم فى كثير من الحوادث ولو فعل ذلك لوقعتم فى الجهد والهلاك وفيه إيذان بأن بعضهم زينوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم الإيقاع ببنى المصطلق تصديقاً لقول الوليد وأنه عليه الصلاة والسلام لم يطع رأيهم وأما صيغة المضارع فقد قيل إنها للدلالة على أن امتناع عنتهم لامتناع استمرار طاعته عليه الصلاة والسلام لهم لأن عنتهم إنما يلزم من استمرار الطاعة فيما يعن لهم من الأمور إذ فيه اختلال أمر الإيالة وانقلاب الرئيس مرؤساً لامن إطاعته فى بعض مايرونه نادراً بل فيها استمالتهم بلا معرة وقيل إنها للدلالة على أن امتناع عنتهم لاستمرار امتناع طاعته عليه الصلاة والسلام لهم فى ذلك فإن المضارع المنفى قد يدل على استمرار النفى بحسب المقام كما فى نظائر قوله تعالى ولا هم يحزنون والتحقيق أن الاستمرار الذى تفيده صيغة المضارع يعتبر تارة بالنسبة إلى مايتعلق بالفعل من الأمور الزمانية المتجددة وذلك بأن يعتبر الاستمرار فى نفس الفعل على الإبهام ثم يعتبر تعلق مايتعلق به بياناً لما فيه الاستمرار وأخرى بالنسبة إلى مايتعلق به من نفس الزمان المتجدد وذلك إذا اعتبر تعلقه بما يتعلق به أولا ثم اعتبر استمراره فيتعين أن يكون ذلك بحسب الزمان فإن أريد باستمرار الطاعة استمرارها وتجددها بحسب تجدد مواقعها الكثيرة التى يفصح عنها قوله تعالى فى كثير من الأمر فالحق هو الأول ضرورة أن مدار امتناع العنت هو امتناع ذلك الاستمرار سواء كان ذلك الامتناع بعدم وقوع الطاعة فى أمر ما من تلك الأمور الكثيرة أصلا أو بعدم وقوعها فى كلها مع وقوعها فى بعض يسير منها حتى لو لم يمتنع ذلك الاستمرار بأحد الوجهين المذكورين بل وقعت الطاعة فيما ذكر من كثير من الأمر فى وقت من الأوقات وقع العنت قطعاً وإن أريد به استمرار الطاعة الواقعة فى الكل وتجددها بحسب تجدد الزمان واستمراره فالحق هو الثانى فإن مناط امتناع العنت حينئذ ليس امتناع استمرار الطاعة المذكورة ضرورة أنه موجب لوقوع العنت بل هو الاستمرار الزمانى لامتناع تلك الطاعة الواقعة فى تلك الأمور الكثيرة بأحد الوجهين المذكورين حتى لو لم يستمر امتناعها بأن وقعت تلك الطاعة فى وقت من الأوقات وقع العنت حتما واعلم أن الأحق بالاختيار والأولى بالاعتبار هو الوجه الأول لأنه أوفق بالقياس المقتضى لاعتبار الامتناع وارداً على الاستمرار حسب ورود كلمة لو المفيدة للأول على صيغة المضارع المفيدة للثانى على أن اعتبار الاستمرار وارداً على النفى على خلاف القياس بمعونة المقام إنما يصار إليه إذا تعذر الجريان على موجب القياس أو لم يكن فيه مزيد مزية كما فى مثل قوله تعالى ولا هم يحزنون حيث حمل على استمرار نفى الحزن عنهم إذ ليس فى نفى استمرار الحزن مزيد فائدة وأما إذا انتظم الكلام مع مراعاة موجب القياس حق الانتظام فالعدول عنه تمحل لايخفى

* وقوله تعالى (ولكن الله حبب إليكم الإيمان) الخ تجريد للخطاب وتوجيه له إلى بعضهم بطريق الاستدراك بياناً لبراءتهم عن أوصاف الأولين وإحماداً لأفعالهم أى ولكنه تعالى جعل الإيمان

فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٨﴾ ٤٩ الحجرات

وَإِن طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا فَإِن بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ فَإِن فَاءَتْ فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٩﴾ ٤٩ الحجرات

إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٠﴾ ٤٩ الحجرات

محبوباً لديكم (وزينه فى قلوبكم) حتى رسخ حبه فيها ولذلك أتيتم بما يليق به من الأقوال والأفعال (وكره إليكم الكفر والفسوق والعصيان) ولذلك اجتنبتم عما يليق بهاما لاخير فيه من آثارها وأحكامها ولما كان فى التحبيب والتكريه معنى إنهاء المحبة والكراهة وإيصالها إليهم استعملا بكلمة إلى وقيل هو استدراك ببيان عذر الأولين كأنه قيل لم يكن ماصدر عنكم فى حق بنى المصطلق من خلل فى عقيدتكم بل من فرط حبكم للإيمان وكراهتكم للكفر والفسوق والعصيان والأول هو الأظهر لقوله تعالى (أولئك هم الراشدون) أى السالكون إلى الطريق السوى الموصل إلى الحق والالتفات إلى الغيبة كالذى فى قوله تعالى وما آتيتم من زكاة تريدون وجه الله فأولئك هم المضعفون (فضلا من الله ونعمة) أى وإنعاماً تعليل لحبب أو كره وما بينهما اعتراض وقيل نصبهما بفعل مضمر أى جرى ذلك فضلا وقيل يبتغون فضلا (والله عليم) مبالغ فى العلم فيعلم أحوال المؤمنين وما بينهم من التفاضل (حكيم) يفعل كل مايفعل بموجب الحكمة (وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا) أى تقاتلوا والجمع باعتبار المعنى (فأصلحوا بينهما) بالنصح والدعاء إلى حكم الله تعالى (فإن بغت) أى تعدت (إحداهما على الأخرى) ولم تتأثر بالنصيحة (فقاتلوا التى تبغى حتى تفىء) أى ترجع (إلى أمر الله) إلى حكمه أو إلى ما أمر به (فإن فاءت) إليه وأقلعت عن القتال حذاراً من قتالكم (فأصلحوا بينهما بالعدل) بفصل مابينهما على حكم الله تعالى ولا تكتفوا بمجرد متاركتهما عسى أن يكون بينهما قتال فى وقت آخر وتقييد الإصلاح بالعدل لأنه مظنة الحيف لوقوعه بعد المقاتلة وقد أكد ذلك حيث قيل (وأقسطوا) أى وأعدلوا فى كل ماتأتون وماتذرون (إن الله يحب المقسطين) فيجازيهم أحسن الجزاء والآية نزلت فى قتال حدث بين الأوس والخزرج فى عهده عليه الصلاة والسلام بالعسف والنعال وفيها دلالة على أن الباغى لايخرج بالبغى عن الإيمان وأنه إذا أمسك عن الحرب ترك لأنه فىء إلى أمر الله تعالى وأنه يجب معاونة من بغى عليه بعد تقديم النصح والسعى فى المصالحة (إنما المؤمنون إخوة) استئناف مقرر لما قبله من الأمر بالإصلاح أى أنهم منتسبون إلى أصل واحد هو الإيمان الموجب للحياة الأبدية والفاء فى قوله تعالى (فأصلحوا بين أخويكم) للإيذان بأن الأخوة الدينية موجبة للإصلاح ووضع المظهر مقام المضمر مضافا إلى المأمورين للمبالغة فى تأكيد وجوب الإصلاح والتحضيض عليه وتخصيص

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا يَسۡخَرۡ قَوۡمٞ مِّن قَوۡمٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُونُواْ خَيۡرٗا مِّنۡهُمۡ وَلَا نِسَآءٞ مِّن نِّسَآءٍ عَسَىٰٓ أَن يَكُنَّ خَيۡرٗا مِّنۡهُنَّۖ وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَلَا تَنَابَزُواْ بِٱلۡأَلۡقَٰبِۖ بِئۡسَ ٱلِٱسۡمُ ٱلۡفُسُوقُ بَعۡدَ ٱلۡإِيمَٰنِۚ وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿١١﴾ ٤٩ الحجرات

الإثنين بالذكر لإثبات وجوب الإصلاح فيمافوق ذلك بالطريق الأولوية لتضاعف الفتنة والفساد فيه وقيل المراد بالأخوين الأوس والخزرج وقرىء بين أخوتكم وإخوانكم (واتقوا الله) فى كل ماتأتون وما تذرون ومن الأمور التى من جملتها ماأمرتم به من الإصلاح (لعلكم ترحمون) راجين أن ترحموا على تقواكم (يأيها الذين آمنوا لايسخر قوم) أى منكم (من قوم) آخرين أيضاً منكم وقوله ١١ تعالى (عسى أن يكونوا خيراً منهم) تعليل للنهى أو لموجبه أى عسى أن يكون المسخور منهم خيراً عند الله تعالى من الساخرين والقوم مختص بالرجال لأنهم القوام على النساء وهو فى الأصل إما جمع قائم كصوم وزور فى جمع صائم وزائر أو مصدر نعت به فشاع فى الجمع وأما تعميمه للفريقين فى مثل قوم عاد وقوم فرعون فإما للتغليب أو لأنهن توابع واختيار الجمع لغلبة وقوع السخرية فى الجمع والتنكير إما للتعميم أو للقصد إلى نهى بعضهم عن سخرية بعض لما أنها مما يجرى بين بعض وبعض (ولا نساء) أى ولا تسخر نساء من المؤمنات (من نساء) منهن (عسى أن يكن) أى المسخور منهن (خيراً منهن) أى من الساخرات فإن مناط الخيرية فى الفريقين ليس مايظهر للناس من الصور والأشكال ولا الأوضاع والأطوار التى عليها يدور أمر السخرية غالباً بل إنما هو الأمور الكامنة فى القلوب فلا يجترىء أحد على استحقار أحد فلعله أجمع منه لما نيط به الخيرية عند الله تعالى فيظلم نفسه بتحقير من وقره الله تعالى والاستهانة بمن عظمه الله تعالى وقرىء عسوا أن يكونوا وعسين أن يكن فعسى حينئذ هى ذات الخبر كما فى قوله تعالى فهل عسيتم وأما على الأول فهى التى لاخبر لها (ولا تلمزوا أنفسكم) أى ولا يعب بعضكم بعضاً فإن المؤمنين كنفس واحدة أو لاتفعلوا ماتلمزون به فإن من فعل مايستحق به اللمز فقد لمز نفسه واللمز الطعن باللسان وقرىء بضم الميم (ولا تنابزوا بالألقاب) أى ولا يدع بعضكم بعضاً بلقب السوء فإن النبز مختص به عرفا (بئس الاسم الفسوق بعد الإيمان) أى بئس الذكر المرتفع للمؤمنين أن يذكروا بالفسق بعد دخولهم الإيمان أو اشتهارهم به فإن الاسم ههنا بمعنى الذكر من قولهم طار اسمه فى الناس بالكرم أو باللؤم والمراد به إما تهجين نسبة الكفر والفسوق إلى المؤمنين خصوصاً إذ روى أن الآية نزلت فى صفية بنت حيي أتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت إن النساء يقلن لى يا يهودية بنت يهوديين فقال عليه الصلاة والسلام هلا قلت إن أبى هرون وعمى موسى وزوجى محمد عليهم السلام أو الدلالة على أن التنابز فسق والجمع بينه وبين الإيمان قبيح (ومن لم يتب) عما نهى عنه (فأولئك هم الظالمون) بوضع العصيان موضع الطاعة وتعريض

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱجْتَنِبُواْ كَثِيرًا مِّنَ ٱلظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ ٱلظَّنِّ إِثْمٌ وَلَا تَجَسَّسُواْ وَلَا يَغْتَب بَّعْضُكُم بَعْضًا أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَن يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ تَوَّابٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾

٤٩ الحجرات

١٢ النفس للعذاب (يأيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيراً من الظن) أى كونوا على جانب منه وإبهام الكثير لإيجاب الاحتياط والتأمل فى كل ظن ظن حتى يعلم أنه من أى قبيل فإن من الظن مايجب اتباعه كالظن فيما لاقاطع فيه من العمليات وحسن الظن بالله تعالى ومنه مايحرم كالظن فى الإلهيات والنبوات وحيث يخالفه قاطع وظن السوء بالمؤمنين ومنه ما يباح كالظن فى الأمور المعاشية (إن بعض الظن إثم) تعليل للأمر بالاجتناب أو لموجبه بطريق الاستئناف التحقيقى والإثم الذنب الذى يستحق العقوبة عليه وهمزته منقلبة من الواو كأنه يثم الأعمال أى يكسرها (ولا تجسسوا) أى ولا تبحثوا عن عورات المسلمين تفعل من الجس لما فيه من معنى الطلب كما أن التلمس بمعنى التطلب لما فى اللمس من الطلب وقد جاء بمعنى الطلب فى قوله تعالى وأنا لمسنا السماء وقرىء بالحاء من الحس الذى هو إثر الجس وغايته ولتقاربهما يقال للمشاعر الحواس بالحاء والجيم وفى الحديث لاتتبعوا عورات المسلمين فإن من تتبع عورات المسلمين تتبع الله عورته حتى يفضحه ولو فى جوف بيته (ولا يغتب بعضكم بعضاً) أى لايذكر بعضكم بعضاً بالسوء فى غيبته وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الغيبة فقال أن تذكر أخاك بما يكره فإن كان فيه فقد اغتبته وإن لم يكن فيه فقد بهته وعن ابن عباس رضى الله عنهما الغيبة إدام كلاب الناس (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه ميتاً) تمثيل وتصوير لما يصدر عن المغتاب من حيث صدوره عنه ومن حيث تعلقه بصاحبه على أفحش وجه وأشنعه طبعاً وعقلا وشرعا مع مبالغات من فنون شتى الاستفهام التقريرى وإسناد الفعل إلى أحد إيذاناً بأن أحداً من الأحدين لايفعل ذلك وتعليق المحبة بما هو فى غاية الكراهة وتمثيل الاغتياب بأكل لحم الإنسان وجعل المأكول أخا للآكل وميتاً وإخراج تماثلها مخرج أمر بين غنى عن الإخبار به وقرىء ميتاً بالتشديد وانتصابه على الحالية من اللحم وقيل من الأخ والفاء فى قوله تعالى (فكرهتموه) لترتيب مابعدها على ماقبلها من التمثيل كأنه قيل وحيث كان الأمر كما ذكر فقد كرهتموه وقرى كرهتموه أى جبلتم على كراهته (واتقوا الله) بترك ما أمرتم باجتنابه والندم على ماصدر عنكم من قبل (إن الله تواب رحيم) مبالغ فى قبول التوبة وإفاضة الرحمة حيث يجعل التائب كمن لم يذنب ولا يخص ذلك بتائب دون تائب بل يعم الجميع وإن كثرت ذنوبهم روى أن رجلين من الصحابة رضى الله عنهم بعثا سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يبغى لهما إداماً وكان أسامة على طعامه عليه الصلاة والسلام فقال ماعندى شىء فأخبرهما سلمان فقالا لو بعثنا سليمان إلى بئر سميحة لغار ماؤها فلما راحا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم قال لهما مالى أرى خضرة اللحم فى أفواهكما فقالا ماتناولنا لحماً فقال عليه الصلاة والسلام إنكما قد اغتبتما

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَـٰكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَـٰكُمْ شُعُوبًا وَقَبَآئِلَ لِتَعَارَفُوٓا۟ ۚ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ ٱللَّهِ أَتْقَىٰكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ ٤٩ الحجرات

قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَـٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ ۖ وَإِن تُطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ لَا يَلِتْكُم مِّنْ أَعْمَـٰلِكُمْ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ٤٩ الحجرات

١٣ فنزلت (يأيها الذين آمنوا إنا خلقناكم من ذكر وأنثى) من آدم وحواء أو خلقنا كل واحد منكم من أب وأم فالكل سواء فى ذلك فلا وجه للتفاخر بالنسب وقد جوز أن يكون تأكيداً للنهى السابق بتقرير الأخوة المانعة من الاغتياب (وجعلناكم شعوباً وقبائل) الشعب الجمع العظيم المنتسبون إلى أصل واحد وهو يجمع القبائل والقبيلة تجمع العمائر والعمارة تجمع البطون والبطن يجمع الأفخاذ والفخذ يجمع الفصائل فخزيمة شعب وكنانة قبيلة وقريش عمارة وقصى بطن وهاشم فخذ والعباس فصيلة وقيل الشعوب بطون العجم والقبائل بطون العرب (لتعارفوا) ليعرف بعضكم بعضاً بحسب الأنساب فلا يعتزى أحد إلى غير آبائه لا لتتفاخروا بالآباء والقبائل وتدعوا التفاوت والتفاضل فى الأنساب وقرىء لتتعارفوا على الأصل ولتعارفوا بالإدغام ولتعرفوا (إن أكرمكم عند الله أتقاكم) تعليل للنهى عن التفاخر بالأنساب المستفاد من الكلام بطريق الاستئناف التحقيقى كأنه قيل إن الأكرم عنده تعالى هو الأتقى فإن فاخرتم ففاخروا بالتقوى وقرىء بأن المفتوحة على حذف لام التعليل كأنه قيل لم لا تتفاخروا بالأنساب فقيل لأن أكرمكم عند الله أتقاكم لا أنسبكم فإن مدار كمال النفوس وتفاوت الأشخاص هو التقوى فمن رام نيل الدرجات العلا فعليه بالتقوى قال عليه الصلاة والسلام من سره أن يكون أكرم الناس فليتق الله وقال عليه الصلاة والسلام يأيها الناس إنما الناس رجلان مؤمن تقى كريم على الله تعالى وفاجر شقى هين على الله تعالى وعن ابن عباس رضى الله عنهما كرم الدنيا الغنى وكرم الآخرة التقوى (إن الله عليم) بكم وبأعمالكم (خبير) ببواطن أحوالكم (قالت الأعراب ١٤ آمنا) نزلت فى نفر من بنى أسد قدموا المدينة فى سنة جدب فأظهروا الشهادتين وكانوا يقولون لرسول الله صلى الله عليه وسلم أتيناك بالأثقال والعيال ولم نقاتلك كما قاتلك بنو فلان يريدون الصدقة ويمنون عليه عليه الصلاة والسلام مافعلوا (قل) رداً لهم (لم تؤمنوا) إذ الإيمان هو التصديق المقارن للثقة وطمأنينة القلب ولم يحصل لكم ذلك وإلا لما مننتم على ماذكرتم كما ينبىء عنه آخر السورة (ولكن قولوا أسلمنا) فإن الإسلام انقياد ودخول فى السلم وإظهار الشهادة وترك المحاربة مشعر به وإيثار ماعليه النظم الكريم على أن يقال لاتقولوا آمنا ولكن قولوا أسلمنا أو لم تؤمنوا ولكن أسلمتم للاحتراز من النهى عن التلفظ بالإيمان وللتفادى عن إخراج قولهم مخرج التسليم والاعتداد به مع كونه تقولا محضاً (ولما يدخل الإيمان فى قلوبكم) حال من ضمير قولوا أى ولكن قولوا أسلمنا حال عدم مواطأة قلوبكم لألسنتكم وما فى لما من معنى التوقع مشعر بأن هؤلاء قد آمنوا فيما بعد (وإن تطيعوا الله ورسوله)

إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟ وَجَٰهَدُوا۟ بِأَمْوَٰلِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿١٥﴾ ٤٩ الحجرات

قُلْ أَتُعَلِّمُونَ ٱللَّهَ بِدِينِكُمْ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٦﴾ ٤٩ الحجرات

يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا۟ قُل لَّا تَمُنُّوا۟ عَلَىَّ إِسْلَٰمَكُم بَلِ ٱللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَىٰكُمْ لِلْإِيمَٰنِ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿١٧﴾ ٤٩ الحجرات

إِنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ غَيْبَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱللَّهُ بَصِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ٤٩ الحجرات

بالإخلاص وترك النفاق (لايلتكم من أعمالكم) لا ينقصكم (شيئاً) من أجورها من لات يليت ليتاً
إذا نقص وقرىء لايألتكم من الألت وهى لغة غطفان أوشيئاً من النقص (إن الله غفور) لما فرط
١٥ من المطيعين (رحيم) بالتفضل عليهم (إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا) لم يشكوا
من ارتاب مطاوع رابه إذا أوقعه فى الشك مع التهمة وفيه إشارة إلى أن فيهم مايوجب نفى الإيمان
عنهم وثم للإشعار بأن اشتراط عدم الارتياب فى اعتبار الإيمان ليس فى حال إنشائه فقط بل وفيما
يستقبل فهى كما فى قوله تعالى ثم استقاموا (وجاهدوا بأموالهم وأنفسهم فى سبيل الله) فى طاعته على
تكثر فنونها من العبادات البدنية المحضة والمالية الصرفة والمشتملة عليها معاً كالحج والجهاد (أولئك)
الموصوفون بما ذكر من الأوصاف الجميلة (هم الصادقون) أى الذين صدقوا فى دعوى الإيمان لاغيرهم
١٦ روى أنه لما نزلت الآية جاؤا وحلفوا أنهم مؤمنون صادقون فنزل لتكذيبهم قوله تعالى (قل أتعلمون
الله بدينكم) أى أتخبرونه بذلك بقولكم آمناً والتعبير عنه بالتعليم لغاية تشنيعهم (والله يعلم مافى
السموات وما فى الأرض) حال من مفعول تعلمون مؤكدة لتشنيعهم وقوله تعالى (والله بكل شىء
عليم) تذييل مقرر لما قبله أى مبالغ فى العلم بجميع الأشياء التى من جملتها ما أخفوه من الكفر عند
١٧ إظهارهم الإيمان وفيه مزيد تجهيل وتوبيخ لهم (يمنون عليك أن أسلموا) أى يعدون إسلامهم منة
عليك وهى النعمة التى لايطلب موليها ثواباً ممن أنعم بها عليه من المن بمعنى القطع لأن المقصود بها
قطع حاجته وقيل النعمة الثقيلة من المن (قل لاتمنوا على إسلامكم) أى لاتعدوا إسلامكم منة على أو
لاتمنوا على بإسلامكم فنصب بنزع الخافض (بل الله يمن عليكم أن هداكم للإيمان) على مازعمتم مع أن
الهداية لاتستلزم الاهتداء وقرىء أن هداكم وإذ هداكم (إن كنتم صادقين) فى ادعاء الإيمان وجوابه
محذوف يدل عليه ماقبله أى فلله المنة عليكم وفى سياق النظم الكريم من اللطف مالا يخفى فإنهم لما سموا
ماصدر عنهم إيماناً ومنوا به فنفى كونه إيماناً وسمى إسلاماً قيل يمنون عليك بما هو فى الحقيقة إسلام
١٨ وليس بجدير بالمن بل لو صح ادعاؤهم للإيمان فلله المنة عليهم بالهداية إليه لا لهم (إن الله يعلم غيب
السموات والأرض) أى ماغاب فيهما (والله بصير بما تعملون) فى سركم وعلانيتكم فكيف يخفى عليه

٥٠ – سورة ق
(مكية وهى خمس وأربعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

قٓ وَالْقُرْءَانِ الْمَجِيدِ ﴿١﴾ ٥٠ ق

بَلْ عَجِبُوٓا أَن جَآءَهُم مُّنذِرٌ مِّنْهُمْ فَقَالَ الْكَٰفِرُونَ هَٰذَا شَىْءٌ عَجِيبٌ ﴿٢﴾ ٥٠ ق

أَءِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا ذَٰلِكَ رَجْعٌۢ بَعِيدٌ ﴿٣﴾ ٥٠ ق

مافى ضمائركم وقرىء بالياء . عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحجرات أعطى من الأجر بعدد من أطاع الله وعصاه .

﴿ سورة ق مكية وآياتها خمس وأربعون ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (ق والقرآن المجيد) أى ذى المجد والشرف على سائر الكتب أو لأنه كلام المجيد أولأن من علم معانيه وعمل بما فيه مجد عند الله تعالى وعند الناس والكلام فيه كالذى فصل فى مطلع سورة ص وقوله تعالى (بل عجبوا أن جاءهم منذر منهم) أى لأن جاءهم منذر من جنسهم لامن ٢ جنس الملك أو من جلدتهم إضراب عما ينبىء عنه جواب القسم المحذوف كأنه قيل والقرآن المجيد أنزلناه إليك لتنذر به الناس حسبما ورد فى صدر سورة الأعراف كأنه قيل بعد ذلك لم يؤمنوا به بل جعلوا كلا من المنذر والمنذر به عرضة للنكير والتعجيب مع كونهما أوفق شىء لقضية العقول وأقربه إلى التلقى بالقبول وقيل التقدير والقرآن المجيد إنك لمنذر ثم قيل بعده إنهم شكوا فيه ثم أضرب عنه وقيل بل عجبوا أى لم يكتفوا بالشك والرد بل جزموا بالخلاف حتى جعلوا ذلك من الأمور العجيبة وقيل هو إضراب عما يفهم من وصف القرآن بالمجيد كأنه قيل ليس سبب امتناعهم من الإيمان بالقرآن أنه لامجد له ولكن لجهلهم (فقال الكافرون هذا شىء عجيب) تفسير لتعجيبهم وبيان لكونه مقارناً * لغاية الإنكار مع زيادة تفصيل لمحل التعجب وهذا إشارة إلى كونه عليه الصلاة والسلام منذراً بالقرآن وإضمارهم أولا للإشعار بتعينهم بما أسند إليهم وإظهارهم ثانياً للتسجيل عليهم بالكفر بموجبه أو عطف لتعجبهم من البعثة على أن هذا إشارة إلى مبهم يفسره مابعده من الجملة الإنكارية ووضع المظهر موضع المضمر إما لسبق اتصافهم بما يوجب كفرهم وإما للإيذان بأن تعجبهم من البعث لدلالته على استقصارهم لقدرة الله سبحانه عنه مع معاينتهم لقدرته تعالى على ماهو أشق منه فى قياس العقل من مصنوعاته البديعة أشنع من الأول وأعرق فى كونه كفراً (أئذا متنا وكنا تراباً) تقرير للتعجيب وتأكيد للإنكار ٣

قَدْ عَلِمْنَا مَا تَنقُصُ ٱلْأَرْضُ مِنْهُمْ وَعِندَنَا كِتَٰبٌ حَفِيظٌ ﴿٤﴾ ٥٠ ق

بَلْ كَذَّبُوا۟ بِٱلْحَقِّ لَمَّا جَآءَهُمْ فَهُمْ فِىٓ أَمْرٍ مَّرِيجٍ ﴿٥﴾ ٥٠ ق

أَفَلَمْ يَنظُرُوٓا۟ إِلَى ٱلسَّمَآءِ فَوْقَهُمْ كَيْفَ بَنَيْنَٰهَا وَزَيَّنَّٰهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ ٥٠ ق

وَٱلْأَرْضَ مَدَدْنَٰهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَٰسِىَ وَأَنۢبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍۭ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ ٥٠ ق

تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ ٥٠ ق

والعامل فى إذا مضمر غنى عن البيان لغاية شهرته مع دلالة مابعده عليه أى أحين نموت ونصير تراباً نرجع كما ينطق به النذير والمنذر به مع كمال التباين بيننا وبين الحياة حينئذ وقرىء إذا متنا على لفظ الخبر أو على حذف أداة الإنكار (ذلك) إشارة إلى محل النزاع (رجع بعيد) أى عن الأوهام أو العادة أو الإمكان وقيل الرجع بمعنى المرجوع الذى هو الجواب فناصب الظرف حينئذ ماينبىء عنه المنذر من البعث (قد علمنا ماتنقص الأرض منهم) رد لاستبعادهم وإزاحة له فإن من عم علمه ولطف حتى انتهى إلى حيث علم ما تنقص الأرض من أجساد الموتى وتأكل من لحومهم وعظامهم كيف يستبعد رجعه إياهم أحياء كما كانوا عن النبى صلى الله عليه وسلم كل ابن آدم يبلى إلا عجب الذنب وقيل ماتنقص الأرض منهم مايموت فيدفن فى الأرض منهم (وعندنا كتاب حفيظ) حافظ لتفاصيل الأشياء كلها أو محفوظ من التغير والمراد إما تمثيل علمه تعالى بكليات الأشياء وجزئياتها بعلم من عنده كتاب محيط يتلقى منه كل شىء أو تأكيد لعلمه تعالى بها بثبوتها فى اللوح المحفوظ عنده (بل كذبوا بالحق) إضراب وانتقال من بيان شناعتهم السابقة إلى بيان ماهو أشنع منه وأفظع وهو تكذيبهم للنبوة الثابتة بالمعجزات الباهرة (لما جاءهم) من غير تأمل وتفكر وقرىء لما جاءهم بالكسر على أن اللام للتوقيت أى وقت مجيئه إياهم وقيل الحق القرآن أو الإخبار بالبعث (فهم فى أمر مريج) أى مضطرب لاقرار له من مرج الخاتم فى أصبعه حيث يقولون تارة إنه شاعر وتارة ساحر وأخرى كاهن (أفلم ينظروا) أى أغفلوا أو أعموا فلم ينظروا (إلى السماء فوقهم) بحيث يشاهدونها كل وقت (كيف بنيناها) أى رفعناها بغير عمد (وزيناها) بمافيها من الكواكب المرتبة على نظام بديع (وما لها من فروج) من فتوق لملاستها وسلامتها من كل عيب وخلل ولعل تأخير هذا لمراعاة الفواصل (والأرض مددناها) أى بسطناها (وألقينا فيها رواسى) جبالا ثوابت من رسا الشىء إذا ثبت والتعبير عنها بهذا الوصف للإيذان بأن إلقاءها بإرساء الأرض بها (وأنبتنا فيها من كل زوج) من كل صنف (بهيج) حسن (تبصرة وذكرى) علتان للأفعال المذكورة معنى وإن انتصبتا بالفعل الأخير أو لفعل مقدر بطريق الاستئناف أى فعلنا مافعلنا تبصيراً وتذكيراً (لكل عبد منيب) أى راجع إلى ربه متفكر فى بدائع صنائعه .

وَنَزَّلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً مُّبَٰرَكًا فَأَنۢبَتْنَا بِهِۦ جَنَّٰتٍ وَحَبَّ ٱلْحَصِيدِ ﴿٩﴾ ٥٠ ق

وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ٥٠ ق

رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ ٱلْخُرُوجُ ﴿١١﴾ ٥٠ ق

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَأَصْحَٰبُ ٱلرَّسِّ وَثَمُودُ ﴿١٢﴾ ٥٠ ق

وَعَادٌ وَفِرْعَوْنُ وَإِخْوَٰنُ لُوطٍ ﴿١٣﴾ ٥٠ ق

---

٩ وقوله تعالى (ونزلنا من السماء ماء مباركا) أى كثير المنافع شروع فى بيان كيفية إنبات ماذكر من كل زوج بهيج وهو عطف على أنبتنا وما بينهما على الوجه الأخير اعتراض مقرر لما قبله ومنبه على مابعده (فأنبتنا به) أى بذلك الماء (جنات) كثيرة أى أشجاراً ذوات ثمار (وحب الحصيد) أى * حب الزرع الذى شأنه أن يحصد من البر والشعير وأمثالها وتخصيص إنبات حبه بالذكر لأنه المقصود بالذات (والنخل) عطف على جنات وتخصيصها بالذكر مع اندراجها فى الجنات لبيان فضلها على سائر ١٠ الأشجار وتوسيط الحب بينهما لتأكيد استقلالها وامتيازها عن البقية مع مافيها من مراعاة الفواصل (باسقات) أى طوالا أو حوامل من أبسقت الشاة إذا حملت فيكون من باب أفعل فهو فاعل وقرىء * باصقات لأجل القاف (لها طلع نضيد) أى منضود بعضه فوق بعض والمراد تراكم الطلع أو كثرة * مافيه من الثمر والجملة حال من النخل كباسقات بطريق الترادف أو من ضميرها فى باسقات على التداخل أو الحال هو الجار والمجرور وطلع مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (رزقا للعباد) أى لنرزقهم علة ١١ لقوله تعالى فأنبتنا وفى تعليله بذلك بعد تعليل أنبتنا الأول بالتبصرة والتذكير تنبيه على أن الواجب على العبد أن يكون انتفاعه بذلك من حيث التذكر والاستبصار أهم وأقدم من تمتعه به من حيث الرزق وقيل رزقا مصدر من معنى أنبتنا لأن الإنبات رزق (وأحيينا به) أى بذلك الماء (بلدة ميتاً) أرضاً * جدبة لانماء فيها أصلا بأن جعلناها بحيث ربت وأنبتت أنواع النبات والأزهار فصارت تهتز بها بعدما كانت جامدة هامدة وتذكير ميتاً لأن البلدة بمعنى البلد والمكان (كذلك الخروج) جملة قدم فيها الخبر للقصد إلى * القصر وذلك إشارة إلى الحياة المستفادة من الإحياء وما فيه من معنى البعد للإشعار ببعد رتبتها أى مثل تلك الحياة البديعة حياتكم بالبعث من القبور لاشىء مخالف لها وفى التعبير عن إخراج النبات من الأرض بالإحياء وعن حياة الموتى بالخروج تفخيم لشأن الإنبات وتهوين لأمر البعث وتحقيق للمماثلة بين إخراج النبات وإحياء الموتى لتوضيح منهاج القياس وتقريبه إلى أفهام الناس وقوله تعالى (كذبت قبلهم قوم نوح) الخ استئناف وارد لتقرير حقية البعث ببيان كافة الرسل عليهم السلام ١٢ عليها وتعذيب منكريها (وأصحاب الرس) قيل هم ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام وقيل وقيل * كما مر فى سورة الفرقان على التفصيل (وثمود) (وعاد وفرعون) أى هو وقومه ليلائم ماقبله وما بعده ١٣

وَأَصْحَٰبُ ٱلْأَيْكَةِ وَقَوْمُ تُبَّعٍ كُلٌّ كَذَّبَ ٱلرُّسُلَ فَحَقَّ وَعِيدِ ﴿١٤﴾ ٥٠ ق

أَفَعَيِينَا بِٱلْخَلْقِ ٱلْأَوَّلِ بَلْ هُمْ فِى لَبْسٍ مِّنْ خَلْقٍ جَدِيدٍ ﴿١٥﴾ ٥٠ ق

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِۦ نَفْسُهُۥ وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ ٱلْوَرِيدِ ﴿١٦﴾ ٥٠ ق

إِذْ يَتَلَقَّى ٱلْمُتَلَقِّيَانِ عَنِ ٱلْيَمِينِ وَعَنِ ٱلشِّمَالِ قَعِيدٌ ﴿١٧﴾ ٥٠ ق

١٤ (وإخوان لوط) قيل كانوا من أصهاره عليه الصلاة والسلام (وأصحاب الأيكة) هم ممن بعث إليهم شعيب عليه السلام غير أهل مدين (وقوم تبع) سبق شرح حالهم فى سورة الدخان (كل كذب الرسل) أى فيما أرسلوا به من الشرائع التى من جملتها البعث الذى أجمعوا عليه قاطبة أى كل قوم من الأقوام المذكورين كذبوا رسولهم أو كذب جميعهم جميع الرسل بالمعنى المذكور وإفراد الضمير باعتبار لفظ الكل أو كل واحد منهم كذب جميع الرسل لاتفاقهم على الدعوة إلى التوحيد والإنذار بالبعث والحشر فتكذيب واحد منهم تكذيب للكل وهذا على تقدير رسالة تبع ظاهر وأما على تقدير عدمها وهو الأظهر فمعنى تكذيب قومه الرسل تكذيبهم بمن قبلهم من الرسل المجمعين على التوحيد والبعث وإلى ذلك كان يدعوهم تبع (فحق وعيد) أى فوجب وحل عليهم وعيدى وهى كلمة العذاب وفيه تسلية

١٥ للرسول صلى الله عليه وسلم وتهديد لهم (أفعيينا بالخلق الأول) استئناف مقرر لصحة البعث الذى حكيت أحوال المنكرين له من الأمم المهلكة والعى بالأمر العجز عنه يقال عى بالأمر وعيي به إذا لم يهتد لوجه عمله والهمزة للإنكار والفاء للعطف على مقدر ينبىء عنه العى من القصد والمباشرة كأنه قيل أقصدنا الخلق الأول فعجزنا عنه حتى يتوهم عجزنا عن الإعادة (بل هم فى لبس من خلق جديد) عطف على مقدر يدل عليه ماقبله كأنه قيل هم غير منكرين لقدرتنا على خلق الأول بل هم فى خلط وشبهة فى خلق مستأنف لما فيه من مخالفة العادة وتنكير خلق لتفخيم شأنه والإشعار بخروجه عن

١٦ حدود العادات والإيذان بأنه حقيق بأن يبحث عنه ويهتم بمعرفته (ولقد خلقنا الإنسان ونعلم ماتوسوس به نفسه) أى ماتحدثه به نفسه وهو يخطر بالبال والوسوسة الصوت الخفى ومنه وسواس الحلى والضمير لما إن جعلت موصولة والباء كما فى صوت بكذا أو للإنسان وإن جعلت مصدرية والباء للتعدية (ونحن أقرب إليه من حبل الوريد) أى أعلم بحاله ممن كان أقرب إليه من حبل الوريد عبر عن قرب العلم بقرب الذات تجوزاً لأنه موجب له وحبل الوريد مثل فى فرط القرب والحبل العرق وإضافته بيانية والوريدان عرقان مكتنفان بصفحتى العنق فى مقدمها متصلان بالوتين يردان من الرأس إليه وقيل

١٧ سمى وريداً لأن الروح ترده (إذ يتلقى المتلقيان) منصوب بما فى أقرب من معنى الفعل والمعنى أنه لطيف يتوصل علمه إلى مالا شىء أخفى منه وهو أقرب من الإنسان من كل قريب حين يتلقى ويتلقن الحفيظان ما يتلفظ به وفيه إيذان بأنه تعالى غنى عن استحفاظهما لإحاطة علمه بما يخفى عليهما وإنما ذلك لما فى كتبتهما وحفظهما لأعمال العبد وعرض صحائفهما يوم يقوم الأشهاد وعلم العبد بذلك مع علمه

مَّا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ﴿١٨﴾
وَجَاءَتْ سَكْرَةُ ٱلْمَوْتِ بِٱلْحَقِّ ذَٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴿١٩﴾

بإحاطته تعالى بتفاصيل أحواله خبراً من زيادة لطف له فى الكف عن السيئات والرغبة فى الحسنات وعنه عليه الصلاة والسلام أن مقعد ملكيك على ثنيتيك ولسانك قلمهما وريقك مدادهما وأنت تجرى فيما لا يعنيك لا تستحيى من الله ولا منهما وقد جوز أن يكون تلقى الملكين بياناً للقرب على معنى أنا أقرب إليه مطلعون على أعماله لأن حفظتنا وكتبتنا موكلون به (عن اليمين وعن الشمال قعيد) أى عن اليمين قعيد وعن الشمال قعيد أى مقاعد كالجليس بمعنى المجالس لفظاً ومعنى فحذف الأول لدلالة الثانى عليه كما فى قول من قال [رمانى بأمر كنت منه ووالدى بريئاً ومن أجل الطوى رمانى] وقيل يطلق الفعيل على الواحد والمتعدد كما فى قوله تعالى والملائكة بعد ذلك ظهير (ما يلفظ من قول) ما يرمى به من فيه من خير أو شر وقرىء ما يلفظ على البناء للمفعول (إلا لديه رقيب) ملك يرقب قوله ويكتبه فإن كان خيراً فهو صاحب اليمين بعينه وإلا فهو صاحب الشمال ووجه تغيير العنوان غنى عن البيان والإفراد مع وقوفهما معاً على ما صدر عنه لما أن كلا منهما رقيب لما فوض إليه لا لما فوض إلى صاحبه كما ينبىء عنه قوله تعالى (عتيد) أى معد مهيأ لكتابة ما أمر به من الخير أو الشر ومن لم يتنبه له توهم أن معناه رقيبان عتيدان وتخصيص القول بالذكر لإثبات الحكم فى الفعل بدلالة النص واختلف فيما يكتبانه فقيل يكتبان كل شىء حتى أنينه فى مرضه وقيل إنما يكتبان ما فيه من أجر أو وزر وهو الأظهر كما ينبىء عنه قوله صلى الله عليه وسلم كاتب الحسنات على يمين الرجل وكاتب السيئات على يساره وكاتب الحسنات أمير على كاتب السيئات فإذا عمل حسنة كتبها ملك اليمين عشراً وإذا عمل سيئة قال صاحب اليمين لصاحب الشمال دعه سبع ساعات لعله يسبح أو يستغفر (وجاءت سكرة الموت بالحق) بعد ما ذكر استبعادهم للبعث والجزاء وأزيح ذلك بتحقيق قدرته تعالى وعلمه وبين أن جميع أعمالهم محفوظة مكتوبة عليهم أتبع ذلك ببيان ما يلاقونه لا محالة من الموت والبعث وما يتفرع عليه من الأحوال والأهوال وقد عبر عن وقوع كل منها بصيغة الماضى إيذاناً بتحقيقها وغاية اقترابها وسكرة الموت شدته الذاهبة بالعقل والباء إما للتعدية كما فى قولك جاء الرسول بالخبر والمعنى أحضره سكرة الموت حقيقة الأمر الذى نطقت به كتب الله ورسله أو حقيقة الأمر وجلية الحال من سعادة الميت وشقاوته وقيل الحق الذى لابد أن يكون لا محالة من الموت أو الجزاء فإن الإنسان خلق له وإما للملابسة كالتى فى قوله تعالى تنبت بالدهن أى ملتبسة بالحق أى بحقيقة الأمر أو بالحكمة والغاية الجميلة وقرىء سكرة الحق بالموت والمعنى أنها السكرة التى كتبت على الإنسان بموجب الحكمة وأنها لشدتها توجب زهوق الروح أو تستعقبه وقيل الباء بمعنى مع وقيل سكرة الحق سكرة الله تعالى على أن الإضافة للتهويل

وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ ﴿٢٠﴾ ٥٠ ق

وَجَاءَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَعَهَا سَائِقٌ وَشَهِيدٌ ﴿٢١﴾ ٥٠ ق

لَقَدْ كُنتَ فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَٰذَا فَكَشَفْنَا عَنكَ غِطَاءَكَ فَبَصَرُكَ الْيَوْمَ حَدِيدٌ ﴿٢٢﴾ ٥٠ ق

وَقَالَ قَرِينُهُ هَٰذَا مَا لَدَيَّ عَتِيدٌ ﴿٢٣﴾ ٥٠ ق

أَلْقِيَا فِي جَهَنَّمَ كُلَّ كَفَّارٍ عَنِيدٍ ﴿٢٤﴾ ٥٠ ق

وقرىء سكرات الموت (ذلك) أى الموت (ما كنت منه تحيد) أى تميل وتنفر عنه والخطاب للإنسان
٢٠ فإن النفرة عنه شاملة لكل فرد من أفراده طبعاً (ونفخ فى الصور) هى النفخة الثانية (ذلك) أى
وقت ذلك النفخ على حذف المضاف (يوم الوعيد) أى يوم إنجاز الوعيد الواقع فى الدنيا أى يوم وقوع
الوعيد على أنه عبارة عن العذاب الموعود وقيل ذلك إشارة إلى الزمان المفهوم من نفخ فإن الفعل
كما يدل على الحدث يدل على الزمان وتخصيص الوعيد بالذكر مع أنه يوم الوعد أيضاً لتهويله ولذلك
٢١ بدىء ببيان حال الكفرة (وجاءت كل نفس) من النفوس البرة والفاجرة (معها سائق وشهيد) وإن
اختلفت كيفية السوق والشهادة حسب اختلاف النفوس عملا أى معها ملكان أحدهما يسوقها إلى
المحشر والآخر يشهد بعملها أو ملك جامع بين الوصفين كأنه قيل معها ملك يسوقها ويشهد عليها وقيل
السائق كاتب السيئات والشهيد كاتب الحسنات وقيل السائق نفسه أو قرينه والشهيد جوارحه أو أعماله
ومحل معها النصب على الحالية من كل لإضافته إلى ما هو فى حكم المعرفة كأنه قيل كل النفوس أو الجر
٢٢ على أنه وصف لنفس أو الرفع على أنه وصف لكل وقوله تعالى (لقد كنت فى غفلة من هذا) محكى
بإضمار قول هو إما صفة أخرى لنفس أو حال أخرى منها أو استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله
كأنه قيل فماذا يفعل بها فقيل يقال لقد كنت فى غفلة الخ وخطاب الكل بذلك لما أنه ما من أحد إلا
وله غفلة ما من الآخرة وقيل الخطاب للكافر وقرىء كنت بكسر التاء على اعتبار تأنيث النفس والتذكير
على القراءة المشهورة بتأويل الشخص كما فى قول جبلة بن حريث [يا نفس إنك باللذات مسروراً *
فاذكر فهل ينفعك اليوم تذكير] (فكشفنا عنك غطاءك) الغطاء الحجاب المغطى لأمور المعاد وهو
الغفلة والانهماك فى المحسوسات والألف بها وقصر النظر عليها (فبصرك اليوم حديد) نافذ لزوال المانع
٢٣ للإبصار وقرىء بكسر الكاف فى المواضع الثلاثة (وقال قرينه) أى الشيطان المقيض له مشيراً إليه
(هذا ما لدى عتيد) أى هذا ما عندى وفى ملكتى عتيد لجهنم قد هيأته لها بإغوائى وإضلالى وقيل
قال الملك الموكل به مشيراً إلى ما معه من كتاب عمله هذا مكتوب عندى عتيد مهيأ للعرض وما إن
جعلت موصوفة فعتيد صفتها وإن جعلت موصولة فهى بدل منها أو خبر بعد خبر أو خبر لمبتدأ
٢٤ محذوف (ألقيا فى جهنم كل كفار) خطاب من الله تعالى للسائق والشهيد أو للملكين من خزنة النار

مَنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ٥٠ ق

ٱلَّذِى جَعَلَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَأَلْقِيَاهُ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلشَّدِيدِ ﴿٢٦﴾ ٥٠ ق

قَالَ قَرِينُهُۥ رَبَّنَا مَآ أَطْغَيْتُهُۥ وَلَٰكِن كَانَ فِى ضَلَٰلٍۭ بَعِيدٍ ﴿٢٧﴾ ٥٠ ق

قَالَ لَا تَخْتَصِمُوا۟ لَدَىَّ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُم بِٱلْوَعِيدِ ﴿٢٨﴾ ٥٠ ق

مَا يُبَدَّلُ ٱلْقَوْلُ لَدَىَّ وَمَآ أَنَا۠ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ﴿٢٩﴾ ٥٠ ق

أو لواحد على تنزيل تثنية الفاعل منزلة تثنية الفعل وتكريره كقول من قال [فإن تزجرانى يا ابن عفان أنزجر * وإن تدعانى أحم عرضاً ممنعاً] أو على أن الألف بدل من نون التأكيد على إجراء الوصل مجرى الوقف ويؤيده أنه قرىء ألقين بالنون الخفيفة (عنيد) معاند للحق (مناع للخير) كثير المنع ٢٥ للمال عن حقوقه المفروضة وقيل المراد بالخير الإسلام فإن الآية نزلت فى الوليد بن المغيرة لما منع بنى أخيه منه (معتد) ظالم متخط للحق (مريب) شاك فى الله وفى دينه (الذى جعل مع الله إلهاً آخر) مبتدأ ٢٦ متضمن لمعنى الشرط خبره (فألقياه فى العذاب الشديد) أو بدل من كل كفار وقوله تعالى فألقياه تكرير * للتوكيد أو مفعول لمضمر يفسره فألقياه (قال قرينه) أى الشيطان المقيض له وإنما استؤنف استئناف ٢٧ الجمل الواقعة فى حكاية المقاولة لما أنه جواب لمحذوف دل عليه قوله تعالى (ربنا ما أطغيته) فإنه منبىء * عن سابقة كلام اعتذر به الكافر كأنه قال هو أطغانى فأجاب قرينه بتكذيبه وإسناد الطغيان إليه بخلاف الجملة الأولى فإنها واجبة العطف على ماقبلها دلالة على أن الجمع بين مفهوميهما فى الحصول أعنى مجىء كل نفس مع الملكين وقول قرينه (ولكن كان) هو بالذات (فى ضلال بعيد) من الحق فأعنته * عليه بالإغواء والدعوة إليه من غير قسر وإلجاء كما فى قوله تعالى وما كان لى عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لى (قال) استئناف مبنى على سؤال نشأ مما قبله كأنه قيل فماذا قال الله تعالى فقيل ٢٨ قال (لاتختصموا لدى) أى فى موقف الحساب والجزاء إذ لا فائدة فى ذلك (وقد قدمت إليكم بالوعيد) * على الطغيان فى دار الكسب فى كتبى وعلى ألسنة رسلى فلا تطمعوا فى الخلاص عنه بما أنتم فيه من التعلل بالمعاذير الباطلة والجملة حال فيها تعليل للنهى على معنى لاتختصموا وقد صح عندكم أنى قدمت إليكم بالوعيد حيث قلت لإبليس لأملأن جهنم منك وممن تبعك منهم أجمعين فاتبعتموه معرضين عن الحق فلا وجه للاختصام فى هذا الوقت والباء مزيدة أو معدية على أن قدم بمعنى تقدم وقد جوز أن يكون قدمت واقعاً على قوله تعالى (مايبدل القول لدى) الخ ويكون بالوعيد متعلقاً بمحذوف هو حال من ٢٩ المفعول أو الفاعل أى وقد قدمت إليكم هذا القول ملتبساً بالوعيد مقترناً به أو قدمته إليكم موعداً لكم به فلا تطمعوا أن أبدل وعيدى والعفو عن بعض المذنبين لأسباب داعية إليه ليس بتبديل فإن دلائل العفو تدل على تخصيص الوعيد وقوله تعالى (وما أنا بظلام للعبيد) وارد لتحقيق الحق على الوجه *

يَوْمَ نَقُولُ لِجَهَنَّمَ هَلِ ٱمْتَلَأْتِ وَتَقُولُ هَلْ مِن مَّزِيدٍ ﴿٣٠﴾ ٥٠ ق

وَأُزْلِفَتِ ٱلْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ ﴿٣١﴾ ٥٠ ق

هَٰذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ ﴿٣٢﴾ ٥٠ ق

الكلى وتبيين أن عدم تبديل القول وتحقيق موجب الوعيد ليس من جهته تعالى من غير استحقاق له منهم بل إنما ذلك بما صدر عنهم من الجنايات الموجبة له حسبما أشير إليه آنفاً أى وما أنا بمعذب العبيد بغير ذنب ليس بظلم على ماتقرر من قاعدة أهل السنة فضلاً عن كونه ظلماً مفرطاً لبيان كمال نزاهته تعالى عن ذلك بتصويره بصورة مايستحيل صدوره عنه سبحانه من الظلم وصيغة المبالغة لتأكيد هذا المعنى بإبراز ماذكر من التعذيب بغير ذنب فى معرض المبالغة فى الظلم وقيل هى لرعاية جمعية العبيد من قولهم فلان ظالم لعبده وظلام لعبيده على أنها مبالغة كما لا كيفاً (يوم نقول لجهنم هل امتلأت وتقول هل من مزيد) سؤال وجواب جىء بهما على منهاج التمثيل والتخييل لتهويل أمرها والمعنى أنها مع اتساعها وتباعد أقطارها تطرح فيها من الجنة والناس فوجاً بعد فوج حتى تمتلىء أو أنها من السعة بحيث يدخلها من يدخلها وفيها بعد محل فارغ أو أنها لغيظها على العصاة تطلب زيادتهم وقرىء يقول بالياء والمزيد إما مصدر كالحيد والجيد أو مفعول كالمبيع ويوم إما منصوب باذكر أو أنذر أو ظرف لنفخ فيكون ذلك حينئذ إشارة إليه من غير حاجة إلى تقدير مضاف أو لمقدر مؤخر أى يكون من الأحوال والأهوال مايقصر عنه المقال (وأزلفت الجنة للمتقين) شروع فى بيان حال المؤمنين بعد النفخ ومجىء النفوس إلى موقف الحساب وقد مر سر تقديم بيان حال الكفرة عليه وهو عطف على نفخ أى قربت للمتقين عن الكفر والمعاصى بحيث يشاهدونها من الموقف ويقفون على مافيها من فنون المحاسن فيبتهجون بأنهم محشورون إليها فائزون بها وقوله تعالى (غير بعيد) تأكيد للإزلاف أى مكاناً غير بعيد بحيث يشاهدونها أو حال كونها غير بعيد أى شيئاً غير بعيد ويجوز أن يكون التذكير لكونه على زنة المصدر الذى يستوى فى الوصف به المذكر والمؤنث أو لتأويل الجنة بالبستان (هذا ما توعدون) إشارة إلى الجنة والتذكير لما أن المشار إليه هو المسمى من غير أن يخطر بالبال لفظ يدل عليه فضلاً عن تذكيره وتأنيثه فإنهما من أحكام اللفظ العربى كما مر فى قوله تعالى فلما رأى الشمس بازغة قال هذا ربى وقوله تعالى ولما رأى المؤمنون الأحزاب قالوا هذا ما وعدنا الله ورسوله ويجوز أن يكون ذلك لتذكير الخبر وقيل هو إشارة إلى ثواب وقيل إلى مصدر أزلفت وقرىء يوعدون والجملة إما اعتراض بين البدل والمبدل منه وإما مقدر بقول هو حال من المتقين أو من الجنة والعامل أزلفت أى مقولا لهم أو مقولا فى حقها هذا ما توعدون (لكل أواب) أى رجاع إلى الله تعالى بدل من المتقين بإعادة الجار (حفيظ) حافظ لتوبته من النقض وقيل هو الذى يحفظ ذنوبه حتى يرجع عنها ويستغفر منها وقيل هو الحافظ لأوامر الله تعالى وقيل لما استودعه الله تعالى من حقوقها .

مَّنْ خَشِيَ ٱلرَّحْمَٰنَ بِٱلْغَيْبِ وَجَآءَ بِقَلْبٍ مُّنِيبٍ ﴿٣٣﴾ ٥٠ ق

ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ٥٠ ق

لَهُم مَّا يَشَآءُونَ فِيهَا وَلَدَيْنَا مَزِيدٌ ﴿٣٥﴾ ٥٠ ق

وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّن قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُم بَطْشًا فَنَقَّبُوا۟ فِى ٱلْبِلَٰدِ هَلْ مِن مَّحِيصٍ ﴿٣٦﴾ ٥٠ ق

٣٣ (من خشى الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب) بدل بعد بدل أو بدل من موصوف أواب ولا يجوز أن يكون فى حكمه لأن من لا يوصف به ولا يوصف إلا بالذى أو مبتدأ خبره (ادخلوها) بتأويل يقال لهم ادخلوها والجمع باعتبار معنى من وقوله تعالى بالغيب متعلق بمحذوف هو حال من فاعل خشى أو مفعوله أو صفة لمصدره أى خشية ملتبسة بالغيب حيث خشى عقابه وهو غائب عن الأعين لا يراه أحد والتعرض لعنوان الرحمانية للإشارة بأنهم مع خشيتهم عقابه راجون رحمته أو بأن علمهم بسعة رحمته تعالى لا يصدهم عن خشيته تعالى وأنهم عاملون بموجب قوله تعالى نبىء عبادى أنى أنا الغفور الرحيم وأن عذابى هو العذاب الأليم ووصف القلب بالإنابة لما أن العبرة برجوعه إلى الله تعالى (بسلام) متعلق بمحذوف هو حال من فاعل ادخلوها أى ملتبسين بسلامة من العذاب وزوال النعم أو بسلام من جهة الله تعالى وملائكته (ذلك) إشارة إلى الزمان الممتد الذى وقع فى بعض منه ماذكر من الأمور (يوم الخلود) إذ لا انتهاء له أبداً (لهم مايشاؤن) من فنون المطالب كائناً ما كان (فيها) متعلق بيشاؤن وقيل بمحذوف هو حال من الموصول أو من عائده المحذوف من صلته (ولدينا مزيد) هو مالا يخطر ببالهم ولا يندرج تحت مشيئتهم من معالى الكرامات التى لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر وقيل إن السحاب تمر بأهل الجنة فتمطرهم الحور فتقول نحن المزيد الذى قال تعالى ولدينا مزيد (وكم أهلكنا قبلهم) أى قبل قومك (من قرن هم أشد منهم بطشاً) أى قوة كعاد وأضرابها (فنقبوا فى البلاد) أى خرقوا فيها ودوخوا وتصرفوا فى أقطارها أو جالوا فى أكناف الأرض كل مجال حذار الموت وأصل التنقيب والنقب التنقير عن الأمر والبحث والطلب والفاء للدلالة على أن شدة بطشهم أقدرتهم على التنقيب قيل هى عاطفة فى المعنى كأنه قيل اشتد بطشهم فنقبوا الخ وقرىء بالتخفيف (هل من محيص) أى هل لهم من مخلص من أمر الله تعالى والجملة إما على إضمار قول هو حال من واو نقبوا أى فنقبوا فى البلاد قائلين هل من محيص أو على إجراء التنقيب لما فيه من معنى التتبع والتفتيش مجرى القول أو هو كلام مستأنف وارد لنفى أن يكون لهم محيص وقيل ضمير نقبوا لأهل مكة أى ساروا فى مسايرهم وأسفارهم فى بلاد القرون فهل رأوا لهم محيصاً حتى يؤملوا مثله لأنفسهم ويعضده القراءة على صيغة الأمر وقرىء فنقبوا بكسر القاف من النقب وهو أن ينتقب خف البعير أى أكثروا السير حتى نقبت أقدامهم أو أخفاف إبلهم .

إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾ ٥٠ ق

وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ ﴿٣٨﴾ ٥٠ ق

فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ٥٠ ق

وَمِنَ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَٰرَ ٱلسُّجُودِ ﴿٤٠﴾ ٥٠ ق

وَٱسْتَمِعْ يَوْمَ يُنَادِ ٱلْمُنَادِ مِن مَّكَانٍ قَرِيبٍ ﴿٤١﴾ ٥٠ ق

---

٣٧ (إن ذلك) أى فيما ذكر من قصتهم وقيل فيما ذكر فى السورة (لذكرى) لتذكرة وعظة (لمن كان له قلب) أى قلب سليم يدرك به كنه مايشاهده من الأمور ويتفكر فيها كما ينبغى فإن من كان له ذلك يعلم أن مدار دمارهم هو الكفر فيرتدع عنه بمجرد مشاهدة الآثار من غير تذكير (أو ألقى السمع) أى إلى مايتلى عليه من الوحى الناطق بما جرى عليهم فإن من فعله يقف على جلية الأمر فينزجر عما يؤدى إليه من الكفر فكلمة أو لمنع الخلو دون الجمع فإن إلقاء السمع لايجدى بدون سلامة القلب كما يلوح به قوله تعالى (وهو شهيد) أى حاضر بفطنته لأن من لايحضر ذهنه فكأنه غائب وتجريد القلب عما

٣٨ ذكر من الصفات للإيذان بأن من عرى قلبه عنها كمن لاقلب له أصلا (ولقد خلقنا السموات والأرض وما بينهما) من أصناف المخلوقات (فى ستة أيام وما مسنا) بذلك مع كونه مما لايفى به القوى والقدر (من لغوب) من إعياء ما ولا تعب فى الجملة وهذا رد على جهلة اليهود فى زعمهم أنه تعالى بدأ خلق العالم يوم الأحد وفرغ منه يوم الجمعة واستراح يوم السبت واستلقى على العرش سبحانه وتعالى عما يقولون

٣٩ علواً كبيراً (فاصبر على مايقولون) أى مايقوله المشركون فى شأن البعث من الأباطيل المبنية على الإنكار والاستبعاد فإن من فعل هذه الأفاعيل بلا فتور قادر على بعثهم والانتقام منهم أو مايقوله اليهود من مقالات الكفر والتشبيه (وسبح بحمد ربك) أى نزهه تعالى عن العجز عما يمكن وعن وقوع الخلف فى إخباره التى من جملتها الإخبار بوقوع البعث وعن وصفه تعالى بما يوجب التشبيه حامداً له تعالى على ما أنعم به عليك من إصابة الحق وغيرها (قبل طلوع الشمس وقبل الغروب) هما وقت الفجر

٤٠ والعصر وفضيلتهما مشهورة (ومن الليل فسبحه) وسبحه بعض الليل (وأدبار السجود) وأعقاب الصلوات جمع دبر وقرىء بالكسر من أدبرت الصلاة إذا انقضت وتمت ومعناه وقت انقضاء السجود وقيل المراد بالتسبيح الصلوات فالمراد بما قبل الطلوع صلاة الفجر وبما قبل الغروب الظهر والعصر

٤١ وبما من الليل العشاءان والتهجد وما يصلى بأدبار السجود النوافل بعد المكتوبات (واستمع) أى لما يوحى إليك من أحوال القيامة وفيه تهويل وتفظيع للمخبر به (يوم ينادى المنادى) أى إسرافيل أو جبريل عليهما السلام فيقول أيتها العظام البالية واللحوم المتمزقة والشعور المتفرقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء وقيل إسرافيل ينفخ وجبريل ينادى بالحشر (من مكان قريب) بحيث يصل

يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَٰلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ ﴿٤٢﴾ ٥٠ ق

إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ ﴿٤٣﴾ ٥٠ ق

يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ ﴿٤٤﴾ ٥٠ ق

نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴿٤٥﴾ ٥٠ ق

نداؤه إلى الكل على سواء وقيل من صخرة بيت المقدس وقيل من تحت أقدامهم وقيل من منابت شعورهم يسمع من كل شعرة ولعل ذلك فى الإعادة مثل كن فى البدء (يوم يسمعون الصيحة) بدل من يوم ٤٢ ينادى الخ وهى النفخة الثانية (بالحق) متعلق بالصيحة والعامل فى الظرف مايدل عليه قوله تعالى (ذلك يوم الخروج) أى يوم يسمعون الصيحة ملتبسة بالحق الذى هو البعث يخرجون من القبور (إنا نحن ٤٣ نحيي ونميت) فى الدنيا من غير أن يشاركنا فى ذلك أحد (وإلينا المصير) للجزاء فى الآخرة لا إلى غيرنا لا استقلالا ولا اشتراكا (يوم تشقق الأرض عنهم) بحذف إحدى التاءين من تتشقق وقرىء ٤٤ بتشديد الشين وتشقق على البناء للمفعول من التفعيل وتنشق (سراعا) مسرعين (ذلك حشر) بعث وجمع وسوق (علينا يسير) أى هين وتقديم الجار والمجرور لتخصيص اليسر به تعالى (نحن أعلم بما ٤٥ يقولون) من نفى البعث وتكذيب الآيات الناطقة به وغير ذلك مما لاخير فيه (وما أنت عليهم بجبار) بمتسلط تقسرهم على الإيمان أو تفعل بهم ماتريد وإنما أنت مذكر (فذكر بالقرآن من يخاف وعيد) وأما من عداهم فنحن نفعل بهم ماتوحيه أقوالهم وتستدعيه أعمالهم من ألوان العقاب وفنون العذاب. عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة ق هون الله عليه تأرات الموت وسكراته .

---

٥١ — سورة الذاريات

(مكية وهي ستون)

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذَّارِيَاتِ ذَرْوًا ﴿١﴾ ٥١ الذاريات

فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا ﴿٢﴾ ٥١ الذاريات

فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا ﴿٣﴾ ٥١ الذاريات

فَالْمُقَسِّمَاتِ أَمْرًا ﴿٤﴾ ٥١ الذاريات

إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ ﴿٥﴾ ٥١ الذاريات

وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ ﴿٦﴾ ٥١ الذاريات

﴿ سورة الذاريات مكية وآياتها ستون ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والذاريات ذرواً) أى الرياح التى تذرو التراب وغيرها وقرىء
٢ بإدغام التاء فى الذال (فالحاملات وقراً) أى السحب الحاملة للمطر أو الرياح الحاملة للسحاب وقرىء
٣ وقراً على تسمية المحمول بالمصدر (فالجاريات يسراً) أى السفن الجارية فى البحر أو الرياح الجارية
فى مهابها أو السحب الجارية فى الجو بسوق الرياح أو الكواكب الجارية فى مجاريها ومنازلها ويسراً
٤ صفة لمصدر محذوف أى جرياً ذا يسر (فالمقسمات أمراً) أى الملائكة التى تقسم الأمور من الأمطار
والأرزاق وغيرها أو السحب التى يقسم الله تعالى بها أرزاق العباد وقد جوز أن يراد بالكل الرياح
تنزيلا لاختلاف العنوان منزلة اختلاف الذات فإنها كما تذر وما تذروه تثير السحاب وتحمله وتجرى
فى الجو جرياً سهلا وتقسم الأمطار بتصريف السحاب فى الأقطار فإن حملت الأمور المقسم بها على
ذوات مختلفة فالفاء لترتيب الأقسام باعتبار ما بينها من التفاوت فى الدلالة على كمال القدرة وإلا فهى
لترتيب ما صدر عن الريح من الأفاعيل فإنها تذر الأبخرة إلى الجو حتى تنعقد سحاباً فتجرى به باسطة
٥، ٦ له إلى ما أمرت به فتقسم المطر وقوله تعالى (إنما توعدون لصادق) (وإن الدين لواقع) جواب
للقسم وفى تخصيص الأمور المذكورة بالأقسام بها رمز إلى شهادتها بتحقق مضمون الجملة المقسم عليها
من حيث أنها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر عليها فهو قادر على البعث الموعود وما موصولة
أو مصدرية ووصف الوعد بالصدق كوصف العيشة بالرضا والدين الجزاء ووقوعه حصوله .

وَٱلسَّمَآءِ ذَاتِ ٱلْحُبُكِ ﴿٧﴾ ٥١ الذاريات

إِنَّكُمْ لَفِى قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ﴿٨﴾ ٥١ الذاريات

يُؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ أُفِكَ ﴿٩﴾ ٥١ الذاريات

قُتِلَ ٱلْخَرَّٰصُونَ ﴿١٠﴾ ٥١ الذاريات

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى غَمْرَةٍ سَاهُونَ ﴿١١﴾ ٥١ الذاريات

يَسْـَٔلُونَ أَيَّانَ يَوْمُ ٱلدِّينِ ﴿١٢﴾ ٥١ الذاريات

يَوْمَ هُمْ عَلَى ٱلنَّارِ يُفْتَنُونَ ﴿١٣﴾ ٥١ الذاريات

---

٧ (والسماء ذات الحبك) قال ابن عباس وقتادة وعكرمة ذات الخلق المستوى وقال سعيد بن جبير ذات الزينة وقال مجاهد هى المتقنة البنيان وقال مقاتل والكلبي والضحاك ذات الطرائق والمراد إما الطرائق المحسوسة التى هى مسير الكواكب أو المعقولة التى يسلكها النظار أو النجوم فإن لها طرائق وعن الحسن حبكها نجومها حيث تزينها كما تزين الموشى طرائق الوشى وهى إما جمع حباك أو حبيكة كمثال ومثل وطريقة وطرق وقرىء الحبك بوزن السلك والحبك كالجبل والحبك كالبرق والحبك كالنعم والحبك كالإبل (إنكم لفى قول مختلف) أى متخالف متناقض وهو قولهم فى حقه عليه الصلاة والسلام تارة ٨ شاعر وأخرى ساحر وأخرى مجنون وفى شأن القرآن الكريم تارة شعر وأخرى سحر وأخرى أساطير وفى هذا الجواب تأييد لكون الحبك عبارة عن الاستواء كما يلوح به ما نقل عن الضحاك من أن قول الكفرة لا يكون مستوياً إنما هو متناقض مختلف وقيل النكتة فى هذا القسم تشبيه أقوالهم فى اختلافها وتنافى أغراضها بطرائق السموات فى تباعدها واختلاف غاياتها وليس بذاك (يؤفك عنه من أفك) ٩ أى يصرف عن القرآن أو الرسول عليه الصلاة والسلام من صرف إذ لا صرف أفظع منه وأشد وقيل يصرف عنه من صرف فى علم الله تعالى وقضائه ويجوز أن يكون الضمير للقول المختلف على معنى يصدر إفك من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك عن ذلك القول وقرىء من أفك أى من أفك الناس وهم قريش حيث كانوا يصدون الناس عن الإيمان (قتل الخراصون) دعاء عليهم كقوله تعالى قتل ١٠ الإنسان ما أكفره وأصله الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى لعن والخراصون الكذابون المقدرون ما لا صحة له وهم أصحاب القول المختلف كأنه قيل قتل هؤلاء الخراصون وقرىء قتل الخراصين أى قتل الله (الذين هم فى غمرة) من الجهل والضلال (ساهون) غافلون عما أمروا به (يسألون أيان ١١، ١٢ يوم الدين) أى متى وقوع يوم الجزاء لكن لا بطريق الاستعلام حقيقة بل بطريق الاستعجال استهزاء وقرىء إيان بكسر الهمزة (يوم هم على النار يفتنون) جواب للسؤال أى يقع يوم هم على النار يحرقون ١٣

ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ هَٰذَا الَّذِي كُنتُم بِهِ تَسْتَعْجِلُونَ ﴿١٤﴾ ٥١ الذاريات

إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ٥١ الذاريات

آخِذِينَ مَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ ﴿١٦﴾ ٥١ الذاريات

كَانُوا قَلِيلًا مِّنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ ٥١ الذاريات

وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ ٥١ الذاريات

وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾ ٥١ الذاريات

وَفِي الْأَرْضِ آيَاتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ﴿٢٠﴾ ٥١ الذاريات

ويعذبون ويجوز أن يكون يوم خبراً لمبتدأ محذوف أى هو يوم هم الخ والفتح لإضافته إلى غير متمكن
١٤ ويؤيده أنه قرىء بالرفع (ذوقوا فتنتكم) أى مقولا لهم هذا القول وقوله تعالى (هذا الذى كنتم به
تستعجلون) جملة من مبتدأ وخبر داخلة تحت القول المضمر أى هذا ما كنتم تستعجلون به بطريق
١٥ الاستهزاء ويجوز أن يكون هذا بدلا من فتنتكم بتأويل العذاب والذى صفته (إن المتقين فى جنات
١٦ وعيون) لا يبلغ كنهها ولا يقادر قدرها (آخذين ما آتاهم ربهم) أى قابلين لما أعطاهم راضين به على
معنى أن كل ما آتاهم حسن مرضى يتلقى بحسن القبول (إنهم كانوا قبل ذلك) فى الدنيا (محسنين) أى
لأعمالهم الصالحة آتين بها على ما ينبغى فلذلك نالوا ما نالوا من الفوز العظيم ومعنى الإحسان بالإجمال
ما أشار إليه عليه الصلاة والسلام بقوله أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك وقد فسر
١٧ بقوله تعالى (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون) أى كانوا يهجعون فى طائفة قليلة من الليل على أن قليلا
ظرف أو كانوا يهجعون هجوعا قليلا على أنه صفة المصدر وما مزيدة فى الوجهين ويجوز أن تكون
مصدرية أو موصولة مرتفعة بقليلا على الفاعلية أى كانوا قليلا من الليل هجوعهم أو ما يهجعون فيه
وفيه للمبالغات فى تقليل نومهم واستراحتهم ذكر القليل والليل الذى هو وقت الراحة والهجوع
الذى هو الغرار من النوم وزيادة ما ولا مساغ لجعل ما نافية على معنى أنهم لا يهجعون من الليل قليلا
١٨ بل يحيونه كله لما أن ما النافية لا يعمل ما بعدها فيما قبلها (وبالأسحار هم يستغفرون) أى هم مع قلة
هجوعهم وكثرة تهجدهم يداومون على الاستغفار فى الأسحار كأنهم أسلفوا ليلهم باقتراف الجرائم وفى
بناء الفعل على الضمير إشعار بأنهم الأحقاء بأن يوصفوا بالاستغفار كأنهم المختصون به لاستدامتهم
١٩ له وإطنابهم فيه (وفى أموالهم حق) أى نصيب وافر يستوجبونه على أنفسهم تقرباً إلى الله تعالى
وإشفاقا على الناس (للسائل والمحروم) للمستجدى والمتعفف الذى يحسبه الناس غنياً فيحرم الصادقة
٢٠ (وفى الأرض آيات للموقنين) أى دلائل واضحة على شؤونه تعالى على التفاصيل من حيث أنها مدحوة

وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾ ٥١ الذاريات

وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴿٢٢﴾ ٥١ الذاريات

فَوَرَبِّ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ مِّثْلَ مَآ أَنَّكُمْ تَنطِقُونَ ﴿٢٣﴾ ٥١ الذاريات

هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾ ٥١ الذاريات

إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَيْهِ فَقَالُوا۟ سَلَـٰمًا ۖ قَالَ سَلَـٰمٌ قَوْمٌ مُّنكَرُونَ ﴿٢٥﴾ ٥١ الذاريات

كالبساط الممهد وفيها مسالك وفجاج للتقلبين فى أقطارها والسالكين فى مناكبها وفيها سهل وجبل وبر وبحر وقطع متجاورات وعيون متفجرة ومعادن مفتنة وأنها تلقح بألوان النبات وأنواع الأشجار وأصناف الثمار المختلفة الألوان والطعوم والروائح وفيها دواب منبثة قد رتب كلها ودبر لمنافع ساكنها ومصالحهم فى صحتهم واعتلالهم (وفى أنفسكم) أى وفى أنفسكم آيات إذ ليس فى العالم شىء إلا وفى ٢١ الأنفس له نظير يدل دلالته على ما انفرد به من الهيئات النافعة والمناظر البهية والتركيبات العجيبة والتمكن من الأفعال البديعة واستنباط الصنائع المختلفة واستجماع الكمالات المتنوعة (أفلا تبصرون) أى ألا * تنظرون فلا تبصرون بعين البصيرة (وفى السماء رزقكم) أى أسباب رزقكم أو تقديره وقيل المراد ٢٢ بالسماء السحاب وبالرزق المطر فإنه سبب الأقوات (وما توعدون) من الثواب لأن الجنة فى السماء * السابعة أو لأن الأعمال وثوابها مكتوبة مقدرة فى السماء وقيل إنه مبتدأ خبره قوله تعالى (فورب السماء ٢٣ والأرض إنه لحق) على أن الضمير لما وأما على الأول فأماله وأما لما ذكر من أمر الآيات والرزق على أنه مستعار لاسم الإشارة (مثل ما أنكم تنطقون) أى كما أنه لاشك لكم فى أنكم تنطقون ينبغى * أن لاتشكوا فى حقيته ونصبه على الحالية من المستكن فى لحق أو على أنه وصف لمصدر محذوف أى إنه لحق حقاً مثل نطقكم وقيل إنه مبنى على الفتح لإضافته إلى غير متمكن وهو ما إن كانت عبارة عن شىء وأن بما فى حيزها إن جعلت زائدة ومحله الرفع على أنه صفة لحق ويؤيده القراءة بالرفع (هل ٢٤ أتاك حديث ضيف إبراهيم) تفخيم لشأن الحديث وتنبيه على أنه ليس مما علمه رسول الله صلى الله عليه وسلم بغير طريق الوحى والضيف فى الأصل مصدر ضافه ولذلك يطلق على الواحد والجماعة كالزور والصوم وكانوا اثنى عشر ملكا وقيل تسعة عاشرهم جبريل وقيل ثلاثة جبريل وميكائيل وملك آخر معهما عليهم السلام وتسميتهم ضيفاً لأنهم كانوا فى صورة الضيف حيث أضافهم إبراهيم عليه السلام أو لأنهم كانوا فى حسبانه كذلك (المكرمين) أى المكرمين عند الله تعالى أو عند إبراهيم حيث خدمهم * بنفسه وبزوجته (إذ دخلوا عليه) ظرف للحديث أو لما فى الضيف من معنى الفعل أو المكرمين ٢٥ إن فسر بإكرام إبراهيم (فقالوا سلاماً) أى نسلم عليك سلاماً (قال) أى إبراهيم (سلام) أى عليكم * سلام عدل به إلى الرفع بالابتداء للقصد إلى الثبات والدوام حتى تكون تحيته عليه الصلاة والسلام

فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ﴿٢٦﴾ ٥١ الذاريات

فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ قَالَ أَلَا تَأْكُلُونَ ﴿٢٧﴾ ٥١ الذاريات

فَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيفَةً ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ وَبَشَّرُوهُ بِغُلَٰمٍ عَلِيمٍ ﴿٢٨﴾ ٥١ الذاريات

فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوزٌ عَقِيمٌ ﴿٢٩﴾ ٥١ الذاريات

قَالُوا۟ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٠﴾ ٥١ الذاريات

قَالَ فَمَا خَطْبُكُمْ أَيُّهَا ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣١﴾ ٥١ الذاريات

أحسن من تحيتهم وقرئا مرفوعين وقرىء سلم وقرىء منصوباً والمعنى واحد (قوم منكرون) أنكرهم عليه الصلاة والسلام للسلام الذى هو علم للإسلام أو لأنهم ليسوا ممن عهدهم من الناس أو لأن أوضاعهم وأشكالهم خلاف ما عليه الناس ولعله عليه الصلاة والسلام إنما قاله فى نفسه من غير أن يشعرهم بذلك لا أنه خاطبهم به جهراً أو سألهم أن يعرفوه أنفسهم كما قيل وإلا لكشفوا أحوالهم عند ذلك ولم

٢٦ يتصد عليه الصلاة والسلام لمقدمات الضيافة (فراغ إلى أهله) أى ذهب إليهم على خفية من ضيفه فإن من أدب المضيف أن يبادره بالقرى ويبادر به حذاراً من أن يكفه ويعذره أو يصير منتظراً والفاء فى قوله تعالى (فجاء بعجل سمين) فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بدلالة الحال عليها وإيذاناً بكمال سرعة المجىء بالطعام كما فى قوله تعالى فقلنا اضرب بعصاك البحر فانفلق أى فذبح عجلا

٢٧ فحنذه فجاء به (فقربه إليهم) بأن وضعه لديهم حسبما هو المعتاد (قال ألا تأكلون) إنكار لعدم تعرضهم

٢٨ للأكل (فأوجس منهم) أضمر فى نفسه (خيفة) لتوهم أنهم جاؤا للشر وقيل وقع فى قلبه أنهم ملائكة جاؤا للعذاب (قالوا لاتخف) قيل مسح جبريل عليه السلام العجل بجناحه فقام يتدرج حتى لحق بأمه فعرفهم وأمن منهم (وبشروه) وفى سورة الصافات وبشرناه أى بواسطتهم (بغلام) هو إسحاق

٢٩ عليه السلام (عليم) عنه بلوغه واستوائه (فأقبلت امرأته) سارة لما سمعت بشارتهم إلى بيتها وكانت فى زاوية تنظر إليهم (فى صرة) فى صيحة من الصرير ومحله النصب على الحالية أو المفعولية إن جعل أقبلت بمعنى أخذت كما يقال أقبل يشتمنى (فصكت وجهها) أى لطمته من الحياء لما أنها وجدت حرارة دم الطمث وقيل ضربت بأطراف أصابعها جبينها كما يفعله المتعجب (وقالت عجوز عقيم) أى أنا عجوز عاقر

٣٠ فكيف ألد (قالوا كذلك) مثل ذلك القول الكريم (قال ربك) وإنما نحن معبرون نخبرك به عنه تعالى لا أنا نقوله من تلقاء أنفسنا (إنه هو الحكيم العليم) فيكون قوله حقاً وفعله متقناً لا محالة . روى أن جبريل عليه السلام قال لها انظرى إلى سقف بيتك فنظرت فإذا جذوعه مورقة مثمرة ولم تكن هذه المفاوضة مع سارة فقط بل مع إبراهيم عليه السلام أيضاً حسبما شرح فى سورة الحجر وإنما لم يذكر

٣١ ههنا اكتفاء بما ذكر هناك كما أنه لم يذكر هناك سارة اكتفاء بما ذكر ههنا وفى سورة هود (قال)

قَالُوٓاْ إِنَّآ أُرْسِلْنَآ إِلَىٰ قَوْمٍ مُّجْرِمِينَ ﴿٣٢﴾ ٥١ الذاريات

لِنُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّن طِينٍ ﴿٣٣﴾ ٥١ الذاريات

مُّسَوَّمَةً عِندَ رَبِّكَ لِلْمُسْرِفِينَ ﴿٣٤﴾ ٥١ الذاريات

فَأَخْرَجْنَا مَن كَانَ فِيهَا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٣٥﴾ ٥١ الذاريات

فَمَا وَجَدْنَا فِيهَا غَيْرَ بَيْتٍ مِّنَ الْمُسْلِمِينَ ﴿٣٦﴾ ٥١ الذاريات

وَتَرَكْنَا فِيهَآ ءَايَةً لِّلَّذِينَ يَخَافُونَ الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ﴿٣٧﴾ ٥١ الذاريات

وَفِي مُوسَىٰٓ إِذْ أَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ٥١ الذاريات

فَتَوَلَّىٰ بِرُكْنِهِۦ وَقَالَ سَٰحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٣٩﴾ ٥١ الذاريات

أى إبراهيم عليه السلام لما علم أنهم ملائكة أرسلوا لأمر (فما خطبكم) أى شأنكم الخطير الذى * لأجله أرسلتم سوى البشارة (أيها المرسلون) (قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين) يعنون قوم لوط ٣٢ (لنرسل عليهم) أى بعد ماقلبنا قراهم وجعلنا عاليها سافلها حسبما فصل فى سائر السور الكريمة (حجارة ٣٣ من طين) أى طين متحجر هو السجيل (مسومة) مرسلة من أسمت الماشية أى أرسلتها أو معلمة من ٣٤ المسومة وهى العلامة وقد مر تفصيله فى سورة هود (عند ربك للسرفين) المجاوزين الحد فى الفجور * وقوله تعالى (فأخرجنا) الخ حكاية من جهته تعالى لما جرى على قوم لوط عليه السلام بطريق الإجمال ٣٥ بعد حكاية ماجرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام والفاء فصيحة مفصحة عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها فى مواضع أخر كأنه قيل فباشروا ما أمروا به فأخرجنا بقولنا فأسر بأهلك الخ (من كان فيها) أى فى قرى قوم لوط وإضمارها بغير ذكر لشهرتها (من المؤمنين) ممن آمن بلوط * (فما وجدنا فيها غير بيت) أى غير أهل بيت (من المسلمين) قيل هم لوط وابنتاه وقيل كان لوط وأهل ٣٦ بيته الذين نجوا ثلاثة عشر (وتركنا فيها) أى فى القرية (آية) أى علامة دالة على ما أصابهم من العذاب ٣٧ قيل هى تلك الأحجار أو صخر منضود فيها أو ماء منتن (للذين يخافون العذاب الأليم) أى من شأنهم * أن يخافوه لسلامة فطرتهم ورقة قلوبهم دون من عداهم من ذوى القلوب القاسية فإنهم لا يعتدون بها ولا يعدونها آية (وفى موسى) عطف على قوله تعالى وفى الأرض أو على قوله تعالى وتركنا فيها آية ٣٨ على معنى وجعلنا فى موسى آية كقول من قال علفتها تبناً وماء بارداً (إذ أرسلنا) قيل هو منصوب بآية * وقيل بمحذوف أى كائنة وقت إرسالنا وقيل بتركنا (إلى فرعون بسلطان مبين) هو ماظهر على يديه * من المعجزات الباهرة (فتولى بركنه) أى فأعرض عن الإيمان به وازور كقوله تعالى ونأى بجانبه ٣٩

فَأَخَذْنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذْنَٰهُمْ فِى ٱلْيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿٤٠﴾ ٥١ الذاريات

وَفِى عَادٍ إِذْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلرِّيحَ ٱلْعَقِيمَ ﴿٤١﴾ ٥١ الذاريات

مَا تَذَرُ مِن شَىْءٍ أَتَتْ عَلَيْهِ إِلَّا جَعَلَتْهُ كَٱلرَّمِيمِ ﴿٤٢﴾ ٥١ الذاريات

وَفِى ثَمُودَ إِذْ قِيلَ لَهُمْ تَمَتَّعُوا۟ حَتَّىٰ حِينٍ ﴿٤٣﴾ ٥١ الذاريات

فَعَتَوْا۟ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِمْ فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ وَهُمْ يَنظُرُونَ ﴿٤٤﴾ ٥١ الذاريات

فَمَا ٱسْتَطَٰعُوا۟ مِن قِيَامٍ وَمَا كَانُوا۟ مُنتَصِرِينَ ﴿٤٥﴾ ٥١ الذاريات

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَوْمًا فَٰسِقِينَ ﴿٤٦﴾ ٥١ الذاريات

وَٱلسَّمَآءَ بَنَيْنَٰهَا بِأَيْي۟دٍ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ ﴿٤٧﴾ ٥١ الذاريات

وقيل فتولى بما يتقوى به من ملكه وعساكره فإن الركن اسم لما يركن إليه الشيء وقرىء بركنه بضم الكاف (وقال ساحر) أى هو ساحر (أو مجنون) كأنه نسب ماظهر على يديه عليه الصلاة والسلام من الخوارق العجيبة إلى الجن وتردد فى أنه حصل باختياره وسعيه أو بغيرهما (فأخذناه وجنوده فنبذناهم فى اليم) وفيه من الدلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانيه ونهاية قماءة فرعون وقومه (وهو مليم) أى آت بما يلام عليه من الكفر والطغيان والجملة حال من الضمير فى فأخذناه (وفى عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم) وصفت بالعقم لأنها أهلكتهم وقطعت دابرهم أو لأنها لم تتضمن خيراً ما من إنشاء مطر أو إلقاح شجر وهى النكباء أو الدبور أو الجنوب (ماتذر من شيء أتت عليه) أى جرت عليه (إلا جعلته كالرميم) هو كل مارم وبلى وتفتت من عظم أو نبات أو غير ذلك (وفى ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين) وهو قوله تعالى تمتعوا فى داركم ثلاثة أيام قيل قال لهم صالح عليه السلام تصبح وجوهكم غداً مصفرة وبعد غد محمرة واليوم الثالث مسودة ثم يصبحكم العذاب (فعتوا عن أمر ربهم) أى فاستكبروا عن الامتثال به (فأخذتهم الصاعقة) قيل لما رأوا العلامات التى بينها صالح عليه السلام من اصفرار وجوههم واحمرارها واسودادها عمدوا إلى قتله عليه السلام فنجاه الله تعالى إلى أرض فلسطين ولما كان ضحوة اليوم الرابع تحنطوا وتكفنوا بالأنطاع فأتتهم الصيحة فهلكوا وقرىء الصعقة وهى المرة من الصعق (وهم ينظرون) إليها ويعاينونها (فما استطاعوا من قيام) كقوله تعالى فأصبحوا فى دارهم جاثمين (وما كانوا منتصرين) بغيرهم كما لم يمتنعوا بأنفسهم (وقوم نوح) أى وأهلكنا قوم نوح فإن ماقبله يدل عليه أو واذكر ويجوز أن يكون معطوفا على محل عاد ويؤيده القراءة بالجر وقيل هو معطوف على مفعول فأخذناه (من قبل) أى من قبل هؤلاء المهلكين (إنهم كانوا قوماً فاسقين) خارجين عن الحدود فيما كانوا فيه من الكفر والمعاصى (والسماء بنيناها بأيد) أى بقوة (وإنا لموسعون)

وَٱلْأَرْضَ فَرَشْنَـٰهَا فَنِعْمَ ٱلْمَـٰهِدُونَ ﴿٤٨﴾ ٥١ الذاريات

وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿٤٩﴾ ٥١ الذاريات

فَفِرُّوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾ ٥١ الذاريات

وَلَا تَجْعَلُوا۟ مَعَ ٱللَّهِ إِلَـٰهًا ءَاخَرَ إِنِّى لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥١﴾ ٥١ الذاريات

كَذَٰلِكَ مَآ أَتَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا۟ سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ ﴿٥٢﴾ ٥١ الذاريات

لقادرون من الوسع بمعنى الطاقة والموسع القادر على الإنفاق أولموسعون السماء أومابينها وبين الأرض أو الرزق (والأرض فرشناها) مهدناها وبسطناها ليستقروا عليها (فنعم الماهدون) أى نحن ٤٨
(ومن كل شيء) أى من الأجناس (زوجين) أى نوعين ذكراً وأنثى وقيل متقابلين السماء والأرض ٤٩
والليل والنهار والشمس والقمر والبر والبحر ونحو ذلك (لعلكم تذكرون) أى فعلنا ذلك كله كى تتذكروا *
فتعرفوا أنه خالق الكل ورازقه وأنه المستحق للعبادة وأنه قادر على إعادة الجميع فتعملوا بمقتضاه وقوله
تعالى (ففروا إلى الله) مقدر لقول خوطب به النبي صلى الله عليه وسلم بطريق التلوين والفاء إما لترتيب ٥٠
الأمر على ماحكى من آثار غضبه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار إليها كأنه
قيل قل لهم إذا كان الأمر كذلك فاهربوا إلى الله الذى هذه شؤنه بالإيمان والطاعة كى تنجوا من عقابه
وتفوزوا بثوابه وإما للعطف على جملة مقدرة مترتبة على قوله تعالى لعلكم تذكرون كأنه قيل قل لهم
فتذكروا ففروا إلى الله الخ وقوله تعالى (إنى لكم منه نذير مبين) تعليل للأمر بالفرار إليه تعالى أ[و]
لوجوب الامتثال به فإن كونه عليه الصلاة والسلام منذراً منه تعالى موجب عليه عليه الصلاة والسلا[م]
أن يأمرهم بالفرار إليه وعليهم أن يمتثلوا به أى إنى لكم من جهته تعالى منذر بين كونه منذراً منه [تعالى]
أومظهر لما يجب إظهاره من العذاب المنذر به وفى أمره تعالى للرسول صلى الله عليه وسلم بأن يأمرهم
بالهرب إليه تعالى من عقابه وتعليله بأنه عليه الصلاة والسلام ينذرهم من جهته تعالى لا من تلقاء نفسه
وعد كريم بنجاتهم من المهروب وفوزهم بالمطلوب وقوله تعالى (ولا تجعلوا مع الله إلهاً آخر) نهى ٥١
موجب للفرار من سبب العقاب بعد الأمر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله تعالى (إنى لكم منه) أ[ى]
من الجعل المنهى عنه (نذير مبين) فإن تعلق كلمة من بالإنذار مع كون صلته الباء بتضمينه معنى الإفر[ار] *
يقال فر منه أى هرب وأفره غيره كأنه قيل وفروا من أن تجعلوا معه تعالى اعتقاداً أو قولا إلهاً آخر
وفيه تأكيد لما قبله من الأمر بالفرار من العقاب إليه تعالى لكن لا بطريق التكرير كما قيل بل بالنهى
عن سببه وإيجاب الفرار (كذلك) أى الأمر مثل ماذكر من تكذيبهم الرسول وتسميتهم له ساحراً ٥٢
أو مجنونا وقوله تعالى (ما أتى الذين من قبلهم) الخ تفسير له أى ما أتاهم (من رسول) من رسل الله *
(إلا قالوا) فى حقه (ساحر أو مجنون) ولا سبيل إلى انتصاب الكاف بأتى لامتناع عمل ما بعد *

أَتَوَاصَوْا بِهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٥٣﴾ ٥١ الذاريات

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ فَمَا أَنتَ بِمَلُومٍ ﴿٥٤﴾ ٥١ الذاريات

وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَىٰ تَنفَعُ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٥﴾ ٥١ الذاريات

وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ٥١ الذاريات

٥٣ ما النافية فيما قبلها (أتواصوا به) إنكار وتعجيب من حالهم وإجماعهم على تلك الكلمة الشنيعة التى لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوه بها أى أوصى بهذا القول بعضهم بعضاً حتى اتفقوا عليه وقوله تعالى (بل هم قوم طاغون) إضراب عن كون مدار اتفاقهم على الشر تواصيهم بذلك وإثبات لكونه أمراً أقبح من التواصى وأشنع منه من الطغيان الشامل للكل الدال على أن صدور تلك الكلمة الشنيعة عن كل واحد منهم بمقتضى جبلته الخبيثة لا بموجب وصية من قبلهم بذلك من غير أن يكون ذلك مقتضى طباعهم (فتول عنهم) فأعرض عن جدالهم فقد كررت عليهم الدعوة فأبوا إلا الإباء

٥٤ (فما أنت بملوم) على التولى بعد ما بذلت المجهود وجاوزت فى الإبلاغ كل حد معهود (وذكر) أى

٥٥ افعل التذكير والموعظة ولا تدعهما بالمرة أو فذكرهم وقد حذف الضمير لظهور الأمر (فإن الذكرى تنفع المؤمنين) أى الذين قدر الله تعالى إيمانهم أو الذين آمنوا بالفعل فإنها تزيدهم بصيرة وقوة فى

٥٦ اليقين (وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون) استئناف مؤكد للأمر مقرر لمضمون تعليله فإن كون خلقهم مغيا بعبادته تعالى مما يدعوه عليه الصلاة والسلام إلى تذكيرهم ويوجب عليهم التذكر والاتعاظ ولعل تقديم خلق الجن فى الذكر لتقدمه على خلق الإنس فى الوجود ومعنى خلقهم لعبادته تعالى خلقهم مستعدين لها ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن مع كونها مطلوبة منهم بتنزيل ترتب الغاية على ماهى ثمرة له منزلة ترتب الغرض على ماهو غرض له فإن استتباع أفعاله تعالى لغايات جليلة مما لا نزاع فيه قطعاً كيف لا وهى رحمة منه تعالى وتفضل على عباده وإنما الذى لا يليق بجنابه عز وجل تعليلها بالغرض بمعنى الباعث على الفعل بحيث لولاه لم يفعله لإفضائه إلى استكماله بفعله وهو الكامل بالفعل من كل وجه وأما بمعنى نهاية كالية يفضى إليها فعل الفاعل الحق فغير منفى من أفعاله تعالى بل كلها جارية على المنهاج وعلى هذا الاعتبار يدور وصفه تعالى بالحكمة ويكفى فى تحقق معنى التعليل على مايقوله الفقهاء ويتعارفه أهل اللغة هذا المقدار وبه يتحقق مدلول اللام وأما إرادة الفاعل لها فليست من مقتضيات اللام حتى يلزم من عدم صدور العبادة عن البعض تخلف المراد عن الإرادة فإن تعوق البعض عن الوصول إلى الغاية مع تعاضد المبادى وتآخذ المقدمات الموصلة إليها لا يمنع كونها غاية كما فى قوله تعالى كتاب أنزلناه إليك لتخرج الناس من الظلمات إلى النور ونظائره وقيل المعنى إلا ليؤمروا بعبادتى كما فى قوله تعالى وما أمروا إلا ليعبدوا إلهاً واحداً وقيل المراد سعداء الجنسين كما أن المراد

مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ﴿٥٧﴾ ٥١ الذاريات

إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ﴿٥٨﴾ ٥١ الذاريات

فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَٰبِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ ﴿٥٩﴾ ٥١ الذاريات

فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن يَوْمِهِمُ ٱلَّذِى يُوعَدُونَ ﴿٦٠﴾ ٥١ الذاريات

بقوله تعالى ولقد ذرأنا لجهنم كثيراً من الجن والإنس أشقياؤهما ويعضده قراءة من قرأ وما خلقت الجن والإنس من المؤمنين وقال مجاهد واختاره البغوى معناه إلا ليعرفوه ومداره قوله صلى الله عليه وسلم فيما يحكيه عن رب العزة كنت كنزاً مخفياً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لأعرف ولعل السر فى التعبير عن المعرفة بالعبادة على طريق إطلاق اسم السبب على المسبب التنبيه على أن المعتبر هى المعرفة الحاصلة بعبادته تعالى ما يحصل بغيرها كمعرفة الفلاسفة (ما أريد منهم من رزق وما أريد أن يطعمون) ٥٧ بيان لكون شأنه تعالى مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم حيث يملكونهم ليستعينوا بهم فى تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم أى ما أريد أن أصرفهم فى تحصيل رزقى ولا رزقهم بل أتفضل عليهم برزقهم وبما يصلحهم ويعيشهم من عندى فليشتغلوا بما خلقوا له من عبادتى (إن الله هو الرزاق) ٥٨ الذى يرزق كل ما يفتقر إلى الرزق وفيه تلويح بأنه غنى عنه وقرىء إنى أنا الرزاق (ذو القوة المتين) * بالرفع على أنه نعت للرزاق أو لذو أو خبر بعد خبر أو خبر لمضمر وقرىء بالجر على أنه وصف للقوة على تأويل الاقتدار أو الأيد (فإن للذين ظلموا) أى ظلموا أنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد ٥٩ بتكذيب رسول الله صلى الله عليه وسلم أو وضعوا مكان التصديق تكذيباً وهم أهل مكة (ذنوباً) * أى نصيباً وافراً من العذاب (مثل ذنوب أصحابهم) مثل أنصباء نظرائهم من الأمم المحكية وهو مأخوذ * من مقاسمة السقاة الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء (فلا يستعجلون) أى لا يطلبوا منى أن أعجل * فى المجىء به يقال استعجله أى حثه على العجلة وأمره بها ويقال استعجله أى طلب وقوعه بالعجلة ومنه قوله تعالى أتى أمر الله فلا تستعجلوه وهو جواب لقولهم متى هذا الوعد إن كنتم صادقين (فويل ٦٠ للذين كفروا) وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر وإشعاراً بعلة الحكم والفاء لترتيب ثبوت الويل لهم على أن لهم عذاباً عظيما كما أن الفاء الأولى لترتيب النهى عن الاستعجال على ذلك ومن فى قوله تعالى (من يومهم الذى يوعدون) للتعليل أى يوعدونه من يوم * بدر وقيل يوم القيامة وهو الأنسب بما فى صدر السورة الكريمة الآتية والأول هو الأوفق لما قبله من حيث أنهما من العذاب الدنيوى . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ والذاريات أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد كل ريح هبت وجرت فى الدنيا .

٥٢ ـــ سورة الطور

(مكية وهى تسع وأربعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

وَٱلطُّورِ ﴿١﴾ ٥٢ الطور

وَكِتَٰبٍ مَّسْطُورٍ ﴿٢﴾ ٥٢ الطور

فِى رَقٍّ مَّنشُورٍ ﴿٣﴾ ٥٢ الطور

وَٱلْبَيْتِ ٱلْمَعْمُورِ ﴿٤﴾ ٥٢ الطور

وَٱلسَّقْفِ ٱلْمَرْفُوعِ ﴿٥﴾ ٥٢ الطور

وَٱلْبَحْرِ ٱلْمَسْجُورِ ﴿٦﴾ ٥٢ الطور

إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَٰقِعٌ ﴿٧﴾ ٥٢ الطور

مَّا لَهُۥ مِن دَافِعٍ ﴿٨﴾ ٥٢ الطور

﴿سورة الطور مكية وأياتها تسع وأربعون﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والطور) الطور بالسريانية الجبل والمراد به طور سينين وهو جبل
٢ بمدين سمع فيه موسى عليه السلام كلام الله تعالى (وكتاب مسطور) مكتوب على وجه الانتظام فإن
السطر ترتيب الحروف المكتوبة والمراد به القرآن أو ألواح موسى عليه السلام وهو الأنسب بالطور
٣ أو ما يكتب فى اللوح أو ما يكتبه الحفظة (فى رق منشور) الرق الجلد الذى يكتب فيه استعير لما
٤ يكتب فيه الكتاب من الصحيفة وتنكيرهما للتفخيم أو للإشعار بأنهما ليسا مما يتعارفه الناس (والبيت
المعمور) أى الكعبة وعمارتها بالحجاج والعمار والمجاورين أو الضراح وهو فى السماء الرابعة وعمرانه
٥ كثرة غاشيته من الملائكة (والسقف المرفوع) أى السماء ولا يخفى حسن موقع العنوان المذكور
٦ (والبحر المسجور) أى المملوء وهو البحر المحيط أو الموقد من قوله تعالى وإذا البحار سجرت فالمراد
٧ به الجنس روى أن الله تعالى يجعل البحار يوم القيامة ناراً يسجر بها نار جهنم (إن عذاب ربك لواقع)
٨ أى لنازل حتما جواب للقسم وقوله تعالى (ماله من دافع) إما خبر ثان لأن أو صفة لواقع ومن دافع
إما مبتدأ للظرف أو مرتفع به على الفاعلية ومن مزيدة للتأكيد وتخصيص هذه الأمور بالإقسام بها
لما أنها أمور عظام تنبىء عن عظم قدرة الله تعالى وكمال علمه وحكمته الدالة على إحاطته تعالى بتفاصيل

يَوْمَ تَمُورُ ٱلسَّمَآءُ مَوْرًا ﴿٩﴾ ٥٢ الطور

وَتَسِيرُ ٱلْجِبَالُ سَيْرًا ﴿١٠﴾ ٥٢ الطور

فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ﴿١١﴾ ٥٢ الطور

ٱلَّذِينَ هُمْ فِى خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ﴿١٢﴾ ٥٢ الطور

يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴿١٣﴾ ٥٢ الطور

هَٰذِهِ ٱلنَّارُ ٱلَّتِى كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ﴿١٤﴾ ٥٢ الطور

أَفَسِحْرٌ هَٰذَآ أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ﴿١٥﴾ ٥٢ الطور

ٱصْلَوْهَا فَٱصْبِرُوٓا۟ أَوْ لَا تَصْبِرُوا۟ سَوَآءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٦﴾ ٥٢ الطور

أعمال العباد وضبطها الشاهدة بصدق أخباره التى من جملتها الجملة المقسم عليها وقوله تعالى (يوم تمور ٩
السماء موراً) ظرف لواقع مبين لكيفية الوقوع منبىء عن كمال هوله وفظاعته والمور الاضطراب
والتردد فى المجىء والذهاب وقيل هو تحرك فى تموج قيل تدور السماء كما تدور الرحا وتتكفأ بأهلها
تكفؤ السفينة وقيل تختلف أجزاؤها (وتسير الجبال سيراً) أى تزول عن وجه الأرض فتصير هباء ١٠
وتأكيد الفعلين بمصدريهما للإيذان بغرابتهما وخروجهما عن الحدود المعهودة أى موراً عجيباً وسيراً
بديعاً لايدرك كنههما (فويل يومئذ للمكذبين) أى إذا وقع ذلك أو إذا كان الأمر كما ذكر فويل ١١
يوم إذ يقع ذلك لهم (الذين هم فى خوض) أى اندفاع عجيب فى الأباطيل والأكاذيب (يلعبون) ١٢
يلهون (يوم يدعون إلى نار جهنم دعا) أى يدفعون إليها دفعاً عنيفاً شديداً بأن تغل أيديهم إلى أعناقهم ١٣
وتجمع نواصيهم إلى أقدامهم فيدفعون إلى النار وقرىء يدعون من الدعاء فيكون دعا حالا بمعنى مدعوعين
ويوم إما بدل من يوم تمور أو ظرف لقول مقدر قبل قوله تعالى (هذه النار التى كنتم بها تكذبون) ١٤
أى يقال لهم ذلك ومعنى التكذيب بها تكذيبهم بالوحى الناطق بها وقوله تعالى (أفسحر هذا) توبيخ ١٥
وتقريع لهم حيث كانوا يسمونه سحراً كأنه قيل كنتم تقولون للقرآن الناطق بهذا سحر فهذا أيضاً
سحر وتقديم الخبر لأنه محط الإنكار ومدار التوبيخ (أم أنتم لاتبصرون) أى أم أنتم عمى عن الخبر *
عنه كما كنتم عمياً عن الخبر أو أم سدت أبصاركم كما سدت فى الدنيا على زعمكم حيث كنتم تقولون إنما
سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون (اصلوها فاصبروا أولا تصبروا) أى ادخلوها وقاسوا شدائدها ١٦
فافعلوا ماشئتم من الصبر وعدمه (سواء عليكم) أى الأمران فى عدم النفع لا بدفع العذاب ولا بتخفيفه *
وقوله تعالى (إنما تجزون ما كنتم تعملون) تعليل للاستواء فإن الجزاء حيث كان واجب الوقوع *

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّـٰتٍ وَنَعِيمٍ ﴿١٧﴾ ٥٢ الطور

فَـٰكِهِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَىٰهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ ٱلْجَحِيمِ ﴿١٨﴾ ٥٢ الطور

كُلُوا۟ وَٱشْرَبُوا۟ هَنِيٓـًٔۢا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٩﴾ ٥٢ الطور

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَـٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٢٠﴾ ٥٢ الطور

وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ﴿٢١﴾ ٥٢ الطور

---

١٧ حتماكان الصبر وعدمه سواء فى عدم النفع (إن المتقين فى جنات ونعيم) أى فى أية جنات وأى نعيم
١٨ على أن التنوين للتفخيم أو فى جنات ونعيم مخصوصة بالمتقين على أنه للتنويع (فاكهين) ناعمين متلذذين
* (بما آتاهم ربهم) وقرىء فكهين وفاكهون على أنه الخبر والظرف لغو متعلق بالخبر أو خبر آخر
* (ووقاهم ربهم عذاب الجحيم) عطف على آتاهم على أن ما مصدرية أو على خبرإن أو حال باضمار قد
إما من المستكن فى الخبر أو فى الحال وإما من فاعل آتى أو من مفعوله أو منهما وإظهار الرب فى
١٩ موقع الإضمار مضافا إلى ضميرهم للتشريف والتعليل (كلوا وأشربوا) أى يقال لهم كلوا واشربوا
* أكلا وشراباً (هنيئاً) أو طعاماً وشراباً هنيئاً وهو الذى لاتنغيص فيه (بما كنتم تعملون) بسببه
٢٠ أو بمقابلته وقيل الباء زائدة وما فاعل هنيئاً أى هنا كم ما كنتم تعملون أى جزاؤه (متكئين على سرر
* مصفوفة) مصطفة (وزوجناهم بحور عين) وقرىء بحورعين على إضافة الموصوف إلى صفته بالتأويل
المشهور وقرىء بعين عين والباء مع أن التزويج مما يتعدى إلى مفعولين لما فيه من معنى الوصل والإلصاق
٢١ أو للسببية إذ المعنى صيرناهم أزواجا بسببهن فإن الزوجية لاتتحقق بدون انضمامهن إليهم وقوله تعالى (والذين
آمنوا) الخ كلام مستأنف مسوق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكل وهم الذين شاركتهم
* ذريتهم فى الإيمان وهو مبتدأ خبره ألحقنا بهم وقوله تعالى (واتبعتهم ذريتهم) عطف على آمنوا وقيل
* اعتراض وقوله تعالى (بإيمان) متعلق بالاتباع أى اتبعتهم ذريتهم بإيمان فى الجملة قاصر عن رتبة
إيمان الآباء واعتبار هذا القيد للإيذان بثبوت الحكم فى الإيمان الكامل أصالة لا إلحاقاً وقرىء
ذرياتهم للمبالغة فى الكثرة وذرياتهم بكسر الذال وقرىء وأتبعناهم ذرياتهم أى جعلناهم تابعين لهم
* فى الإيمان وقرىء اتبعتهم (ألحقنا بهم ذريتهم) أى فى الدرجة كما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال
* إنه تعالى يرفع ذرية المؤمن فى درجته وإن كانوا دونه لتقر بهم عينه ثم تلا هذه الآية (وما ألتناهم)
* وما نقصنا الآباء بهذا الإلحاق (من عملهم) من ثواب عملهم (من شىء) بأن أعطينا بعض مثوباتهم
أبناءهم فتنقص مثوبتهم وتنحط درجتهم وإنما رفعناهم إلى منزلتهم بمحض التفضل والإحسان وقرىء

وَأَمْدَدْنَٰهُم بِفَٰكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ ٥٢ الطور

يَتَنَٰزَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَّا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾ ٥٢ الطور

وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَّهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَّكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ ٥٢ الطور

وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَآءَلُونَ ﴿٢٥﴾ ٥٢ الطور

ألتناهم بكسر اللام من ألت يألت كعلم يعلم والأول كضرب يضرب ولتناهم من لات يليت وآلتناهم من آلت يؤلت وولتناهم من ولت يلت والكل بمعنى واحد هذا وقد قيل الموصول معطوف على حور والمعنى قرناهم بالحور وبالذين آمنوا أى بالرفقاء والجلساء منهم فيتمتعون تارة بملاعبة الحور وأخرى بمؤانسة الإخوان المؤمنين وقوله تعالى واتبعتهم عطف على زوجناهم وقوله تعالى بإيمان متعلق بما بعده أى بسبب إيمان عظيم رفيع المحل وهو إيمان الآباء ألحقنا بدرجاتهم ذريتهم وإن كانوا لا يستأهلونها تفضلا عليهم وعلى آبائهم ليتم سرورهم ويكمل نعيمهم أو بسبب إيمان دانى المنزلة وهو إيمان الذرية كأنه قيل بشيء من الإيمان لا يؤهلهم لدرجة الآباء ألحقناهم بهم (كل امرىء بما كسب رهين) قيل هو فعيل * بمعنى مفعول والمعنى كل امرىء مرهون عند الله تعالى بالعمل الصالح فإن عمله فكه وإلا أهلكه وقيل بمعنى الفاعل والمعنى كل امرىء بما كسب راهن أى دائم ثابت وهذا أنسب بالمقام فإن الدوام يقتضى عدم المفارقة بين المرء وعمله ومن ضرورته أن لا ينقص من ثواب الآباء شيء فالجملة تعليل لما قبلها (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون) وزدناهم على ما كان لهم من مبادى التنعم وقتاً فوقتاً ما يشتهون ٢٢ من فنون النعماء وألوان الآلاء (يتنازعون فيها) أى يتعاطون فيها هم وجلساؤهم بكمال رغبة واشتياق ٢٣ كما ينبىء عنه التعبير عن ذلك بالتنازع (كأساً) أى خمراً تسمية لها باسم محلها (لا لغو فيها) أى فى * شربها حيث لا يتكلمون فى أثناء الشرب بلغو الحديث وسقط الكلام (ولا تأثيم) ولا يفعلون ما يؤثم * به فاعله أى ينسب إلى الإثم لو فعله فى دار التكليف كما هو ديدن المنادمين فى الدنيا وإنما يتكلمون بالحكم وأحاسن الكلام ويفعلون ما يفعله الكرام وقرىء لا لغو فيها ولا تأثيم بالفتح (ويطوف عليهم) ٢٤ أى بالكأس (غلمان لهم) أى مماليك مخصوصون بهم وقيل هم أولادهم الذين سبقوهم (كأنهم لؤلؤ * مكنون) مصون فى الصدف من بياضهم وصفائهم أو مخزون لأنه لا يخزن إلا الثمين الغالى القيمة قيل لقتادة هذا الخادم فكيف المخدوم فقال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم والذى نفسى بيده إن فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب وعنه عليه الصلاة والسلام إن أدنى أهل الجنة منزلة من ينادى الخادم من خدامه فيجيبه ألف ببابه لبيك لبيك (وأقبل بعضهم على بعض ٢٥ يتساءلون) أى يسأل كل بعض منهم بعضاً آخر عن أحواله وأعماله فيكون كل بعض سائلا ومسؤلا لا أنه يسأل بعض معين منهم بعضاً آخر معيناً .

قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِىٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٥٢ الطور

فَمَنَّ ٱللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَىٰنَا عَذَابَ ٱلسَّمُومِ ﴿٢٧﴾ ٥٢ الطور

إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْبَرُّ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ ٥٢ الطور

فَذَكِّرْ فَمَآ أَنتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ ٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَّتَرَبَّصُ بِهِۦ رَيْبَ ٱلْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ ٥٢ الطور

قُلْ تَرَبَّصُواْ فَإِنِّى مَعَكُم مِّنَ ٱلْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ ٥٢ الطور

أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾ ٥٢ الطور

أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُۥ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ ٥٢ الطور

---

٢٦ (قالوا) أى المسئولون وهم كل واحد منهم فى الحقيقة (إنا كنا قبل) أى فى الدنيا (فى أهلنا مشفقين)

٢٧ أرقاء القلوب خائفين من عصيان الله تعالى معتنين بطاعته أو وجلين من العاقبة (فمن الله علينا) بالرحمة

* أو التوفيق للحق (ووقانا عذاب السموم) عذاب النار النافذة فى المسام نفوذ السموم وقرىء ووقانا

٢٨ بالتشديد (إنا كنا من قبل) أى نعبده أو نسأله الوقاية (إنه هو البر) المحسن (الرحيم) الكثير الرحمة

٢٩ الذى إذا عبد أثاب وإذا سئل أجاب وقرىء أنه بالفتح بمعنى لأنه (فذكر) فاثبت على ما أنت عليه من التذكير بما أنزل إليك من الآيات والذكر الحكيم ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من

* الأباطيل (فما أنت بنعمة ربك) بحمده وإنعامه بصدق النبوة ورجاحة العقل (بكاهن ولا مجنون) كما

٣٠ يقولون قاتلهم الله أنى يؤفكون (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون) وهو مايقلق النفوس ويشخص بها من حوادث الدهر وقيل المنون الموت وهو فى الأصل فعول من منه إذا قطعه لأن

٣١ الموت قطوع أى بل أيقولون ننتظر به نوائب الدهر (قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين) أتربص

٣٢ هلاككم كما تتربصون هلاكى وفيه عدة كريمة بإهلاكهم (أم تأمرهم أحلامهم) أى عقولهم (بهذا) أى بهذا التناقض فى المقال فإن الكاهن يكون ذا فطنة ودقة نظر فى الأمور والمجنون المغطى عقله مختل فكره والشاعر ذو كلام موزون متسق مخيل فكيف يجتمع أوصاف هؤلاء فى واحد وأمر

* الأحلام بذلك مجاز عن أدائها إليه (أم هم قوم طاغون) مجاوزون الحدود فى المكابرة والعناد لايحرمون الرشد والسداد ولذلك يقولون مايقولون من الأكاذيب الخارجة عن دائرة العقول والظنون وقرىء

٣٣ بل هم (أم يقولون تقوله) أى اختلقه من تلقاء نفسه (بل لايؤمنون) فلكفرهم وعنادهم يرمون بهذه الأباطيل التى لايخفى على أحد بطلانها كيف لا وما رسول الله صلى الله عليه وسلم إلا واحد من العرب فكيف أتى بما عجز عنه كافة الأمم من العرب والعجم .

فَلْيَأْتُوا۟ بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِۦٓ إِن كَانُوا۟ صَٰدِقِينَ ﴿٣٤﴾ ٥٢ الطور

أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ ٥٢ الطور

أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ٥٢ الطور

أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ ٥٢ الطور

أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ ٥٢ الطور

أَمْ لَهُ ٱلْبَنَٰتُ وَلَكُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ ٥٢ الطور

أَمْ تَسْـَٔلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ ٥٢ الطور

---

٣٤ (فليأتوا بحديث مثله) مثل القرآن فى النعوت التى استقل بها من حيث النظم ومن حيث المعنى (إن كانوا صادقين) فيما زعموا فإن صدقهم فى ذلك يستدعى قدرتهم على الإتيان بمثله بقضية مشاركتهم له عليه الصلاة والسلام فى البشرية والعربية مع مابهم من طول الممارسة للخطب والأشعار وكثرة المزاولة لأساليب النظم والنثر والمبالغة فى حفظ الوقائع والأيام ولا ريب فى أن القدرة على الشيء من موجبات الإتيان به ودواعى الأمر بذلك (أم خلقوا من غير شيء) أى أم أحدثوا وقدروا هذا التقدير البديع ٣٥ من غير محدث ومقدر وقيل أم خلقوا من أجل لا شيء من عبادة وجزاء (أم هم الخالقون) لأنفسهم * فلذلك لايعبدون الله سبحانه (أم خلقوا السموات والأرض بل لايوقنون) أى إذا سئلوا من خلقكم ٣٦ وخلق السموات والأرض قالوا الله وهم غير موقنين بما قالوا وإلا لما أعرضوا عن عبادته (أم عندهم ٣٧ خزائن ربك) أى خزائن رزقه ورحمته حتى يرزقوا النبوة من شاؤا ويمسكوها عمن شاؤا أو عندهم خزائن علمه وحكمته حتى يختاروا لها من اقتضت الحكمة اختياره (أم هم المسيطرون) أى الغالبون * على الأمور يدبرونها كيفما شاؤا حتى يدبروا أمر الربوبية ويبنوا الأمور على إرادتهم ومشيئتهم وقرىء المصيطرون بالصاد لمكان الطاء (أم لهم سلم) منصوب إلى السماء (يستمعون فيه) صاعدين إلى كلام ٣٨ الملائكة وما يوحى إليهم من علم الغيب حتى يعلموا ماهو كائن من الأمور التى يتقولون فيها رجماً بالغيب ويعلقون بها أطماعهم الفارغة (فليأت مستمعهم بسلطان مبين) بحجة واضحة تصدق استماعه (أم له البنات ٣٩ ولكم البنون) تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من هذا رأيه لايكاد يعد من العقلاء فضلا عن الترقى إلى عالم الملكوت والتطلع على الأسرار الغيبية والالتفات إلى الخطاب لتشديد مافى أم المنقطعة من الإنكار والتوبيخ (أم تسألهم أجراً) رجوع إلى خطابه عليه الصلاة والسلام وإعراض ٤٠ عنهم أى بل أتسألهم أجراً على تبليغ الرسالة (فهم) لذلك (من مغرم) من التزام غرامة فادحة (مثقلون) * محملون الثقل فلذلك لايتبعونك .

أَمْ عِندَهُمُ ٱلْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ ٥٢ الطور

أَمْ يُرِيدُونَ كَيْدًا فَٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هُمُ ٱلْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ ٥٢ الطور

أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ ٱللَّهِ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٤٣﴾ ٥٢ الطور

وَإِن يَرَوْا۟ كِسْفًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ سَاقِطًا يَقُولُوا۟ سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ ٥٢ الطور

فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَٰقُوا۟ يَوْمَهُمُ ٱلَّذِى فِيهِ يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ ٥٢ الطور

يَوْمَ لَا يُغْنِى عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْـًٔا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ ٥٢ الطور

وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ عَذَابًا دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ «٤٧» ٥٢ الطور

---

٤١ (أم عندهم الغيب) أى اللوح المحفوظ المثبت فيه الغيوب (فهم يكتبون) ما فيه حتى يتكلموا فى ذلك
٤٢ بنفى أو إثبات (أم يريدون كيداً) هو كيدهم برسول الله صلى الله عليه وسلم فى دار الندوة (فالذين كفروا) هم المذكورون ووضع الموصول موضع ضميرهم للتسجيل عليهم بما فى حيز الصلة من الكفر
* وتعليل الحكم به أو جميع الكفرة وهم داخلون فيهم دخولا أولياً (هم المكيدون) أىهم الذين يحيق بهم كيدهم أو يعود عليهم وباله لامن أرادوا أن يكيدوه وهو ما أصابهم يوم بدر أو هم المغلوبون فى
٤٣ الكيد من كايدته فكدته (أم لهم إله غير الله) يعينهم ويحرسهم من عذابه (سبحان الله عما يشركون)
٤٤ أى عن إشراكهم أو عن شركة مايشركونه (وإن يروا كسفاً) قطعة (من السماء ساقطاً) لتعذيبهم
* (يقولوا) من فرط طغيانهم وعنادهم (سحاب مركوم) أىهم فى الطغيان بحيث لو أسقطناه عليهم حسبما قالوا أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً لقالوا هذا سحاب تراكم بعضه على بعض يمطرنا ولم يصدقوا
٤٥ أنه كسف ساقطاً للعذاب (فذرهم حتى يلاقوا) وقرىء حتى يلقوا (يومهم الذى فيه يصعقون) على البناء للمفعول من صعقته الصاعقة أومن أصعقته وقرىء يصعقون بفتح الياء والعين وهو يوم يصيبهم الصعقة بالقتل يوم بدر لا النفخة الأولى كما قيل إذ لا يصعق بها إلا من كان حياً حينئذ ولأن قوله
٤٦ تعالى (يوم لايغنى عنهم كيدهم شيئاً) أى شيئاً من الإغناء بدل من يومهم ولا يخفى أن التعرض لبيان عدم نفع كيدهم يستدعى استعمالهم له طمعاً فى الانتفاع به وليس ذلك إلا ما دبروه فى أمره صلى الله عليه وسلم من الكيد الذى من جملته مناصبتهم يوم بدر وأما النفخة الأولى فليست مما يجرى فى مدافعته
* الكيد والحيل وقيل هو يوم موتهم وفيه ما فيه مع ماتأباه الإضافة المنبئة عن اختصاصه بهم (ولا هم
٤٧ ينصرون) من جهة الغير فى دفع العذاب عنهم (وإن للذين ظلموا) أى لهم ووضع الموصول
* موضع الضمير لما ذكر من قبل أى وإن لهؤلاء الظلمة (عذاباً) آخر (دون ذلك) دون مالا قوه من القتل أى قبله وهو القحط الذى أصابهم سبع سنين أو وراءه كما فى قوله [تريك القذى من دونها

وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ « ٤٨ » ٥٢ الطور

وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ « ٤٩ » ٥٢ الطور

وهو دونها] وهو عذاب القبر وما بعده من فنون عذاب الآخرة وقرىء دون ذلك قريباً (ولكن * أكثرهم لايعلمون) أن الأمر كما ذكر وفيه إشارة إلى أن فيهم من يعلم ذلك وإنما يصر على الكفر عناداً أولا يعلمون شيئاً أصلا (واصبر لحكم ربك) بإمهالهم إلى يومهم الموعود وإبقائك فيما بينهم ٤٨ مع مقاساة الأحزان ومعاناة الهموم (فإنك بأعيننا) أى فى حفظنا وحمايتنا بحيث نراقبك ونكلؤك * وجمع العين لجمع الضمير والإيذان بغاية الاعتناء بالحفظ (وسبح) أى نزهه تعالى عما لايليق به ملتبساً * (بحمد ربك) على نعمائه الفائتة للحصر (حين تقوم) من أى مكان قمت قال سعيد بن جبير وعطاء أى * قل حين تقوم من مجلسك سبحانك اللهم وبحمدك وقال ابن عباس رضى الله عنهما معناه صل لله حين تقوم من منامك وقال الضحاك والربيع إذا قمت إلى الصلاة فقل سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا إله غيرك وقوله تعالى (ومن الليل فسبحه) إفراد لبعض الليل بالتسبيح لما أن ٤٩ العبادة فيه أشق على النفس وأبعد عن الرياء كما يلوح به تقديمه على الفعل (وإدبار النجوم) أى وقت * إدبارها من آخر الليل أى غيبتها بضوء الصباح وقيل التسبيح من الليل صلاة العشاءين وإدبار النجوم صلاة الفجر وقرىء وأدبار النجوم بالفتح أى فى أعقابها إذا غربت أوخفيت . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الطور كان حقاً على الله تعالى أن يؤمنه من عذابه وأن ينعمه فى جنته .

---

٥٣ — سورة النجم
(مكية وهى إثنتان وستون)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَىٰ (١) ٥٣ النجم

مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَىٰ (٢) ٥٣ النجم

﴿ سورة النجم مكية وآياتها إثنتان وستون ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (والنجم إذا هوى) المراد بالنجم إما الثريا فإنه اسم غالب له أو جنس النجوم وبهويه غروبه وقيل طلوعه يقال هوى هوياً بوزن قبول إذا غرب وهوياً بوزن دخول إذا علا وصعد وأما النجم من نجوم القرآن فهويه نزوله والعامل فى إذا فعل القسم فإنه بمعنى مطلق الوقت منسلخ من معنى الاستقبال كما فى قولك آتيك إذا حمر البسر وفى الإقسام بذلك على نزاهته عليه الصلاة والسلام عن شائبة الضلال والغواية من البراعة البديعة وحسن الموقع مالا غاية وراءه أما على الأولين فلأن النجم شأنه أن يهتدى به السارى إلى مسالك الدنيا كأنه قيل والنجم الذى يهتدى به

٢ السابلة إلى سواء السبيل (ماضل صاحبكم) أى ماعدل عن طريق الحق الذى هو مسلك الآخرة (وما غوى) أى وما اعتقد باطلا قط أى هو فى غاية الهدى والرشد وليس مما تتوهمونه من الضلال والغواية فى شىء أصلا وأما على الثالث فلأنه تنويه بشأن القرآن كما أشير إليه فى مطلع سورة يس وسورة الزخرف وتنبيه على مناط اهتدائه عليه الصلاة والسلام ومدار رشاده كأنه قيل والقرآن الذى هو علم فى الهداية إلى مناهج الدين ومسالك الحق ماضل عنها محمد عليه الصلاة والسلام وما غوى والخطاب لقريش وإيراده عليه الصلاة والسلام بعنوان صاحبيته لهم وللإيذان بوقوفهم على تفاصيل أحواله الشريفة وإحاطتهم خبراً ببراءته عليه الصلاة والسلام مما نفى عنه بالكلية واتصافه عليه الصلاة والسلام بغاية الهدى والرشاد فإن طول صحبتهم له عليه الصلاة والسلام ومشاهدتهم لمحاسن شؤنه العظيمة مقتضية لذلك حتما وتقييد القسم بوقت الهوى على الوجه الأخير ظاهر وأما على الأولين فلأن النجم لا يهتدى به السارى عند كونه فى وسط السماء ولا يعلم المشرق من المغرب ولا الشمال من الجنوب وإنما يهتدى به عند هبوطه أو صعوده مع ما فيه من كمال المناسبة لما سيحكى من تدلى جبريل من الأفق الأعلى ودنوه منه عليهما السلام هذا هو اللائق بشأن التنزيل الجليل وأما حمل هويه على انتثاره يوم القيامة أو على انقضاض النجم الذى يرجم به أو حمل النجم على النبات وحمل هويه على سقوطه على الأرض أو

وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ ٥٣ النجم

إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾ ٥٣ النجم

عَلَّمَهُۥ شَدِيدُ ٱلْقُوَىٰ ﴿٥﴾ ٥٣ النجم

ذُو مِرَّةٍ فَٱسْتَوَىٰ ﴿٦﴾ ٥٣ النجم

وَهُوَ بِٱلْأُفُقِ ٱلْأَعْلَىٰ ﴿٧﴾ ٥٣ النجم

ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ﴿٨﴾ ٥٣ النجم

فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ﴿٩﴾ ٥٣ النجم

على ظهوره منها فما لايناسب المقام (وما ينطق عن الهوى) أى وما يصدر نطقه بالقرآن عن هواه ٣
ورأيه أصلا فإن المراد استمرار نفى النطق عن الهوى لانفى استمرار النطق عنه كامر مراراً (إن هو) ٤
أى ما الذى ينطق به من القرآن (إلا وحى) من الله تعالى وقوله تعالى (يوحى) صفة مؤكدة لوحى *
رافعة لاحتمال المجاز مفيدة للاستمرار التجددى (علمه شديد القوى) أى ملك شديد قواه وهو جبريل ٥
عليه السلام فإنه الواسطة فى إبداء الخوارق وناهيك دليلا على شدة قوته أنه قلع قرى قوم لوط من
الماء الأسود الذى هو تحت الثرى وحملها على جناحه ورفعها إلى السماء ثم قلبها وصاح بثمود صيحة
فأصبحوا جاثمين وكان هبوطه على الأنبياء وصعوده فى أسرع من رجعة الطرف (ذو مرة) أى حصافة ٦
فى عقله ورأيه ومتانة فى دينه (فاستوى) عطف على علمه بطريق التفسير فإنه إلى قوله تعالى ما أوحى *
بيان لكيفية التعليم أى فاستقام على صورته التى خلقه الله تعالى عليها دون الصورة التى كان يتمثل بها
كلما هبط بالوحى وذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب أن يراه فى صورته التى جبل عليها
وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم بحراء فطلع له جبريل عليه السلام من المشرق فسد الأرض
من المغرب وملأ الأفق فخر رسول الله صلى الله عليه وسلم فنزل جبريل عليه السلام فى صورة الآدميين
فضمه إلى نفسه وجعل يمسح الغبار عن وجهه قيل ما رآه أحد من الأنبياء فى صورته غير النبى عليه
الصلاة والسلام فإنه رآه فيها مرتين مرة فى الأرض ومرة فى السماء وقيل استوى بقوته على ما جعل
له من الأمر وقوله تعالى (وهو بالأفق الأعلى) أى أفق الشمس حال من فاعل استوى (ثم دنا) ٧، ٨
أى أراد الدنو من النبى عليهما الصلاة والسلام (فتدلى) أى استرسل من الأفق الأعلى مع تعلق به *
فدنا من النبى يقال تدلت الثمرة ودلى رجليه من السرير وأدلى دلوه والدوالى الثمر المعلق (فكان) ٩
أى مقدار امتداد ما بينهما (قاب قوسين) أى مقدارهما فإن القاب والقيب والقادر والقيد والقيس *

فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾ ٥٣ النجم

مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ﴿١١﴾ ٥٣ النجم

أَفَتُمَٰرُونَهُۥ عَلَىٰ مَا يَرَىٰ ﴿١٢﴾ ٥٣ النجم

وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ٥٣ النجم

عِندَ سِدْرَةِ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿١٤﴾ ٥٣ النجم

المقدار وقيل فكان جبريل عليه السلام كما فى قولك هو منى معقد الإزار (أو أدنى) أى على تقديركم كما فى قوله تعالى أو يزيدون والمراد تمثيل ملكة الاتصال وتحقق استماعه لما أوحى إليه بنفى البعد الملبس (فأوحى) أى جبريل عليه السلام (إلى عبده) عبد الله تعالى وإضماره قبل الذكر لغاية ظهوره كما فى قوله تعالى ماترك على ظهرها (ما أوحى) أى من الأمور العظيمة التى لاتفى بهاالعبارة أوفأوحى الله تعالى حينئذ بواسطة جبريل ما أوحى قيل أوحى إليه أن الجنة محرمة على الأنبياء حتى تدخلها وعلى الأمم حتى تدخلها أمتك (ما كذب الفؤاد) أى فؤاد محمد عليه الصلاة والسلام (مارأى) أى مارآه ببصره من صورة جبريل عليهما السلام أى ماقال فؤاده لما رآه لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذباً لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره وقرىء ماكذب أى صدقه ولم يشك أنه جبريل بصورته (أفتمارونه على مايرى) أى أتكذبونه فتجادلونه على مايراه معاينة أو أبعد ماذكر من أحواله المنافية للمماراة تمارونه من المراء وهو الملاحاة والمجادلة واشتقاقه من مرى الناقة كأن كلا من المتجادلين يمرى ماعند صاحبه وقرىء أفتمرونه أى أفتغلبونه فى المراء من ماريته فمريته ولما فيه من معنى الغلبة عدى بعلى كما يقال غلبته على كذا وقيل أفتمرونه أفتجحدونه من مراه حقه إذاجحده (ولقد رآه نزلة أخرى) أى وبالله لقد رأى جبريل فى صورته مرة أخرى من النزول نصبت النزلة نصب الظرف الذى هو مرة لأن الفعلة اسم للمرة من الفعل فكانت فى حكمها وقيل تقديره ولقد رآه نازلا نزلة أخرى فنصبها على المصدر (عند سدرة المنتهى) هى شجرة نبق فى السماء السابعة عن يمين العرش ثمرها كقلال هجر وورقها كآذان الفيول تنبع من أصلها الأنهار التى ذكرها الله تعالى فى كتابه يسير الراكب فى ظلها سبعين عاماً لايقطعها والمنتهى موضع الانتهاء أو الانتهاء كأنها فى منتهى الجنة وقيل إليها ينتهى علم الخلائق وأعمالهم ولا يعلم أحد ماوراءها وقيل ينتهى إليها أرواح الشهداء وقيل ينتهى إليها مايهبط من فوقها ويصعد من تحتها قيل إضافة السدرة إلى المنتهى إما إضافة الشىء إلى مكانه كقولك أشجار البستان أو إضافة المحل إلى الحال كقولك كتاب الفقه والتقدير سدرة عندها منتهى علوم الخلائق أو إضافة الملك إلى المالك على حذف الجار والمجرور أى سدرة المنتهى إليه وهو الله عز وجل قال تعالى إلى ربك المنتهى .

عِندَهَا جَنَّةُ ٱلْمَأْوَىٰٓ ﴿١٥﴾ ٥٣ النجم

إِذْ يَغْشَى ٱلسِّدْرَةَ مَا يَغْشَىٰ ﴿١٦﴾ ٥٣ النجم

مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾ ٥٣ النجم

لَقَدْ رَأَىٰ مِنْ ءَايَٰتِ رَبِّهِ ٱلْكُبْرَىٰٓ ﴿١٨﴾ ٥٣ النجم

أَفَرَءَيْتُمُ ٱللَّٰتَ وَٱلْعُزَّىٰ ﴿١٩﴾ ٥٣ النجم

وَمَنَوٰةَ ٱلثَّالِثَةَ ٱلْأُخْرَىٰٓ ﴿٢٠﴾ ٥٣ النجم

---

١٥ (عندها جنة المأوى) أى الجنة التى يأوى إليها المتقون أو أرواح الشهداء والجملة حالية وقيل الأحسن أن يكون الحال هو الظرف وجنة المأوى مرتفع به على الفاعلية وقوله تعالى (إذ يغشى السدرة مايغشى) ١٦ ظرف زمان لرآه لا لما بعده من الجملة المنفية كما قيل فإن ما النافية لايعمل بعدها فيما قبلها والغشيان بمعنى التغطية والستر ومنه الغواشى أو بمعنى الإتيان يقال فلان يغشانى كل حين أى يأتينى والأول هو الأليق بالمقام وفى إبهام مايغشى من التفخيم مالا يخفى وتأخيره عن المفعول للتشويق إليه أى ولقد رآه عند السدرة وقت ماغشيها مما لا يكتنهه الوصف ولا يفى به البيان كيفاً ولا كما وصيغة المضارع لحكاية الحال الماضية استحضاراً لصورتها البديعة وللإيذان باستمرار الغشيان بطريق التجدد وقيل يغشاها الجم الغفير من الملائكة يعبدون الله تعالى عندها وقيل يزورونها متبركين بها كما يزور الناس الكعبة وقيل يغشاها سبحات أنوار الله عز وجل حين يتجلى لها كما يتجلى للجبل لكنها أقوى من الجبل وأثبت حيث لم يصبها ما أصابه من الدك وقيل يغشاها فراش أو جراد من ذهب وهو قول ابن عباس وابن مسعود والضحاك وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم أنه قال رأيت السدرة يغشاها فراش من ذهب ورأيت على كل ورقة ملكا قائماً يسبح الله تعالى وعنه عليه الصلاة والسلام يغشاها رفرف من طير خضر (مازاغ البصر) أى ما مال بصر رسول الله صلى الله عليه وسلم عما رآه (وما طغى) وما ١٧ تجاوزه مع ماشاهد هناك من الأمور العجيبة المذهلة مالا يحصى بل أثبته إثباتاً صحيحاً متيقناً أو ماعدل عن رؤية العجائب التى أمر برؤيتها ومكن منها وما جاوزها (لقد رأى من آيات ربه الكبرى) أى والله ١٨ لقد رأى الآيات التى هى كبراها وعظماها حين عرج به إلى السماء فأرى عجائب الملك والملكوت مالا يحيط به نطاق العبارة ويجوز أن تكون الكبرى صفة للآيات والمفعول محذوف أى شيئاً عظيما من آيات ربه وأن تكون من مزيدة (أفرأيتم اللات والعزى) (ومناة الثالثة الأخرى) هى أصنام ١٩، ٢٠ كانت لهم فاللات كانت لثقيف بالطائف وقيل لقريش بنخلة وهى فعلة من لوى لأنهم كانوا يلوون عليها ويطوفون بها وقرىء بتشديد التاء على أنه اسم فاعل اشتهر به رجل كان يلت السمن بالزيت ويطعمه

أَلَكُمُ الذَّكَرُ وَلَهُ الْأُنثَى (٢١) ٥٣ النجم

تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَى (٢٢) ٥٣ النجم

الحاج وقيل كان يلت السويق بالطائف ويطعمه الحاج فلما مات عكفوا على قبره يعبدونه وقيل كان يجلس على حجر فلما مات سمى الحجر باسمه وعبد من دون الله وقيل كان الحجر على صورته والعزى تأنيث الأعز كانت لغطفان وهى سمرة كانوا يعبدونها فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم خالد بن الوليد فقطعها فخرجت منها شيطانة ناشرة شعرها واضعة يدها على رأسها وهى تولول فجعل خالد يضربها بالسيف حتى قتلها فأخبر رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال تلك العزى ولن تعبد أبداً ومناة صخرة لهذيل وخزاعة وقيل لثقيف وكأنها سميت مناة لأن دماء النسائك تمنى عندها أى تراق وقرىء ومناءة وهى مفعلة من النوء كأنهم كانوا يستمطرون عندها الأنواء تبركا بها والأخرى صفة ذم لها وهى المتأخرة الوضيعة المقدار وقد جوز أن تكون الأولية والتقدم عندهم للات والعزى ثم أنهم كانوا مع ماذكر من عبادتهم لها يقولون إن الملائكة وتلك الأصنام بنات الله تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً فقيل لهم توبيخاً وتبكيتاً أفرأيتم الخ والهمزة للإنكار والفاء لتوجيهه إلى ترتيب الرؤية على ماذكر من شؤن الله تعالى المنافية لها غاية المنافاة وهى قلبية ومفعولها الثانى محذوف لدلالة الحال عليه فالمعنى أعقيب ماسمعتم من آثار كمال عظمة الله عز وجل فى ملكه وملكوته وجلاله وجبروته وأحكام قدرته ونفاذ أمره فى الملأ الأعلى وما تحت الثرى ومابينهما رأيتم هذه الأصنام مع غاية حقارتها وقماءتها بنات له تعالى وقيل المعنى أفرأيتم هذه الأصنام مع حقارتها وذلتها شركاء الله تعالى مع ماتقدم من عظمته وقيل أخبرونى عن آلهتكم هل لها شىء من القدرة والعظمة التى وصف بها رب العزة فى الآى السابقة وقيل المعنى أظننتم أن هذه الأصنام التى تعبدونها تنفعكم وقيل أظننتم أنها تشفع لكم فى الآخرة وقيل أفرأيتم إلى هذه الأصنام إن عبدتموها لاتنفعكم وإن تركتموها لاتضركم والأول هو الحق كما يشهد

٢١ به قوله تعالى (ألكم الذكر وله الأنثى) شهادة بينة فإنه توبيخ مبنى على التوبيخ الأول وحيث كان مداره تفضيل جانب أنفسهم على جنابه تعالى بنسبتهم إليه تعالى الإناث مع اختيارهم لأنفسهم الذكور وجب أن يكون مناط الأول نفس تلك النسبة حتى يتسنى بناء التوبيخ الثانى عليه وظاهر أن ليس فى شىء من التقديرات المذكورة من تلك النسبة عين ولا أثر وأما ماقيل من أن هذه الجملة مفعول ثان للرؤية وخلوها عن العائد إلى المفعول الأول لما أن الأصل أخبرونى أن اللات والعزى ومناة ألكم الذكر وله هن أى تلك الأصنام فوضع موضع الأنثى لمراعاة الفواصل وتحقيق مناط التوبيخ فمع مافيه من التمحلات التى ينبغى تنزيه ساحة التنزيل عن أمثالها يقتضى اقتصار التوبيخ على ترجيح جانبهم الحقير

٢٢ على جناب الله العزيز الجليل من غير تعرض للتوبيخ على نسبة الولد إليه سبحانه (تلك) إشارة إلى

٥ القسمة المنفهمة من الجملة الاستفهامية (إذاً قسمة ضيزى) أى جائرة حيث جعلتم له تعالى ماتستنكرون

إِنْ هِيَ إِلَّآ أَسْمَآءٌ سَمَّيْتُمُوهَآ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُم مَّآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بِهَا مِن سُلْطَٰنٍ ۚ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾ ٥٣ النجم

أَمْ لِلْإِنسَٰنِ مَا تَمَنَّىٰ ﴿٢٤﴾ ٥٣ النجم

فَلِلَّهِ ٱلْءَاخِرَةُ وَٱلْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ٥٣ النجم

منه وهى فعلى من الضيز وهو الجور لكنه كسر فاؤه لتسلم الياء كما فعل فى بيض فإن فعلى بالكسر لم يأت فى الوصف وقرىء ضئزى بالهمزة من ضأزه إذا ظلمه على أنه مصدر نعت به وقرىء ضيزى إما على أنه مصدر وصف به كدعوى أو على أنه صفة كسكرى وعطشى (إن هى) الضمير للأصنام ٢٣ أى ما الأصنام باعتبار الألوهية التى يدعونها (إلا أسماء) محضة ليس تحتها مما تنبىء هى عنه من معنى * الألوهية شىء ما أصلا وقوله تعالى (سميتموها) صفة لأسماء وضميرها لها لا للأصنام والمعنى جعلتموها * أسماء لا جعلتم لها أسماء فإن التسمية نسبة بين الاسم والمسمى فإذا قيست إلى الاسم فمعناها جعله اسماً للمسمى وإن قيست إلى المسمى فمعناها جعله مسمى للاسم وإنما اختير ههنا المعنى الأول من غير تعرض للمسمى لتحقيق أن تلك الأصنام التى يسمونها آلهة أسماء مجردة ليس لها مسميات قطعاً كما فى قوله تعالى ما تعبدون من دونه إلا أسماء سميتموها الآية لا أن هناك مسميات لكنها لا تستحق التسمية وقيل هى للأسماء الثلاثة المذكورة حيث كانوا يطلقونها على تلك الأصنام لاعتقادهم أنها تستحق العكوف على عبادتها والإعزاز والتقرب إليها بالقرابين وأنت خبير بأنه لو سلم دلالة الأسماء المذكورة على ثبوت تلك المعانى الخاصة للأصنام فليس فى سلبها عنها مزيد فائدة بل إنما هى فى سلب الألوهية عنها كما هو زعمهم المشهور فى حق جميع الأصنام على وجه برهانى فإن انتفاء الموصوف يقتضى انتفاء الوصف بطريق الأولوية أى ماهى إلا أسماء خالية عن المسميات وضعتموها (أنتم ولا آباؤكم) بمقتضى أهوائكم * الباطلة (ماأنزل الله بها من سلطان) برهان تتعلقون به (إن يتبعون) التفات إلى الغيبة للإيذان بأن * تعداد قبائحهم اقتضى الإعراض عنهم وحكاية جناياتهم لغيرهم أى مايتبعون فيما ذكر من التسمية والعمل بموجبها (إلا الظن) إلا توهم أن ماهم عليه حق توهما باطلا (وما تهوى الأنفس) أى تشتهيه أنفسهم * الأمارة بالسوء (ولقد جاءهم من ربهم الهدى) قيل هى حال من فاعل يتبعون أو اعتراض وأياما كان * ففيه تأكيد لبطلان اتباع الظن وهوى النفس وزيادة تقبيح لحالهم فإن اتباعهما من أى شخص كان قبيح وممن هداه الله تعالى بإرسال الرسول صلى الله عليه وسلم وإنزال الكتاب أقبح (أم للإنسان ٢٤ ماتمنى) أم منقطعة وما فيها من بل للانتقال من بيان أن ماهم عليه غير مستند إلا إلى توهمهم وهوى أنفسهم إلى بيان أن ذلك مما لا يجدى نفعاً أصلا والهمزة للإنكار والنفى أى ليس للإنسان كل مايتمناه وتشتهيه نفسه من الأمور التى من جملتها أطماعهم الفارغة فى شفاعة الآلهة ونظائرها التى لا تكاد تدخل تحت الوجود (فلله الآخرة والأولى) تعليل لانتفاء أن يكون للإنسان مايتمناه حتما فإن اختصاص ٢٥

وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغْنِى شَفَٰعَتُهُمْ شَيْـًٔا إِلَّا مِنۢ بَعْدِ أَن يَأْذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرْضَىٰٓ ﴿٢٦﴾ ٥٣ النجم

إِنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ لَيُسَمُّونَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ تَسْمِيَةَ ٱلْأُنثَىٰ ﴿٢٧﴾ ٥٣ النجم

وَمَا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَإِنَّ ٱلظَّنَّ لَا يُغْنِى مِنَ ٱلْحَقِّ شَيْـًٔا ﴿٢٨﴾ ٥٣ النجم

فَأَعْرِضْ عَن مَّن تَوَلَّىٰ عَن ذِكْرِنَا وَلَمْ يُرِدْ إِلَّا ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٢٩﴾ ٥٣ النجم

---

٢٦ أمور الآخرة والأولى جميعاً به تعالى مقتض لانتفاء أن يكون له أمر من الأمور وقوله تعالى (وكم من ملك فى السموات لاتغنى شفاعتهم شيئاً) إقناط لهم عما علقوا به أطماعهم من شفاعة الملائكة لهم موجب لإقناطهم من شفاعة الأصنام بطريق الأولوية وكم خبرية مفيدة للتكثير محلها الرفع على الابتداء والخبر هى الجملة المنفية وجمع الضمير فى شفاعتهم مع إفراد الملك باعتبار المعنى أى وكثير من الملائكة * لاتغنى شفاعتهم عند الله تعالى شيئاً من الإغناء فى وقت من الأوقات (إلا من بعد أن يأذن الله) لهم * فى الشفاعة (لمن يشاء) أن يشفعوا له (ويرضى) ويراه أهلا للشفاعة من أهل التوحيد والإيمان وأما من عداهم من أهل الكفر والطغيان فهم من إذن الله تعالى بمعزل ومن الشفاعة ألف منزل فإذا كان

٢٧ حال الملائكة فى باب الشفاعة كما ذكر فما ظنهم بحال الأصنام (إن الذين لا يؤمنون بالآخرة) وبما * فيها من العقاب على مايتعاطونه من الكفر والمعاصى (ليسمون الملائكة) المنزهين عن سمات النقصان * على الإطلاق يسمون كل واحد منهم (تسمية الأنثى) فإن قولهم الملائكة بنات الله قول منهم بأن كلا منهم بنته سبحانه وهى التسمية بالأنثى وفى تعليقها بعدم الإيمان بالآخرة إشعار بأنها فى الشناعة والفظاعة واستتباع العقوبة فى الآخرة بحيث لايجترىء عليها إلا من لا يؤمن بها رأساً وقوله تعالى

٢٨ (وما لهم به من علم) حال من فاعل يسمون أى يسمونهم والحال أنه لا علم لهم بما يقولون أصلا * وقرىء بها أى بالملائكة أو بالتسمية (أن يتبعون) فى ذلك (إلا الظن) الفاسد (وإن الظن) أى * جنس الظن كما يلوح به الإظهار فى موقع الإضمار (لايغنى من الحق شيئاً) من الإغناء فإن الحق الذى هو عبارة عن حقيقة الشىء لايدرك إلا بالعلم والظن لااعتداد به فى شأن المعارف الحقيقية وإنما يعتد

٢٩ به فى العمليات وما يؤدى إليها (فأعرض عمن تولى عن ذكرنا) أى عنهم ووضع الموصول موضع ضميرهم للتوسل به إلى وصفهم بما فى حيز صلته من الأوصاف القبيحة وتعليل الحكم بها أى فأعرض عمن أعرض عن ذكرنا المفيد للعلم اليقينى وهو القرآن المنطوى على علوم الأولين والآخرين المذكر لأمور الآخرة أو عن ذكرنا كما ينبغى فإن ذلك مستتبع لذكر الآخرة وما فيها من الأمور المرغوب * فيها والمرهوب عنها (ولم يرد إلا الحياة الدنيا) راضياً بها قاصراً نظره عليها والمراد النهى عن دعوته والاعتناء بشأنه فإن من أعرض عما ذكر وانهمك فى الدنيا بحيث كانت هى منتهى همته وقصارى سعيه

ذَٰلِكَ مَبْلَغُهُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَن ضَلَّ عَن سَبِيلِهِۦ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱهْتَدَىٰ ﴿٣٠﴾ ٥٣ النجم

وَلِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ لِيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَسَٰٓـُٔوا۟ بِمَا عَمِلُوا۟ وَيَجْزِىَ ٱلَّذِينَ أَحْسَنُوا۟ بِٱلْحُسْنَى ﴿٣١﴾ ٥٣ النجم

٣٠ لاتزيده الدعوة إلى خلافها إلا عناداً وإصراراً على الباطل (ذلك) أى ما أداهم إلى ماهم فيه من التولى وقصر الإرادة على الحياة الدنيا (مبلغهم من العلم) لا يكادون يجاوزونه إلى غيره حتى تجديهم الدعوة والإرشاد وجمع الضمير فى مبلغهم باعتبار معنى من كما أن إفراده فيما سبق باعتبار لفظها والمراد بالعلم مطلق الإدراك المنتظم للظن الفاسد والجملة اعتراض مقرر لمضمون ماقبلها من قصر الإرادة على الحياة الدنيا * وقوله تعالى (إن ربك هو أعلم بمن ضل عن سبيله وهو أعلم بمن اهتدى) تعليل للأمر بالإعراض * وتكرير قوله تعالى هو أعلم لزيادة التقرير والإيذان بكمال تباين المعلومين والمراد بمن ضل من أصر عليه ولم يرجع إلى الهدى أصلا وبمن اهتدى من من شأنه الاهتداء فى الجملة أى هو المبالغ فى العلم بمن لا يرعوى عن الضلال أبداً وبمن يقبل الاهتداء فى الجملة لاغيره فلا تتعب نفسك فى دعوتهم فإنهم من القبيل الأول وفى تعليل الأمر بإعراضه عليه السلام عن الاعتناء بأمرهم باقتصار العلم بأحوال الفريقين عليه تعالى رمز إلى أنه تعالى يعاملهم بموجب علمه بهم فيجزى كلا منهم بما يليق به من الجزاء ففيه وعيد ووعد ضمناً كما سيأتى صريحاً (ولله مافى السموات وما فى الأرض) أى خلقاً وملكا لا ٣١ لغيره أصلا لا استقلالا ولا اشتراكا وقوله تعالى (ليجزى) الخ متعلق بما دل عليه أعلم الخ وما بينهما * اعتراض مقرر لما قبله فإن كون الكل مخلوقا له تعالى مما يقرر علمه تعالى بأحوالهم ألا يعلم من خلق كأنه قيل فيعلم ضلال من ضل واهتداء من اهتدى ويحفظهما ليجزى (الذين أساؤا بما عملوا) أى * بعقاب ما عملوا من الضلال الذى عبر عنه بالإساءة بياناً لحاله أو بسبب ما عملوا (ويجزى الذين أحسنوا) * أى اهتدوا (بالحسنى) أى بالمثوبة الحسنى التى هى الجنة أو بسبب أعمالهم الحسنى وقيل متعلق بما دل * عليه قوله تعالى ولله مافى السموات وما فى الأرض كأنه قيل خلق مافيهما ليجزى الخ وقيل متعلق بضل واهتدى على أن اللام للعاقبة أى هو أعلم بمن ضل ليؤول أمره إلى أن يجزيه الله تعالى بعمله وبمن اهتدى ليؤول أمره إلى أن يجزيه بالحسنى وفيه من البعد مالا يخفى وتكرير الفعل لإبراز كمال الاعتناء بأمر الجزاء والتنبيه على تباين الجزاءين .

ٱلَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَـٰٓئِرَ ٱلْإِثْمِ وَٱلْفَوَٰحِشَ إِلَّا ٱللَّمَمَ إِنَّ رَبَّكَ وَٰسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِ هُوَ أَعْلَمُ بِكُمْ إِذْ أَنشَأَكُم مِّنَ ٱلْأَرْضِ وَإِذْ أَنتُمْ أَجِنَّةٌ فِى بُطُونِ أُمَّهَـٰتِكُمْ فَلَا تُزَكُّوٓا۟ أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ ٱتَّقَىٰٓ ﴿٣٢﴾ ٥٣ النجم

أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى تَوَلَّىٰ ﴿٣٣﴾ ٥٣ النجم

وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰٓ ﴿٣٤﴾ ٥٣ النجم

٣٢ (الذين يجتنبون كبائر الإثم) بدل من الموصول الثانى وصيغة الاستقبال فى صلتـه للدلالة على تجدد الاجتناب واستمراره أو بيان أو نعت أو منصوب على المدح وكبائر الإثم ما يكبر عقابه من الذنوب وهو ما رتب عليه الوعيد بخصوصه وقرىء كبير الإثم على إرادة الجنس أو الشرك (والفواحش) وما فحش من الكبائر خصوصاً (إلا اللمم) أى إلا ما قل وصغر فإنه مغفور ممن يجتنب الكبائر قيل هى النظرة والغمزة والقبلة وقيل هى الخطرة من الذنب وقيل كل ذنب لم يذكر الله عليه حداً ولا عذاباً وقيل عادة النفس الحين بعد الحين والاستثناء منقطع (إن ربك واسع المغفرة) حيث يغفر الصغائر باجتناب الكبائر فالجملة تعليل لاستثناء اللمم وتنبيه على أن إخراجه عن حكم المؤاخذة به ليس لخلوه عن الذنب فى نفسـه بل لسعة المغفرة الربانيـة وقيل المعنى له أن يغفر لمن يشاء من المؤمنين ما يشاء من الذنوب صغيرها وكبيرها لعل تعقيب وعد المسيئين ووعد المحسنين بذلك حينئذ لئلا ييأس صاحب الكبيرة من رحمته تعالى ولا يتوهم وجوب العقاب عليـه تعالى (هو أعلم بـكم) أى بأحوالـكم يعلمها (إذ أنشأكم) فى ضمن إنشاء أبيـكم آدم عليـه السلام (من الأرض) إنشاء إجمالياً حسبما مر تقريره مراراً (وإذ أنتم أجنة) أى وقت كونكم أجنة (فى بطون أمهاتـكم) على أطوار مختلفة مترتبة لايخفى عليه حال من أحوالـكم وعمل من أعمالـكم التى من جملتها اللمم الذى لولا المغفرة الواسعة لأصابكم وباله فالجملة استئناف مقرر لما قبلها والفاء فى قوله تعالى (فلا تزكوا أنفسكم) لترتيب النهى عن تزكية النفس على ما سبق من أن عدم المؤاخذة باللمم ليس لعـدم كونه من قبيل الذنوب بل لمحض مغفرته تعالى مع علمه بصدوره عنكم أى إذا كان الأمر كذلك فلا تثنوا عليها بالطهارة عن المعاصى بالـكلية أو بما يستلزمها من زكاء العمل ونماء الخير بل اشكروا الله تعالى على فضله ومغفرته (هو أعلم بمن اتقى) المعاصى جميعاً وهو استئناف مقرر للنهى ومشعر بأن فيهم من يتقيها بأسرها وقيل كان ناس يعملون أعمالا حسنة ثم يقولون صلاتنا وصيامنا وحجنا فنزلت وهـذا إذا كان بطريق الإعجاب أو الرياء فأما من اعتقد أن ما عمله من الأعمال الصالحة من الله تعالى وبتوفيقه وتأييده ولم يقصد به التمدح

٣٣ لم يكن من المزكين أنفسهم فإن المسرة بالطاعة طاعة وذكرها شكر (أفرأيت الذى تولى) أى عن

٣٤ اتباع الحق والثبات عليه (وأعطى قليلا) أى شيئاً قليلا أو إعطاء قليلا (وأكدى) أى قطع العطاء

أَعِندَهُۥ عِلْمُ ٱلْغَيْبِ فَهُوَ يَرَىٰٓ ﴿٣٥﴾ ٥٣ النجم

أَمْ لَمْ يُنَبَّأْ بِمَا فِى صُحُفِ مُوسَىٰ ﴿٣٦﴾ ٥٣ النجم

وَإِبْرَٰهِيمَ ٱلَّذِى وَفَّىٰٓ ﴿٣٧﴾ ٥٣ النجم

أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَىٰ ﴿٣٨﴾ ٥٣ النجم

وَأَن لَّيْسَ لِلْإِنسَٰنِ إِلَّا مَا سَعَىٰ ﴿٣٩﴾ ٥٣ النجم

من قولهم أكدى الحافر إذا بلغ الكدية أى الصلابة كالصخرة فلا يمكنه أن يحفر قالوا نزلت فى الوليد ابن المغيرة كان يتبع رسول الله صلى الله عليه وسلم فعيره بعض المشركين وقال له تركت دين الأشياخ وضللتهم فقال أخشى عذاب الله فضمن أن يتحمل عنه العذاب إن أعطاه بعض ماله فارتد وأعطاه بعض المشروط وبخل بالباقى وقيل نزلت فى العاص بن وائل السهمى لما كان يوافق النبى عليه الصلاة والسلام فى بعض الأمور وقيل فى أبى جهل كان ربما يوافق الرسول عليه الصلاة والسلام فى بعض الأمور وكان يقول والله ما يأمرنا محمد إلا بمكارم الأخلاق وذلك قوله تعالى وأعطى قليلا وأكدى والأول هو الأشهر المناسب لما بعده من قوله تعالى (أعنده علم الغيب فهو يرى) الخ أى أعنده علم ٣٥ بالأمور الغيبية التى من جملتها تحمل صاحبه عنه يوم القيامة (أم لم ينبأ بما فى صحف موسى) (وإبراهيم ٣٦، ٣٧ الذى وفى) أى وفر وأتم ما ابتلى به من الكلمات أو أمر به أو بالغ فى الوفاء بما عاهد الله وتخصيصه بذلك لاحتماله مالم يحتمله غيره كالصبر على نار نمروذ حتى إذا أنه أتاه جبريل عليه السلام حين يلقى فى النار فقال ألك حاجة فقال أما إليك فلا وعلى ذبح الولد ويروى أنه كان يمشى كل يوم فرسخاً يرتاد ضيفاً فإن وافقه أكرمه وإلا نوى الصوم وتقديم موسى لما أن صحفه التى هى التوراة أشهر عندهم وأكثر (ألا تزر وازرة وزر أخرى) أى أنه لا تحمل نفس من شأنها الحمل حمل نفس أخرى على أن أن ٣٨ هى المخففة من الثقيلة وضمير الشأن الذى هو اسمها محذوف والجملة المنفية خبرها ومحل الجملة الجر على أنها بدل مما فى صحف موسى أو الرفع على أنها خبر مبتدأ محذوف كأنه قيل ما فى صحفهما فقيل هو أن لا تزر الخ والمعنى أنه لا يؤاخذ أحد بذنب غيره ليتخلص الثانى عن عقابه ولا يقدح فى ذلك قوله عليه الصلاة والسلام من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها إلى يوم القيامة فإن ذلك وزر الإضلال الذى هو وزره وقوله تعالى (وأن ليس للإنسان إلا ما سعى) بيان لعدم انتفاع الإنسان ٣٩ بعمل غيره من حيث جلب النفع إليه إثر بيان عدم انتفاعه به من حيث دفع الضرر عنه وأما شفاعة الأنبياء عليهم السلام واستغفار الملائكة عليهم السلام ودعاء الأحياء للأموات وصدقتهم عنهم وغير ذلك مما لا يكاد يحصى من الأمور النافعة للإنسان مع أنها ليست من عمله قطعاً فحيث كان مناط منفعة كل منها عمله الذى هو الإيمان والصلاح ولم يكن لشىء منها نفع ما بدونه جعل النافع نفس عمله وإن

وَأَنَّ سَعْيَهُۥ سَوْفَ يُرَىٰ ﴿٤٠﴾	٥٣ النجم
ثُمَّ يُجْزَىٰهُ ٱلْجَزَآءَ ٱلْأَوْفَىٰ ﴿٤١﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ ﴿٤٢﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ ﴿٤٥﴾	٥٣ النجم
مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴿٤٦﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّ عَلَيْهِ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُخْرَىٰ ﴿٤٧﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴿٤٨﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعْرَىٰ ﴿٤٩﴾	٥٣ النجم
وَأَنَّهُۥٓ أَهْلَكَ عَادًا ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٠﴾	٥٣ النجم

٤٠ كان بانضمام عمل غيره إليه وأن مخففة كأختها معطوفة عليها وكذا قوله تعالى (وأن سعيه سوف يرى)
٤١ أى يعرض عليه ويكشف له يوم القيامة فى صحيفته وميزانه من أريته الشىء (ثم يجزاه) أى يجزى الإنسان سعيه يقال جزاه الله بعمله وجزاه على عمله وجزاه عمله بحذف الجار وإيصال الفعل ويجوز
* أن يجعل الضمير للجزاء ثم يفسر بقوله تعالى (الجزاء الأوفى) أو يبدل هو عنه كما فى قوله تعالى وأسروا
٤٢ النجوى الذين ظلموا (وأن إلى ربك المنتهى) أى انتهاء الخلق ورجوعهم إليه تعالى لا إلى غيره استقلالا
٤٣ ولا اشتراكا وقرىء بكسر إن على الابتداء (وأنه هو أضحك وأبكى) أى هو خلق قوتى الضحك والبكاء
٤٤ (وأنه هو أمات وأحيا) لا يقدر على الإماتة والإحياء غيره فإن أثر القاتل نقض البنية وتفريق الاتصال
٤٥،٤٦ وإنما يحصل الموت عنده بفعل الله تعالى على العادة (وأنه خلق الزوجين الذكر والأنثى) (من
٤٧ نطفة إذا تمنى) تدفق فى الرحم أو تخلق أو يقدر منها الولد من منى بمعنى قدر (وأن عليه النشأة الأخرى)
٤٨ أى الإحياء بعد الموت وفاء بوعده وقرىء النشاءة بالمد وهى أيضاً مصدر نشأه (وأنه هو أغنى وأقنى) وأعطى القنية وهى ما يتأثل من الأموال وإفرادها بالذكر لأنها أشرف الأموال أو أرضى وتحقيقه
٤٩ جعل الرضا له قنية (وأنه هو رب الشعرى) أى رب معبودهم وهى العبور وهى أشد ضياء من الغميصاء وكانت خزاعة تعبدها سن لهم ذلك أبو كبشة رجل من أشرافهم وكانت قريش تقول لرسول الله
٥٠ صلى الله عليه وسلم أبو كبشة تشبيهاً له عليه الصلاة والسلام به لمخالفته إياهم فى دينهم (وأنه أهلك

وَثَمُودَاْ فَمَآ أَبْقَىٰ ﴿٥١﴾ ٥٣ النجم

وَقَوْمَ نُوحٍ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُواْ هُمْ أَظْلَمَ وَأَطْغَىٰ ﴿٥٢﴾ ٥٣ النجم

وَٱلْمُؤْتَفِكَةَ أَهْوَىٰ ﴿٥٣﴾ ٥٣ النجم

فَغَشَّىٰهَا مَا غَشَّىٰ ﴿٥٤﴾ ٥٣ النجم

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكَ تَتَمَارَىٰ ﴿٥٥﴾ ٥٣ النجم

هَٰذَا نَذِيرٌ مِّنَ ٱلنُّذُرِ ٱلْأُولَىٰ ﴿٥٦﴾ ٥٣ النجم

عاد الأولى) هي قوم هود عليه السلام وعاد الأخرى إرم وقيل الأولى القدماء لأنهم أولى الأمم هلاكا بعد قوم نوح وقرىء عادا لولى بحذف الهمزة ونقل ضمتها إلى اللام وعاد لولى بادغام التنوين في اللام وطرح همزة أولى ونقل حركتها إلى لام التعريف (وثمود) عطف على عاداً لأن ما بعده لا يعمل ٥١ فيه وقرىء وثموداً بالتنوين (فما أبقى) أى أحداً من الفريقين (وقوم نوح) عطف عليه أيضاً (من ٥٢ قبل) أى من قبل إهلاك عاد وثمود (إنهم كانوا هم أظلم وأطغى) من الفريقين حيث كانوا يؤذونه * وينفرون الناس عنه وكانوا يحذرون صبيانهم أن يسمعوا منه وكانوا يضربونه عليه الصلاة والسلام حتى لا يكون به حراك وما أثر فيهم دعاؤه قريباً من ألف سنة (والمؤتفكة) هي قرى قوم لوط ائتفكت ٥٣ بأهلها أى انقلبت بهم (أهوى) أى أسقطها إلى الأرض بعد أن رفعها على جناح جبريل عليه السلام * إلى السماء (فغشاها ما غشى) من فنون العذاب وفيه من التهويل والتفظيع ما لا غاية وراءه (فبأى آلاء ٥٤، ٥٥ ربك تتمارى) تتشكك والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام على طريقة قوله تعالى لئن أشركت ليحبطن عملك أو لكل أحد وإسناد فعل التمارى إلى الواحد باعتبار تعدده بحسب تعدد متعلقه فإن صيغة التفاعل وإن كانت موضوعة لإفادة صدور الفعل عن المتعدد ووقوعه عليه بحيث يكون كل من ذلك فاعلا ومفعولا معاً لكنها قد تجرد عن المعنى الثاني فيراد بها المعنى الأول فقط كما في يتداعونهم أى يدعونهم وقد تجرد عنهم أيضاً فيكتفى بتعدد الفعل بتعدد متعلقه كما فيما نحن فيه فإن المراد متعدد بتعدد الآلاء فتدبر وتسمية الأمور المعدودة آلاء مع أن بعضها نقم لما أنها أيضاً نعم من حيث إنها نصرة للأنبياء والمؤمنين وانتقام لهم وفيها عظات وعبر للمعتبرين (هذا نذير من النذر الأولى) هذا ٥٦ إما إشارة إلى القرآن والنذير مصدر أو إلى الرسول عليه الصلاة والسلام والنذير بمعنى المنذر وأياً ما كان فالتنوين للتفخيم ومن متعلقة بمحذوف هو نعت لنذير مقرر له ومتضمن للوعيد أى هذا القرآن الذى تشاهدونه نذير من قبيل الإنذارات المتقدمة التى سمعتم عاقبتها أو هذا الرسول منذر من جنس المنذرين الأولين والأولى على تأويل الجماعة لمراعاة الفواصل وقد علمتم أحوال قومهم المنذرين وفى

أَزِفَتِ ٱلْآزِفَةُ ﴿٥٧﴾ ٥٣ النجم

لَيْسَ لَهَا مِن دُونِ ٱللَّهِ كَاشِفَةٌ ﴿٥٨﴾ ٥٣ النجم

أَفَمِنْ هَٰذَا ٱلْحَدِيثِ تَعْجَبُونَ ﴿٥٩﴾ ٥٣ النجم

وَتَضْحَكُونَ وَلَا تَبْكُونَ ﴿٦٠﴾ ٥٣ النجم

وَأَنتُمْ سَٰمِدُونَ ﴿٦١﴾ ٥٣ النجم

فَٱسْجُدُوا۟ لِلَّهِ وَٱعْبُدُوا۟ ﴿٦٢﴾ ٥٣ النجم

---

٥٧ تعقيبه بقوله تعالى (أزفت الآزفة) إشعار بأن تعذيبهم مؤخر إلى يوم القيامة أي دنت الساعة الموصوفة

٥٨ بالدنو فى نحو قوله تعالى اقتربت الساعة (ليس لها من دون الله كاشفة) أى ليس لها نفس قادرة على كشفها عند وقوعها إلا الله تعالى لكنه لا يكشفها أو ليس لها الآن نفس كاشفة بتأخيرها إلا الله تعالى فإنه المؤخر لها أو ليس لها كاشفة لوقتها إلا الله تعالى كقوله تعالى لا يجليها لوقتها إلا هو أو ليس لها

٥٩ من غير الله تعالى كشف على أن كاشفة مصدر كالعافية (أفمن هذا الحديث) أى القرآن (تعجبون)

٦٠ إنكاراً (وتضحكون) استهزاء مع كونه أبعد شيء من ذلك (ولا تبكون) حزناً على ما فرطتم فى

٦١ شأنه وخوفاً من أن يحيق بكم ما حاق بالأمم المذكورة (وأنتم سامدون) أى لاهون أو مستكبرون من سمد البعير إذا رفع رأسه أو مغنون لتشغلوا الناس عن استماعه من السمود بمعنى الغناء على لغة حمير أو خاشعون جامدون من السمود بمعنى الجمود والخشوع كما فى قول من قال [رمى الحدثان نسوة آل سعد * بمقدار سمدن له سمودا] [فرد شعورهن السود بيضاً * ورد وجوههن البيض سودا] والجملة حال من فاعل لا تبكون خلا أن مضمونها على الوجه الأخير قيد للنفى والإنكار وارد على نفى البكاء والسمود معاً وعلى الوجوه الأول قيد للنفى والإنكار متوجه إلى نفى البكاء ووجود السمود والأول

٦٢ أوفى بحق المقام فتدبر والفاء فى قوله تعالى (فاسجدوا لله واعبدوا) لترتيب الأمر أو موجبه على ما تقرر من بطلان مقابلة القرآن بالإنكار والاستهزاء ووجوب تلقيه بالإيمان مع كمال الخضوع والخشوع أى وإذا كان الأمر كذلك فاسجدوا لله الذى أنزله واعبدوا . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة النجم أعطاه الله تعالى عشر حسنات بعدد من صدق بمحمد وجحد به بمكة شرفها الله تعالى .

٥٤ – سورة القمر

(مكية وهى خمس وخمسون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ﴿١﴾   ٥٤ القمر

وَإِن يَرَوْا۟ ءَايَةً يُعْرِضُوا۟ وَيَقُولُوا۟ سِحْرٌ مُّسْتَمِرٌّ ﴿٢﴾   ٥٤ القمر

وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ۚ وَكُلُّ أَمْرٍ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣﴾   ٥٤ القمر

﴿ سورة القمر مكية إلا الآيات ٤٤، ٤٥، ٤٦ فمدنية وآياتها خمس وخمسون ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (اقتربت الساعة وانشق القمر) روى أن الكفار سألوا رسول الله صلى الله عليه وسلم آية فانشق القمر قال ابن عباس رضى الله عنهما انفلق فلقتين فلقة ذهبت وفلقة بقيت وقال ابن مسعود رأيت حراء بين فلقتى القمر وعن عثمان بن عطاء عن أبيه أن معناه سينشق يوم القيامة ويرده قوله تعالى (وإن يروا آية يعرضوا ويقولوا سحر مستمر) فإنه ناطق بأنه قد وقع ٢ وأنهم قد شاهدوه بعد مشاهدة نظائره وقرىء وقد انشق القمر أى اقتربت الساعة وقد حصل من آيات اقترابها أن القمر قد انشق ومعنى الاستمرار الاطراد أو الاستحكام أى وإن يروا آية من آيات الله يعرضوا عن التأمل فيها ليقفوا على حقيتها وعلو طبقتها ويقولوا سحر مطرد دائم يأتى به محمد على مر الزمان لا يكاد يختلف بحال كسائر أنواع السحر أو قوى مستحكم لا يمكن إزالته وقيل مستمر ذاهب يزول ولا يبقى تمنية لأنفسهم وتعليلا وهو الأنسب بغلوهم فى العناد والمكابرة ويؤيده ماسيأتى لرده وقرىء وإن يروا على البناء للمفعول من الإراءة (وكذبوا) أى بالنبى صلى الله عليه وسلم وما ٣ عاينوه مما أظهره الله تعالى على يده من المعجزات (واتبعوا أهواءهم) التى زينها الشيطان لهم أو كذبوا ٥ الآية التى هى انشقاق القمر واتبعوا أهواءهم وقالوا سحر القمر أو سحر أعيننا والقمر بحاله وصيغة الماضى للدلالة على التحقق وقوله تعالى (وكل أمر مستقر) استئناف مسوق لإقناطهم عما علقوا به ٥ أمانيهم الفارغة من عدم استقرار أمره عليه الصلاة والسلام حسبما قالوا سحر مستمر ببيان ثباته ورسوخه أى وكل أمر من الأمور مستقر أى منته إلى غاية يستقر عليها لا محالة ومن جملتها أمر النبى صلى الله عليه وسلم فسيصير إلى غاية يتبين عندها حقيته وعلو شأنه وإبهام المستقر عليه للتنبيه على كمال ظهور الحال وعدم الحاجة إلى التصريح به وقيل المعنى كل أمر من أمرهم وأمره عليه الصلاة والسلام مستقر أى سيثبت ويستقر على حالة خذلان أو نصرة فى الدنيا وشقاوة أو سعادة فى الآخرة وقرىء بالفتح على أنه مصدر أو اسم مكان أو اسم زمان أى ذو استقرار أو ذو موضع استقرار أو ذو زمان استقرار

وَلَقَدْ جَاءَهُم مِّنَ الْأَنبَاءِ مَا فِيهِ مُزْدَجَرٌ ﴿٤﴾ ٥٤ القمر

حِكْمَةٌ بَالِغَةٌ فَمَا تُغْنِ النُّذُرُ ﴿٥﴾ ٥٤ القمر

فَتَوَلَّ عَنْهُمْ يَوْمَ يَدْعُ الدَّاعِ إِلَىٰ شَيْءٍ نُّكُرٍ ﴿٦﴾ ٥٤ القمر

خُشَّعًا أَبْصَارُهُمْ يَخْرُجُونَ مِنَ الْأَجْدَاثِ كَأَنَّهُمْ جَرَادٌ مُّنتَشِرٌ ﴿٧﴾ ٥٤ القمر

مُّهْطِعِينَ إِلَى الدَّاعِ يَقُولُ الْكَافِرُونَ هَٰذَا يَوْمٌ عَسِرٌ ﴿٨﴾ ٥٤ القمر

كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ فَكَذَّبُوا عَبْدَنَا وَقَالُوا مَجْنُونٌ وَازْدُجِرَ ﴿٩﴾ ٥٤ القمر

---

٤ وبالكسر والجر على أنه صفة أمر وكل عطف على الساعة أى اقتربت الساعة وكل أمر مستقر (ولقد جاءهم) أى فى القرآن وقوله تعالى (من الأنباء) أى أنباء القرون الخالية أو أنباء الآخرة متعلق بمحذوف هو حال مما بعده أى وبالله لقد جاءهم كائناً من الأنباء (مافيه مزدجر) أى ازدجار من تعذيب أو وعيد أو موضع ازدجار على أن تجريدية والمعنى أنه فى نفسه موضع ازدجار وتاء الافتعال تقلب دالا مع ٥ الدال والذال والزاى للتناسب وقرىء مزجر بقلبها زاء وإدغامها (حكمة بالغة) غايتها لاخلل فيها وهى بدل ما أو خبر لمحذوف وقرىء بالنصب حالا منها فإنها موصولة أو موصوفة تخصصت بصفتها فساغ نصب الحال عنها (فما تغنى النذر) نفى للإغناء أو إنكار له والفاء لترتيب عدم الإغناء على مجىء الحكمة البالغة مع كونه مظنة للإغناء وصيغة المضارع للدلالة على تجدد عدم الإغناء واستمراره حسب تجدد مجىء الزواجر واستمراره وما على الوجه الثانى منصوبة أى فأى إغناء تغنى النذر وهو جمع نذير بمعنى ٦ المنذر أو مصدر بمعنى الإنذار (فتول عنهم) لعلمك بأن الإنذار لا يؤثر فيهم البتة (يوم يدع الداع) منصوب بيخرجون أو باذكر والداعى إسرافيل عليه السلام ويجوز أن يكون الدعاء فيه كالأمر فى قوله تعالى كن فيكون وإسقاط الياء للاكتفاء بالكسر تخفيفاً (إلى شىء نكر) أى منكر فظيع تنكره ٧ النفوس لعدم العهد بمثله وهو هول القيامة وقرىء نكر بالتخفيف ونكر بمعنى أنكر (خشعاً أبصارهم) حال من فاعل (يخرجون) والتقديم لأن العامل متصرف أى يخرجون (من الأجداث) أذلة أبصارهم من شدة الهول وقرىء خاشعاً والإفراد والتذكير لأن فاعله ظاهر غير حقيقى التأنيث وقرىء خاشعة على الأصل وقرىء خشع أبصارهم على الابتداء والخبر على أن الجملة حال (كأنهم جراد منتشر) فى ٨ الكثرة والتموج والتفرق فى الأقطار (مهطعين إلى الداع) مسرعين مادى أعناقهم إليه أو ناظرين إليه (يقول الكافرون) استئناف وقع جواباً عما نشأ من وصف اليوم والأهوال وأهله بسوء الحال كأنه قيل فماذا يكون حينئذ فقيل يقول الكافرون (هذا يوم عسر) أى صعب شديد وفى إسناد القول ٩ المذكور إلى الكفار تلويح بأن المؤمنين ليسوا فى تلك المرتبة من الشدة (كذبت قبلهم قوم نوح) شروع

فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ ﴿١٠﴾ ٥٤ القمر

فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴿١١﴾ ٥٤ القمر

وَفَجَّرْنَا ٱلْأَرْضَ عُيُونًا فَٱلْتَقَى ٱلْمَآءُ عَلَىٰٓ أَمْرٍ قَدْ قُدِرَ ﴿١٢﴾ ٥٤ القمر

وَحَمَلْنَٰهُ عَلَىٰ ذَاتِ أَلْوَٰحٍ وَدُسُرٍ ﴿١٣﴾ ٥٤ القمر

تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ﴿١٤﴾ ٥٤ القمر

فى تعداد بعض ماذكر من الأنباء الموجبة للإزدجار ونوع تفصيل لها وبيان لعدم تأثرهم بها تقريراً لفحوى قوله تعالى فما تغنى النذر أى فعل التكذيب قبل تكذيب قومك قوم نوح وقوله تعالى (فكذبوا * عبدنا) تفسير لذلك التكذيب المبهم كما فى قوله تعالى ونادى نوح ربه فقال رب الخ وفيه مزيد تقرير وتحقيق للتكذيب وقيل معناه كذبوه تكذيباً إثر تكذيب كلما خلا منهم قرن مكذب جاء عقيبه قرن آخر مكذب مثله وقيل كذبت قوم نوح الرسل فكذبوا عبدنا لأنه من جملتهم وفى ذكره عليه الصلاة والسلام بعنوان العبودية مع الإضافة إلى نون العظمة تفخيم له عليه الصلاة والسلام ورفع لمحله وزيادة تشنيع لمكذبيه (وقالوا مجنون) أى لم يقتصروا على مجرد التكذيب بل نسبوه إلى الجنون * (وازدجر) عطف على قالوا أى وزجر عن التبليغ بأنواع الأذية وقيل هو من جملة ماقالوه أى هو * مجنون وقد ازدجرته الجن وتخبطته (فدعا ربه أنى) أى بأنى وقرىء بالكسر على إرادة القول (مغلوب) ١٠ أى من جهة قومى مالى قدرة على الانتقام منهم (فانتصر) أى فانتقم لى منهم وذلك بعد تقرر يأسه منهم * بعد اللتيا والتى فقد روى أن الواحد منهم كان يلقاه فيخنقه حتى يخر مغشياً عليه ويقول اللهم اغفر لقومى فإنهم لايعلمون (ففتحنا أبواب السماء بماء منهمر) منصب وهو تمثيل لكثرة الأمطار وشدة انصبابها ١١ وقرىء ففتحنا بالتشديد لكثرة الأبواب (وفجرنا الأرض عيوناً) أى جعلنا الأرض كلها كأنها عيون ١٢ متفجرة وأصله وفجرنا عيون الأرض فغير قضاء لحق المقام (فالتقى الماء) أى ماء السماء وماء الأرض * والإفراد لتحقيق أن التقاء الماءين لم يكن بطريق المجاورة والتقارب بل بطريق الاختلاط والاتحاد وقرىء الماءان لاختلاف النوعين والماوان بقلب الهمزة واو (على أمر قد قدر) أى كائناً على حال * قد قدرها الله تعالى من غير تفاوت أو على حال قدرت وسويت وهو أن قدر ماأنزل على قدر ماأخرج أو على أمر قدره الله تعالى وهو هلاك قوم نوح بالطوفان (وحملناه) أى نوحاً عليه السلام (على ذات ١٣ ألواح) أى أخشاب عريضة (ودسر) ومسامير جمع دسار من الدسر وهو الدفع وهى صفة للسفينة * أقيمت مقامها من حيث أنها كالشرح لها تؤدى مؤداها (تجرى بأعيننا) بمرأى منا أى محفوظة بحفظنا ١٤

وَلَقَد تَّرَكْنَٰهَآ ءَايَةً فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٥﴾ ٥٤ القمر

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٦﴾ ٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿١٧﴾ ٥٤ القمر

كَذَّبَتْ عَادٌ فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿١٨﴾ ٥٤ القمر

إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِى يَوْمِ نَحْسٍ مُّسْتَمِرٍّ ﴿١٩﴾ ٥٤ القمر

---

* (جزاء لمن كان كفر) أى فعلنا ذلك جزاء لنوح عليه السلام لأنه كان نعمة كفروها فإن كل نبى نعمة من الله تعالى على أمته ورحمة وأى نعمة وأى رحمة وقد جوز أن يكون على حذف الجار وإيصال
١٥ الفعل إلى الضمير واستتاره فى الفعل بعد انقلابه مرفوعا وقرىء لمن كفر أى للكافرين (ولقد تركناها)
* أى السفينة أو الفعلة (آية) يعتبر بها من يقف على خبرها وقال قتادة أبقاها الله تعالى بأرض الجزيرة
* وقيل على الجودى دهراً طويلا حتى نظر إليها أوائل هذه الأمة (فهل من مدكر) أى معتبر بتلك
١٦ الآية الحقيقة بالاعتبار وقرىء مذتكر على الأصل ومذكر بقلب التاء ذالا والإدغام فيها (فكيف كان عذابى ونذر) استفهام تعظيم وتعجيب أى كانا على كيفية هائلة لايحيط بها الوصف والنذر جمع
١٧ نذير بمعنى الإنذار (ولقد يسرنا القرآن) الخ جملة قسمية وردت فى أواخر القصص الأربع تقريراً لمضمون ماسبق من قوله تعالى ولقد جاءهم من الأنباء ما فيه مزدجر حكمة بالغة فما تغنى النذر وتنبيهاً على أن كل قصة منها مستقلة بإيجاب الادكار كافية فى الازدجار ومع ذلك لم تقع واحدة فى حيز الاعتبار أى وبالله ولقد سهلنا القرآن لقومك بأن أنزلناه على لغتهم وشحناه بأنواع المواعظ والعبر وصرفنا فيه
* من الوعيد والوعد (للذكر) أى للتذكر والاتعاظ (فهل من مدكر) إنكار ونفى للمتعظ على أبلغ وجه وآكده حيث يدل على أنه لايقدر أحد أن يجيب المستفهم بنعم وحمل تيسيره على تسهيل حفظه
١٨ بجزالة نظمه وعذوبة ألفاظه وعباراته مما لا يساعده المقام (كذبت عاد) أى هوداً عليه السلام ولم يتعرض لكيفية تكذيبهم له روما للاختصار ومسارعة إلى بيان مافيه الازدجار من العذاب وقوله
* تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) لتوجيه قلوب السامعين نحو الإصغاء إلى مايلقى إليهم قبل ذكره لا لتهويله وتعظيمه وتعجيبهم من حاله بعد بيانه كما قبله وما بعده كأنه قيل كذبت عاد فهل سمعتم أو
١٩ فاسمعوا كيف كان عذابى وإنذاراتى لهم وقوله تعالى (إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً) استئناف ببيان
* ما أجمل أولا أى أرسلنا عليهم ريحاً باردة أو شديدة الصوت (فى يوم نحس) شؤم (مستمر) أى شؤمه أو مستمر عليهم إلى أن أهلكهم أو شامل لجميعهم كبيرهم وصغيرهم أو مشتد مرارته وكان يوم الأربعاء آخر الشهر .

تَنزِعُ ٱلنَّاسَ كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ مُّنقَعِرٍ ﴿٢٠﴾ ٥٤ القمر

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ﴿٢١﴾ ٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٢٢﴾ ٥٤ القمر

كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ ٥٤ القمر

فَقَالُوٓا۟ أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِى ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ ٥٤ القمر

أَءُلْقِىَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ ٥٤ القمر

سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾ ٥٤ القمر

---

٢٠ (تنزع الناس) تقلعهم روى أنهم دخلوا الشعاب والحفر وتمسك بعضهم ببعض فنزعتهم الريح وصرعتهم موتى (كأنهم أعجاز نخل منقعر) أى منقلع عن مغارسه قيل شبهوا بأعجاز النخل وهى أصولها بلا فروع * لأن الريح كانت تقلع رؤسهم فتبقى أجساداً وجثثاً بلا رؤس، وتذكير صفة نخل للنظر إلى اللفظ كما أن تأنيثها فى قوله تعالى أعجاز نخل خاوية للنظر إلى المعنى وقوله تعالى (فكيف كان عذابى ونذر) تهويل ٢١ لهما وتعجيب من أمرهما بعد بيانهما فليس فيه شائبة تكرار وما قيل من أن الأول لما حاق بهم فى الدنيا والثانى لما يحيق بهم فى الآخرة يرده ترتيب الثانى على العذاب الدنيوى (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل ٢٢ من مدكر) الكلام فيه كالذى مر فيما سبق (كذبت ثمود بالنذر) أى الإنذارات والمواعظ التى سمعوها ٢٣ من صالح أو بالرسل عليهم السلام فإن تكذيب أحدهم تكذيب للكل لاتفاقهم على أصول الشرائع (فقالوا أبشراً منا) أى كائناً من جنسنا وانتصابه بفعل يفسره مابعده (واحداً) أى منفرداً لا تبع ٢٤ له أو واحداً من آحادهم لامن أشرافهم وهو صفة أخرى لبشراً وتأخيره عن الصفة المؤولة للتنبيه على أن كلا من الجنسية والوحدة مما يمنع الاتباع ولو قدم عليها لفاتت هذه النكتة وقرىء أبشر منا واحد على الابتداء وقوله تعالى (نتبعه) خبره والأول أوجه للاستفهام (إنا إذاً) أى على تقدير اتباعنا * له وهو منفرد ونحن أمة جمة (لفى ضلال) عن الصواب (وسعر) أى جنون فإن ذلك بمعزل من مقتضى * العقل وقيل كان يقول لهم إن لم تتبعونى كنتم فى ضلال عن الحق وسعر أى نيران جمع سعير فعكسوا عليه عليه السلام لغاية عتوهم فقالوا إن اتبعناك كنا إذن كما تقول (أألقى الذكر) أى الكتاب والوحى ٢٥ (عليه من بيننا) وفينا من هو أحق منه بذلك (بل هو كذاب أشر) أى ليس الأمر كذلك بل هو * كذا وكذا حمله بطره على الترفع علينا بما ادعاه وقوله تعالى (سيعلمون غداً من الكذاب الأشر) حكاية ٢٦ لما قاله تعالى لصالح عليه السلام وعداً له ووعيداً لقومه والسين لتقريب مضمون الجملة وتأكيده والمراد

إِنَّا مُرْسِلُوا النَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَارْتَقِبْهُمْ وَاصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ ٥٤ القمر

وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ الْمَاءَ قِسْمَةٌ بَيْنَهُمْ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾ ٥٤ القمر

فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ﴿٢٩﴾ ٥٤ القمر

فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٠﴾ ٥٤ القمر

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَاحِدَةً فَكَانُوا كَهَشِيمِ الْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾ ٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٣٢﴾ ٥٤ القمر

كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ بِالنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ ٥٤ القمر

إِنَّا أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّا آلَ لُوطٍ نَّجَّيْنَاهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ ٥٤ القمر

نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ ٥٤ القمر

بالغد وقت نزول العذاب أى سيعلمون البتة عن قريب من الكذاب الأشر الذى حمله أشره وبطره على الترفع أصالح هو أم من كذبه وقرىء ستعلمون على الالتفات لتشديد التوبيخ أو على حكاية ماأجابهم به صالح وقرىء الأشر كقولهم حذرفى حذر وقرىء الأشر أى الأبلغ فى الشرارة وهو أصل مرفوض

٢٧ كالأخير وقيل المراد بالغد يوم القيامة ويأباه قوله تعالى (إنا مرسلوا الناقة) الخ فإنه استئناف مسوق

* لبيان مبادى الموعود حتما أى مخرجوها من الهضبة حسبما سألوا (فتنة لهم) أى امتحاناً (فارتقبهم)

٢٨ أى فانتظرهم وتبصر مايصنعون (واصطبر) على أذيتهم (ونبئهم أن الماء قسمة بينهم) مقسوم لها يوم

٢٩ ولهم يوم وبينهم لتغليب العقلاء (كل شرب محتضر) يحضره صاحبه فى نوبته (فنادوا صاحبهم) هو

* قدار بن سلف أحيمر ثمود (فتعاطى فعقر) فاجترأ على تعاطى الأمر العظيم غير مكترث له فأحدث العقر بالناقة وقيل فتعاطى الناقة فعقرها أو فتعاطى السيف فقتلها والتعاطى تناول الشيء بتكلف

٣٠، ٣١ (فكيف كان عذابى ونذر) الكلام فيه كالذى مر فى صدر قصة عاد (إنا أرسلنا عليهم صيحة واحدة)

* هى صيحة جبريل عليه السلام (فكانوا) أى فصاروا (كهشيم المحتظر) أى كالشجر اليابس الذى يتخذه من يعمل الحظيرة لأجلها أو كالحشيش اليابس الذى يجمعه صاحب الحظيرة لماشيته فى الشتاء

٣٢ وقرىء بفتح الظاء أى كهشيم الحظيرة أو الشجرة المتخذها (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر)

٣٣ ، ٣٤ (كذبت قوم لوط بالنذر) (إنا أرسلنا عليهم حاصباً) أى ريحاً تحصبهم أى ترميهم بالحصباء (إلا

٣٥ آل لوط نجيناهم بسحر) فى سحر وهو آخر الليل وقيل هو السدس الأخير منه أى ملتبسين بسحر (نعمة

وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْاْ بِالنُّذُرِ (٣٦) ٥٤ القمر

وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٧) ٥٤ القمر

وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ (٣٨) ٥٤ القمر

فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ (٣٩) ٥٤ القمر

وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ (٤٠) ٥٤ القمر

وَلَقَدْ جَآءَ ءَالَ فِرْعَوْنَ ٱلنُّذُرُ (٤١) ٥٤ القمر

كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَا كُلِّهَا فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ (٤٢) ٥٤ القمر

أَكُفَّارُكُمْ خَيْرٌ مِّنْ أُوْلَٰٓئِكُمْ أَمْ لَكُم بَرَآءَةٌ فِى ٱلزُّبُرِ (٤٣) ٥٤ القمر

من عندنا) أى إنعاماً منا وهو علة لنجينا (كذلك) أى مثل ذلك الجزاء العجيب (نجزى من شكر) * نعمتنا بالإيمان والطاعة (ولقد أنذرهم) لوط عليه السلام (بطشتنا) أى أخذتنا الشديدة بالعذاب ٣٦ (فتماروا) فكذبوا (بالنذر) متشاكين (ولقد راودوه عن ضيفه) قصدوا الفجور بهم (فطمسنا ٣٧ أعينهم) فمسحناها وسويناها كسائر الوجه روى أنه لما دخلوا داره عنوة صفقهم جبريل عليه السلام صفقة فتركهم يترددون لايهتدون إلى الباب حتى أخرجهم لوط عليه السلام (فذوقوا عذابى ونذر) * أى فقلنا لهم ذوقوا على ألسنة الملائكة أو ظاهر الحال والمراد به الطمس فإنه من جملة ما أنذروه من العذاب (ولقد صبحهم بكرة) وقرىء بكرة غير مصروفة على أن المراد بها أول نهار مخصوصة ٣٨ (عذاب مستقر) لايفارقهم حتى يسلموا إلى النار وفى وصفه بالاستقرار إيماء إلى أن ماقبله من عذاب * الطمس ينتهى إليه (فذوقوا عذابى ونذر) حكاية لما قيل حينئذ من جهته تعالى تشديداً للعذاب ٣٩ (ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر) مر ما فيه من الكلام (ولقد جاء آل فرعون النذر) ٤٠،٤١ صدرت قصتهم بالتوكيد القسمى لإبراز كمال الاعتناء بشأنها لغاية عظم مافيها من الآيات وكثرتها وهول ما لاقوه من العذاب وقوة إيجابها للاتعاظ والاكتفاء بذكر آل فرعون للعلم بأن نفسه أولى بذلك أى وبالله لقد جاءهم الإنذارات وقوله تعالى (كذبوا بآياتنا) استئناف مبنى على سؤال نشأ من حكاية ٤٢ مجىء النذر كأنه قيل فماذا فعلوا حينئذ فقيل كذبوا بجميع آياتنا وهى الآيات التسع (فأخذناهم أخذ * عزيز) لايغالب (مقتدر) لايعجزه شىء (أكفاركم) يامعشر العرب (خير) قوة وشدة وعدة وعدة أو ٤٣ مكانة (من أولئكم) الكفار المعدودين والمعنى أنه أصابهم ما أصابهم مع ظهور خيريتهم منكم فيما ذكر *

أَمْ يَقُولُونَ نَحْنُ جَمِيعٌ مُّنتَصِرٌ ﴿٤٤﴾ — ٥٤ القمر

سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ ﴿٤٥﴾ — ٥٤ القمر

بَلِ السَّاعَةُ مَوْعِدُهُمْ وَالسَّاعَةُ أَدْهَىٰ وَأَمَرُّ ﴿٤٦﴾ — ٥٤ القمر

إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي ضَلَالٍ وَسُعُرٍ ﴿٤٧﴾ — ٥٤ القمر

يَوْمَ يُسْحَبُونَ فِي النَّارِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ ذُوقُوا مَسَّ سَقَرَ ﴿٤٨﴾ — ٥٤ القمر

إِنَّا كُلَّ شَيْءٍ خَلَقْنَاهُ بِقَدَرٍ ﴿٤٩﴾ — ٥٤ القمر

من الأمور فهل تطمعون أن لا يصيبكم مثل ذلك وأنتم شر منهم مكاناً وأسوأ حالا وقوله تعالى
* (أم لكم براءة فى الزبر) إضراب وانتقال من التبكيت بوجه آخر أى بل ألكم براءة وأمن من
تبعات ماتعملون من الكفر والمعاصى وغوائلهما فى الكتب السماوية فلذلك تصرون على ماأنتم عليه
٤٤ وقوله تعالى (أم يقولون نحن جميع منتصر) إضراب من التبكيت والالتفات للإيذان باقتضاء حالهم
للإعراض عنهم وإسقاطهم عن رتبة الخطاب وحكاية قبائحهم لغيرهم أى بل أيقولون واثقين بشوكتهم
نحن أولو حزم ورأى أمرنا مجتمع لانرام ولانضام أومنتصر من الأعداء لانغلب أومتناصر ينصر
٤٥ بعضنا بعضاً والإفراد باعتبار لفظ الجميع وقوله تعالى (سيهزم الجمع) رد وإبطال لذلك والسين للتأكيد
* أى يهزم جمعهم البتة (ويولون الدبر) أى الأدبار وقد قرىء كذلك والتوحيد لإرادة الجنس أو إرادة أن
كل واحد منهم يولى دبره وقد كان كذلك يوم بدر قال سعيد بن المسيب سمعت عمر بن الخطاب رضى
الله عنه يقول لما نزلت سيهزم الجمع ويولون الدبر كنت لا أدرى أى جمع يهزم فلما كان يوم بدر
رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم يلبس الدرع ويقول سيهزم الجمع ويولون الدبر فعرفت تأويلها
٤٦ وقرىء سيهزم الجمع أى الله عز وعلا (بل الساعة موعدهم) أى ليس هذا تمام عقوبتهم بل الساعة موعد
* أصل عذابهم وهذا من طلائعه (والساعة أدهى وأمر) أى فى أقصى غاية من الفظاعة والمرارة والداهية
٤٧ الأمر الفظيع الذى لايهتدى إلى الخلاص عنه وإظهار الساعة فى موقع إضمارها لتربية تهويلها (إن
* المجرمين) من الأولين والآخرين (فى ضلال وسعر) أى فى هلاك ونيران مسعرة وقيل فى ضلال
٤٨ عن الحق فى الدنيا ونيران فى الآخرة وقوله تعالى (يوم يسحبون) الخ منصوب إما بما يفهم من قوله
* تعالى فى ضلال أى كائنون فى ضلال وسعر يوم يجرون (فى النار على وجوههم) وإما بقول مقدر
* بعده أى يوم يسحبون يقال لهم (ذوقوا مس سقر) أى قاسوا حرها وألمها وسقر علم جهنم ولذلك
لم يصرف من سقرته النار وصقرته إذا لوحته والقول المقدر على الوجه الأول حال من ضمير يسحبون
٤٩ (إنا كل شىء) من الأشياء (خلقناه بقدر) أى ملتبساً بقدر معين اقتضته الحكمة التى عليها يدور

وَمَآ أَمْرُنَآ إِلَّا وَٰحِدَةٌ كَلَمْحٍۭ بِٱلْبَصَرِ ﴿٥٠﴾ ٥٤ القمر

وَلَقَدْ أَهْلَكْنَآ أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ﴿٥١﴾ ٥٤ القمر

وَكُلُّ شَىْءٍ فَعَلُوهُ فِى ٱلزُّبُرِ ﴿٥٢﴾ ٥٤ القمر

وَكُلُّ صَغِيرٍ وَكَبِيرٍ مُّسْتَطَرٌ ﴿٥٣﴾ ٥٤ القمر

إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَنَهَرٍ ﴿٥٤﴾ ٥٤ القمر

فِى مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍۭ ﴿٥٥﴾ ٥٤ القمر

أمر التكوين أو مقدراً مكتوباً فى اللوح قبل وقوعه وكل شىء منصوب بفعل يفسره مابعده وقرىء
بالرفع على أنه مبتدأ وخلقناه خبره (وما أمرنا إلا واحدة) أى كلمة واحدة سريعة التكوين وهو ٥٠
قوله تعالى كن أو إلا فعلة واحدة هو الإيجاد بلامعالجة (كلمح بالبصر) فى اليسر والسرعة وقيل معناه *
قوله تعالى وما أمر الساعة إلا كلمح البصر (ولقد أهلكنا أشياعكم) أى أشباهكم فى الكفر من الأمم ٥١
وقيل أتباعكم (فهل من مدكر) يتعظ بذلك (وكل شىء فعلوه) من الكفر والمعاصى مكتوب على التفصيل ٥٢
(فى الزبر) أى فى ديوان الحفظة (وكل صغير وكبير) من الأعمال (مستطر) مسطور فى اللوح ٥٣
المحفوظ بتفاصيله ولما كان بيان سوء حال الكفرة بقوله تعالى إن المجرمين الخ مما يستدعى بيان حسن
حال المؤمنين ليتكافأ الترهيب والترغيب بين ما لهم من حسن الحال بطريق الإجمال فقيل (إن المتقين) ٥٤
أى من الكفر والمعاصى (فى جنات) عظيمة الشأن (ونهر) أى أنهار كذلك والإفراد للاكتفاء *
باسم الجنس مراعاة للفواصل وقرىء نهر جمع نهر كأسد وأسد (فى مقعد صدق) فى مكان مرضى وقرىء ٥٥
فى مقاعد صدق (عند مليك مقتدر) أى مقربين عند مليك لا يقادر قدر ملكه وسلطانه فلا شىء إلا *
وهو تحت ملكوته سبحانه ما أعظم شأنه. عن رسول الله صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة القمر فى
كل غب بعثه الله تعالى يوم القيامة ووجهه مثل القمر ليلة البدر.

---

٥٥ ــ سورة الرحمن
(مدنية وهى ثمان وسبعون آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

ٱلرَّحْمَٰنُ ﴿١﴾ ٥٥ الرحمن

عَلَّمَ ٱلْقُرْءَانَ ﴿٢﴾ ٥٥ الرحمن

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ ﴿٣﴾ ٥٥ الرحمن

عَلَّمَهُ ٱلْبَيَانَ ﴿٤﴾ ٥٥ الرحمن

ٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ ﴿٥﴾ ٥٥ الرحمن

﴿سورة الرحمن مكية أو مدنية أو متبعضة وآياتها ثمان وسبعون﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) لما عد فى السورة السابقة ما نزل بالأمم السالفة من ضروب نقم الله عز وجل وبين عقيب كل ضرب منها أن القرآن قد يسر لحمل الناس على التذكر والاتعاظ ونعى عليهم إعراضهم عن ذلك عدد فى هذه السورة الكريمة ما أفاض على كافة الأنام من فنون نعمه الدينية والدنيوية الأنفسية والآفاقية وأنكر عليهم إثر كل فن منها إخلالهم بمواجب شكرها وبدىء بتعليم القرآن

٢٠١ فقيل (الرحمن) (علم القرآن) لأنه أعظم النعم شأناً وأرفعها مكاناً كيف لا وهو مدار للسعادة الدينية والدنيوية عيار على سائر الكتب السماوية ما من مرصد يرنو إليه أحداق الأمم إلا وهو منشؤه ومناطه ولا مقصد يمتد إليه أعناق الهمم إلا وهو منهجه وصراطه وإسناد تعليمه إلى اسم الرحمن للإيذان بأنه من آثار الرحمة الواسعة وأحكامها وقد اقتصر على ذكره تنبيهاً على أصالته وجلالة قدره ثم قيل

٤٠٣ (خلق الإنسان) (علمه البيان) تعييناً للمعلم وتبييناً لكيفية التعليم والمراد بخلق الإنسان إنشاؤه على ما هو عليه من القوى الظاهرة والباطنة والبيان هو التعبير عما فى الضمير وليس المراد بتعليمه مجرد تمكين الإنسان من بيان نفسه بل منه ومن فهم بيان غيره أيضاً إذ هو الذى يدور عليه تعليم القرآن والجمل

٥ الثلاث أخبار مترادفة للرحمن وإخلاء الأخيرتين عن العاطف لورودها على منهاج التعديد (الشمس والقمر بحسبان) أى يجريان بحساب مقدر فى بروجهما ومنازلهما بحيث ينتظم بذلك أمور الكائنات السفلية وتختلف الفصول والأوقات وتعلم السنون والحساب .

وَٱلنَّجْمُ وَٱلشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ ٥٥ الرحمن

وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلْمِيزَانَ ﴿٧﴾ ٥٥ الرحمن

أَلَّا تَطْغَوْا۟ فِى ٱلْمِيزَانِ ﴿٨﴾ ٥٥ الرحمن

وَأَقِيمُوا۟ ٱلْوَزْنَ بِٱلْقِسْطِ وَلَا تُخْسِرُوا۟ ٱلْمِيزَانَ ﴿٩﴾ ٥٥ الرحمن

---

٦ (والنجم) أى النبات الذى ينجم أى يطلع من الأرض ولا ساق له (والشجر) أى الذى له ساق (يسجدان) أى ينقادان له تعالى فيما يريد بهما طبعاً انقياد الساجدين من المكلفين طوعا والجملتان خبران آخران للرحمن جردتا عن الرابط اللفظى تعويلا على كمال قوة الارتباط المعنوى إذ لا يتوهم ذهاب الوهم إلى كون حال الشمس والقمر بتسخير غيره تعالى ولا إلى كون سجود النجم والشجر لما سواه تعالى كأنه قيل الشمس والقمر بحسبان والنجم والشجر يسجدان له وإخلاء الجملة الأولى عن العاطف لما ذكر من قبل وتوسيط العاطف بينها وبين الثانية لتناسبهما من حيث التقابل لما أن الشمس والقمر علويان والنجم والشجر سفليان ومن حيث إن كلا من حال العلويين وحال السفليين من باب الانقياد ٧ لأمر الله عز وجل (والسماء رفعها) أى خلقها مرفوعة محلا ورتبة حيث جعلها منشأ أحكامه وقضاياه ومتنزل أوامره ومحل ملائكته وفيه من التنبيه على كبرياء شأنه وعظم ملكه وسلطانه مالا يخفى وقرىء بالرفع على الابتداء (ووضع الميزان) أى شرع العدل وأمر به بأن وفر كل مستحق ما استحقه ووفى كل ذى حق حقه حتى انتظم به أمر العالم واستقام كما قال عليه الصلاة والسلام بالعدل قامت السموات والأرض قيل فعلى هذا الميزان القرآن وهو قول الحسين بن الفضل كما فى قوله تعالى وأنزلنا معهم الكتاب والميزان وقيل هو مايعرف به مقادير الأشياء من ميزان ومكيال ونحوهما وهو قول الحسن وقتادة والضحاك فالمعنى خلقه موضوعا مخفوضاً على الأرض حيث علق به أحكام عباده وقضاياهم ٨ وما تعبدهم به من التسوية والتعديل فى أخذهم وإعطائهم (ألا تطغوا فى الميزان) أى لئلا تطغوا فيه على أن أن ناصبة ولا نافية ولام العلة مقدرة متعلقة بقوله تعالى ووضع الميزان أو أى لا تطغوا على أنها مفسرة لما فى الشرع من معنى القول ولا ناهية أى لا تعتدوا ولا تتجاوزوا الإنصاف وقرىء ٩ لا تطغوا على إرادة القول (وأقيموا الوزن بالقسط) قوموا وزنكم بالعدل وقيل أقيموا لسان الميزان بالقسط والعدل وقيل الإقامة باليد والقسط بالقلب (ولا تخسروا الميزان) أى لا تنقصوه أمر أولا بالتسوية ثم نهى عن الطغيان الذى هو اعتداء وزيادة ثم عن الخسران الذى هو تطفيف ونقصان وكرر لفظ الميزان تشديداً للتوصية به وتأكيداً للأمر باستعماله والحث عليه وقرىء ولا تخسروا بفتح التاء وضم السين وكسرها يقال خسر الميزان يخسره ويخسره وبفتح السين أيضاً على أن الأصل ولا تخسروا

وَٱلْأَرْضَ وَضَعَهَا لِلْأَنَامِ ﴿١٠﴾	٥٥ الرحمن
فِيهَا فَٰكِهَةٌ وَٱلنَّخْلُ ذَاتُ ٱلْأَكْمَامِ ﴿١١﴾	٥٥ الرحمن
وَٱلْحَبُّ ذُو ٱلْعَصْفِ وَٱلرَّيْحَانُ ﴿١٢﴾	٥٥ الرحمن
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٣﴾	٥٥ الرحمن

١٠ فى الميزان لحذف الجار وأوصل الفعل (والأرض وضعها) أى خفضها مدحوة على الماء (للأنام) أى الخلق قيل المراد به كل ذى روح وقيل كل ماعلى ظهر الأرض من دابة وقيل الثقلان وقوله تعالى

١١ (فيها فاكهة) الخ استئناف مسوق لتقرير ماأفادته الجملة السابقة من كون الأرض موضوعة لمنافع الأنام وتفصيل المنافع العائدة إلى البشر وقيل حال مقدرة من الأرض فالأحسن حينئذ أن يكون الحال هو الجار والمجرور وفاكهة رفع على الفاعلية أى فيها ضروب كثيرة مما يتفكه به (والنخل ذات الأكمام) هى أوعية الثمر جمع كم أو كل مايكم أى يغطى من ليف وسعف وكفرى فإنه مما ينتفع به كالمكموم

١٢ من ثمره وجماره وجذوعه (والحب) هو مايتغذى به كالحنطة والشعير (ذو العصف) هو ورق الزرع وقيل التبن (والريحان) قيل هو الرزق أريد به اللب أى فيها مايتلذذ به من الفواكه والجامع بين التلذذ والتغذى وهو ثمر النخل وما يتغذى به وهو الحب الذى له عصف هو علف الأنعام وريحان هو مطعم الناس وقرىء والحب ذا العصف والريحان أى خلق الحب والريحان أو أخص ويجوز أن يرادوذا الريحان لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه والريحان إما فعيلان من روح فقلبت الواو ياء وأدغم ثم خفف أو فعلان قلبت واوه ياء للتخفيف أوللفرق بينه وبين الروحان وهو ماله روح

١٣ قاله القرطبى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) الخطاب للثقلين المدلول عليهما بقوله تعالى للأنام وسينطق به قوله تعالى أيها الثقلان والفاء لترتيب الإنكار والتوبيخ على ما فصل من فنون النعماء وصنوف الآلاء الموجبة للإيمان والشكر حتما والتعرض لعنوان الربوبية المنبئة عن المالكية الكلية والتربية مع الإضافة إلى ضميرهم لتأكيد النكير وتشديد التوبيخ ومعنى تكذيبهم بآلائه تعالى كفرهم بها إما بإنكار كونه نعمة فى نفسه كتعليم القرآن وما يستند إليه من النعم الدينية وإما بإنكار كونه من الله تعالى مع الاعتراف بكونه نعمة فى نفسه كالنعم الدنيوية الواصلة إليهم بإسناده إلى غيره تعالى استقلالا أو اشتراكا صريحاً أو دلالة فإن إشراكهم لآلهتهم به تعالى فى العبادة من دواعى إشراكهم لها به تعالى فيما يوجبها والتعبير عن كفرهم المذكور بالتكذيب لما أن دلالة الآلاء المذكورة على وجوب الإيمان والشكر شهادة منها بذلك فكفرهم بها تكذيب بها لا محالة أى فإذا كان الأمر كما فصل فبأى فرد من أفراد آلاء مالككما ومربيكما بتلك الآلاء تكذبان مع أن كلا منها ناطق بالحق شاهد بالصدق

خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ ﴿١٤﴾ ٥٥الرحمن

وَخَلَقَ ٱلْجَآنَّ مِن مَّارِجٍ مِّن نَّارٍ ﴿١٥﴾ ٥٥الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٦﴾ ٥٥الرحمن

رَبُّ ٱلْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ ٱلْمَغْرِبَيْنِ ﴿١٧﴾ ٥٥الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿١٨﴾ ٥٥الرحمن

مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ ﴿١٩﴾ ٥٥الرحمن

بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَّا يَبْغِيَانِ ﴿٢٠﴾ ٥٥الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢١﴾ ٥٥الرحمن

يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾ ٥٥الرحمن

---

١٤ (خلق الإنسان من صلصال كالفخار) تمهيد للتوبيخ على إخلالهم بمواجب شكر النعمة المتعلقة بذاتى كل واحد من الثقلين والصلصال الطين اليابس الذى له صلصال والفخار الخزف وقد خلق الله تعالى آدم عليه السلام من تراب جعله طيناً ثم حمأ مسنوناً ثم صلصالا فلا تنافى بين الآية الناطقة بأحدها وبين مانطق بأحد الآخرين

١٥ (وخلق الجان) أى الجن أو أبا الجن (من مارج) من لهب صاف (من نار) بيان لمارج فإنه فى الأصل للمضطرب من مرج إذا اضطرب

١٦ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما أفاض عليكما فى تضاعيف خلقكما من سوابغ النعم

١٧ (رب المشرقين ورب المغربين) بالرفع على خبرية مبتدأ محذوف أى الذى فعل ماذكر من الأفاعيل البديعة رب مشرق الصيف والشتاء ومغربيهما ومن قضيته أن يكون رب مابينهما من الموجودات قاطبة وقيل على الابتداء والخبر قوله تعالى مرج الخ وقرىء بالجر على أنه بدل من ربكما

١٨ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مما فى ذلك من فوائد لاتحصى من اعتدال الهواء واختلاف الفصول وحدوث مايناسب كل فصل فى وقته إلى غير ذلك

١٩ (مرج البحرين) أى أرسلهما من مرجت الدابة إذا أرسلتها والمعنى أرسل البحر الملح والبحر العذب (يلتقيان) أى يتجاوران ويتماس سطوحهما لافصل بينهما فى مرأى العين وقيل أرسل بحرى فارس والروم يلتقيان فى المحيط لأنهما خليجان يتشعبان منه

٢٠ (بينهما برزخ) أى حاجز من قدرة الله عز وجل أو من الأرض (لايبغيان) أى لايبغى أحدهما على الآخر بالممازجة وإبطال الخاصية أو لايتجاوزان حديهما بإغراق مابينهما

٢١، ٢٢ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس منهما شىء يقبل التكذيب (يخرج منهما اللؤلؤ والمرجان)

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٣﴾ ٥٥ الرحمن

وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَٰمِ ﴿٢٤﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٥﴾ ٥٥ الرحمن

كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ ٥٥ الرحمن

وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٢٧﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٢٨﴾ ٥٥ الرحمن

يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾ ٥٥ الرحمن

اللؤلؤ الدر والمرجان الخرز الأحمر المشهور وقيل اللؤلؤ كبار الدر والمرجان صغاره فنسبة خروجهما حينئذ إلى البحرين مع أنهما إنما يخرجان من الملح على ماقالوا لما قيل أنهما لايخرجان إلا من ملتقى الملح والعذب أو لأنهما لما التقيا وصارا كالشيء الواحد ساغ أن يقال يخرجان من البحر مع أنهما لايخرجان من جميع البحر ولكن من بعضه وهو الأظهر وقرىء يخرج مبنياً للمفعول من الإخراج

٢٣،٢٤ ومبنياً للفاعل بنصب اللؤلؤ والمرجان وبنون العظمة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) (وله الجوار) أى السفن جمع جارية وقرىء برفع الراء وبحذف الياء كقول من قال [لها ثنايا أربع حسان * وأربع * فكلها ثمان] (المنشآت) المرفوعات الشرع أو المصنوعات وقرىء بكسر الشين أى الرافعات الشرع * أو اللاتى ينشئن الأمواج بجريهن (فى البحر كالأعلام) كالجبال الشاهقة جمع علم وهو الجبل الطويل

٢٥ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) من خلق مواد السفن والإرشاد إلى أخذها وكيفية تركيبها وجرائها فى

٢٦ البحر بأسباب لايقدر على خلقها وجمعها وترتيبها غيره سبحانه (كل من عليها) أى على الأرض من

٢٧ الحيوانات أو المركبات ومن للتغليب أو من الثقلين (فان) هالك لامحالة (ويبقى وجه ربك) أى * ذاته عز وجل (ذو الجلال والإكرام) أى ذو الاستغناء المطلق والفضل التام وقيل الذى عنده الجلال والإكرام للمخلصين من عباده وهذه من عظائم صفاته تعالى ولقد قال صلى الله عليه وسلم ألظوا بياذا الجلال والإكرام وعنه عليه الصلاة والسلام أنه مر برجل وهو يصلى ويقول ياذا الجلال والإكرام فقال استجيب لك وقرىء ذى الجلال والإكرام على أنه صفة ربك وأياً ما كان فى وصفه تعالى بذلك بعد ذكر فناء الخلق وبقائه تعالى إيذان بأنه تعالى يفيض عليهم بعد فنائهم أيضاً

٢٨ آثار لطفه وكرمه حسبما ينبىء عنه قوله تعالى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فإن إحياءهم بالحياة الأبدية

٢٩ وإثابتهم بالنعيم المقيم أجل النعماء وأعظم الآلاء (يسأله من فى السموات والأرض) قاطبة مايحتاجون

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٠﴾ ٥٥ الرحمن

سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ ﴿٣١﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٢﴾ ٥٥ الرحمن

يَٰمَعْشَرَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ إِنِ ٱسْتَطَعْتُمْ أَن تَنفُذُوا۟ مِنْ أَقْطَارِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ فَٱنفُذُوا۟ لَا تَنفُذُونَ إِلَّا بِسُلْطَٰنٍ ﴿٣٣﴾ ٥٥ الرحمن

إليه فى ذواتهم ووجوداتهم حدوثاً وبقاء وسائر أحوالهم سؤالاً مستمراً بلسان المقال أو بلسان الحال فإنهم كافة من حيث حقائقهم الممكنة بمعزل من استحقاق الوجود وما يتفرع عليه من الكمالات بالمرة بحيث لو انقطع ما بينهم وبين العناية الإلهية من العلاقة لم يشموا رائحة الوجود أصلا فهم فى كل آن مستمرون على الاستدعاء والسؤال وقد مر فى تفسير قوله تعالى وإن تعدوا نعمة الله لاتحصوها من سورة إبراهيم عليه السلام (كل يوم) أى كل وقت من الأوقات (هو فى شأن) من الشئون التى * من جملتها إعطاء ما سألوا فإنه تعالى لايزال ينشىء أشخاصاً ويفنى آخرين ويأتى بأحوال ويذهب بأحوال حسبما تقتضيه مشيئته المبنية على الحكم البالغة وفى الحديث من شأنه أن يغفر ذنباً ويفرج كرباً ويرفع قوماً ويضع آخرين قيل وفيه رد على اليهود حيث يقولون إن الله لايقضى يوم السبت شيئاً (فبأى ٣٠ آلاء ربكما تكذبان) مع مشاهدتكم لما ذكر من إحسانه (سنفرغ لكم) أى سنتجرد لحسابكم ٣١ وجزائكم وذلك يوم القيامة عند انتهاء شئون الخلق المشار إليها بقوله تعالى كل يوم هو فى شأن فلا يبقى حينئذ إلا شأن واحد هو الجزاء فعبر عنه بالفراغ لهم بطريق التمثيل وقيل هو مستعار من قول المتهدد لصاحبه سأفرغ لك أى سأتجرد للإيقاع بك من كل ما يشغلنى عنه والمراد التوفر على النكاية فيه والانتقام منه وقرىء سيفرغ مبنياً للفاعل وللمفعول وقرىء سنفرغ إليكم أى سنقصد إليكم (أيها الثقلان) هما الإنس والجن سميا بذلك لثقلهما على الأرض أو لرزانة آرائهما أو لأنهما مثقلان * بالتكليف (فبأى آلاء ربكما) التى من جملتها التنبيه على ماسيلقونه يوم القيامة للتحذير عما يؤدى إلى ٣٢ سوء الحساب (تكذبان) بأقوالكما وأعمالكما (يامعشر الجن والإنس) هما الثقلان خوطبا باسم ٣٣ جنسهما لزيادة التقرير ولأن الجن مشهورون بالقدرة على الأفاعيل الشاقة فخوطبوا بما ينبىء عن ذلك لبيان أن قدرتهم لاتفى بما كلفوه (إن استطعتم) إن قدرتم على (أن تنفذوا من أقطار السموات والأرض) * أى أن تهربوا من قضائى وتخرجوا من ملكوتى ومن أقطار سمواتى وأرضى (فانفذوا) منها وخلصوا * أنفسكم من عقابى (لاتنفذون) لاتقدرون على النفوذ (إلا بسلطان) أى بقوة وقهر وأنتم من ذلك * بمعزل بعيد روى أن الملائكة تنزل فتحيط بالخلائق فإذا رآهم الجن والإنس هربوا فلا يأتون وجهاً

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٤﴾ ٥٥ الرحمن

يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾ ٥٥ الرحمن

فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ ﴿٣٧﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٨﴾ ٥٥ الرحمن

فَيَوْمَئِذٍ لَّا يُسْـَٔلُ عَن ذَنۢبِهِۦٓ إِنسٌ وَلَا جَآنٌّ ﴿٣٩﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٠﴾ ٥٥ الرحمن

---

٣٤ إلا وجدوا الملائكة أحاطت به (فبأى آلاء ربكما تكذبان) أى من التنبيه والتحذير والمساهلة والعفو
٣٥ مع كمال القدرة على العقوبة (يرسل عليكما شواظ) قيل هو اللهب الخالص وقيل المختلط بالدخان وقيل اللهب الأحمر وقيل اللهب الأخضر المنقطع من النار وقيل هو الدخان الخارج من اللهب وقيل هو النار والدخان جميعاً وقرىء شواظ بكسر الشين (من نار) متعلق بيرسل أو بمضمر هو صفة لشواظ أى كائن من نار والتنوين للتفخيم (ونحاس) أى دخان وقيل صفر مذاب يصب على رؤسهم وقرىء بكسر النون وقرىء بالجر عطفاً على نار وقرىء نرسل بنون العظمة ونصب شواظاً ونحاساً وقرىء نحس جمع نحاس مثل لحاف ولحف وقرىء ونحس أى نقتل بالعذاب (فلا تنتصران) أى لا تمتنعان
٣٦ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) فإن بيان عاقبة ما هم عليه من الكفر والمعاصى لطف وأى لطف ونعمة
٣٧ وأى نعمة (فإذا انشقت السماء) أى انصدعت يوم القيامة (فكانت وردة) كوردة حمراء وقرىء وردة بالرفع على أن كان تامة أى حصلت سماء وردة فيكون من باب التجريد كقول من قال [ولئن بقيت لأرحلن بغزوة * تحوى الغنائم أو يموت كريم] (كالدهان) خبر ثان لكانت أو نعت لوردة أو حال من اسم كانت أى كدهن الزيت وهو إما جمع دهن أو اسم لما يدهن به كالحزام والإدام وقيل هو الأديم الأحمر وجواب إذا محذوف أى يكون من الأحوال والأهوال ما لا يحيط به دائرة المقال
٣٨،٣٩ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع عظم شأنها (فيومئذ) أى يوم إذ تنشق السماء حسبما ذكر (لا يسأل عن ذنبه إنس ولا جان) لأنهم يعرفون بسيماهم وذلك أول ما يخرجون من القبور ويحشرون إلى الموقف ذوداً ذوداً على اختلاف مراتبهم وأما قوله تعالى فوربك لنسألنهم أجمعين ونحوه ففى موقف المناقشة والحساب وضمير ذنبه للإنس لتقدمه رتبة وإفراده لما أن المراد فرد من الإنس كأنه قيل لا يسأل
٤٠ ذنبه إنسى ولا جنى (فبأى آلاء ربكما تكذبان) مع كثرة منافعها فإن الإخبار بما ذكر مما يزجركم عن

يُعْرَفُ ٱلْمُجْرِمُونَ بِسِيمَٰهُمْ فَيُؤْخَذُ بِٱلنَّوَٰصِى وَٱلْأَقْدَامِ ﴿٤١﴾ ٥٥ الرحمٰن

فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٢﴾ ٥٥ الرحمٰن

هَٰذِهِۦ جَهَنَّمُ ٱلَّتِى يُكَذِّبُ بِهَا ٱلْمُجْرِمُونَ ﴿٤٣﴾ ٥٥ الرحمٰن

يَطُوفُونَ بَيْنَهَا وَبَيْنَ حَمِيمٍ ءَانٍ ﴿٤٤﴾ ٥٥ الرحمٰن

فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٥﴾ ٥٥ الرحمٰن

وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾ ٥٥ الرحمٰن

الشر المؤدى إليه وأما ماقيل مما أنعم الله على عباده المؤمنين فى هذا اليوم فلا تعلق له بالمقام وقوله
٤١ تعالى (يعرف المجرمون بسيماهم) استئناف يجرى مجرى التعليل لعدم السؤال قيل يعرفون بسواد
* الوجوه وزرقة العيون وقيل بما يعلوهم من الكآبة والحزن (فيؤخذ بالنواصى والأقدام) الجار والمجرور
هو القائم مقام الفاعل يقال أخذه إذا كان المأخوذ مقصوداً بالأخذ ومنه قوله تعالى خذوا حذركم ونحوه
وأخذ به إذا كان المأخوذ شيئاً من ملابسات المقصود بالأخذ ومنه قوله تعالى لا تأخذ بلحيتى ولا
برأسى وقول المستغيث خذ بيدى أخذ الله بيدك أى يجمع بين نواصيهم وأقدامهم فى سلسلة من وراء
٤٢ ظهورهم وقيل تسحبهم الملائكة تارة تأخذ بالنواصى وتارة تأخذ بالأقدام (فبأى آلاء ربكما تكذبان)
٤٣ وقوله تعالى (هذه جهنم التى يكذب بها المجرمون) على إرادة القول أى يقال لهم ذلك بطريق التوبيخ
على أن الجملة إما استئناف وقع جواباً عن سؤال ناشىء من حكاية الأخذ بالنواصى والأقدام كأنه
قيل فماذا يفعل بهم عند ذلك فقيل يقال الخ أو حال من أصحاب النواصى والأقدام لأن الألف واللام
٤٤ عوض عن المضاف إليه وما بينهما اعتراض (يطوفون بينها) أى بين النار يحرقون بها (وبين حميم
آن) ماء بالغ من الحرارة أقصاها يصب عليهم أو يسقون منه وقيل إذا استغاثوا من النار أغيثوا
٤٥ بالحميم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقد أشير إلى سر كون بيان أمثال هذه الأمور من قبيل الآلاء
٤٦ مراراً (ولمن خاف مقام ربه) شروع فى تعداد الآلاء الفائضة عليهم فى الآخرة بعد تعداد ماوصل
إليهم فى الدنيا من الآلاء الدينية والدنيوية واعلم أن ماعدد فيما بين هذه الآية وبين خاتمة السورة الكريمة
من فنون الكرامات كما أن أنفسها آلاء جليلة واصلة إليهم فى الآخرة كذلك حكاياتها الواصلة إليهم
فى الدنيا آلاء عظيمة لكونها داعية لهم إلى السعى فى تحصيل مايؤدى إلى نيلها من الإيمان والطاعة وأن
مافصل من فاتحة السورة الكريمة إلى قوله تعالى كل يوم هو فى شأن من النعم الدينية والدنيوية الأنفسية
والآفاقية آلاء جليلة واصلة إليهم فى الدنيا وكذلك حكاياتها من حيث إيجابها للشكر والمثابرة على

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٧﴾ ٥٥ الرحمن

ذَوَاتَآ أَفْنَانٍ ﴿٤٨﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٤٩﴾ ٥٥ الرحمن

فِيهِمَا عَيْنَانِ تَجْرِيَانِ ﴿٥٠﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥١﴾ ٥٥ الرحمن

فِيهِمَا مِن كُلِّ فَـٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴿٥٢﴾ ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٣﴾ ٥٥ الرحمن

مايؤدى إلى استدامتها وأما ماعددفيما بين قوله تعالى سنفرغ لكم وبين هذه الآية من الأحوال الهائلة التى ستقع فى الآخرة فليست هى من قبيل الآلاء وإنما الآلاء حكايتها لا وجية للانزجار عما يؤدى إلى الابتلاء بها من الكفر والمعاصى كما أشير إليه فى تضاعيف تعدادها ومقامه تعالى موقفه الذى يقف فيه العباد للحساب يوم يقوم الناس لرب العالمين أو قيامه تعالى على أحوالهمن قام عليه إذا راقبه أو مقام الخائف عند ربه للحساب بأحد المعنيين وإضافته إلى الرب للتفخيم والتهويل أو مقحم للتعظيم (جنتان) جنة للخائف الأنسى وجنة للخائف الجنى فإن الخطاب للفريقين فالمعنى لكل خائفين منكما أو لكل واحد جنة لعقيدته وأخرى لعمله أو جنة لفعل الطاعات وأخرى لترك المعاصى أو جنة يثاب بها وأخرى

٤٧ يتفضل بها عليه أو روحانية وجسمانية وكذا ماجاء مثنى بعد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى

٤٨ (ذواتا أفنان) صفة لجنتان وما بينهما اعتراض وسط بينهما تنبيهاً على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة موجب للإنكار والتوبيخ والأفنان إما جمع فن أى ذواتا أنواع من الأشجار والثمار أو جمع فنن أى ذواتا أغصان متشعبة من فروع الشجر وتخصيصها بالذكر لأنها التى تورق وتثمر وتمد

٤٩،٥٠ الظل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وليس فيها شىء يقبل التكذيب (فيهما عينان تجريان) صفة أخرى لجنتان أى فى كل واحدة منهما عين تجرى كيف يشاء صاحبها فى الأعالى والأسافل وقيل تجريان من جبل من مسك وعن ابن عباس والحسن تجريان بالماء الزلال إحداهما التسنيم والأخرى السلسبيل وقيل إحداهما من ماء غير آسن والأخرى من خمر لذة للشاربين قال أبو بكر الوراق فيهما عينان تجريان

٥١ لمن كانت عيناه فى الدنيا تجريان من مخافة الله عز وجل (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى

٥٢ (فيهما من كل فاكهة زوجان) أى صنفان معروف وغريب أو رطب ويابس صفة أخرى لجنتان

٥٣ وتوسيط الاعتراض بين الصفات لما مر آنفاً (فبأى آلاء ربكما تكذبان).

مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ فُرُشٍۭ بَطَآئِنُهَا مِنْ إِسْتَبْرَقٍۚ وَجَنَى ٱلْجَنَّتَيْنِ دَانٍ ﴿٥٤﴾ — ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٥﴾ — ٥٥ الرحمن

فِيهِنَّ قَٰصِرَٰتُ ٱلطَّرْفِ لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٥٦﴾ — ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٧﴾ — ٥٥ الرحمن

كَأَنَّهُنَّ ٱلْيَاقُوتُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٥٨﴾ — ٥٥ الرحمن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٥٩﴾ — ٥٥ الرحمن

هَلْ جَزَآءُ ٱلْإِحْسَٰنِ إِلَّا ٱلْإِحْسَٰنُ ﴿٦٠﴾ — ٥٥ الرحمن

---

٥٤ وقوله تعالى (متـكين) حال من الخائفين لأن من خاف فى معنى الجمع أو نصب على المدح (على فرش بطائنهامن إستبرق) من ديباج ثخين وحيث كانت بطائنها كذلك فما ظنك بظهائرها وقيل ظهائرهامن سندس وقيل من نور (وجنى الجنتين دان) أى مايجتنى من أشجارها من الثمار قريب يناله القائم والقاعد والمضطجع * قال ابن عباس رضى الله عنهما تدنو الشجرة حتى يجتنيها ولى الله إن شاء قائماً وإن شاء قاعداً وإن شاء مضطجعاً وقرىء بكسر الجيم (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (فيهن) أى فى الجنان المدلول ٥٥، ٥٦ عليها بقوله تعالى جنتان لما عرفت أنهما لكل خائفين من الثقلين أو لكل خائف حسب تعدد عمله وقد اعتبر الجمعية فى قوله تعالى متـكئين وقيل فيا فيهما من الأماكن والقصور وقيل فى هذه الآلاء المعدودة من الجنتين والفاكهة والفرش (قاصرات الطرف) نساء يقصرن أبصارهن على أزواجهن * لاينظرن إلى غيرهم (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان) أى لم يمس الإنسيات أحد من الإنس ولا الجنيات * أحد من الجن قبل أزواجهن المدلول عليهم بقاصرات الطرف وقيل بقوله تعالى متـكئين وفيه دليل على أن الجن يطمثون وقرىء يطمثهن بضم الميم والجملة صفة لقاصرات الطرف لأن إضافتها لفظية أو حال منها لتخصصها بالإضافة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (كأنهن الياقوت والمرجان) ٥٧، ٥٨ إما صفة لقاصرات الطرف أو حال منها كالتى قبلها أى مشبهات بالياقوت فى حمرة الوجنة والمرجان أى صغار الدر فى بياض البشر وصفائها فإن صغار الدر أنصع بياضاً من كباره قيل إن الحوراء تلبس سبعين حلة فيرى مخ ساقها من ورائها كما يرى الشراب الأحمر فى الزجاجة البيضاء (فبأى آلاء ربكما ٥٩ تكذبان) وقوله تعالى (هل جزاء الإحسان إلا الإحسان) استئناف مقرر لمضمون مافصل قبله ٦٠ أى ماجزاء الإحسان فى العمل إلا الإحسان فى الثواب .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦١﴾ ٥٥ الرحمٰن

وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾ ٥٥ الرحمٰن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٣﴾ ٥٥ الرحمٰن

مُدْهَآمَّتَانِ ﴿٦٤﴾ ٥٥ الرحمٰن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٥﴾ ٥٥ الرحمٰن

فِيهِمَا عَيْنَانِ نَضَّاخَتَانِ ﴿٦٦﴾ ٥٥ الرحمٰن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٧﴾ ٥٥ الرحمٰن

فِيهِمَا فَٰكِهَةٌ وَنَخْلٌ وَرُمَّانٌ ﴿٦٨﴾ ٥٥ الرحمٰن

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٦٩﴾ ٥٥ الرحمٰن

فِيهِنَّ خَيْرَٰتٌ حِسَانٌ ﴿٧٠﴾ ٥٥ الرحمٰن

٦١،٦٢ (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (ومن دونهما جنتان) مبتدأ وخبر أى ومن دون
٦٣ تينك الجنتين الموعودتين للخائفين المقربين جنتان أخريان لمن دونهم من أصحاب اليمين (فبأى آلاء
٦٤ ربكما تكذبان) وقوله تعالى (مدهامتان) صفة لجنتان وسط بينهما الاعتراض لما ذكر من التنبيه
على أن تكذيب كل من الموصوف والصفة حقيق بالإنكار والتوبيخ أى خضراوان تضربان إلى
السواد من شدة الخضرة وفيه إشعار بأن الغالب على هاتين الجنتين النبات والرياحين المنبسطة على
٦٥،٦٦ وجه الأرض وعلى الأولين الأشجار والفواكه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) (فيهما عينان نضاختان)
٦٧ أى فوارتان بالماء والنضخ أكثر من النضح بالحاء المهملة وهو الرش (فبأى آلاء ربكما تكذبان)
٦٨ (فيهما فاكهة ونخل ورمان) عطف الأخيران على الفاكهة عطف جبريل وميكال على الملائكة بياناً
لفضلهما فإن ثمرة النخل فاكهة وغذاء والرمان فاكهة ودواء وعن هذا قال أبو حنيفة رحمه الله من
٦٩ حلف لا يأكل فاكهة فأكل رماناً أو رطباً لم يحنث (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى
٧٠ (فيهن خيرات) صفة أخرى لجنتان كالجملة التى قبلها والكلام فى جميع الضمير كالذى مر فيما مر
* وخيرات مخففة من خيرات لأن خيراً الذى بمعنى أخير لا يجمع وقد قرىء على الأصل (حسان) أى
حسان الخلق والخلق .

فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧١﴾	٥٥ الرحمن
حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾	٥٥ الرحمن
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٣﴾	٥٥ الرحمن
لَمْ يَطْمِثْهُنَّ إِنسٌ قَبْلَهُمْ وَلَا جَآنٌّ ﴿٧٤﴾	٥٥ الرحمن
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٥﴾	٥٥ الرحمن
مُتَّكِـِٔينَ عَلَىٰ رَفْرَفٍ خُضْرٍ وَعَبْقَرِىٍّ حِسَانٍ ﴿٧٦﴾	٥٥ الرحمن
فَبِأَيِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٧٧﴾	٥٥ الرحمن
تَبَٰرَكَ ٱسْمُ رَبِّكَ ذِى ٱلْجَلَٰلِ وَٱلْإِكْرَامِ ﴿٧٨﴾	٥٥ الرحمن

(فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (حور) بدل من خيرات (مقصورات فى الخيام) قصرن ٧١،٧٢
فى خدورهن يقال امرأة قصيرة وقصورة أى مخدرة أو مقصورات الطرف على أزواجهن وقيل إن
الخيمة من خيامهن درة مجوفة (فبأى آلاء ربكما تكذبان) وقوله تعالى (لم يطمثهن إنس قبلهم ولا ٧٢،٧٤
جان) كالذى مر فى نظيره من جميع الوجوه (فبأى آلاء ربكما تكذبان) (متكئين) نصب على ٧٥،٧٦
الاختصاص (على رفرف خضر) الرفرف إما اسم جنس أو اسم جمع واحده رفرفة قيل هوماتدلى *
من الأسرة من أعالى الثياب وقيل هو ضرب من البسط أو البسط وقيل الوسائد وقيل النمارق وقيل
كل ثوب عريض رفرف وقيل لأطراف البسط وفضول الفسطاط رفارف ورفرف السحاب هيدبه
(وعبقرى حسان) العبقرى منسوب إلى عبقر تزعم العرب أنه اسم بلد الجن فينسبون إليه كل شىء *
عجيب والمراد به الجنس ولذلك وصف بالجمع حملا على المعنى كما فى رفرف على أحد الوجهين وقرىء
على رفارف خضر بضمتين وعباقرى كمدائنى نسبة إلى عباقر فى اسم البلد (فبأى آلاء ربكما تكذبان) ٧٧
وقوله تعالى (تبارك اسم ربك) تنزيه وتقديس له تعالى فيه تقرير لما ذكر فى السورة الكريمة من ٧٨
آلائه الفائضة على الأنام أى تعالى اسمه الجليل الذى من جملته ماصدرت به السورة من اسم الرحمن
المنبىء عن إفاضته الآلاء المفصلة وارتفع عما لايليق بشأنه من الأمور التى من جملتها جحود نعمائه
وتكذيبها وإذا كان حال اسمه بملابسة دلالته عليه فما ظنك بذاته الأقدس الأعلى وقيل الاسم بمعنى
الصفة وقيل مقحم كما فى قول من قال [إلى الحول ثم اسم السلام عليكما] (ذى الجلال والإكرام) *
وصف به الرب تكميلا لما ذكر من التنزيه والتقرير وقرىء ذو الجلال على أنه نعت للاسم . عن
النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الرحمن أدى شكر ما أنعم الله عليه .

٥٦ ــ سورة الواقعة

(مكية وهى ست وتسعون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا وَقَعَتِ ٱلْوَاقِعَةُ ﴿١﴾ ٥٦ الواقعة

لَيْسَ لِوَقْعَتِهَا كَاذِبَةٌ ﴿٢﴾ ٥٦ الواقعة

خَافِضَةٌ رَّافِعَةٌ ﴿٣﴾ ٥٦ الواقعة

إِذَا رُجَّتِ ٱلْأَرْضُ رَجًّا ﴿٤﴾ ٥٦ الواقعة

وَبُسَّتِ ٱلْجِبَالُ بَسًّا ﴿٥﴾ ٥٦ الواقعة

﴿ سورة الواقعة مكية إلا آية ٨١ ، ٨٢ فمدنيتان وآياتها ست وتسعون آية ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا وقعت الواقعة) أى إذا قامت القيامة وذلك عند النفخة الثانية والتعبير عنها بالواقعة للإيذان بتحقق وقوعها لامحالة كأنها واقعة فى نفسها مع قطع النظر عن الوقوع الواقع فى حيز الشرط كأنه قيل كانت الكائنة وحدثت الحادثة وانتصاب إذا بمضمر ينبىء عن الهول والفظاعة كأنه قيل إذا وقعت الواقعة يكون من الأهوال مالا يفى به المقال وقيل بالنفى المفهوم من قوله

٢ تعالى (ليس لوقعتها كاذبة) أى لا يكون عند وقوعها نفس تكذب على الله تعالى أو تكذب فى نفيها كما تكذب اليوم واللام كهى فى قوله تعالى ياليتنى قدمت لحياتى وهذه الجملة على الوجه الأول اعتراض مقرر لمضمون الشرط على أن الكاذبة مصدر كالعافية أى ليس لأجل وقعتها وفى حقها كذب أصلا بل كل

٣ ماورد فى شأنها من الأخبار حق صادق لاريب فيه وقوله تعالى (خافضة رافعة) خبر مبتدأ محذوف أى هى خافضة لأقوام رافعة لآخرين وهو تقرير لعظمتها وتهويل لأمرها فإن الوقائع العظام شأنها كذلك أو بيان لما يكون يومئذ من حط الأشقياء إلى الدركات ورفع السعداء إلى الدرجات ومن زلزلة الأشياء وإزالة الأجرام عن مقارها بنثر الكواكب وإسقاط السماء كسفاً وتسيير الجبال فى الجو كالسحاب وتقديم الخفض على الرفع للتشديد فى التهويل وقرىء خافضة رافعة بالنصب على الحال

٤ من الواقعة وقوله تعالى (إذا رجت الأرض رجا) أى زلزلت زلزالا شديداً بحيث ينهدم مافوقها من بناء وجبل متعلق بخافضة رافعة أى تخفض وترفع وقت رج الأرض إذ عند ذلك ينخفض ما هو

٥ مرتفع ويرتفع ماهو منخفض أو بدل من إذا وقعت (وبست الجبال بساً) أى فتتت حتى صارت

فَكَانَتْ هَبَآءً مُّنۢبَثًّا ﴿٦﴾ ٥٦ الواقعة

وَكُنتُمْ أَزْوَٰجًا ثَلَٰثَةً ﴿٧﴾ ٥٦ الواقعة

فَأَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَيْمَنَةِ ﴿٨﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْمَشْـَٔمَةِ ﴿٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَٱلسَّٰبِقُونَ ٱلسَّٰبِقُونَ ﴿١٠﴾ ٥٦ الواقعة

مثل السويق الملتوت من بس السويق إذا لته أو سيقت وسيرت من أما كنها من بس الغنم إذا ساقها كقوله
تعالى وسيرت الجبال وقرىء رجت وبست أى ارتجت وذهبت (فكانت) أى فصارت بسبب ذلك ٦
(هباء) غباراً (منبثاً) منتشراً (وكنتم) إما خطاب للأمة الحاضرة والأمم السالفة تغليباً أو للحاضرة ٧
(أزواجا) أى أصنافا (ثلاثة) فكل صنف يكون مع صنف آخر فى الوجود أو فى الذكر فهو زوج *
وقوله تعالى (فأصحاب الميمنة ما أصحاب الميمنة) (وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة) تقسيم وتنويع ٩،٨
للأزواج الثلاثة مع الإشارة الإجمالية إلى أحوالهم قبل تفصيلها فقوله تعالى فأصحاب الميمنة مبتدأ
وقوله ما أصحاب الميمنة خبره على أن ما الاستفهامية مبتدأ ثان ما بعده خبره والجملة خبر الأول والأصل
ماهم أى أى شىء هم فى حالهم وصفتهم فإن ما وإن شاعت فى طلب مفهوم الاسم والحقيقة لكنها قد
يطلب بها الصفة والحال تقول ما زيد فيقال عالم أو طبيب فوضع الظاهر موضع الضمير لكونه أدخل
فى التفخيم وكذا الكلام فى قوله تعالى وأصحاب المشأمة ما أصحاب المشأمة والمراد تعجيب السامع من
شأن الفريقين فى الفخامة والفظاعة كأنه قيل فأصحاب الميمنة فى غاية حسن الحال وأصحاب المشأمة فى
نهاية سوء الحال وتكلموا فى الفريقين فقيل أصحاب الميمنة أصحاب المنزلة السنية وأصحاب المشأمة أصحاب
المنزلة الدنية أخذاً من تيمنهم بالميامن وتشاؤمهم بالشمائل وقيل الذين يؤتون صحائفهم بأيمانهم والذين
يؤتونها بشمائلهم وقيل الذين يؤخذ بهم ذات اليمين إلى الجنة والذين يؤخذ بهم ذات الشمال إلى النار
وقيل أصحاب اليمين وأصحاب الشؤم فإن السعداء ميامين على أنفسهم بطاعاتهم والأشقياء مشائيم عليها
بمعاصيهم وقوله تعالى (والسابقون السابقون) هو القسم الثالث من الأزواج الثلاثة ولعل تأخير ذكرهم ١٠
مع كونهم أسبق الأقسام وأقدمهم فى الفضل ليقترن ذكرهم ببيان محاسن أحوالهم على أن إيرادهم بعنوان
السبق مطلقاً معرب عن إحرازهم لقصب السبق من جميع الوجوه وتكلموا فيهم أيضاً فقيل هم الذين
سبقوا إلى الإيمان والطاعة عند ظهور الحق من غير تلعثم وتوان وقيل الذين سبقوا فى حيازة الفضائل
والكمالات وقيل هم الذين صلوا إلى القبلتين كما قال تعالى والسابقون الأولين من المهاجرين والأنصار
وقيل هم السابقون إلى صلوات الخمس وقيل المسارعون فى الخيرات وأياً ما كان فالجملة مبتدأ وخبر

أُولَـٰٓئِكَ ٱلۡمُقَرَّبُونَ ﴿١١﴾ ٥٦ الواقعة

فِي جَنَّـٰتِ ٱلنَّعِيمِ ﴿١٢﴾ ٥٦ الواقعة

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلۡأَوَّلِينَ ﴿١٣﴾ ٥٦ الواقعة

وَقَلِيلٌ مِّنَ ٱلۡأٓخِرِينَ ﴿١٤﴾ ٥٦ الواقعة

والمعنى والسابقون هم الذين اشتهرت أحوالهم وعرفت محاسنهم كقول أبي النجم [أنا أبو النجم وشعرى شعرى] وفيه من تفخيم شأنهم والإيذان بشيوع فضلهم واستغنائهم عن الوصف بالجميل مالا يخفى وقيل والسابقون إلى طاعة الله تعالى السابقون إلى رحمته أو السابقون إلى الخير والسابقون إلى الجنة

١١ وقوله تعالى (أولئك) إشارة إلى السابقين وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء خبره مابعده أى أولئك الموصوفون بذلك النعت الجليل (المقربون) أى الذين قربت إلى العرش العظيم درجاتهم وأعليت مراتبهم ورقيت إلى حظائر القدس نفوسهم الزكية هذا أظهر ماذكر فى إعراب هذه الجمل وأشهره والذى تقتضيه جزالة التنزيل أن قوله تعالى فأصحاب الميمنة خبر مبتدأ محذوف وكذا قوله تعالى وأصحاب المشأمة وقوله تعالى والسابقون فإن المترقب عند بيان انقسام الناس إلى الأقسام الثلاثة بيان أنفس الأقسام الثلاثة وأما أوصافها وأحوالها فحقها أن تبين بعد ذلك بإسنادها إليها والتقدير فأحدها أصحاب الميمنة والآخر أصحاب المشأمة والثالث السابقون خلا أنه لما أخر بيان أحوال القسمين الأولين عقب كل منهما بجملة معترضة بين القسمين منبئة عن ترامى أحوالهما فى الخير والشر إنباء إجمالياً مشعراً بأن لأحوال كل منهما تفصيلا مترقباً لكن لا على أن ما الاستفهامية مبتدأ وما بعدها خبر على مارآه سيبويه فى أمثاله بل على أنها خبر لما بعدها فإن مناط الإفادة بيان أن أصحاب الميمنة أمر بديع كما يفيده كون ماخبراً لا بيان أن أمراً بديعاً أصحاب الميمنة كما يفيده كونها مبتدأ وكذا الحال فى ما أصحاب المشأمة وأما القسم الأخير فحيث قرن بيان محاسن أحواله بذكره لم يحتج فيه إلى تقديم إلا نموذج فقوله تعالى السابقون مبتدأ والإظهار فى مقام الإضمار للتفخيم وأولئك مبتدأ ثان أو بدل من الأول وما بعده خبر له أو الثانى

١٢ والجملة خبر للأول وقوله تعالى (فى جنات النعيم) متعلق بالمقربون أو بمضمر هو حال من ضميره أى كائنين فى جنات النعيم وقيل خبر ثان لاسم الإشارة وفيه أن الأخبار بكونهم مقربين ليس فيه مزيد

١٣ مزية وقرىء فى جنة النعيم وقوله تعالى (ثلة من الأولين) خبر مبتدأ محذوف أى هم أمة جمة من الأولين وهم الأمم السالفة من لدن آدم إلى نبينا عليه الصلاة والسلام وعلى من بينهما من الأنبياء

١٤ العظام (وقليل من الآخرين) أى من هذه الأمة ولا يخالفه قوله عليه الصلاة والسلام إن أمتى يكثرون

عَلَىٰ سُرُرٍ مَّوْضُونَةٍ ﴿١٥﴾ ٥٦ الواقعة

مُّتَّكِـِٔينَ عَلَيْهَا مُتَقَـٰبِلِينَ ﴿١٦﴾ ٥٦ الواقعة

يَطُوفُ عَلَيْهِمْ وِلْدَٰنٌ مُّخَلَّدُونَ ﴿١٧﴾ ٥٦ الواقعة

بِأَكْوَابٍ وَأَبَارِيقَ وَكَأْسٍ مِّن مَّعِينٍ ﴿١٨﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ ﴿١٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَفَـٰكِهَةٍ مِّمَّا يَتَخَيَّرُونَ ﴿٢٠﴾ ٥٦ الواقعة

وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾ ٥٦ الواقعة

سائر الأمم فإن أكثرية سابقي الأمم السالفة من سابقي هذه الأمة لا تمنع أكثرية تابعي هؤلاء من تابعي أولئك ولا يرده قوله تعالى فى أصحاب اليمين ثلة من الأولين وثلة من الآخرين لأن كثرة كل من الفريقين فى أنفسهما لا تنافى أكثرية أحدهما من الآخر وسيأتى أن الثلثين من هذه الأمة وقد روى مرفوعا أن الأولين والآخرين ههنا أيضاً متقدمو هذه الأمة ومتأخروهم واشتقاق الثلة من الثل وهو الكسر

١٥ (على سرر موضونة) حال أخرى من المقربين أو من ضميرهم فى الحال الأولى وقيل خبر آخر للضمير والموضونة المنسوجة بالذهب مشبكة بالدر والياقوت أو المتواصلة من الوضن وهو النسج (متكئين

١٦ عليها متقابلين) حالان من الضمير المستكن فيما تعلق به على سرر أى مستقرين على سرر متكئين عليها متقابلين لا ينظر بعضهم من أقفاء بعض وهو وصف لهم بحسن العشرة وتهذيب الأخلاق والآداب

١٧ (يطوف عليهم) حال أخرى أو استئناف أى يدور حولهم للخدمة (ولدان مخلدون) أى مبقون أبداً على شكل الولدان وطراوتهم لا يتحولون عنها وقيل مقرطون والخلد القرط قيل هم أولاد أهل الدنيا لم يكن لهم حسنات فيثابوا عليها ولا سيئات فيعاقبوا عليها روى ذلك عن على رضى الله عنه وعن

١٨ الحسن رحمه الله وفى الحديث أولاد الكفار خدام أهل الجنة (بأكواب) بآنية لا عرى لها ولا خراطيم (وأباريق) أى آنية ذات عرى وخراطيم (وكأس من معين) أى خمر جارية من العيون قيل إنما *

١٩ أفرد الكأس لأنها لا تسمى كأساً إلا إذا كانت مملوءة (لا يصدعون عنها) أى بسببها وحقيقته لا يصدر صداعهم عنها وقرىء لا يصدعون أى لا يتصدعون ولا يتفرقون كقوله تعالى يومئذ يصدعون وقرىء لا يصدعون أى لا يفرق بعضهم بعضاً (ولا ينزفون) أى لا يسكرون من أنزف الشارب إذا نفد عقله *

٢٠، ٢١ أو شرابه (وفاكهة مما يتخيرون) أى يختارونه ويأخذون خيره وأفضله (ولحم طير مما يشتهون) أى يتمنون وقرىء ولحوم طير .

وَحُورٌ عِينٌ ﴿٢٢﴾	٥٦ الواقعة
كَأَمْثَٰلِ ٱللُّؤْلُؤِ ٱلْمَكْنُونِ ﴿٢٣﴾	٥٦ الواقعة
جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٤﴾	٥٦ الواقعة
لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾	٥٦ الواقعة
إِلَّا قِيلًا سَلَٰمًا سَلَٰمًا ﴿٢٦﴾	٥٦ الواقعة
وَأَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلْيَمِينِ ﴿٢٧﴾	٥٦ الواقعة
فِى سِدْرٍ مَّخْضُودٍ ﴿٢٨﴾	٥٦ الواقعة
وَطَلْحٍ مَّنضُودٍ ﴿٢٩﴾	٥٦ الواقعة

٢٢ (وحور عين) بالرفع عطف على ولدان أو مبتدأ محذوف الخبر أى وفيها أولهم حور وقرىء بالجر عطفاً على جنات النعيم كأنه قيل هم فى جنات وفاكهة ولحم ومصاحبة حور أو على أكواب لأن معنى
٢٣ يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب ينعمون بأكواب وبالنصب أى ويؤتون حوراً (كأمثال اللؤلؤ
٢٤ المكنون) صفة لحور أو حال (جزاء بما كانوا يعملون) مفعول له أى يفعل بهم ذلك جزاء بأعمالهم
٢٥ أو مصدر مؤكد أى يجزون جزاء (لايسمعون فيها لغواً) أى باطلا (ولا تأثيما) أى ولا نسبة إلى
٢٦ الإثم أى لا لغو فيها ولا تأثيم ولا سماع كقوله [ولا ترى الضب بها ينجحر] (إلا قيلا) أى قولا
(سلاماً سلاماً) بدل من قيلا كقوله تعالى لايسمعون فيها لغواً إلا سلاماً أو صفته أو مفعوله بمعنى لايسمعون فيها إلا أن يقولوا سلاماً سلاماً والمعنى أنهم يفشون السلام فيسلمون سلاماً بعد سلام أولا يسمع كل من المسلم والمسلم عليه الإسلام الآخر بدءاً أو رداً وقرىء سلام سلام على الحكاية وقوله
٢٧ تعالى (وأصحاب اليمين) شروع فى تفصيل ما أجمل عند تقسيم من شؤنهم الفاضلة إثر تفصيل شؤن
السابقين وهو مبتدأ وقوله تعالى (ما أصحاب اليمين) جملة استفهامية مسوقة لتفخيمهم والتعجيب من حالهم وقد عرفت كيفية سبكها محلها إما الرفع على أنها خبر للمبتدأ أو معترضة لامحل لها والخبر قوله
٢٨ تعالى (فى سدر مخضود) وهو على الأول خبر ثان للمبتدأ أو خبر لمبتدأ محذوف والجملة استئناف لبيان ما أبهم فى قوله تعالى ما أصحاب اليمين من علو الشأن أى هم فى سدر غير ذى شوك لا كسدر الدنيا وهو شجر النبق كأنه خضد شوكه أى قطع وقيل مخضود أى مثنى أغصانه لكثرة حمله من خضد الغصن
٢٩ إذا ثناه وهو رطب (وطلح منضود) قد نضد حمله من أسفله إلى أعلاه ليست له ساق بارزة وهو شجر

وَظِلٍّ مَّمْدُودٍ ﴿٣٠﴾ ٥٦ الواقعة

وَمَآءٍ مَّسْكُوبٍ ﴿٣١﴾ ٥٦ الواقعة

وَفَٰكِهَةٍ كَثِيرَةٍ ﴿٣٢﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا مَقْطُوعَةٍ وَلَا مَمْنُوعَةٍ ﴿٣٣﴾ ٥٦ الواقعة

وَفُرُشٍ مَّرْفُوعَةٍ ﴿٣٤﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّآ أَنشَأْنَٰهُنَّ إِنشَآءً ﴿٣٥﴾ ٥٦ الواقعة

فَجَعَلْنَٰهُنَّ أَبْكَارًا ﴿٣٦﴾ ٥٦ الواقعة

عُرُبًا أَتْرَابًا ﴿٣٧﴾ ٥٦ الواقعة

الموز أو أم غيلان وله أنوار كثيرة منتظمة طيبة الرائحة وعن السدى شجر يشبه طلح الدنيا ولكن له ثمر أحلى من العسل وعن على رضى الله عنه أنه قرأ وطلع وما شأن الطلح وقرأ قوله تعالى لها طلع نضيد فقيل أو نحو لها قال آى القرآن لاتهاج ولا تحول وعن ابن عباس نحوه (وظل ممدود) ممتد ٣٠ منبسط لايتقلص ولا يتعاون كظل مابين طلوع الفجر وطلوع الشمس (وماء مسكوب) يسكب لهم ٣١ أينما شاؤا وكيفما أرادوا بلاتعب أومصبوب سائل يجرى على الأرض فى غير أخدود كأنه مثل حال السابقين بأقصى مايتصور لأهل المدن وقال أصحاب اليمين بأكمل مايتصور لأهل البوادى إيذان بالتعاون بين الحالين (وفاكهة كثيرة) بحسب الأنواع والأجناس (لامقطوعة) فى وقت من الأوقات كفوا كه ٣٣،٣٢ الدنيا (ولا ممنوعة) عن متناوليها بوجه من الوجوه لايحظر عليها كما يحظر على بساتين الدنيا وقرىء * فاكهة كثيرة بالرفع على وهناك فاكهة الخ كقوله تعالى وحور عين (وفرش مرفوعة) أى رفيعة القدر ٣٤ أومنضدة مرتفعة أو مرفوعة على الأسرة وقيل الفرش النساء حيث يكنى بالفراش عن المرأة وارتفاعها كونهن على الأرائك قال تعالى هم وأزواجهم فى ظلال على الأرائك متكئون ويدل عليه قوله تعالى (إنا أنشأناهن إنشاء) وعلى التفسير الأول أضمر لهن لدلالة ذكر الفرش التى هى المضاجع عليهن دلالة ٣٥ بينة والمعنى ابتدأنا خلقهن ابتداء جديداً أو أبدعناهن من غير ولاد إبداء أو إعادة وفى الحديث هن اللواتى قبضن فى دار الدنيا عجائز شمطاً رمصاً جعلهن الله تعالى بعد الكبر أتراباً على ميلاد واحد فى الاستواء كلما أتاهن أزواجهن وجدوهن أبكاراً وقوله تعالى (فجعلناهن أبكاراً) وقوله تعالى (عرباً) ٣٧،٣٦

لِأَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٣٨﴾ ٥٦ الواقعة

ثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَثُلَّةٌ مِّنَ ٱلْآخِرِينَ ﴿٤٠﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ مَآ أَصْحَٰبُ ٱلشِّمَالِ ﴿٤١﴾ ٥٦ الواقعة

فِى سَمُومٍ وَحَمِيمٍ ﴿٤٢﴾ ٥٦ الواقعة

وَظِلٍّ مِّن يَحْمُومٍ ﴿٤٣﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا بَارِدٍ وَلَا كَرِيمٍ ﴿٤٤﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُتْرَفِينَ ﴿٤٥﴾ ٥٦ الواقعة

---

* جمع عروب وهى المتحببة إلى زوجها الحسنة التبعل وقرىء عرباً بسكون الراء (أتراباً) مستويات
٣٨ فى السن بنات ثلاث وثلاثين سنة وكذا أزواجهن واللام فى قوله تعالى (لأصحاب اليمين) متعلقة بأنشأنا أو جعلنا أو باتراباً كقولك هذا ترب لهذا أى مساو له فى السن وقيل بمحذوف هو صفة لأبكار أى كائنات
٣٩ لأصحاب اليمين أو خبر مبتدأ محذوف أى هن لأصحاب اليمين وقيل خبر لقوله تعالى (ثلة من الأولين)
٤٠ (وثلة من الآخرين) وهو بعيد بل هو خبر مبتدأ محذوف ختمت به قصة أصحاب اليمين أى هم أمة من الأولين وأمة من الآخرين وقد مر الكلام فيهما وعن أبى العالية ومجاهد وعطاء والضحاك ثلة من الأولين أى من سابقى هذه الأمة وثلة من الآخرين من هذه الأمة فى آخر الزمان وعن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضى الله عنهما فى هذه الآية قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم هم جميعاً من
٤١ أمتى (وأصحاب الشمال) شروع فى تفصيل أحوالهم التى أشير عند التنويع إلى هولها وفظاعتها بعد
* تفصيل حسن حال أصحاب اليمين والكلام فى قوله تعالى (ما أصحاب الشمال) عين ما فصل فى نظيره وكذا
٤٢ فى قوله تعالى (فى سموم وحميم) والسموم حر نار ينفذ فى المسام والحميم الماء المتناهى فى الحرارة
٤٣،٤٤ (وظل من يحموم) من دخان أسود بهيم (لا بارد) كسائر الظلال (ولا كريم) فيه خير ما فى الجملة سمى ذلك ظلا ثم نفى عنه وصفاه البرد والكرم الذى عبر به عن دفع أذى الحر لتحقيق أنه ليس بظل
٤٥ وقرىء لا بارد ولا كريم بالرفع أى لا هو بارد ولا كريم وقوله تعالى (إنهم كانوا قبل ذلك مترفين) تعليل لابتلائهم بما ذكر من العذاب أى إنهم كانوا قبل ما ذكر من سوء العذاب فى الدنيا منعمين بأنواع النعم من المآكل والمشارب والمساكن الطيبة والمقامات الكريمة منهمكين فى الشهوات فلا جرم عذبوا

وَكَانُوا۟ يُصِرُّونَ عَلَى ٱلْحِنثِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤٦﴾ ٥٦ الواقعة

وَكَانُوا۟ يَقُولُونَ أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَٰمًا أَءِنَّا لَمَبْعُوثُونَ ﴿٤٧﴾ ٥٦ الواقعة

أَوَءَابَآؤُنَا ٱلْأَوَّلُونَ ﴿٤٨﴾ ٥٦ الواقعة

قُلْ إِنَّ ٱلْأَوَّلِينَ وَٱلْءَاخِرِينَ ﴿٤٩﴾ ٥٦ الواقعة

لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَٰتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴿٥٠﴾ ٥٦ الواقعة

ثُمَّ إِنَّكُمْ أَيُّهَا ٱلضَّآلُّونَ ٱلْمُكَذِّبُونَ ﴿٥١﴾ ٥٦ الواقعة

٤٦ بنقائضها (وكانوا يصرون على الحنث العظيم) أى الذنب العظيم الذى هو الشرك ومنه قولهم بلغ الغلام الحنث أى الحلم ووقت المؤاخذة بالذنب (وكانوا يقولون) لغاية عتوهم وعنادهم (أئذا متنا وكنا ترابا ٤٧ وعظاماً) أى كان بعض أجزائنا من اللحم والجلد ترابا وبعضها عظاماً نخرة وتقديم التراب لعراقته فى الاستبعاد وانقلابه من الأجزاء البادية وإذا متمحضة للظرفية والعامل فيها مادل عليه قوله تعالى (أئنا لمبعوثون) لا نفسه لأن مابعد إن واللام والهمزة لايعمل فيما قبلها وهو نبعث وهو المرجع للإنكار * وتقييده بالوقت المذكور ليس لتخصيص إنكاره به فإنهم منكرون الإحياء بعد الموت وإن كان البدن على حاله بل لتقوية الإنكار للبعث بتوجيهه إليه فى حالة منافية له بالكلية وتكرير الهمزة لتأكيد النكير وتحلية الجملة بأن لتأكيد الإنكار لا لإنكار التأكيد كما عسى يتوهم من ظاهر النظم فإن تقديم الهمزة لاقتضائها الصدارة كما فى مثل قوله أفلاتعقلون على رأى الجمهور فإن المعنى عندهم تعقيب الإنكار لا إنكار التعقيب كما هو المشهور وليس مدار إنكارهم كونهم ثابتين فى المبعوثية بالفعل فى حال كونهم تراباً وعظاماً بل كونهم بعرضية ذلك واستعدادهم له ومرجعه إلى إنكار البعث بعد تلك الحالة وفيه من الدلالة على غلوهم فى الكفر وتماديهم فى الضلال مالا مزيد عليه وتكرير الهمزة فى قوله تعالى ٤٨ (أو آباؤنا الأولون) لتأكيد النكير والواو للعطف على المستكن فى لمبعوثون وحسن ذلك الفصل ٤٩ بالهمزة يعنون أن بعث آبائهم الأولين أبعد من الوقوع وقرىء أوآباؤنا (قل) رداً لإنكارهم وتحقيقاً للحق (إن الأولين والآخرين) من الأمم الذين من جملتهم أنتم وآباؤكم وفى تقديم الأولين مبالغة فى * الرد حيث كان إنكارهم لبعث آبائهم أشد من إنكارهم لبعثهم مع مراعاة الترتيب الوجودى (لمجموعة) ٥٠ بعد البعث وقرىء لمجمعون (إلى ميقات يوم معلوم) إلى ما وقتت به الدنيا من يوم معلوم والإضافة * بمعنى من كخاتم فضة (ثم إنكم أيها الضالون) عطف على أن الأولين داخل تحت القول وثم للتراخى ٥١ زماناً أو رتبة (المكذبون) أى بالبعث والخطاب لأهل مكة وأضرابهم . *

لَآكِلُونَ مِن شَجَرٍ مِّن زَقُّومٍ ﴿٥٢﴾ ٥٦ الواقعة

فَمَالِئُونَ مِنْهَا ٱلْبُطُونَ ﴿٥٣﴾ ٥٦ الواقعة

فَشَٰرِبُونَ عَلَيْهِ مِنَ ٱلْحَمِيمِ ﴿٥٤﴾ ٥٦ الواقعة

فَشَٰرِبُونَ شُرْبَ ٱلْهِيمِ ﴿٥٥﴾ ٥٦ الواقعة

هَٰذَا نُزُلُهُمْ يَوْمَ ٱلدِّينِ ﴿٥٦﴾ ٥٦ الواقعة

نَحْنُ خَلَقْنَٰكُمْ فَلَوْلَا تُصَدِّقُونَ ﴿٥٧﴾ ٥٦ الواقعة

---

٥٢ (لآكلون) بعد البعث والجمع ودخول جهنم (من شجرة من زقوم) من الأولى لابتداء الغاية والثانية لبيان الشجر وتفسيره أي مبتدئون الأكل من شجر هو زقوم وقيل من الثانية متعلقة بمضمر هو

٥٣،٥٤ وصف لشجر أي كائن من زقوم (فمالئون منها البطون) أي بطونكم من شدة الجوع (فشاربون * عليه) عقيب ذلك بلا ريث (من الحميم) أي الماء الحار في الغاية وتأنيث ضمير الشجر أولا وتذكيره ثانياً باعتبار المعنى واللفظ وقرىء من شجرة فضمير عليه حينئذ للزقوم وقيل للآكل وقوله تعالى

٥٥ (فشاربون شرب الهيم) كالتفسير لما قبله على طريقة قوله تعالى فكذبوا عبدنا أي لا يكون شربكم شرباً معتاداً بل يكون مثل شرب الهيم وهي الإبل التي بها الهيام وهو داء يصيبها فتشرب ولا تروى جمع أهيم وهيماء وقيل الهيم الرمال على أنه جمع الهيام بفتح الهاء وهو الرمل التي لا يتماسك جمع على فعل كسحاب وسحب ثم خفف وفعل به مافعل بجمع أبيض والمعنى أنه يسلط عليهم من الجوع والتهاب النار في أحشائهم مايضطرهم إلى أكل الزقوم الذي هو كالمهل فإذا ملؤا منه بطونهم وهو في غاية الحرارة والمرارة سلط عليهم من العطش مايضطرهم إلى شرب الحميم الذي يقطع أمعاءهم فيشربون شرب الهيم

٥٦ وقرىء شرب الهيم بالفتح وهو أيضاً مصدر وقرىء بالكسر على أنه اسم المشروب (هذا) الذي ذكر * من أنواع العذاب (نزلهم يوم الدين) أي يوم الجزاء فإذا كان ذلك نزلهم وهو مايعد للنازل مما حضر فما ظنك بما لهم بعد ما استقر لهم القرار واطمأنت بهم الدار في النار وفيه من التهكم بهم مالا يخفى وقرىء نزلهم بسكون الزاي تخفيفاً والجملة مسوقة من جهته تعالى بطريق الفذلكة مقررة لمضمون الكلام

٥٧ الملقن غير داخلة تحت القول وقوله تعالى (نحن خلقناكم فلولا تصدقون) تلوين للخطاب وتوجيه له إلى الكفرة بطريق الإلزام والتبكيت والفاء لترتيب التحضيض على ماقبلها أي فهلا تصدقون بالخلق فإن مالا يحققه العمل ولا يساعده بل ينبىء عن خلافه ليس من التصديق في شيء وقيل بالبعث استدلالا عليه بالإنشاء فإن من قدر عليه قدر على الإعادة حتما والأول هو الوجه كما ستحيط به خبراً .

أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ ﴿٥٨﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ تَخْلُقُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٥٩﴾ ٥٦ الواقعة

نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ ٱلْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ ﴿٦٠﴾ ٥٦ الواقعة

عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَٰلَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِى مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ ٥٦ الواقعة

وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلنَّشْأَةَ ٱلْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَرَءَيْتُم مَّا تَحْرُثُونَ ﴿٦٣﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ تَزْرَعُونَهُۥٓ أَمْ نَحْنُ ٱلزَّٰرِعُونَ ﴿٦٤﴾ ٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَآءُ لَجَعَلْنَٰهُ حُطَٰمًا فَظَلْتُمْ تَفَكَّهُونَ ﴿٦٥﴾ ٥٦ الواقعة

(أفرأيتم ماتمنون) أى تقذفون فى الأرحام من النطف وقرىء بفتح التاء من منى النطفة بمعنى أمناها ٥٨
(أأنتم تخلقونه) أى تقدرونه وتصورونه بشراً سوياً (أم نحن الخالقون) له من غير دخل شىء فيه ٥٩
وأم قيل منقطعة لأن مابعدها جملة فالمعنى بل أنحن الخالقون على أن الاستفهام للتقرير وقيل متصلة
ومجىء الخالقون بعد نحن بطريق التأكيد لا بطريق الخبرية أصالة (نحن قدرنا بينكم الموت) أىقسمناه ٦٠
عليكم ووقتنا موت كل أحد بوقت معين حسبما تقتضيه مشيئتنا المبنية على الحكم البالغة وقرىء قدرنا
مخففة (وما نحن بمسبوقين) أى إنا قادرون (على أن نبدل أمثالكم) لايغلبنا أحد على أن نذهبكم ونأتى ٦١
مكانكم أشباهكم من الخلق (وننشئكم فيما لاتعلمون) من الخلق والأطوار ولا تعهدون بمثلها قال الحسن *
رحمه الله أى نجعلكم قردة وخنازير وقيل المعنى وننشئكم فى البعث على غير صوركم فى الدنيا فمن هذا
شأنه كيف يعجز عن إعادتكم وقيل المعنى وما يسبقنا أحد فيهرب من الموت أو يغير وقته وعلى أن
نبدل الخ إما حال من فاعل قدرنا أو علة للتقدير وعلى بمعنى اللام وما بينهما اعتراض (ولقد علمتم ٦٢
النشأة الأولى) هى خلقهم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة وقيل هى فطرة آدم عليه السلام من التراب
(فلولا تذكرون) فهلا تتذكرون أن من قدر عليها قدر على النشأة الأخرى حتما فإنه أقل صنعاً لحصول *
المواد وتخصص الأجزاء وسبق المثال وفيه دليل على صحة القياس وقرىء فلولا تذكرون من الثلاثى
وفى الخبر عجباً كل العجب للمكذب بالنشأة الآخرة وهو يرى النشأة الأولى وعجباً للمصدق بالنشأة
الآخرة وهو يسعى لدار الغرور (أفرأيتم ماتحرثون) أى تبذرون حبه وتعملون فى أرضه (أأنتم ٦٣،٦٤
تزرعونه) تنبتونه وتردونه نباتاً يرف (أم نحن الزارعون) أى المنبتون لا أنتم والكلام فى أم كما مر *
آنفاً (لو نشاء لجعلناه حطاماً) هشيما متكسراً متفتتاً بعد ما أنبتناه وصار بحيث طمعتم فى حيازة غلاله ٦٥

إِنَّا لَمُغْرَمُونَ ﴿٦٦﴾ ٥٦ الواقعة

بَلْ نَحْنُ مَحْرُومُونَ ﴿٦٧﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَرَءَيْتُمُ الْمَاءَ الَّذِي تَشْرَبُونَ ﴿٦٨﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ أَنزَلْتُمُوهُ مِنَ الْمُزْنِ أَمْ نَحْنُ الْمُنزِلُونَ ﴿٦٩﴾ ٥٦ الواقعة

لَوْ نَشَاءُ جَعَلْنَاهُ أُجَاجًا فَلَوْلَا تَشْكُرُونَ ﴿٧٠﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَرَءَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴿٧١﴾ ٥٦ الواقعة

ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَا أَمْ نَحْنُ الْمُنشِئُونَ ﴿٧٢﴾ ٥٦ الواقعة

---

* (فظلتم) بسبب ذلك (تفكهون) تتعجبون من سوء حاله إثر ماشاهدتموه على أحسن ما يكون من الحال أو تندمون على ماتعبتم فيه وأنفقتم عليه أو على مااقترفتم لأجله من المعاصي فتتحدثون فيه والتفكه التنقل بصنوف الفاكهة وقد استعير للتنقل بالحديث وقرىء تفكنون أى تتندمون وقرىء فظلتم
٦٦ بالكسر وفظللتم على الأصل (إنا لمغرمون) أى لملزمون غرامة ما أنفقنا أو مهلكون بهلاك رزقنا من الغرام وهو الهلاك وقرىء أئنا على الاستفهام والجملة على القراءتين مقدرة بقول هو فى حيز النصب
٦٧ على الحالية من فاعل تفكهون أى قائلين أو تقولون إنا لمغرمون (بل نحن محرومون) حرمنا رزقنا
٦٨ أو محارفون محدودون لاحظ لنا ولا بخت لا مجدودون (أفرأيتم الماء الذى تشربون) عذباً فراتاً
٦٩ وتخصيص هذا الوصف بالذكر مع كثرة منافعه لأن الشرب أهم المقاصد المنوطة به (أأنتم أنزلتموه
* من المزن) أى من السحاب واحده مزنة وقيل هو السحاب الأبيض وماؤه أعذب (أم نحن المنزلون)
٧٠ له بقدرتنا (لو نشاء جعلناه أجاجا) ملحاً زعاقا لايمكن شربه وحذف اللام ههنا مع إثباتها فى الشرطية الأولى للتعويل على علم السامع أو الفرق بين المطعوم والمشروب فى الأهمية وصعوبة الفقد والشرطيتان مستأنفتان مسوقتان لبيان أن عصمته تعالى للزرع والماء عما يخل بالتمتع بهما نعمة أخرى بعد نعمة
٧١ الإنبات والإنزال مستوجبة للشكر فقوله تعالى (فلولا تشكرون) تحضيض على شكر الكل (أفرأيتم
٧٢ النار التى تورون) أى تقدحونها وتستخرجونها من الزناد (أأنتم أنشأتم شجرتها) التى منها الزناد وهى
* المرخ والعفار (أم نحن المنشئون) لها بقدرتنا والتعبير عن خلقها بالإنشاء المنبىء عن بديع الصنع المعرب عن كمال القدرة والحكمة لما فيه من الغرابة الفارقة بينها وبين سائر الشجر التى لاتخلو عن النار حتى قيل فى كل شجر نار واستمجد المرخ والعفار كما أن التعبير عن نفخ الروح بالإنشاء فى قوله تعالى ثم أنشأناه خلقاً آخر لذلك .

نَحْنُ جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ﴿٧٣﴾ ٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٧٤﴾ ٥٦ الواقعة

فَلَآ أُقْسِمُ بِمَوَٰقِعِ ٱلنُّجُومِ ﴿٧٥﴾ ٥٦ الواقعة

وَإِنَّهُۥ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ ﴿٧٦﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّهُۥ لَقُرْءَانٌ كَرِيمٌ ﴿٧٧﴾ ٥٦ الواقعة

---

٧٣ وقوله تعالى (نحن جعلناها تذكرة) استئناف مبين لمنافعها أى جعلناها تذكيراً لنار جهنم حيث علقنا بها أسباب المعاش لينظروا إليها ويذكروا ما أعدوا به من نار جهنم أو تذكرة وأنموذجا من نار جهنم لما روى عن النبى عليه الصلاة والسلام ناركم هذه التى يوقدها بنو آدم جزء من سبعين جزءاً من حر جهنم وقيل تبصرة فى أمر البعث فإنه ليس بأبدع من إخراج النار من الشىء الرطب (ومتاعا) * ومنفعة (للمقوين) للذين ينزلون القواء وهى القفر وتخصيصهم بذلك لأنهم أحوج إليها فإن المقيمين * أو النازلين بقرب منهم ليسوا بمضطرين إلى الاقتداح بالزناد وقد جوز أن يراد بالمقوين الذين خلت بطونهم ومزاودهم من الطعام وهو بعيد لعدم انحصار ما يهمهم ويسد خللهم فيما لا يؤكل إلا بالطبخ وتأخير هذه المنفعة للتنبيه على أن الأهم هو النفع الأخروى والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك ٧٤ العظيم) لترتيب ما بعدها على ما عدد من بدائع صنعه تعالى وروائع نعمه الموجبة لتسبيحه تعالى إما تنزيهاً له تعالى عما يقوله الجاحدون بوحدانيته الكافرون بنعمته مع عظمها وكثرتها أو تعجباً من أمرهم فى غمط تلك النعم الباهرة مع جلالة قدرها وظهور أمرها أو شكراً على تلك النعم السابقة أى فأحدث التسبيح بذكر اسمه تعالى أو بذكره فإن إطلاق الاسم للشىء ذكر له والعظيم صفة للاسم أو الرب (فلا أقسم) أى فأقسم ولا مزيدة للتأكيد كما فى قوله تعالى لئلا يعلم أو فلأنا أقسم فحذف ٧٥ المبتدأ وأشبع فتحة لام الابتداء ويعضده قراءة من قرأ فلأقسم أو فلارد لكلام يخالف المقسم عليه وأما ماقيل من أن المعنى فلا أقسم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسم فيأباه تعيين المقسم به وتفخيم شأن القسم به (بمواقع النجوم) أى بمساقطها وهى مغاربها وتخصيصها بالقسم لما فى غروبها من زوال * أثرها والدلالة على وجود مؤثر دائم لايتغير أو لأن ذلك وقت قيام المتهجدين والمبتهلين إليه تعالى وأوان نزول الرحمة والرضوان عليهم أو بمنازلها ومجاريها فإن له تعالى فى ذلك من الدليل على عظم قدرته وكمال حكمته مالايحيط به البيان وقيل النجوم نجوم القرآن ومواقعها أوقات نزولها وقوله تعالى (وإنه لقسم لو تعلمون عظيم) اعتراض فى اعتراض قصد به المبالغة فى تحقيق مضمون الجملة القسمية ٧٦ وتأكيده حيث اعترض بقوله وإنه لقسم بين القسم وجوابه الذى هو قوله تعالى (إنه لقرآن كريم) ٧٧

فِى كِتَٰبٍ مَّكْنُونٍ ﴿٧٨﴾ ٥٦ الواقعة

لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴿٧٩﴾ ٥٦ الواقعة

تَنزِيلٌ مِّن رَّبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٠﴾ ٥٦ الواقعة

أَفَبِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ أَنتُم مُّدْهِنُونَ ﴿٨١﴾ ٥٦ الواقعة

وَتَجْعَلُونَ رِزْقَكُمْ أَنَّكُمْ تُكَذِّبُونَ ﴿٨٢﴾ ٥٦ الواقعة

فَلَوْلَآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلْحُلْقُومَ ﴿٨٣﴾ ٥٦ الواقعة

أى كثير النفع لاشتماله على أصول العلوم المهمة فى صلاح المعاش والمعاد أو حسن مرضى أو كريم عند الله تعالى وبقوله تعالى لو تعلمون بين الموصوف وصفته وجواب لو إما متروك أريد به نفى علمهم أو محذوف ثقة بظهوره أى لعظمتموه أو لعملتم بموجبه (فى كتاب مكنون) أى مصون من غير ٧٨
المقربين من الملائكة لايطلع عليه من سواهم وهو اللوح (لا يمسه إلا المطهرون) إما صفة أخرى ٧٩
لكتاب فالمراد بالمطهرين الملائكة المنزهون عن الكدورات الجسمانية وأوضار الأوزار أو للقرآن فالمراد بهم المطهرون من الأحداث فيكون نفياً بمعنى النهى أى لا ينبغى أن يمسه إلا من كان على طهارة من الناس على طريقة قوله عليه الصلاة والسلام المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه أى لا ينبغى له أن يظلمه وقيل لايطلبه إلا المطهرون من الكفر وقرىء المتطهرون والمطهرون بالإدغام والمطهرون
من أطهره بمعنى طهره والمطهرون أى أنفسهم أو غيرهم بالاستغفار أو غيره (تنزيل من رب العالمين) ٨٠
صفة أخرى للقرآن وهو مصدر نعت به حتى جرى مجرى اسمه وقرىء تنزيلا (أفبهذا الحديث) ٨١
الذى ذكرت نعوته الجليلة الموجبة لإعظامه وإجلاله وهو القرآن الكريم (أنتم مدهنون) أى *
متهاونون به كمن يدهن فى الأمر أى يلين جانبه ولا يتصلب فيه تهاوناً به (وتجعلون رزقكم) أى ٨٢
شكر رزقكم (أنكم تكذبون) أى تضعون التكذيب موضع الشكر وقرىء وتجعلون شكركم *
أنكم تكذبون أى تجعلون شكركم لنعمة القرآن أنكم تكذبون به وقيل الرزق المطر والمعنى وتجعلون شكر مايرزقكم الله تعالى من الغيث أنكم تكذبون بكونه من الله تعالى حيث تنسبونه إلى الأنواء
والأول هو الأوفق لسباق النظم الكريم وسياقه فإن قوله عز وجل (فلولا إذا بلغت الحلقوم) الخ ٨٣
تبكيت مبنى على تكذيبهم بالقرآن فيما نطق به قوله تعالى نحن خلقناكم إلى هنا من القوارع الدالة على كونهم تحت ملكوته تعالى من حيث ذواتهم ومن حيث طعامهم وشرابهم وسائر أسباب معايشهم كما ستقف عليه ولولا للتحضيض لإظهار عجزهم وإذا ظرفية أى فهلا إذا بلغت النفس أى الروح وقيل

وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ تَنظُرُونَ ﴿٨٤﴾ ٥٦ الواقعة

وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُبْصِرُونَ ﴿٨٥﴾ ٥٦ الواقعة

فَلَوْلَا إِن كُنتُمْ غَيْرَ مَدِينِينَ ﴿٨٦﴾ ٥٦ الواقعة

تَرْجِعُونَهَا إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٨٧﴾ ٥٦ الواقعة

فَأَمَّا إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٨٨﴾ ٥٦ الواقعة

فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّتُ نَعِيمٍ ﴿٨٩﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَمَّا إِن كَانَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩٠﴾ ٥٦ الواقعة

نفس الحلقوم وتداعت إلى الخروج (وأنتم حينئذ) أيها الحاضرون حول صاحبها (تنظارون) إلى ٨٤
ماهو من الغمرات (ونحن أقرب إليه) علماً وقدرة وتصرفا (منكم) حيث لاتعرفون من حاله إلا ٨٥
ماتشاهدونه من آثار الشدة من غير أن تقفوا على كنهها وكيفيتها وأسبابها ولا أن تقدروا على دفع
أدنى شيء منها ونحن المتولون لتفاصيل أحواله بعلمنا وقدرتنا أو بملائكة الموت (ولكن لاتبصرون) *
لاتدركون ذلك لجهلكم بشؤننا وقوله تعالى (فلولا إن كنتم غير مدينين) أى غير مربوبين من دان ٨٦
السلطان رعيته إذا ساسهم واستعبدهم ناظر إلى قوله تعالى نحن خلقناكم فلولا تصدقون فإن التحضيض
يستدعى عدم المحضض عليه حتما وقوله تعالى (ترجعونها) أى النفس إلى مقرها هو العامل فى إذا ٨٧
والمحضض عليه بلولا الأولى والثانية مكررة للتأكيد وهى مع مافى حيزها دليل جواب الشرط والمعنى
إن كنتم غير مربوبين كما ينبىء عنه عدم تصديقكم بخلقنا إياكم فهلا ترجعون النفس إلى مقرها عند بلوغها
الحلقوم (إن كنتم صادقين) فى اعتقادكم فإن عدم تصديقهم بخالقيته تعالى لهم عبارة عن تصديقهم *
بعدم خالقيته تعالى بموجب مذهبهم وقوله تعالى (فأما إن كان من المقربين) الخ شروع فى بيان حال ٨٨
المتوفى بعد الممات إثر بيان حاله عند الوفاة أى فأما إن كان الذى بين حاله من السابقين من الأزواج
الثلاثة عبر عنهم بأجل أوصافهم (فروح) أى فله استراحة وقرىء فروح بضم الراء وفسر بالرحمة ٨٩
لأنها سبب لحياة المرحوم وبالحياة الدائمة (وريحان) ورزق (وجنت نعيم) أى ذات تنعم (وأما إن ٩٠
كان من أصحاب اليمين) عبر عنهم بالعنوان السابق إذ لم يذكر لهم فيما سبق وصف واحد ينبىء عن شأنهم
سواه كما ذكر للفريقين الآخرين .

فَسَلَٰمٌ لَّكَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْيَمِينِ ﴿٩١﴾ ٥٦ الواقعة

وَأَمَّآ إِن كَانَ مِنَ ٱلْمُكَذِّبِينَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٩٢﴾ ٥٦ الواقعة

فَنُزُلٌ مِّنْ حَمِيمٍ ﴿٩٣﴾ ٥٦ الواقعة

وَتَصْلِيَةُ جَحِيمٍ ﴿٩٤﴾ ٥٦ الواقعة

إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلْيَقِينِ ﴿٩٥﴾ ٥٦ الواقعة

فَسَبِّحْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلْعَظِيمِ ﴿٩٦﴾ ٥٦ الواقعة

---

٩١ وقوله تعالى (فسلام لك من أصحاب اليمين) إخبار من جهته تعالى بتسليم بعضهم على بعض كما يفصح عنه اللام لا حكاية إنشاء سلام بعضهم على بعض وإلا لقيل عليك والالتفات إلى خطاب كل واحد

٩٢ منهم للتشريف (وأما إن كان من المكذبين الضالين) وهم أصحاب الشمال عبر عنهم بذلك حسبما وصفوا به عند بيان أحوالهم بقوله تعالى ثم إنكم أيها الضالون المكذبون ذماً لهم بذلك وإشعاراً بسبب

٩٣ ما ابتلوا به من العذاب (فنزل) أى فله نزل كائن (من حميم) يشرب بعد أكل الزقوم كما فصل فيما قبل

٩٤ (وتصلية جحيم) أى إدخال فى النار وقيل إقامة فيها ومقاساة لألوان عذابها وقيل ذلك مايجده فى القبر

٩٥ من سموم النار ودخانها (إن هذا) أى الذى ذكر فى السورة الكريمة (لهو حق اليقين) أى حق الخبر

٩٦ اليقين وقيل الحق الثابت من اليقين والفاء فى قوله تعالى (فسبح باسم ربك العظيم) لترتيب التسبيح أو الأمر به على ماقبلها فإن حقية مافصل فى تضاعيف السورة الكريمة مما يوجب تنزيهه تعالى عما لا يليق بشأنه الجليل من الأمور التى من جملتها الإشراك به والتكذيب بآياته الناطقة بالحق . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الواقعة فى كل ليلة لم تصبه فاقة أبداً .

---

٥٧ – سورة الحديد

(مدنية وهى تسع وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ٥٧ الحديد

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢﴾ ٥٧ الحديد

هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْءَاخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ٥٧ الحديد

﴿ سورة الحديد مكية وقيل مدنية وآياتها تسع وعشرون ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله ما فى السموات والأرض) التسبيح تنزيه الله تعالى اعتقاداً وقولا وعملا عما لا يليق بجنابه سبحانه من سبح فى الأرض والماء إذا ذهب وأبعد فيهما وحيث أسند ههنا إلى غير العقلاء أيضاً فإن مافى السموات والأرض يعم جميع مافيهما سواء كان مستقراً فيهما أو جزءاً منهما كما مر فى آية الكرسى أريد به معنى عام مجازى شامل لما نطق به لسان المقال كتسبيح الملائكة والمؤمنين من الثقلين ولسان الحال كتسبيح غيرهم فإن كل فرد من أفراد الموجودات يدل بإمكانه وحدوثه على الصانع القديم الواجب الوجود المتصف بالكمال المنزه عن النقصان وهو المراد بقوله تعالى وإن من شىء إلا يسبح بحمده وهو متعد بنفسه كما فى قوله تعالى وسبحوه واللام إما مزيدة للتأكيد كما فى نصحت له وشكرت له أو للتعليل أى فعل التسبيح لأجل الله تعالى وخالصاً لوجهه ومجيئه فى بعض الفواتح ماضياً وفى البعض مضارعا للإيذان بتحققه فى جميع الأوقات وفيه تنبيه على أن حق من شأنه التسبيح الاختيارى أن يسبحه تعالى فى جميع أوقاته كما عليه الملأ الأعلى حيث يسبحون الليل والنهار لا يفترون (وهو العزيز) القادر الغالب الذى لا يمانعه ولا ينازعه شىء (الحكيم) الذى لا يفعل إلا * ماتقتضيه الحكمة والمصلحة والجملة اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله مشعر بعلة الحكم وكذا قوله تعالى (له ملك السموات والأرض) أى التصرف الكلى فيهما وفيما فيهما من الموجودات من حيث ٢ الإيجاد والإعدام وسائر التصرفات مما نعلمه ومالا نعلمه وقوله تعالى (يحيى ويميت) استئناف مبين * لبعض أحكام الملك والتصرف وجعله حالا من ضمير له ليس كما ينبغى (وهو على كل شىء) من الأشياء * التى من جملتها ماذكر من الإحياء والإماتة (قدير) مبالغ فى القدرة (هو الأول) السابق على سائر ٣ الموجودات لما أنه مبدئها ومبدعها (والآخر) الباقى بعد فنائها حقيقة أو نظر إلى ذاتها مع قطع النظر * عن مبقيها فإن جميع الموجودات الممكنة إذا قطع النظر عن علتها فهى فانية (والظاهر) وجوداً لكثرة *

هُوَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى ٱلْأَرْضِ وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ ٱلسَّمَآءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٤﴾ ٥٧ الحديد

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرْجَعُ ٱلْأُمُورُ ﴿٥﴾ ٥٧ الحديد

يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَهُوَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٦﴾ ٥٧ الحديد

ءَامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَأَنفِقُوا۟ مِمَّا جَعَلَكُم مُّسْتَخْلَفِينَ فِيهِ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَأَنفَقُوا۟ لَهُمْ أَجْرٌ كَبِيرٌ ﴿٧﴾ ٥٧ الحديد

---

* دلائله الواضحة (والباطن) حقيقة فلا تحوم حوله العقول والواو الأولى والأخيرة للجمع بين الوصفين المكتنفين بهما والوسطى للجمع بين المجموعين فهو متصف باستمرار الوجود فى جميع الأوقات والظهور

٤ والخفاء (وهو بكل شيء عليم) لا يعزب عن علمه شيء من الظاهر والخفى (هو الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش) بيان لبعض أحكام ملكهما وقد مر تفسيره مراراً

* (يعلم ما يلج فى الأرض وما يخرج منها وما ينزل من السماء وما يعرج فيها) مر بيانه فى سورة سبأ (وهو معكم

* أينما كنتم) تمثيل لإحاطة علمه تعالى بهم وتصوير لعدم خروجهم عنه أينما داروا وقوله تعالى (والله بما تعملون بصير) عبارة عن إحاطته بأعمالهم فتأخيره عن الخلق لما أن المراد به ما يدور عليه الجزاء

٥ من العلم التابع للمعلوم لا لما قيل من أنه دليل عليه وقوله تعالى (له ملك السموات والأرض) تكرير

* للتأكيد وتمهيد لقوله تعالى (وإلى الله ترجع الأمور) أى إليه وحده لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا ترجع جميع الأمور على البناء للمفعول من رجع رجعاً وقرىء على البناء للفاعل من رجع رجوعا

٦ (يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) مر تفسيره مراراً وقوله تعالى (وهو عليم) أى مبالغ

* فى العلم (بذات الصدور) أى بمكنوناتها اللازمة لها بيان لإحاطة علمه تعالى بما يضمرونه من نياتهم

٧ بعد بيان إحاطته بأعمالهم التى يظهرونها (آمنوا بالله ورسوله وأنفقوا مما جعلكم مستخلفين فيه) أى جعلكم خلفاء فى التصرف فيه من غير أن تملكوه حقيقة عبر عما بأيديهم من الأموال والأرزاق بذلك تحقيقاً للحق وترغيباً لهم فى الإنفاق فإن من علم أنها لله عز وجل وإنما هو بمنزلة الوكيل يصرفها إلى ما عينه الله تعالى من المصارف هان عليه الإنفاق أو جعلكم خلفاء ممن قبلكم فيما كان بأيديهم بتوريثه

* إياكم فاعتبروا بحالهم حيث انتقل منهم إليكم وسينتقل منكم إلى من بعدكم فلا تبخلوا به (فالذين آمنوا

* منكم وأنفقوا) حسبما أمروا به (لهم) بسبب ذلك (أجر كبير) وفيه من المبالغات ما لا يخفى حيث

وَمَا لَكُمْ لَا تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلرَّسُولُ يَدْعُوكُمْ لِتُؤْمِنُواْ بِرَبِّكُمْ وَقَدْ أَخَذَ مِيثَٰقَكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٨﴾ ٥٧ الحديد

هُوَ ٱلَّذِى يُنَزِّلُ عَلَىٰ عَبْدِهِۦٓ ءَايَٰتٍۭ بَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَكُم مِّنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَإِنَّ ٱللَّهَ بِكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٩﴾ ٥٧ الحديد

وَمَا لَكُمْ أَلَّا تُنفِقُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ لَا يَسْتَوِى مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ ٱلْفَتْحِ وَقَٰتَلَ أُوْلَٰٓئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ ٱلَّذِينَ أَنفَقُواْ مِنۢ بَعْدُ وَقَٰتَلُواْ وَكُلًّا وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْحُسْنَىٰ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿١٠﴾ ٥٧ الحديد

جعل الجملة اسمية وأعيد ذكر الإيمان والإنفاق وكرر الإسناد وفخم الأجر بالتنكير ووصف بالكبير

٨ وقوله عز وجل (وما لكم لا تؤمنون بالله) استئناف مسوق لتوبيخهم على ترك الإيمان حسبما أمروا به بإنكار أن يكون لهم فى ذلك عذر مافى الجملة على أن لا تؤمنون حال من الضمير فى لكم والعامل مافيه من معنى الاستقرار أى أى شىء حصل لكم غير مؤمنين على توجيه الإنكار والنفى إلى السبب فقط مع تحقق المسبب لا إلى السبب والمسبب جميعاً كما فى قوله تعالى وما لى لا أعبد الذى فطرنى فإن همزة الاستفهام كما تكون تارة لإنكار الواقع كما فى أتضرب أباك وأخرى لإنكار الوقوع كما فى أأضرب أبى كذلك ماالاستفهامية قد تكون لإنكار سبب الواقع ونفيه فقط كما فيما نحن فيه وفى قوله تعالى مالكم لاترجون لله وقاراً فيكون مضمون الجملة الحالية محققاً فإن كلا من عدم الإيمان وعدم الرجاء أمر محقق قد أنكر ونفى سببه وقد تكون لإنكار سبب الوقوع ونفيه فيسريان إلى المسبب أيضاً كما فى قوله تعالى وما لى لا أعبد إلى آخره فيكون مضمون الجملة الحالية مفروضاً قطعاً فإن عدم العبادة أمر مفروض حتما قد أنكر ونفى سببه فانتفى نفسه أيضاً وقوله تعالى (والرسول يدعوكم لتؤمنوا بربكم) ٭ حال من ضمير لا تؤمنون مفيدة لتوبيخهم على الكفر مع تحقق مايوجب عدمه بعد توبيخهم عليه مع عدم مايوجبه أى وأى عذر فى ترك الإيمان والرسول يدعوكم إليه وينبهكم عليه وقوله تعالى (وقد ٭ أخذ ميثاقكم) حال من مفعول يدعوكم أى وقد أخذ الله تعالى ميثاقكم بالإيمان من قبل وذلك بنصب الأدلة والتمكين من النظر وقرىء وقد أخذ مبنياً للمفعول برفع ميثاقكم (إن كنتم مؤمنين) الموجب ٭ مافإن هذا موجب لاموجب وراءه (هو الذى ينزل على عبده) حسبما يعن لكم من المصالح (آيات ٩ بينات) واضحات (ليخرجكم) أى الله تعالى أو العبد بها (من الظلمات إلى النور) من ظلمات الكفر ٭ إلى نور الإيمان (وإن الله بكم لرؤف رحيم) حيث يهديكم إلى سعادة الدارين بإرسال الرسول وتنزيل ٭ الآيات بعد نصب الحجج العقلية وقوله تعالى (وما لكم أن لا تنفقوا فى سبيل الله) توبيخ لهم على ترك ١٠

الإنفاق المأمور به بعد توبيخهم على ترك الإيمان بإنكار أن يكون لهم فى ذلك أيضاً عذر من الأعذار وحذف المفعول لظهور أنه الذى بين حاله فيما سبق وتعيين المنفق فيه لتشديد التوبيخ أى وأى شىء لكم فى أن لاتنفقوا فيما هو قربة إلى الله تعالى ماهو فى الحقيقة وإنما أنتم خلفاؤه فى صرفه إلى ماعينه من المصارف وقوله تعالى (ولله ميراث السموات والأرض) حال من فاعل لاتنفقوا ومفعوله مؤكدة للتوبيخ فإن ترك الإنفاق بغير سبب قبيح منكر ومع تحقق مايوجب الإنفاق أشد فى القبح وأدخل فى الإنكار فإن بيان بقاء جميع مافى السموات والأرض من الأموال بالآخرة لله عز وجل من غير أن يبقى من أصحابها أحد أقوى فى إيجاب الإنفاق عليهم من بيان أنها لله تعالى فى الحقيقة وهم خلفاؤه فى التصرف فيها كأنه قيل وما لكم فى ترك إنفاقها فى سبيل الله والحال أنه لايبقى لكم منها شىء بل يبقى كلها لله تعالى وإظهار الاسم الجليل فى موقع الإضمار لزيادة التقرير وتربية المهابة وقوله تعالى (لا يستوى منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل) بيان لتفاوت درجات المنفقين حسب تفاوت أحوالهم فى الإنفاق بعد بيان أن لهم أجراً كبيراً على الإطلاق حثاً لهم على تحرى الأفضل وعطف القتال على الإنفاق للإيذان بأنه من أهم مواد الإنفاق مع كونه فى نفسه من أفضل العبادات وأنه لايخلو من الإنفاق أصلا وقسيم من أنفق محذوف لظهوره ودلالة مابعده عليه وقرىء قبل الفتح بغير من والفتح فتح مكة (أولئك) إشارة إلى من أنفق والجمع بالنظر إلى معنى من كما أن إفراد الضميرين السابقين بالنظر إلى لفظها وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإشعار ببعد منزلتهم وعلو طبقتهم فى الفضل ومحله الرفع على الابتداء أى أولئك المنعوتون بذينك النعتين الجميلين (أعظم درجة) وأرفع منزلة (من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا) لأنهم إنما فعلوا مافعلوا من الإنفاق والقتال قبل عزة الإسلام وقوة أهله عند كمال الحاجة إلى النصرة بالنفس والمال وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار الذين قال فيهم النبى صلى الله عليه وسلم لو أنفق أحدكم مثل أحد ذهباً مابلغ مد أحدهم ولا نصيفه وهؤلاء فعلوا مافعلوا بعد ظهور الدين ودخول الناس فيه أفواجا وقلة الحاجة إلى الإنفاق والقتال (وكلا) أى وكل واحد من الفريقين (وعد الله الحسنى) أى المثوبة الحسنى وهى الجنة لا الأولين فقط وقرىء وكل بالرفع على الابتداء أى وكل وعده الله تعالى (والله بما تعملون بصير) بظواهره وبواطنه فيجازيكم بحسبه وقيل نزلت الآية فى أبى بكر رضى الله تعالى عنه فإنه أول من آمن وأول من أنفق فى سبيل الله وخاصم الكفار حتى ضرب ضرباً أشرف به على الهلاك وقوله تعالى (من ذا الذى يقرض الله قرضاً حسناً) ندب بليغ من الله تعالى إلى الإنفاق فى سبيله بعد الأمر به والتوبيخ على تركه وبيان درجات المنفقين أى من ذا الذى ينفق ماله فى سبيله تعالى رجاء أن يعوضه فإنه كمن يقرضه وحسن الإنفاق بالإخلاص فيه وتحرى أكرم المال وأفضل الجهات (فيضاعفه له) بالنصب على جواب الاستفهام باعتبار المعنى كأنه قيل أيقرض الله أحد فيضاعفه له أى فيعطيه أجره أضعافا (وله أجر كريم) أى

يَوْمَ تَرَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ يَسْعَىٰ نُورُهُم بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِم بُشْرَىٰكُمُ ٱلْيَوْمَ جَنَّٰتٌ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ٥٧ الحديد

يَوْمَ يَقُولُ ٱلْمُنَٰفِقُونَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتُ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱنظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِن نُّورِكُمْ قِيلَ ٱرْجِعُوا۟ وَرَآءَكُمْ فَٱلْتَمِسُوا۟ نُورًا فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُۥ بَابٌۢ بَاطِنُهُۥ فِيهِ ٱلرَّحْمَةُ وَظَٰهِرُهُۥ مِن قِبَلِهِ ٱلْعَذَابُ ﴿١٣﴾ ٥٧ الحديد

وذلك الأجر المضموم إليه الأضعاف كريم فى نفسه حقيق بأن يتنافس فيه المتنافسون وإن لم يضاعف فكيف وقد ضوعف أضعافا كثيرة وقرىء بالرفع عطفاً على يقرض أو حملا على تقدير مبتدأ أى فهو يضاعفه وقرىء يضعفه بالرفع والنصب (يوم ترى المؤمنين والمؤمنات) ظرف لقوله تعالى وله أجر كريم أو لقوله تعالى فيضاعفه أو منصوب باضمار اذكر تفخيما لذلك اليوم وقوله تعالى (يسعى نورهم) حال من مفعول ترى قيل نورهم الضياء الذى يرى (بين أيديهم وبأيمانهم) وقيل هو هداهم وبأيمانهم كتبهم أى يسعى إيمانهم وعملهم الصالح بين أيديهم وفى أيمانهم كتب أعمالهم وقيل هو القرآن وعن ابن مسعود رضى الله تعالى عنه يؤتون نورهم على قدر أعمالهم فمنهم من يؤتى نوره كالنخلة ومنهم من يؤتى كالرجل القائم وأدناهم نوراً من نوره على إبهام رجله ينطفىء تارة ويلمع أخرى قال الحسن يستضيئون به على الصراط وقال مقاتل يكون لهم دليلا إلى الجنة (بشراكم اليوم جنات) مقدر بقول هو حال أو استئناف أى يقال لهم بشراكم أى ماتبشرون به جنات أو بشراكم دخول الجنة (تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها ذلك) أى ماذكر من النور والبشرى بالجنات المخلدة (هو الفوز العظيم) الذى لاغاية وراءه وقرىء ذلك الفوز العظيم (يوم يقول المنافقون والمنافقات) بدل من يوم ترى (للذين آمنوا انظرونا) أى انتظرونا يقولون ذلك لما أن المؤمنين يسرع بهم إلى الجنة كالبرق الخاطف على ركاب تزف بهم وهؤلاء مشاة أو انظروا إلينا فإنهم إذا نظروا إليهم استقبلوهم بوجوههم فيستضيئون بالنور الذى بين أيديهم وقرىء أنظرونا من النظرة وهى الإمهال جعل اتئادهم فى المضى إلى أن يلحقوا بهم إنظاراً لهم (نقتبس من نوركم) أى نستضىء منه وأصله اتخاذ القبس (قيل) طرداً لهم وتهكما بهم من جهة المؤمنين أو من جهة الملائكة (ارجعوا وراءكم) أى إلى الموقف (فالتمسوا نوراً) فإنه من ثم يقتبس أو إلى الدنيا فالتمسوا النور بتحصيل مباديه من الإيمان والأعمال الصالحة أو ارجعوا خائبين خاسئين فالتمسوا نوراً آخر وقد علموا أن لا نور وراءهم وإنما قالوه تخييباً لهم أو أرادوا بالنور ماوراءهم من الظلمة الكثيفة تهكما بهم (فضرب بينهم) بين الفريقين (بسور) أى حائط والباء زائدة (له باب باطنه) أى باطن السور أو الباب وهو الجانب الذى يلى الجنة (فيه الرحمة وظاهره) وهو الطرف الذى يلى النار (من قبله) من جهته (العذاب) وقرىء فضرب على البناء للفاعل.

يُنَادُونَهُمْ أَلَمْ نَكُن مَّعَكُمْ قَالُوا بَلَىٰ وَلَٰكِنَّكُمْ فَتَنتُمْ أَنفُسَكُمْ وَتَرَبَّصْتُمْ وَارْتَبْتُمْ وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّىٰ جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُم بِاللَّهِ الْغَرُورُ ﴿١٤﴾ ٥٧ الحديد

فَالْيَوْمَ لَا يُؤْخَذُ مِنكُمْ فِدْيَةٌ وَلَا مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مَأْوَاكُمُ النَّارُ هِيَ مَوْلَاكُمْ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾ ٥٧ الحديد

أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ ﴿١٦﴾ ٥٧ الحديد

---

١٤ (ينادونهم) استئناف مبنى على السؤال كأنه قيل فماذا يفعلون بعد ضرب السور ومشاهدة العذاب فقيل ينادونهم (ألم نكن) فى الدنيا (معكم) يريدون به موافقتهم لهم فى الظاهر (قالوا بلى) كنتم معنا بحسب الظاهر (ولكنكم فتنتم أنفسكم) محنتموها بالنفاق وأهلكتموها (وتربصتم) بالمؤمنين الدوائر (وارتبتم) فى أمر الدين (وغرتكم الأمانى) الفارغة التى من جملتها الطمع فى انتكاس أمر الإسلام (حتى جاء أمر الله) أى الموت (وغركم بالله) الكريم (الغرور) أى غركم الشيطان بأن الله عفو كريم لا يعذبكم وقرىء الغرور بالضم (فاليوم لا يؤخذ منكم فدية) فداء وقرىء تؤخذ بالتاء (ولا من الذين كفروا) أى ظاهراً وباطناً (مأواكم النار) لا تبرحونها أبداً (هى مولاكم) أى أولى بكم وحقيقته مكانكم الذى يقال فيه هو أولى بكم كما يقال هو مئنة الكرم أى مكان لقول القائل إنه لكريم أو مكانكم عن قريب من الولى وهو القرب أو ناصركم على طريقة قوله [تحية بينهم ضرب وجيع] أو متوليكم تتولاكم كما توليتم موجباتها (وبئس المصير) أى النار (ألم يأن الذين آمنوا أن تخشع قلوبهم لذكر الله) ١٦ استئناف ناع عليهم تثاقلهم فى أمور الدين ورخاوة عقدهم فيها واستبطاء لانتدابهم لما ندبوا إليه بالترغيب والترهيب وروى أن المؤمنين كانوا مجدبين بمكة فلما هاجروا أصابوا الرزق والنعمة وفتروا عما كانوا عليه فنزلت وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما كان بين إسلامنا وبين أن عوتبنا بهذه الآية إلا أربع سنين وعن ابن عباس رضى الله عنهما إن الله استبطأ قلوب المؤمنين فعاتبهم على رأس ثلاث عشرة سنة من نزول القرآن أى ألم يجىء وقت أن تخشع قلوبهم لذكره تعالى وتطمئن به ويسارعوا إلى طاعته بالامتثال بأوامره والانتهاء عما نهوا عنه من غير توان ولا فتور من أنى الأمر إذا جاء إناه أى وقته وقرىء ألم يئن من آن يئين بمعنى أنى وقرىء ألما يان وفيه دلالة على أن المنفى (وما نزل من الحق) أى القرآن وهو عطف على ذكر الله فإن كان هو المراد به أيضاً فالعطف لتغاير العنوانين فإنه ذكر وموعظة كما أنه حق نازل من السماء وإلا فالعطف كما فى قوله تعالى إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم إيماناً ومعنى الخشوع له الانقياد التام لأوامره ونواهيه والعكوف على العمل بما فيه من الأحكام التى من جملتها ما سبق وما لحق من الإنفاق فى

اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٧﴾ ٥٧ الحديد

إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ٥٧ الحديد

وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَٰئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ وَالشُّهَدَاءُ عِنْدَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ «١٩» ٥٧ الحديد

سبيل الله تعالى وقرىء نزل من التنزيل مبنياً للمفعول ومبنياً للفاعل وأنزل (ولا تكونوا كالذين أوتوا * الكتاب من قبل) عطف على تخشع وقرىء بالتاء على الالتفات للاعتناء بالتحذير وقيل هو نهى عن مماثلة أهل الكتاب فى قسوة القلوب بعد أن وبخوا وذلك أن بنى إسرائيل كان الحق يحول بينهم وبين شهواتهم وإذا سمعوا التوراة والإنجيل خشعوا لله ورقت قلوبهم (فطال عليهم الأمد) أى الأجل * وقرىء الأمد بتشديد الدال أى الوقت الأطول وغلبهم الجفاء وزالت عنهم الروعة التى كانت تأتيهم من الكتابين (فقست قلوبهم) فهى كالحجارة أو أشد قسوة (وكثير منهم فاسقون) أى خارجون عن * حدود دينهم رافضون لما فى كتابهم بالكلية (اعلموا أن الله يحي الأرض بعد موتها) تمثيل لإحياء ١٧ القلوب القاسية بالذكر والتلاوة بإحياء الأرض الميتة بالغيث للترغيب فى الخشوع والتحذير عن القساوة (قد بينا لكم الآيات) التى من جملتها هذه الآيات (لعلكم تعقلون) كى تعقلوا ما فيها وتعملوا بموجبها * فتفوزوا بسعادة الدارين (إن المصدقين والمصدقات) أى المتصدقين والمتصدقات وقد قرىء كذلك ١٨ وقرىء بتخفيف الصاد من التصديق أى الذين صدقوا الله ورسوله (وأقرضوا الله قرضاً حسناً) قيل * هو عطف على ما فى المصدقين من معنى الفعل فإنه فى حكم الذين اصدقوا أو صدقوا على القراءتين وعقب بأن فيه فصلا بين أجزاء الصلة بأجنبي وهو المصدقات وأجيب بأن المعنى أن الناس الذين تصدقوا وتصدقن وأقرضوا فهو عطف على الصلة من حيث المعنى من غير فصل وقيل إن المصدقات ليس بعطف على المصدقين بل هو منصوب على الاختصاص كأنه قيل إن المصدقين على العموم تغليباً وأخص المصدقات من بينهم كما تقول إن الذين آمنوا ولا سيما العلماء منهم وعملوا الصالحات لهم كذا لكن لا على أن مدار التخصيص مزيد استحقاقهن لمضاعفة الأجر كما فى المثال المذكور بل زيادة احتياجهن إلى التصدق الداعية إلى الاعتناء بحثهن على التصدق لما روى أنه عليه الصلاة والسلام قال يامعشر النساء تصدقن فإنى أريتكن أكثر أهل النار وقيل هو صلة لموصول محذوف معطوف على المصدقين كأنه قيل والذين أقرضوا والقرض الحسن عبارة عن التصدق من الطيب عن طيبة النفس وخلوص النية على المستحق للصدقة (يضاعف لهم) على البناء للمفعول مسنداً إلى ما بعده من الجار والمجرور وقيل إلى مصدر ما فى * حيز الصلة على حذف مضاف أى ثواب التصدق وقرىء على البناء للفاعل أى يضاعف الله تعالى وقرىء يضعف بتشديد العين وفتحها (ولهم أجر كريم) مر ما فيه من الكلام (والذين آمنوا بالله ورسوله) ١٩

ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ وَزِينَةٌ وَتَفَاخُرٌۢ بَيْنَكُمْ وَتَكَاثُرٌ فِى ٱلْأَمْوَٰلِ وَٱلْأَوْلَٰدِ ۖ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَعْجَبَ ٱلْكُفَّارَ نَبَاتُهُۥ ثُمَّ يَهِيجُ فَتَرَىٰهُ مُصْفَرًّا ثُمَّ يَكُونُ حُطَٰمًا ۖ وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَغْفِرَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنٌ ۚ وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَآ إِلَّا مَتَٰعُ ٱلْغُرُورِ ﴿٢٠﴾ ٥٧ الحديد

كافة وقد مر بيان كيفية الإيمان بهم فى خاتمة سورة البقرة (أولئك) إشارة إلى الموصول الذى هو مبتدأ وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه قد مر سره مراراً وهو مبتدأ ثان وقوله تعالى (هم) مبتدأ ثالث خبره (الصديقون والشهداء) وهو مع خبره خبر للثانى وهو مع خبره خبر للأول أو هم ضمير الفصل وما بعده خبر لأولئك والجملة خبر للموصول أى أولئك (عند ربهم) بمنزلة الصديقين والشهداء المشهورين بعلو الرتبة ورفعة المحل وهم الذين سبقوا إلى التصديق واستشهدوا فى سبيل الله تعالى أو هم المبالغون فى الصدق حيث آمنوا وصدقوا جميع أخباره تعالى ورسله والقائمون بالشهادة لله تعالى بالوحدانيـة ولهم بالإيمان أو على الأمم يوم القيامة وقوله تعالى (لهم أجرهم ونورهم) بيان لثمرات ماوصفوا به من نعوت الكمال على أنه جملة من مبتدأ وخبر محلها الرفع على أنه خبر ثان للموصول أو الخبر هو الجار وما بعده مرتفع به على الفاعلية والضمير الأول على الوجه الأول للموصول والأخيران للصديقين والشهداء أى مثل أجرهم ونورهم المعروفين بغاية الكمال وعزة المنال وقد حذف أداة التشبيه تنبيهاً على قوة المماثلة و بلوغها حد الاتحاد كما فعل ذلك حيث قيل هم الصديقون والشهداء و ليست المماثلة بين ما للفريق الأول من الأجر والنور و بين تمام ما الأول من الأصل والأضعاف و بين ما للأخيرين من الأصل بدون الأضعاف وأما على الوجه الثانى فمرجع الكل واحد والمعنى لهم الأجر والنور الموعودان لهم أجرهم الخ (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك) الموصوفون بتلك الصفة القبيحة (أصحاب الجحيم) بحيث لايفارقونها أبداً (اعلموا أنما الحياة الدنيا لعب ولهو وزينة وتفاخر بينكم وتكاثر فى الأموال والأولاد) بعدما بين حال الفريقين فى الآخرة شرح حال الحياة الدنيا التى اطمأن بها الفريق الثانى وأشير إلى أنها من محقرات الأمور التى لايركن إليها العقلاء فضلا عن الاطمئنان بها وأنها مع ذلك سريعة الزوال وشيكة الاضمحلال حيث قيل (كمثل غيث أعجب الكفار) أى الحراث (نباته) أى النبات الحاصل به (ثم يهيج) أى يجف بعد خضرته ونضارته (فتراه مصفراً) بعد مارأيته ناضراً مونقاً وقرىء مصفاراً وإنما لم يقل فيصفر إيذاناً بأن اصفراره مقارن لجفافه وإنما المترتب عليه رؤيته كذلك (ثم يكون حطاماً) هشيما متكسراً ومحل الكاف قيل النصب على الحالية من الضمير فى لعب لأنه فى معنى الوصف وقيل الرفع على أنه خبر بعد خبر للحياة الدنيا بتقدير المضاف أى مثل الحياة الدنيا كمثل الخ وبعد مابين حقارة أمر الدنيا تزهيداً فيها وتنفيراً عن العكوف عليها أشير إلى فخامة شأن الآخرة وعظم مافيها من اللذات والآلام ترغيباً فى تحصيل نعيمها المقيم وتحذيراً

سَابِقُوٓاْ إِلَىٰ مَغْفِرَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا كَعَرْضِ ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ أُعِدَّتْ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ بِٱللَّهِ وَرُسُلِهِۦ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢١﴾ ٥٧ الحديد

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مِّن قَبْلِ أَن نَّبْرَأَهَآ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٢٢﴾ ٥٧ الحديد

لِّكَيْلَا تَأْسَوْاْ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُواْ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴿٢٣﴾ ٥٧ الحديد

من عذابها الأليم وقد ذكر العذاب فقيل (وفى الآخرة عذاب شديد) لأنه من نتائج الانهماك فيما فصل * من أحوال الحياة الدنيا (ومغفرة) عظيمة (من الله ورضوان) عظيم لايقادر قدره (وما الحياة الدنيا * إلامتاع الغرور) أى لمن اطمأن بها ولم يجعلها ذريعة إلى الآخرة عن سعيد بن جبير الدنيا متاع الغرور إن ألهتك عن طلب الآخرة فأما إذا دعتك إلى طلب رضوان الله تعالى فنعم المتاع ونعم الوسيلة (سابقوا) ٢١ أى سارعوا مسارعة المسابقين لأقرانهم فى المضمار (إلى مغفرة) عظيمة كائنة (من ربكم) أى إلى موجباتها * من الأعمال الصالحة (وجنة عرضها كعرض السماء والأرض) أى كعرضهما جميعاً وإذا كان عرضها * كذلك فما ظنك بطولها وقيل المراد بالعرض البسطة وتقديم المغفرة على الجنة لتقدم التخلية على التحلية (أعدت للذين آمنوا بالله ورسوله) فيه دليل على أن الجنة مخلوقة بالفعل وأن الإيمان وحده كاف * فى استحقاقها (ذلك) الذى وعد من المغفرة والجنة (فضل الله) عطاؤه (يؤتيه) تفضلا وإحساناً * (من يشاء) إيتاءه إياه من غير إيجاب (والله ذو فضل العظيم) ولذلك يؤتى من يشاء مثل ذلك الفضل * الذى لاغاية وراءه (ما أصاب من مصيبة فى الأرض) كجدب وعاهة فى الزروع والثمار (ولا فى أنفسكم) ٢٢ كمرض وآفة (إلا فى كتاب) أى إلا مكتوبة مثبتة فى علم الله تعالى أو فى اللوح (من قبل أن نبرأها) * أى نخلق الأنفس أو المصائب أو الأرض (إن ذلك) أى إثباتها فى كتاب (على الله يسير) لاستغنائه * فيه عن العدة والمدة (لكيلا تأسوا) أى أخبرناكم بذلك لئلا تحزنوا (على ما فاتكم) من نعم الدنيا ٢٣ (ولا تفرحوا بما آتاكم) أى أعطاكم الله تعالى منها فإن من علم أن الكل مقدر يفوت ماقدر فواته ويأتى * ماقدر إتيانه لامحالة لايعظم جزعه على مافات ولا فرحه بما هو آت وقرىء بما آتاكم من الإتيان وفى القراءة الأولى إشعار بأن فوات النعم يلحقها إذا خليت وطباعها وأما حصولها وبقاؤها فلابد لها من سبب يوجدها ويبقيها وقرىء بما أوتيتم والمراد به نفى الأسى المانع عن التسليم لأمر الله تعالى والفرح الموجب للبطر والاختيال ولذلك عقب بقوله تعالى (والله لايحب كل مختال فخور) فإن من فرح * بالحظوظ الدنيوية وعظمت فى نفسه اختال وافتخر بها لامحالة وفى تخصيص التذييل بالنهى عن الفرح المذكور إيذان بأنه أقبح من الأسى .

ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٢٤﴾ ٥٧ الحديد

لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْمِيزَانَ لِيَقُومَ ٱلنَّاسُ بِٱلْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا ٱلْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَٰفِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥ وَرُسُلَهُۥ بِٱلْغَيْبِ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴿٢٥﴾ ٥٧ الحديد

وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا وَإِبْرَٰهِيمَ وَجَعَلْنَا فِى ذُرِّيَّتِهِمَا ٱلنُّبُوَّةَ وَٱلْكِتَٰبَ فَمِنْهُم مُّهْتَدٍ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٦﴾ ٥٧ الحديد

---

٢٤ (الذين يبخلون ويأمرون الناس بالبخل) بدل من كل مختال فإن المختال بالمال يضن به غالباً ويأمر غيره به أو مبتدأ خبره محذوف يدل عليه قوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فإن معناه ومن يعرض عن الإنفاق فإن الله غنى عنه وعن إنفاقه محمود فى ذاته لايضره الإعراض عن شكره بالتقرب إليه بشىء من نعمه وفيه تهديد وإشعار بأن الأمر بالإنفاق لمصلحة المنفق وقرىء فإن الله الغنى (ولقد أرسلنا رسلنا) أى الملائكة إلى الأنبياء أو الأنبياء إلى الأمم وهو الأظهر (بالبينات) أى الحجج والمعجزات (وأنزلنا معهم الكتاب) أى جنس الكتاب الشامل للكل (والميزان ليقوم الناس بالقسط) أى بالعدل روى أن جبريل عليه السلام نزل الميزان فدفعه إلى نوح عليه السلام وقال مر قومك يزنوا به وقيل أريد به العدل ليقام به السياسة ويدفع به العدوان (وأنزلنا الحديد) قيل نزل آدم عليه السلام من الجنة ومعه خمسة أشياء من حديد السندان والكلبتان والميقعة والمطرقة والإبرة وروى ومعه المر والمسحات وعن الحسن وأنزلنا الحديد خلقناه كقوله تعالى وأنزل لكم من الأنعام وذلك أن أوامره تعالى وقضاياه وأحكامه تنزل من السماء وقوله تعالى (فيه بأس شديد) لأن آلات الحرب إنما تتخذ منه (ومنافع للناس) إذ ما من صنعة إلا والحديد أو مايعمل بالحديد آلتها والجملة حال من الحديد وقوله تعالى (وليعلم الله من ينصره ورسله) عطف على محذوف يدل عليه ماقبله فإنه حال متضمنة للتعليل كأنه قيل ليستعملوه وليعلم الله علماً يتعلق به الجزاء من ينصره ورسوله باستعمال السيوف والرماح وسائر الأسلحة فى مجاهدة أعدائه أو متعلق بمحذوف مؤخر والواو اعتراضية أى وليعلم الله من ينصره ورسله أنزله وقيل عطف على قوله تعالى ليقوم الناس بالقسط وقوله تعالى (بالغيب) حال من فاعل ينصر أو مفعوله أى غائباً عنهم أو غائبين عنه وقوله تعالى (إن الله قوى عزيز) اعتراض تذييلى جىء به تحقيقاً للحق وتنبيهاً على أن تكليفهم الجهاد وتعريضهم للقتال ليس لحاجته فى إعلاء كلمته وإظهار دينه إلى نصرتهم بل إنما هو لينتفعوا به ويصلوا بامتثال الأمر فيه إلى الثواب وإلا فهو

٢٦ غنى بقدرته وعزته عنهم فى كل مايريده (ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم) نوع تفصيل لما أجمل فى قوله

ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ٱبْنِ مَرْيَمَ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ رِضْوَٰنِ ٱللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَـَٔاتَيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٢٧﴾ ٥٧ الحديد

تعالى لقد أرسلنا رسلنا الخ وتكرير القسم لإظهار مزيد الاعتناء بالأمر أى وبالله لقد أرسلناهما (وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب) بأن استنبأناهم وأوحينا إليهم الكتب وقيل المراد بالكتاب الخط بالقلم * (فمنهم) أى من الذرية أو من المرسل إليهم المدلول عليهم بذكر الإرسال والمرسلين (مهتد) إلى الحق * (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن الطريق المستقيم والعدول عن سنن المقابلة للمبالغة فى الذم والإيذان بغلبة الضلال وكثرتهم (ثم قفينا على آثارهم برسلنا) أى ثم أرسلنا بعدهم رسلنا (وقفينا بعيسى ابن ٢٧ مريم) أى أرسلنا رسولا بعد رسول حتى انتهى إلى عيسى ابن مريم عليه السلام والضمير لنوح وإبراهيم ومن أرسلا إليهم أو من عاصرهما من الرسل لا للذرية فإن الرسل المقفى بهم من الذرية (وآتيناه الإنجيل) * وقرىء بفتح الهمزة فإنه أعجمى لا يلزم فيه مراعاة أبنية العرب (وجعلنا فى قلوب الذين اتبعوه رأفة) * وقرىء رآفة على فعالة (ورحمة) أى وفقناهم للتراحم والتعاطف بينهم ونحوه فى شأن أصحاب النبى عليه * الصلاة والسلام رحماء بينهم (ورهبانية) منصوب إما بفعل مضمر يفسره الظاهر أى وابتدعوا رهبانية * (ابتدعوها) وإما بالعطف على ماقبلها وابتدعوها صفة لها أى وجعلنا فى قلوبهم رأفة ورحمة ورهبانية * مبتدعة من عندهم أى وفقناهم للتراحم بينهم ولابتداع الرهبانية واستحداثها وهى المبالغة فى العبادة بالرياضة والانقطاع عن الناس ومعناها الفعلة المنسوبة إلى الرهبان وهو الخائف فعلان من رهب كخشيان من خشى وقرىء بضم الراء كأنها نسبة إلى الرهبان وهو جمع راهب كراكب وركبان وسبب ابتداعهم إياها أن الجبابرة ظهروا على المؤمنين بعد رفع عيسى عليه السلام فقاتلوهم ثلاث مرات فقاتلوا حتى لم يبق منهم إلا قليل فخافوا أن يفتتنوا فى دينهم فاختاروا الرهبانية فى قلل الجبال فارين بدينهم مخلصين أنفسهم للعبادة وقوله تعالى (ماكتبناها عليهم) جملة مستأنفة وقيل صفة أخرى لرهبانية والنفى * على الوجه الأول متوجه إلى أصل الفعل وقوله تعالى (إلا ابتغاء رضوان الله) استثناء منقطع أى * مافرضناها نحن عليهم رأساً ولكنهم ابتدعوها ابتغاء رضوان الله فذمهم حينئذ بقوله تعالى (فما رعوها * حق رعايتها) من حيث إن النذر عهد مع الله لا يحل نكثه لاسيما إذا قصد به رضاه تعالى وعلى الوجه الثانى متوجه إلى قيده لا إلى نفسه والاستثناء متصل من أعم العلل أى ماكتبناها عليهم بأن وفقناهم لابتداعها لشىء من الأشياء إلا ليبتغوا بها رضوان الله ويستحقوا بها الثواب ومن ضرورة ذلك أن يحافظوا عليها ويراعوها حق رعايتها فما رعاها كلهم بل بعضهم (فآتينا الذين آمنوا منهم) إيماناً صحيحاً * وهو الإيمان برسول الله صلى الله عليه وسلم بعد رعاية رهبانيتهم لا بمجرد رعايتها فإنها بعد البعثة لغو محض

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَءَامِنُواْ بِرَسُولِهِۦ يُؤْتِكُمْ كِفْلَيْنِ مِن رَّحْمَتِهِۦ وَيَجْعَل لَّكُمْ نُورًا تَمْشُونَ بِهِۦ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٨﴾ ٥٧ الحديد

لِّئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَلَّا يَقْدِرُونَ عَلَىٰ شَىْءٍ مِّن فَضْلِ ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱلْفَضْلَ بِيَدِ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٢٩﴾ ٥٧ الحديد

وكفر بحت وأنى لها استتباع الأجر (أجرهم) أى مايخص بهم من الأجر (وكثير منهم فاسقون) خارجون عن حد الاتباع وحمل الفريقين على من مضى من المراعين لحقوق الرهبانية قبل النسخ والمخلين إذ ذاك بالتثليث والقول بالاتحاد وقصد السمعة من غير تعرض لإيمانهم برسول الله صلى الله عليه

٢٨ وسلم وكفرهم به مما لايساعده المقام (يأيها الذين آمنوا) أى بالرسل المتقدمة (اتقوا الله) فيما نهاكم عنه (وآمنوا برسوله) أى بمحمد عليه الصلاة والسلام وفى إطلاقه إيذان بأنه علم فرد فى الرسالة لايذهب الوهم إلى غيره (يؤتكم كفلين) نصيبين (من رحمته) لإيمانكم بالرسول وبمن قبله من الرسل عليهم الصلاة والسلام لكن لاعلى معنى أن شريعتهم باقية بعد البعثة بل على أنها كانت حقة قبل النسخ (ويجعل لكم نوراً تمشون به) يوم القيامة حسبما نطق به قوله تعالى يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم (ويغفر لكم) ما أسلفتم من الكفر والمعاصى (والله غفور رحيم) أى مبالغ فى المغفرة والرحمة وقوله تعالى

٢٩ (لئلا يعلم أهل الكتاب) متعلق بمضمون الجملة الطلبية المتضمنة لمعنى الشرط إذ التقدير أن تتقوا الله وتؤمنوا برسوله يؤتكم كذا وكذا لئلا يعلم الذين لم يسلموا من أهل الكتاب أى ليعلموا ولامزيدة كما ينبىء عنه قراءة ليعلم ولكى يعلم ولأن يعلم بإدغام النون فى الياء وأن فى قوله تعالى (أن لايقدرون على شىء من فضل الله) مخففة من الثقيلة واسمها الذى هو ضمير الشأن محذوف والجملة فى حيز النصب على أنها مفعول يعلم أى ليعلموا أنه لاينالون شيئاً مما ذكر من فضله من الكفلين والنور والمغفرة ولا يتمكنون من نيله حيث لم يأتوا بشرطه الذى هو الإيمان برسوله وقوله تعالى (وأن الفضل بيد الله) عطف على أن لايقدرون وقوله تعالى (يؤتيه من يشاء) خبر ثان لأن وقيل هو الخبر والجار حال لازمة وقوله تعالى (والله ذو الفضل العظيم) اعتراض تذييلى لمضمون ماقبله وقد جوز أن يكون الأمر بالتقوى والإيمان لغير أهل الكتاب فالمعنى اتقوا الله واثبتوا على إيمانكم برسول الله صلى الله عليه وسلم يؤتكم ماوعد من آمن من أهل الكتاب من الكفلين فى قوله تعالى أولئك يؤتون أجرهم مرتين ولا ينقصكم من مثل أجرهم لأنكم مثلهم فى الإيمانين لاتفرقون بين أحد من رسله وروى أن مؤمنى أهل الكتاب افتخروا على سائر المؤمنين بأنهم يؤتون أجرهم مرتين وادعوا الفضل عليهم فنزلت وقرىء ليلا بقلب الهمزة ياء لانفتاحها بعد كسرة وقرىء بسكون الياء وفتح اللام كاسم المرأة وبكسر اللام مع سكون الياء وقرىء أن لايقدروا هذا وقد قيل لاغير مزيدة وضمير لايقدرون للنبى عليه

٥٨ — سورة المجادلة
(مدنية وهى إثنتان وعشرون آية)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

قَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّتِي تُجَٰدِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِيٓ إِلَى ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَآ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٌ ﴿١﴾ ٥٨ المجادلة

الصلاة والسلام وأصحابه والمعنى لئلا يعتقد أهل الكتاب أنه لا يقدر النبي عليه الصلاة والسلام والمؤمنون به على شيء من فضل الله الذى هو عبارة عما أوتوه من سعادة الدارين على أن عدم علمهم بعدم قدرتهم على ذلك كناية عن علمهم بقدرتهم عليه فيكون قوله تعالى وأن الفضل بيد الله الخ عطفاً على أن لا يعلم. عن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الحديد كتب من الذين آمنوا بالله ورسله.

﴿ سورة المجادلة مدنية وقيل العشر الأول مكي والباقى مدنى وآياتها إثنتان وعشرون آية ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (قد سمع الله) بإظهار الدال وقرىء بإدغامها فى السين (قول التى تجادلك فى زوجها) أى تراجعك الكلام فى شأنه وفيما صدر عنه فى حقها من الظهار وقرىء تحاورك وتحاولك أى تسائلك (وتشتكى إلى الله) عطف على تجادلك أى تتضرع إليه تعالى وقيل حال من فاعله أى تجادلك وهى متضرعة إليه تعالى وهى خولة بنت ثعلبة بن مالك بن خرامة الخزرجية ظاهر عنها زوجها أوس بن الصامت أخو عبادة ثم ندم على ما قال فقال لها ما أظنك إلا قد حرمت علىّ فشق عليها ذلك فاستفتت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال حرمت عليه فقالت يارسول الله ماذكر طلاقا فقال حرمت عليه وفى رواية ما أراك إلا قد حرمت عليه فى المرار كلها فقالت أشكو إلى الله فاقتى ووجدى وجعلت تراجع رسول الله صلى الله عليه وسلم وكلما قال عليه الصلاة والسلام حرمت عليه هتفت وشكت إلى الله تعالى فنزلت وفى كلمة قد إشعار بأن الرسول عليه الصلاة والسلام والمجادلة كانا يتوقعان أن ينزل الله تعالى حكم الحادثة ويفرج عنها كربها كما يلوح به ماروى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها عند استفتائها ماعندى فى أمرك شيء وأنها كانت ترفع رأسها إلى السماء وتقول أشكو إليك فأنزل على لسان نبيك ومعنى سمعه تعالى لقولها إجابة دعائها لا مجرد علمه تعالى بذلك كما هو المعنى بقوله تعالى (والله يسمع تحاوركما) أى يعلم تراجعكما الكلام وصيغة المضارع للدلالة على استمرار السمع حسب استمرار التحاور وتجدده وفى نظمها فى سلك الخطاب تغليباً تشريف لها من جهتين والجملة استئناف مجرى التعليل لما قبله فإن إلحافها فى المسألة ومبالغتها فى التضرع إلى الله تعالى ومدافعته عليه الصلاة والسلام إياها بجواب منبىء عن التوقف وترقب الوحى وعلمه تعالى بحالها من دواعى الإجابة وقيل

ٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِنكُم مِّن نِّسَآئِهِم مَّا هُنَّ أُمَّهَٰتِهِمْ إِنْ أُمَّهَٰتُهُمْ إِلَّا ٱلَّٰٓـِٔى وَلَدْنَهُمْ وَإِنَّهُمْ لَيَقُولُونَ مُنكَرًا مِّنَ ٱلْقَوْلِ وَزُورًا وَإِنَّ ٱللَّهَ لَعَفُوٌّ غَفُورٌ ﴿٢﴾ ٥٨ المجادلة

وَٱلَّذِينَ يُظَٰهِرُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا قَالُوا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مِّن قَبْلِ أَن يَتَمَآسَّا ذَٰلِكُمْ تُوعَظُونَ بِهِۦ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٣﴾ ٥٨ المجادلة

---

* هى حال وهو بعيد وقوله عز وجل (إن الله سميع بصير) تعليل لما قبله بطريق التحقيق أى مبالغ فى العلم بالمسموعات والمبصرات ومن قضيته أن يسمع تحاورهما ويرى مايقارنه من الهيئات التى من جملتها رفع رأسها إلى السماء وسائر آثار التضرع وإظهار الاسم الجليل فى الموقعين لتربية المهابة وتعليل

٢ الحكم بوصف الألوهية وتأكيد استقلال الجملتين وقوله تعالى (والذين يظاهرون منكم من نسائهم) شروع فى بيان شأن الظهار فى نفسه وحكمه المترتب عليه شرعا بطريق الاستئناف والظهار أن يقول الرجل لامرأته أنت على كظهر أمى مشتق من الظهر وقد مر تفصيله فى الأحزاب وألحق به الفقهاء تشبيهها بجزء محرم وفى منكم مزيد توبيخ للعرب وتهجين لعادتهم فيه فإن كان من أيمان أهل جاهليتهم

* خاصة دون سائر الأمم وقرىء يظاهرون ويظهرون وقوله تعالى (ماهن أمهاتهم) خبر للموصول أى

* مانساؤهم أمهاتهم على الحقيقة فهو كذب بحت وقرىء أمهاتهم بالرفع على لغة تميم وبأمهاتهم (إن أمهاتهم)

* أى ماهن (إلا اللائى ولدنهم) فلا تشبه بهن فى الحرمة إلا من ألحقها الشرع بهن من المرضعات وأزواج

* النبى عليه الصلاة والسلام فدخلن بذلك فى حكم الأمهات وأما الزوجات فأبعد شىء من الأمومة (وإنهم

* ليقولون) بقولهم ذلك (منكراً من القول) على أن مناط التأكيد ليس صدور القول عنهم فإنه أمر محقق بل كونه منكراً أى عند الشرع وعند العقل والطبع أيضاً كما يشعر به تنكيره ونظيره قوله

* تعالى إنكم لتقولون قولا عظيما (وزوراً) أى محرفا عن الحق (وإن الله لعفو غفور) أى مبالغ فى

٣ العفو والمغفرة فيغفر لما سلف منه على الإطلاق أو بالمتاب عنه وقوله تعالى (والذين يظاهرون من نسائهم ثم يعودون لما قالوا) تفصيل لحكم الظهار بعد بيان كونه أمراً منكراً بطريق التشريع الكلى المنتظم لحكم الحادثة انتظاماً أولياً أى والذين يقولون ذلك القول المنكر ثم يعودون لما قالوا أى إلى ماقالوا بالتدارك والتلافى لا بالتقرير والتكرير كما فى قوله تعالى أن تعودوا لمثله أبداً فإن اللام وإلى تتعاقبان كثيراً كما فى قوله تعالى هدانا لهذا وقوله تعالى بأن ربك أوحى لها وقوله تعالى وأوحى

* إلى نوح (فتحرير رقبة) أى فتداركه أو فعليه أو فالواجب إعتاق رقبة أى رقبة كانت وعند الشافعى رحمه الله تعالى يشترط الإيمان والفاء للسببية ومن فوائدها الدلالة على تكرر وجوب التحرير بتكرر الظهار وقيل ماقالوا عبارة عما حرموه على أنفسهم بلفظ الظهار تنزيلا للقول منزلة المقول فيه كما ذكر فى قوله تعالى ونرثه مايقول أى المقول فيه من المال والولد فالمعنى ثم يريدون العود للاستمتاع فتحرير

فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ مِن قَبْلِ أَن يَتَمَاسَّا فَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ فَإِطْعَامُ سِتِّينَ مِسْكِينًا ذَٰلِكَ لِتُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٤﴾ ٥٨ المجادلة

إِنَّ الَّذِينَ يُحَادُّونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ كُبِتُوا كَمَا كُبِتَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَقَدْ أَنزَلْنَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ وَلِلْكَافِرِينَ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٥﴾ ٥٨ المجادلة

رقبة (من قبل أن يتماسا) أى من قبل أن يستمتع كل من المظاهر والمظاهر منها بالآخر جماعاً ولمساً ونظراً إلى الفرج بشهوة وإن وقع شيء من ذلك قبل التكفير يجب عليه أن يستغفر ولا يعود حتى يكفر وإن أعتق بعض الرقبة ثم مس عليه أن يستأنف عند أبى حنيفة رحمه الله تعالى (ذلكم) إشارة إلى الحكم المذكور وهو مبتدأ خبره (توعظون به) أى تزجرون به عن ارتكاب المنكر المذكور فإن الغرامات مزاجر عن تعاطى الجنايات والمراد بذكره بيان أن المقصود من شرع هذا الحكم ليس تعريضكم للثواب بمباشرتكم لتحرير الرقبة الذى هو علم فى استتباع الثواب العظيم بل هو ردعكم وزجركم عن مباشرة ما يوجبه (والله بما تعملون) من الأعمال التى من جملتها التكفير وما يوجبه من جناية الظهار (خبير) أى عالم بظواهرها وبواطنها ومجازيكم بها فحافظوا على حدود ما شرع لكم ولا تخلوا بشيء منها (فمن لم يجد) أى الرقبة (فصيام شهرين) أى فعليه صيام شهرين (متتابعين من قبل أن يتماسا) ليلا أو نهاراً عماداً أو خطأ (فمن لم يستطع) أى الصيام لسبب من الأسباب (فإطعام ستين مسكيناً) لكل مسكين نصف صاع من بر أو صاع من غيره ويجب تقديمه على المسيس لكن لا يستأنف إن مس فى خلال الإطعام (ذلك) إشارة إلى ما مر من البيان والتعليم للأحكام والتنبيه عليها وما فيه من معنى البعد قد مر سره مراراً ومحله إما الرفع على الابتداء أو النصب بمضمر معلل بما بعده أى ذلك واقع أو فعلنا ذلك (لتؤمنوا بالله ورسوله) وتعملوا بشرائعه التى شرعها لكم وترفضوا ما كنتم عليه فى جاهليتكم (وتلك) إشارة إلى الأحكام المذكورة وما فيه من معنى البعد لتعظيمها كما مر غير مرة (حدود الله) التى لا يجوز تعديها (وللكافرين) أى الذين لا يعملون بها (عذاب أليم) عبر عنه بذلك للتغليظ على طريقة قوله تعالى ومن كفر فإن الله غنى عن العالمين (إن الذين يحادون الله ورسوله) أى يعادونهما ويشاقونهما فإن كلا من المتعاديين كأنه يكون فى عدوة وشق غير عدوة الآخر وشقه كذلك يكون فى حد غير حد الآخر غير أن لورود المحادة فى أثناء ذكر حدود الله دون المعاداة والمشاقة من حسن الموقع ما لا غاية وراءه (كبتوا) أى أخزوا وقيل خذلوا وقيل أذلوا وقيل أهلكوا وقيل لعنوا وقيل غيظوا وهو ما وقع يوم الخندق قالوا معنى كبتوا سيكبتون على طريقة قوله تعالى أتى أمر الله وقيل أصل الكبت الكب (كما كبت الذين من قبلهم) من كفار الأمم الماضية المعادين للرسل عليهم

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ أَحْصَىٰهُ ٱللَّهُ وَنَسُوهُ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٦﴾ ٥٨ المجادلة

أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿٧﴾ ٥٨ المجادلة

الصلاة والسلام (وقد أنزلنا آيات بينات) حال من واو كبتوا اى كبتوا لمحادتهم والحال أنا قد أنزلنا آيات واضحات فيمن حاد الله ورسوله ممن قبلهم من الأمم وفيما فعلنا بهم وقيل آيات تدل على صدق وصحة ماجاء به (وللكافرين) أى بتلك الآيات أو بكل مايجب الإيمان به فيدخل فيه تلك الآيات دخولا أوليا (عذاب مهين) يذهب بعزهم وكبرهم (يوم يبعثهم الله) منصوب بما تعلق به اللام من ٦ الاستقرار أو بمهين أو بإضمار اذكر تعظيما لليوم وتهويلا له (جميعاً) أى كلهم بحيث لايبقى منهم أحد غير مبعوث أو مجتمعين فى حالة واحدة (فينبئهم بما عملوا) من القبائح ببيان صدورها عنهم أو بتصويرها فى تلك النشأة بما يليق بها من الصور الهائلة على رؤس الأشهاد تخجيلا لهم وتشهيراً بحالهم وتشديداً لعذابهم وقوله تعالى (أحصاه الله) استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله من السؤال إما عن كيفية التنبئة أو عن سببها كأنه قيل كيف ينبئهم بأعمالهم وهى أعراض متقضية متلاشية فقيل أحصاه الله عدداً لم يفته منه شىء فقوله تعالى (ونسوه) حينئذ حال من مفعول أحصى بإضمار قد أو بدونه على الخلاف المشهور أو قيل لم ينبئهم بذلك فقيل أحصاه الله ونسوه فينبئهم به ليعرفوا أن ماعاينوه من العذاب إنما حاق بهم لأجله وفيه مزيد توبيخ وتنديم لهم غير التخجيل والتشهير (والله على كل شىء شهيد) لايغيب عنه أمر من الأمور قط والجملة اعتراض تذييلى مقرر لإحصائه تعالى وقوله تعالى (ألم تر أن ٧ الله يعلم مافى السموات وما فى الأرض) استشهاد على شمول شهادته تعالى كما فى قوله تعالى ألم تر إلى الذى حاج إبراهيم فى ربه وفى قوله تعالى ألم تر أنهم فى كل واد يهيمون أى ألم تعلم علماً يقينياً متاخماً للمشاهدة بأنه تعالى يعلم مافيهما من الموجودات سواء كان ذلك بالاستقرار فيهما أو بالجزئية منهما وقوله تعالى (مايكون من نجوى ثلاثة) الخ استئناف مقرر لما قبله من سعة علمه تعالى ومبين لكيفيته ويكون من كان التامة وقرىء تكون بالتاء اعتباراً لتأنيث النجوى وإن كان غير حقيقى أى مايقع من تناجى ثلاثة نفر أى من مسارتهم على أن نجوى مضافة إلى ثلاثة أو على أنها موصوفة بها إما بتقدير مضاف أى من أهل نجوى ثلاثة أو بجعلهم نجوى فى أنفسهم (إلا هو) أى الله عزوجل (رابعهم) أى جاعلهم أربعة من حيث إنه تعالى يشاركهم فى الاطلاع عليها وهو استثناء مفرغ من أعم الأحوال (ولا خمسة) ولا نجوى خمسة (إلا هو سادسهم) وتخصيص العددين بالذكر إما لخصوص الواقعة فإن الآية نزلت فى تناجى المنافقين وإما لبناء الكلام على أغلب عادات المتناجين وقد عمم الحكم بعد

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ نُهُوا۟ عَنِ ٱلنَّجْوَىٰ ثُمَّ يَعُودُونَ لِمَا نُهُوا۟ عَنْهُ وَيَتَنَٰجَوْنَ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَإِذَا جَآءُوكَ حَيَّوْكَ بِمَا لَمْ يُحَيِّكَ بِهِ ٱللَّهُ وَيَقُولُونَ فِىٓ أَنفُسِهِمْ لَوْلَا يُعَذِّبُنَا ٱللَّهُ بِمَا نَقُولُ حَسْبُهُمْ جَهَنَّمُ يَصْلَوْنَهَا فَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٨﴾ ٥٨ المجادلة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا تَنَٰجَيْتُمْ فَلَا تَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْإِثْمِ وَٱلْعُدْوَٰنِ وَمَعْصِيَتِ ٱلرَّسُولِ وَتَنَٰجَوْا۟ بِٱلْبِرِّ وَٱلتَّقْوَىٰ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ٱلَّذِىٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩﴾ ٥٨ المجادلة

إِنَّمَا ٱلنَّجْوَىٰ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ لِيَحْزُنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَيْسَ بِضَآرِّهِمْ شَيْـًٔا إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٠﴾ ٥٨ المجادلة

ذلك فقيل (ولا أدنى من ذلك) أى بما ذكر كالواحد والإثنين (ولا أكثر) كالستة وما فوقها (إلا هو معهم) يعلم مايجرى بينهم وقرىء ولا أكثر بالرفع عطفاً على محل من نجوى أو محل ولا أدنى بأن جعل لا لنفى الجنس (أينما كانوا) من الأماكن ولو كانوا تحت الأرض فإن علمه تعالى بالأشياء ليس لقرب مكانى حتى يتفاوت باختلاف الأمكنة قرباً وبعداً (ثم ينبئهم) وقرىء ينبئهم بالتخفيف (بما عملوا يوم القيامة) تفضيحاً لهم وإظهاراً لما يوجب عذابهم (إن الله بكل شىء عليم) لأن نسبة ذاته المقتضية للعلم إلى الكل سواء (ألم تر إلى الذين نهوا عن النجوى ثم يعودون لما نهوا عنه) نزلت فى اليهود والمنافقين كانوا يتناجون فيما بينهم ويتغامزون بأعيانهم إذا رأوا المؤمنين فنهاهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم عادوا لمثل فعلهم والخطاب للرسول عليه الصلاة والسلام والهمزة للتعجيب من حالهم وصيغة المضارع للدلالة على تكرر عودهم وتجدده واستحضار صورته العجيبة وقوله تعالى (ويتناجون بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) عطف عليه داخل فى حكمه أى بما هو إثم فى نفسه وعدوان للمؤمنين وتواص بمعصية الرسول عليه الصلاة والسلام بعنوان الرسالة بين الخطابين المتوجهين إليه عليه الصلاة والسلام لزيادة تشنيعهم واستعظام معصيتهم وقرىء وينتجون بالإثم والعدوان بكسر العين ومعصيات الرسول (وإذا جاؤك حيوك بمالم يحيك به الله) فيقولون السام عليك أو أنعم صباحاً والله سبحانه يقول وسلام على المرسلين (ويقولون فى أنفسهم) أى فيما بينهم (لولا يعذبنا الله بما نقول) أى هلا يعذبنا الله بذلك لوكان محمد نبياً (حسبهم جهنم) عذاباً (يصلونها) يدخلونها (فبئس المصير) أى جهنم (يأيها الذين آمنوا إذا تناجيتم) فى أنديتكم وفى خلواتكم (فلا تتناجوا بالإثم والعدوان ومعصية الرسول) كما يفعله المنافقون وقرىء فلا تنتجوا وفلا تناجوا بحذف إحدى التاءين (وتناجوا بالبر والتقوى) أى بما يتضمن خير المؤمنين والاتقاء عن معصية الرسول عليه الصلاة والسلام (واتقوا الله الذى إليه تحشرون) وحده لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا فيجازيكم بكل ماتأتون وماتذرون (إنما النجوى)

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَكُمۡ تَفَسَّحُواْ فِي ٱلۡمَجَٰلِسِ فَٱفۡسَحُواْ يَفۡسَحِ ٱللَّهُ لَكُمۡۖ وَإِذَا قِيلَ ٱنشُزُواْ فَٱنشُزُواْ يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ خَبِيرٞ ﴿١١﴾ ٥٨ المجادلة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نَٰجَيۡتُمُ ٱلرَّسُولَ فَقَدِّمُواْ بَيۡنَ يَدَيۡ نَجۡوَىٰكُمۡ صَدَقَةٗۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لَّكُمۡ وَأَطۡهَرُۚ فَإِن لَّمۡ تَجِدُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ٥٨ المجادلة

المعهودة التي هي التناجي بالإثم والعدوان (من الشيطان) لا من غيره فإنه المزين لها والحامل عليها وقوله تعالى (ليحزن الذين آمنوا) خبر آخر أي إنما هي ليحزن المؤمنين بتوهمهم أنها في نكبة أصابتهم (وليس بضارهم) أي الشيطان أو التناجي بضار المؤمنين (شيئاً) من الأشياء أو شيئاً من الضرر (إلا بإذن الله) أي بمشيئته (وعلى الله فليتوكل المؤمنون) ولا يبالوا بنجواهم فإنه تعالى يعصمهم من شره

١١ (يأيها الذين آمنوا إذا قيل لكم تفسحوا) أي توسعوا وليفسح بعضكم عن بعض ولا تتضاموا من قولهم افسح عني أي تنح وقرىء تفاسحوا وقوله تعالى (في المجالس) متعلق بقيل وقرىء في المجلس على أن المراد به الجنس وقيل مجلس الرسول عليه الصلاة والسلام وكانوا يتضامون تنافساً في القرب منه عليه الصلاة والسلام وحرصاً على استماع كلامه وقيل هو المجلس من مجالس القتال وهي مراكز الغزاة كقوله تعالى مقاعد للقتال قيل كان الرجل يأتي الصف ويقول تفسحوا فيأبون لحرصهم على الشهادة وقرىء في المجلس بفتح اللام فهو متعلق بتفسحوا قطعاً أي توسعوا في جلوسكم ولا تتضايقوا فيه (فافسحوا يفسح الله لكم) أي في كل ما تريدون التفسح فيه من المكان والرزق والصدر والقبر وغيرها (وإذا قيل انشزوا) أي انهضوا للتوسعة على المقبلين أو لما أمرتم به من صلاة أو جهاد أو غيرهما من أعمال الخير (فانشزوا) فانهضوا ولا تتثبطوا ولا تفرطوا وقرىء بكسر الشين (يرفع الله الذين آمنوا منكم) بالنصر وحسن الذكر في الدنيا والإيواء إلى غرف الجنان في الآخرة (والذين أوتوا العلم) منهم خصوصاً (درجات) عالية بما جمعوا من أثرتي العلم والعمل فإن العلم مع علو رتبته يقتضي العمل المقرون به مزيد رفعة لا يدرك شأوه العمل العاري عنه وإن كان في غاية الصلاح ولذلك يقتدى بالعالم في أفعاله ولا يقتدى بغيره وفي الحديث فضل العالم على العابد كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب (والله بما تعملون بصير) تهديد لمن لم يمتثل بالأمر وقرىء يعملون بالياء التحتانية

١٢ (يأيها الذين آمنوا إذا ناجيتم الرسول) في بعض شؤونكم المهمة الداعية إلى مناجاته عليه الصلاة والسلام (فقدموا بين يدي نجواكم صدقة) أي فتصدقوا قبلها مستعار ممن له يدان وفي هذا الأمر تعظيم الرسول صلى الله عليه وسلم وانفاع الفقراء والزجر عن الإفراط في السؤال والتمييز بين المخلص والمنافق

ءَأَشْفَقْتُمْ أَن تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَىْ نَجْوَىٰكُمْ صَدَقَـٰتٍ فَإِذْ لَمْ تَفْعَلُوا وَتَابَ ٱللَّهُ عَلَيْكُمْ فَأَقِيمُوا ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُوا ٱلزَّكَوٰةَ وَأَطِيعُوا ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٣﴾ ٥٨ المجادلة

أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ تَوَلَّوْا قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مَّا هُم مِّنكُمْ وَلَا مِنْهُمْ وَيَحْلِفُونَ عَلَى ٱلْكَذِبِ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٤﴾ ٥٨ المجادلة

ومحب الآخرة ومحب الدنيا واختلف فى أنه للندب أو للوجوب لكنه نسخ بقوله تعالى أأشفقتم وهو وإن كان متصلا به تلاوة لكنه متراخ عنه نزولا وعن على رضى الله عنه إن فى كتاب الله آية ما عمل بها أحد غيرى كان لى دينار فصرفته فكنت إذا ناجيته عليه الصلاة والسلام تصدقت بدرهم وهو على القول بالوجوب محمول على أنه لم يتفق للأغنياء مناجاة فى مدة بقائه إذ روى أنه لم يبق إلا عشراً وقيل إلا ساعة (ذلك) أى التصدق (خير لكم وأطهر) أى لأنفسكم من الريبة وحب المال وهذا يشعر * بالندب لكن قوله تعالى (فإن لم تجدوا فإن الله غفور رحيم) منبىء عن الوجوب لأنه ترخيص لمن لم * يجد فى المناجاة بلا تصدق (أأشفقتم أن تقدموا بين يدى نجواكم صدقات) أى أخفتم الفقر من تقديم ١٣ الصدقات أو أخفتم التقديم لما يعدكم الشيطان عليه من الفقر وجمع الصدقات لجمع المخاطبين (فإذ لم تفعلوا) * ما أمرتم به وشق عليكم ذلك (وتاب الله عليكم) بأن رخص لكم أن لا تفعلوه وفيه إشعار بأن إشفاقهم * ذنب تجاوز الله عنه لما رأى منهم من الانفعال ماقام مقام توبتهم وإذ على بابها من المضى وقيل بمعنى إذا كما فى قوله تعالى إذ الأغلال فى أعناقهم وقيل بمعنى إن (وأقيموا الصلاة وآتوا الزكاة) أى فإذ فرطتم * فيما أمرتم به من تقديم الصدقات فتداركوه بالمثابرة على إقامة الصلاة وإيتاء الزكاة (وأطيعوا الله ورسوله) * فى سائر الأوامر فإن القيام بها كالجابر لما وقع فى ذلك من التفريط (والله خبير بما تعملون) ظاهراً * وباطناً (ألم تر) تعجيب من حال المنافقين الذين كانوا يتخذون اليهود أولياء ويناصحونهم وينقلون ١٤ إليهم أسرار المؤمنين أى ألم تنظر (إلى الذين تولوا) أى والوا (قوماً غضب الله عليهم) وهم اليهود * كما أنبأ عنه قوله تعالى من لعنه الله وغضب عليه (ماهم منكم ولا منهم) لأنهم منافقون مذبذبون بين ذلك * والجملة مستأنفة أو حال من فاعل تولوا (ويحلفون على الكذب) أى يقولون والله إنا لمسلمون وهو * عطف على تولوا داخل فى حكم التعجيب وصيغة المضارع للدلالة على تكرر الحلف وتجدده حسب تكرر مايقتضيه وقوله تعالى (وهم يعلمون) حال من فاعل يحلفون مفيدة لكمال شناعة مافعلوا فإن * الحلف على مالم يعلم أنه كذب فى غاية القبح وفيه دلالة على أن الكذب يعم مايعلم المخبر عدم مطابقته للواقع ومالا يعلمه روى أنه عليه الصلاة والسلام كان فى حجرة من حجراته فقال يدخل عليكم الآن رجل قلبه قلب جبار وينظر بعين شيطان فدخل عبد الله بن نبتل المنافق وكان أزرق فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم علام تشتمنى أنت وأصحابك فحلف بالله ما فعل فقال عليه الصلاة والسلام فعلت

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾ ٥٨ المجادلة

ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَـٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ فَلَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿١٦﴾ ٥٨ المجادلة

لَّن تُغْنِىَ عَنْهُمْ أَمْوَٰلُهُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُهُم مِّنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿١٧﴾ ٥٨ المجادلة

يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ ٱللَّهُ جَمِيعًا فَيَحْلِفُونَ لَهُۥ كَمَا يَحْلِفُونَ لَكُمْ ۖ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ عَلَىٰ شَىْءٍ ۚ أَلَآ إِنَّهُمْ هُمُ ٱلْكَـٰذِبُونَ ﴿١٨﴾ ٥٨ المجادلة

---

١٥ فانطلق فجاء بأصحابه فحلفوا بالله ماسبوه فنزلت (أعد الله لهم) بسبب ذلك (عذاباً شديداً) نوعا من
* العذاب متفاقماً (إنهم ساء ما كانوا يعملون) فيما مضى من الزمان المتطاول فتمرنوا على سوء العمل
١٦ وضروا به وأصروا عليه (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التي يحلفون بها عند الحاجة وقرىء بكسر الهمزة
* أي إيمانهم الذي أظهروه لأهل الإسلام (جنة) وقاية وسترة دون دمائهم وأموالهم فالاتخاذ على هذه
القراءة عبارة عن التستر بما أظهروه بالفعل وأما على القراءة الأولى فهو عبارة عن إعدادهم لأيمانهم
الكاذبة وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا من المؤاخذة لاعن استعمالها بالفعل
فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية والخيانة واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذة
* وعن سببها أيضاً كما يعرب عنه الفاء في قوله تعالى (فصدوا) أي الناس (عن سبيل الله) في خلال
* أمنهم بتثبيط من لقوا عن الدخول في الإسلام وتضعيف أمر المسلمين عندهم (فلهم عذاب مهين) وعيد
١٧ ثان بوصف آخر لعذابهم وقيل الأول عذاب القبر أو عذاب الآخرة (لن تغني عنهم أموالهم ولا
* أولادهم من الله) أي من عذابه تعالى (شيئاً) من الإغناء روى أن رجلا منهم قال لننصرن يوم القيامة
* بأنفسنا وأموالنا وأولادنا (أولئك) الموصوفون بما ذكر من الصفات القبيحة (أصحاب النار) أي
١٨ ملازموها ومقارنوها (هم فيها خالدون) لايخرجون منها أبداً (يوم يبعثهم الله جميعاً) قيل هو ظرف
* لقوله تعالى لهم عذاب مهين (فيحلفون له) أي لله تعالى يومئذ على أنهم مسلمون (كما يحلفون لكم)
* في الدنيا (ويحسبون) في الآخرة (أنهم) بتلك الأيمان الفاجرة (على شيء) من جلب منفعة أو دفع
مضرة كما كانوا عليه في الدنيا حيث كانوا يدفعون بها عن أرواحهم وأموالهم ويستجرون بها فوائد
* دنيوية (ألا إنهم هم الكاذبون) المبالغون في الكذب إلى غاية لامطمح وراءها حيث تجاسروا على
الكذب بين يدي علام الغيوب وزعموا أن أيمانهم الفاجرة تروج الكذب لديه كما تروجه
عن الغافلين .

ٱسْتَحْوَذَ عَلَيْهِمُ ٱلشَّيْطَٰنُ فَأَنسَىٰهُمْ ذِكْرَ ٱللَّهِ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱلشَّيْطَٰنِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱلشَّيْطَٰنِ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿١٩﴾ ٥٨ المجادلة

إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ أُو۟لَٰٓئِكَ فِى ٱلْأَذَلِّينَ ﴿٢٠﴾ ٥٨ المجادلة

كَتَبَ ٱللَّهُ لَأَغْلِبَنَّ أَنَا۠ وَرُسُلِىٓ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٢١﴾ ٥٨ المجادلة

لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ كَتَبَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ وَيُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا رَضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ أُو۟لَٰٓئِكَ حِزْبُ ٱللَّهِ أَلَآ إِنَّ حِزْبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ٥٨ المجادلة

---

١٩ (استحوذ عليهم الشيطان) أى استولى عليهم من حذت الإبل إذا استوليت عليها وجمعتها وهو مما جاء على الأصل كاستصوب واستنوق أى ملكهم (فأنساهم ذكر الله) بحيث لم يذكروه بقلوبهم ولا بألسنتهم * (أولئك) الموصوفون بما ذكر من القبائح حزب الشيطان وجنوده وأتباعه * (ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون) أى الموصوفون بالخسران الذى لا غاية وراءه حيث فوتوا على أنفسهم النعيم المقيم وأخذوا بدله العذاب الأليم وفى تصدير الجملة بحرفى التنبيه والتحقيق وإظهار المضافين معاً فى موقع الإضمار بأحد الوجهين وتوسيط ضمير الفصل من فنون التأكيد مالا يخفى

٢٠ (إن الذين يحادون الله ورسوله) استئناف مسوق لتعليل ماقبله من خسران حزب الشيطان عبر عنهم بالموصول للتنبيه بما فى حيز الصلة على أن موادة من حاد الله ورسوله محادة لهما والإشعار بعلة الحكم * (أولئك) بما فعلوا من التولى والموادة * (فى الأذلين) أى فى جملة من هو أذل خلق الله من الأولين والآخرين لأن ذلة أحد المتخاصمين على مقدار عزة الآخر وحيث كانت عزة الله عز وجل غير متناهية كانت ذلة من يحاده كذلك

٢١ (كتب الله) استئناف وارد لتعليل كونهم فى الأذلين أى قضى وأثبت فى اللوح وحيث جرى ذلك مجرى القسم أجيب بما يجاب به فقيل * (لأغلبن أنا ورسلى) أى بالحجة والسيف وما يجرى مجراه أو بأحدهما ونظيره قوله تعالى ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين إنهم لهم المنصورون وإن جندنا لهم الغالبون وقرىء ورسلى بفتح الياء (إن الله قوى) على نصر أنبيائه (عزيز) لا يغلب عليه فى مراده

٢٢ (لا تجد قوماً يؤمنون بالله واليوم الآخر) الخطاب للنبى عليه الصلاة والسلام أو لكل أحد وتجد إما متعد إلى اثنين فقوله تعالى * (يوادون من حاد الله ورسوله) مفعوله الثانى أو إلى واحد فهو حال من مفعوله لتخصصه بالصفة وقيل صفة أخرى له أى قوماً جامعين بين الإيمان بالله واليوم الآخر وبين موادة أعداء الله ورسوله والمراد

٥٩ ـــ سورة الحشر
(مدنية وهى أربع وعشرون)

بسم الله الرحمن الرحيم

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١﴾ ٥٩ الحشر

بنفى الوجدان نفى الموادة على معنى أنه لاينبغى أن يتحقق ذلك وحقه أن يمتنع ولا يوجد بحال وإن جد فى طلبه كل أحد (ولو كانوا) أى من حاد الله ورسوله والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فيما قبله باعتبار لفظها (آباءهم) آباء الموادين (أو أبناءهم أو إخوانهم أو عشيرتهم) فإن قضية الإيمان بالله تعالى أن يهجر الجميع بالمرة والكلام فى لوقد مر على التفصيل مراراً (أولئك) إشارة إلى الذين لايوادونهم وإن كانوا أقرب الناس إليهم وأمس رحماً وما فيه من معنى البعد لرفعة درجتهم فى الفضل وهو مبتدأ خبره (كتب فى قلوبهم الإيمان) أى أثبته فيها وفيه قطعاً ولا شىء من أعمال الجوارح يثبت فيه (وأيدهم) أى قواهم (بروح منه) أى من عند الله تعالى وهو نور القلب أو القرآن أو النصر على العدو وقيل الضمير للإيمان لحياة القلوب به فمن تجريدية وقوله تعالى (ويدخلهم) الخ بيان لآثار رحمته الأخروية إثر بيان ألطافه الدنيوية أى ويدخلهم فى الآخرة (جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها) أبد الآبدين وقوله تعالى (رضى الله عنهم) استئناف جار مجرى التعليل لما أفاض عليهم من آثار رحمته العاجلة والآجلة وقوله تعالى (ورضوا عنه) بيان لابتهاجهم بما أوتوه عاجلا وآجلا وقوله تعالى (أولئك حزب الله) تشريف لهم ببيان اختصاصهم به عز وجل وقوله تعالى (ألا إن حزب الله هم المفلحون) بيان لاختصاصهم بالفوز بسعادة الدارين والفوز بسعادة النشأتين والكلام فى تحلية الجملة بفنون التأكيد كما مر فى مثلها . عن النبى عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة المجادلة كتب من حزب الله يوم القيامة .

﴿سورة الحشر مدنية وآياتها أربع وعشرون﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله مافى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) مر مافيه من الكلام فى صدر سورة الحديد وقد كرر الموصول ههنا لزيادة التقرير والتنبيه على استقلال كل من الفريقين بالتسبيح روى أنه عليه الصلاة والسلام لما قدم المدينة صالح بنى النضير وهم رهط من اليهود من ذرية هرون عليه السلام نزلوا المدينة فى فتن بنى إسرائيل انتظاراً لبعثة النبى عليه الصلاة والسلام وعاهدهم أن لايكونوا له ولا عليه فلما ظهر عليه الصلاة والسلام يوم بدر قالوا هو النبى الذى

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِۚ مَا ظَنَنتُمۡ أَن يَخۡرُجُواْۖ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمۡ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنۡ حَيۡثُ لَمۡ يَحۡتَسِبُواْۖ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعۡبَۚ يُخۡرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيۡدِيهِمۡ وَأَيۡدِى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فَٱعۡتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلۡأَبۡصَٰرِ ﴿٢﴾ ٥٩ الحشر

نعته فى التوراة لاترد له راية فلما كان يوم أحد ماكان ارتابوا ونكثوا فخرج كعب بن الأشرف فى أربعين راكباً إلى مكة فحالفوا قريشاً إلى الكعبة على قتاله عليه الصلاة والسلام فأمر عليه الصلاة والسلام محمد بن مسلمة الأنصارى فقتل كعباً غيلة وكان أخاه من الرضاعة ثم صبحهم بالكتاب فقال لهم اخرجوا من المدينة فاستمهلوه عليه الصلاة والسلام عشرة أيام ليتجهزوا للخروج فدس عبد الله بن أبى المنافق وأصحابه إليهم لاتخرجوا من الحصن فإن قاتلوكم فنحن معكم لا نخذلكم ولئن خرجتم لنخرجن معكم فدربوا على الأزقة وحصنوها فحاصرهم النبى عليه الصلاة والسلام إحدى وعشرين ليلة فلما قذف الله فى قلوبهم الرعب وأيسوا من نصر المنافقين طلبوا الصلح فأبى عليهم إلا الجلاء على أن يحمل كل ثلاثة أبيات على بعير ماشاؤوا من متاعهم فجلوا إلى الشام إلى أريحا وأذرعات إلا أهل بيتين منهم آل أبى الحقيق وآل حيى بن أخطب فإنهم لحقوا بخيبر ولحقت طائفة منهم بالحيرة فأنزل الله تعالى سبح لله مافى السموات ـ إلى قوله ـ والله على كل شىء قدير وقوله تعالى (هو الذى أخرج الذين كفروا من أهل الكتاب من ديارهم) بيان لبعض آثار عزته تعالى وأحكام حكمته إثر وصفه تعالى بالعزة القاهرة والحكمة الباهرة على الإطلاق والضمير راجع إليه تعالى بذلك العنوان إما بناء على كمال ظهور اتصافه تعالى بهما مع مساعدة تامة من المقام أو على جعله مستعاراً لاسم الإشارة كما فى قوله تعالى قل أرأيتم إن أخذ الله سمعكم وأبصاركم وختم على قلوبكم من إله غير الله يأتيكم به أى بذلك وعليه قول رؤبة بن العجاج [كأنه فى الجلد توليع البهق] كما هو المشهور كأنه قيل ذلك المنعوت بالعزة والحكمة الذى أخرج الخ ففيه إشعار بأن فى الإخراج حكمة باهرة وقوله تعالى (لأول الحشر) أى فى أول حشرهم إلى الشام وكانوا من سبط لم يصبهم جلاء قط وهم أول من أخرج من جزيرة العرب إلى الشام أو هـذا أول حشرهم وآخر حشرهم إجلاء عمر رضى الله عنه إياهم من خيبر إلى الشام وقيل آخر حشرهم حشر يوم القيامة لأن المحشر يكون بالشام (ماظننتم) أيها المسلمون (أن يخرجوا) من ديارهم بهذا الذل والهوان لشدة بأسهم وقوة منعتهم (وظنوا أنهم مانعتهم حصونهم من الله) أى ظنوا أن حصونهم تمنعهم أو مانعتهم من بأس الله تعالى وتغيير النظم بتقديم الخبر وإسناد الجملة إلى ضميرهم للدلالة على كمال وثوقهم بحصانة حصونهم واعتقادهم فى أنفسهم أنهم فى عزة ومنعة لايبالى معها بأحد يتعرض لهم أو يطمع فى معازتهم ويجوز أن يكون مانعتهم خبراً لأن وحصونهم مرتفعاً على الفاعلية (فأتاهم الله) أى أمر الله تعالى وقدره المقدور لهم (من حيث لم يحتسبوا) ولم يخطر ببالهم وهو قتل رئيسهم كعب بن الأشرف فإنه

وَلَوْلَآ أَن كَتَبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمُ ٱلْجَلَآءَ لَعَذَّبَهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَلَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ عَذَابُ ٱلنَّارِ ﴿٣﴾ ٥٩ الحشر

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۖ وَمَن يُشَآقِّ ٱللَّهَ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٤﴾ ٥٩ الحشر

مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِىَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ٥٩ الحشر

مما أضعف قوتهم وفل شوكتهم وسلب قلوبهم الأمن والطمأنينة وقيل الضمير فى أتاهم ولم يحتسبوا للمؤمنين أى فأتاهم نصر الله وقرىء فآتاهم أى فآتاهم الله العذاب أو النصر (وقذف فى قلوبهم الرعب) أى أثبت فيها الخوف الذى يرعبها أى يملؤها (يخربون بيوتهم بأيديهم) ليسدوا بما نقضوا منها من الخشب والحجارة أفواه الأزقة ولئلا يبقى بعد جلائهم مساكن للمسلمين ولينقلوا معهم بعض آلاتها المرغوب فيها مما يقبل النقل (وأيدى المؤمنين) حيث كانوا يخربونها إزالة لمتحصنهم ومتمنعهم وتوسعاً لمجال القتال ونكاية لهم وإسناد هذا إليهم لما أنهم السبب فيه فكأنهم كلفوهم إياه وأمروهم به قيل الجملة حال أو تفسير للرعب وقرىء يخربون بالتشديد للتكثير وقيل الإخراب التعطيل أو ترك الشىء خراباً والتخريب النقض والهدم (فاعتبروا يا أولى الأبصار) فاتعظوا بما جرى عليهم من الأمور الهائلة على وجه لا يكاد يهتدى إليه الأفكار واتقوا مباشرة ما أداهم إليه من الكفر والمعاصى أو انتقلوا من حال الفريقين إلى حال أنفسكم فلا تعولوا على تعاضد الأسباب بل توكلوا على الله عز وجل وقد استدل به على حجية القياس كما فصل فى موقعه (ولولا أن كتب الله عليهم الجلاء) أى الخروج عن أوطانهم على ذلك الوجه الفظيع (لعذبهم فى الدنيا) بالقتل والسبى كما فعل ببنى قريظة (ولهم فى الآخرة عذاب النار) استئناف غير متعلق بجواب لولا جىء به لبيان أنهم إن نجوا من عذاب الدنيا بكتابة الجلاء لا نجاة لهم من عذاب الآخرة (ذلك) أى ما حاق بهم وما سيحيق (بأنهم) بسبب أنهم (شاقوا الله ورسوله) وفعلوا ما فعلوا مما حكى عنهم من القبائح (ومن يشاق الله) وقرىء يشاقق الله كما فى الأنفال والاقتصار على ذكر مشاقته تعالى لتضمنها لمشاقته عليه الصلاة والسلام وليوافق قوله تعالى (فإن الله شديد العقاب) وهو إما نفس الجزاء قد حذف منه العائد إلى من عند من يلتزمه أى شديد العقاب له أو تعليل للجزاء المحذوف أى يعاقبه الله فإن الله شديد العقاب وأياما كان فالشرطية تكملة لما قبلها وتقرير لمضمونه وتحقيق للسببية بالطريق البرهانى كأنه قيل ذلك الذى حاق بهم من العقاب العاجل والآجل بسبب مشاقتهم لله تعالى ورسوله وكل من يشاق الله كائناً من كان فله بسبب ذلك عقاب شديد فإذن لهم عقاب شديد (ما قطعتم من لينة) أى أى شىء قطعتم من نخلة وهى فعلة من اللون وياؤها مقلوبة من واو لكسرة ما قبلها كديمة وتجمع على ألوان وقيل من اللين وتجمع على لين وهى النخلة الكريمة (أو تركتموها) الضمير لما وتأنيثه لتفسيره باللينة كما فى قوله تعالى ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها (قائمة على أصولها) كما كانت من غير أن تتعرضوا لها بشىء ما وقرىء على أصلها

وَمَآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْهُمْ فَمَآ أَوْجَفْتُمْ عَلَيْهِ مِنْ خَيْلٍ وَلَا رِكَابٍ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يُسَلِّطُ رُسُلَهُۥ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٦﴾ ٥٩ الحشر

مَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَىٰ رَسُولِهِۦ مِنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰ فَلِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ كَىْ لَا يَكُونَ دُولَةًۢ بَيْنَ ٱلْأَغْنِيَآءِ مِنكُمْ ۚ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٧﴾ ٥٩ الحشر

إما على الاكتفاء من الواو بالضم أو على أنه جمع كرهن وقرىء قائماً على أصوله ذهاباً إلى لفظ ما (فبإذن الله) فذاك أى قطعها وتركها بأمر الله تعالى (وليخزى الفاسقين) أى وليذل اليهود ويغيظهم * إذن فى قطعها وتركها لأنهم إذا رأوا المؤمنين يتحكمون فى أموالهم كيف أحبوا ويتصرفون فيها حسبما شاؤا من القطع والترك يزدادون غيظاً ويتضاعفون حسرة واستدل به على جواز هدم ديار الكفرة وقطع أشجارهم وإحراق زروعهم زيادة لغيظهم وتخصيص اللينة بالقطع إن كانت من الألوان لاستبقاء العجوة والبرنية اللتين هما كرام النخيل وإن كانت هى الكرام ليكون غيظهم أشد وقوله تعالى (وما ٦ أفاء الله على رسوله) شروع فى بيان حال ما أخذ من أموالهم بعد بيان ماحل بأنفسهم من العذاب العاجل والآجل وما فعل بديارهم ونخيلهم من التخريب والقطع أى ما أعاده إليه من مالهم وفيه إشعار بأنه كان حقيقاً بأن يكون له عليه الصلاة والسلام وإنما وقع فى أيديهم بغير حق فرجعه الله تعالى إلى مستحقه لأنه تعالى خلق الناس لعبادته وخلق ما خلق ليتوسلوا به إلى طاعته فهو جدير بأن يكون للمطيعين (منهم) أى من بنى النضير (فما أوجفتم عليه) أى فما أجريتم على تحصيله وتغنمه من الوجيف * وهو سرعة السير (من خيل ولا ركاب) هى ما يركب من الإبل خاصة كما أن الراكب عندهم راكبها * لا غير وأما راكب الفرس فإنما يسمونه فارساً ولا واحد لها من لفظها وإنما الواحدة منها راحلة والمعنى ماقطعتم لها شقة بعيدة ولا لقيتم مشقة شديدة ولا قتالا شديداً وذلك لأنه كانت قراهم على ميلين من المدينة فمشوا إليها مشياً وما كان فيهم راكب إلا النبى عليه الصلاة والسلام فافتتحها صلحاً من غير أن يجرى بينهم مسابقة كأنه قيل وما أفاء الله على رسوله منهم فما حصلتموه بكد اليمين وعرق الجبين (ولكن * الله يسلط رسله على من يشاء) أى سنته تعالى جارية على أن يسلطهم على من يشاء من أعدائهم تسليطاً خاصاً وقد سلط النبى عليه الصلاة والسلام على هؤلاء تسليطاً غير معتاد من غير أن تقتحموا مضايق الخطوب وتقاسوا شدائد الحروب فلاحق لكم فى أموالهم (والله على كل شىء قدير) فيفعل ما يشاء * كما يشاء تارة على الوجوه المعهودة وأخرى على غيرها وقوله تعالى (ما أفاء الله على رسوله من أهل ٧ القرى) بيان لمصارف الفىء بعد بيان إفاءته عليه عليه الصلاة والسلام من غير أن يكون للمقاتلة فيه حق وإعادة عين العبارة الأولى لزيادة التقرير ووضع أهل القرى موضع ضميرهم للإشعار بشمول

لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّٰدِقُونَ ﴿٨﴾ ٥٩ الحشر

وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِى صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٩﴾ ٥٩ الحشر

مالعقاراتهم أيضاً (فلله وللرسوله ولذى القربى واليتامى والمساكين وابن السبيل) اختلف فى قسمة الفىء فقيل يسدس لظاهر الآية ويصرف سهم الله إلى الكعبة وسائر المساجد وقيل يخمس لأن ذكر الله للتعظيم ويصرف الآن سهم الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الإمام على قول وإلى العساكر والثغور على قول وإلى مصالح المسلمين على قول وقيل يخمس خمسة كالغنيمة فإنه عليه الصلاة والسلام كان يقسم الخمس كذلك ويصرف الأخماس الأربعة كايشاء والآن على الخلاف المذكور (كيلا يكون) أى الفىء الذى حقه أن يكون للفقراء يعيشون به (دولة) بضم الدال وقرىء بفتحها وهى مايدول للإنسان أى يدور من الغنى والجد والغلبة وقيل الدولة بالفتح من الملك بكسرها أو بالضم فى المال وبالفتح فى النصرة أى كيلا يكون جداً (بين الأغنياء منكم) يتكاثرون به أو كيلا يكون دولة جاهلية بينكم فإن الرؤساء منهم كانوا يستأثرون بالغنيمة ويقولون من عز بز وقيل الدولة بالضم مايتداول كالغرفة اسم مايغترف فالمعنى كيلا يكون الفىء شيئاً يتداوله الأغنياء بينهم ويتعاورونه فلا يصيب الفقراء والداولة بالفتح بمعنى التداول فالمعنى كيلا يكون ذا تداول بينهم أو كيلا يكون إمساكه تداولا بينهم لايخرجونه إلى الفقراء وقرىء دولة بالرفع على أن كان تامة أى كيلا يقع دولة على مافصل من المعانى (وما آتاكم الرسول) أى ما أعطاكموه من الفىء أو من الأمر (فخذوه) فإنه حقكم أو فتمسكوا به فإنه واجب عليكم (وما نهاكم عنه) عن أخذه أو عن تعاطيه (فانتهوا) عنه (واتقوا الله) فى مخالفته ٨ عليه الصلاة والسلام (إن الله شديد العقاب) فيعاقب من يخالف أمره ونهيه (للفقراء المهاجرين) بدل من لذى القربى وما عطف عليه فإن الرسول عليه الصلاة والسلام لايسمى فقيراً ومن أعطى أغنياء ذوى القربى خص الإبدال بما بعده وأما تخصيص اعتبار الفقر بفىء بنى النضير فتعسف ظاهر (الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم) حيث اضطرهم كفار مكة وأحوجوهم إلى الخروج وكانوا مائة رجل فخرجوا منها (يبتغون فضلا من الله ورضواناً) أى طالبين منه تعالى رزقاً فى الدنيا ومرضاة فى الآخرة وصفوا أولا بما يدل على استحقاقهم للفىء من الإخراج من الديار والأموال وقيد ذلك ثانياً بما يوجب تفخيم شأنهم ويؤكده (وينصرون الله ورسوله) عطف على يبتغون فهى حال مقدرة أى ناوين لنصرة الله تعالى ورسوله أو مقارنة فإن خروجهم من بين الكفار مراغمين لهم مهاجرين إلى المدينة نصرة وأى نصرة (أولئك) الموصوفون بما فصل من الصفات الحميدة (هم الصادقون) الراسخون ٩ فى الصدق حيث ظهر ذلك بما فعلوا ظهوراً بيناً (والذين تبوأوا الدار والإيمان) كلام مستأنف مسوق

وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَـٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿١٠﴾ ٥٩ الحشر

لمدح الأنصار بخصال حميدة من جملتها محبتهم للمهاجرين ورضاهم باختصاص الفىء بهم أحسن رضا وأكمله ومعنى تبوئهم الدار أنهم اتخذوا المدينة والإيمان مباءة وتمكنوا فيهما أشد تمكن على تنزيل الحال منزلة المكان وقيل ضمن التبوؤ معنى اللزوم وقيل تبوؤا الدار وأخلصوا الإيمان كقول من قال [علفتها تبناً وماء بارداً] وقيل المعنى تبوؤا دار الهجرة ودار الإيمان لحذف المضاف إليه من الأول وعوض منه اللام وقيل سمى المدينة بالإيمان لكونها مظهره ومنشأه (من قبلهم) أى من قبل هجرة المهاجرين * على المعانى الأول ومن قبل تبوؤ المهاجرين على الأخيرين ويجوز أن يجعل اتخاذ الإيمان مباءة ولزومه وإخلاصه على المعانى الأول عبارة عن إقامة كافة حقوقه التى من جملتها إظهار عامة شعائره وأحكامه ولا ريب فى تقدم الأنصار فى ذلك على المهاجرين لظهور عجزهم عن إظهار بعضها لا عن إخلاصه قلباً واعتقاداً إذ لا يتصور تقدمهم عليهم فى ذلك (يحبون من هاجر إليهم) خبر للموصول أى يحبونهم من * حيث مهاجرتهم إليهم لمحبتهم الإيمان (ولا يجدون فى صدورهم) أى فى نفوسهم (حاجة) أى شيئاً * محتاجا إليه يقال خذ منه حاجتك أى ما تحتاج إليه وقيل إثر حاجة كالطلب والحرازة والحسد والغيظ (مما أوتوا) أى مما أوتى المهاجرون من الفىء وغيره (ويؤثرون) أى يقدمون المهاجرين (على أنفسهم) * فى كل شىء من أسباب المعاش حتى أن من كان عنده امرأتان كان ينزل عن إحداهما ويزوجها واحداً منهم (ولو كان بهم خصاصة) أى حاجة وخلة وأصلها خصاص البيت وهى فرجه والجملة فى حيز الحال وقد * عرفت وجهه مراراً وكان النبى عليه الصلاة والسلام قسم أموال بنى النضير على المهاجرين ولم يعط الأنصار إلا ثلاثة نفر محتاجين أبا دجانة سماك بن خرشة وسهل بن حنيف والحرث بن الصمة وقال لهم إن شئتم قسمتم للمهاجرين من أموالكم ودياركم وشاركتموهم فى هذه الغنيمة وإن شئتم كانت لكم دياركم وأموالكم ولم يقسم لكم شىء من الغنيمة فقالت الأنصار بل نقسم لهم من أموالنا وديارنا ونؤثرهم بالغنيمة ولا نشاركهم فيها فنزلت وهذا صريح فى أن قوله تعالى والذين تبوؤا الخ مستأنف غير معطوف على الفقراء أو المهاجرين نعم يجوز عطفه على أولئك فإن ذلك إنما يستدعى شركة الأنصار للمهاجرين فى الصدق دون الفىء فيكون قوله تعالى يحبون وما عطف عليه استئنافاً مقرراً لصدقهم أو حالا من ضمير تبوؤا (ومن يوق شح نفسه) الشح بالضم والكسر وقد قرىء به أيضاً اللؤم وإضافته إلى النفس * لأنه غريزة فيها مقتضية للحرص على المنع الذى هو البخل أى ومن يوق بتوفيق الله تعالى شحها حتى يخالفها فيما يغلب عليها من حب المال وبغض الإنفاق (فأولئك) إشارة إلى من باعتبار معناها العام * المنتظم للمذكورين انتظاماً أولياً (هم المفلحون) الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه والجملة * اعتراض وارد لمدح الأنصار والثناء عليهم وقرىء يوق بالتشديد (والذين جاؤا من بعدهم) هم الذين ١٠

أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ نَافَقُوا يَقُولُونَ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَئِنْ أُخْرِجْتُمْ لَنَخْرُجَنَّ مَعَكُمْ وَلَا نُطِيعُ فِيكُمْ أَحَدًا أَبَدًا وَإِنْ قُوتِلْتُمْ لَنَنْصُرَنَّكُمْ وَاللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿١١﴾ ٥٩ الحشر

لَئِنْ أُخْرِجُوا لَا يَخْرُجُونَ مَعَهُمْ وَلَئِنْ قُوتِلُوا لَا يَنْصُرُونَهُمْ وَلَئِنْ نَصَرُوهُمْ لَيُوَلُّنَّ الْأَدْبَارَ ثُمَّ لَا يُنْصَرُونَ ﴿١٢﴾ ٥٩ الحشر

هاجروا بعد ماقوى الإسلام أو التابعون بإحسان وهم المؤمنون بعد الفريقين إلى يوم القيامة ولذلك
قيل إن الآية قد استوعبت جميع المؤمنين وأياً ماكان فالموصول مبتدأ خبره (يقولون) الخ والجملة
مسوقة لمدحهم بمحبتهم لمن تقدمهم من المؤمنين ومراعاتهم لحقوق الأخوة فى الدين والسبق بالإيمان
كما أن ماعطفت عليه من الجملة السابقة لمدح الأنصار أى يدعون لهم (ربنا اغفر لنا ولإخواننا) أى
فى الدين الذى هو أعز وأشرف عندهم من النسب (الذين سبقونا بالإيمان) وصفوهم بذلك اعترافاً
بفضلهم (ولا تجعل فى قلوبنا غلا) وقرىء غمراً وهما الحقد (للذين آمنوا) على الإطلاق (ربنا إنك
١١ رؤف رحيم) أى مبالغ فى الرأفة والرحمة فحقيق بأن تجيب دعاءنا (ألم تر إلى الذين نافقوا) حكاية
لما جرى بين الكفرة والمنافقين من الأقوال الكاذبة والأحوال الفاسدة وتعجيب منها بعد حكاية
محاسن أحوال المؤمنين وأقوالهم على اختلاف طبقاتهم والخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم أو
لكل أحد ممن له حظ من الخطاب وقوله تعالى (يقولون) الخ استئناف لبيان المتعجب منه وصيغة
المضارع للدلالة على استمرار قولهم أو لاستحضار صورته واللام فى قوله تعالى (لإخوانهم الذين
كفروا من أهل الكتاب) للتبليغ والمراد بأخوتهم إما توافقهم فى الكفر أو صداقتهم وموالاتهم
واللام فى قوله تعالى (لئن أخرجتم) أى من دياركم قسراً موطئة للقسم وقوله تعالى (لنخرجن معكم)
جواب القسم أى والله لئن أخرجتم لنخرجن معكم البتة ونذهبن فى صحبتكم أينما ذهبتم (ولا نطيع فيكم)
أى فى شأنكم (أحداً) يمنعنا من الخروج معكم (أبداً) وإن طال الزمان وقيل لانطيع فى قتالكم
أو خذلانكم وليس بذاك لأن تقدير القتال مترقب بعد ولأن وعدهم لهم على ذلك التقدير ليس بمجرد
عدم طاعتهم لمن يدعوهم إلى قتالهم بل نصرتهم عليه كما ينطق به قوله تعالى (وإن قوتلتم لننصرنكم)
أى لنعاوننكم على عدوكم على أن دعوتهم إلى خذلان اليهود مما لا يمكن صدوره عن رسول الله صلى
الله عليه وسلم والمسلمين حتى يدعوا عدم طاعتهم فيها ضرورة أنها لوكانت لكانت عند استعدادهم
لنصرتهم وإظهار كفرهم ولا ريب فى أن مايفعله عليه الصلاة والسلام عند ذلك قتلهم لا دعوتهم إلى
ترك نصرتهم وأما الخروج معهم فليس بهذه المرتبة من إظهار الكفر لجواز أن يدعوا أن خروجهم
معهم لما بينهم من الصداقة الدنيوية لا للموافقة فى الدين (والله يشهد إنهم لكاذبون) فى مواعيدهم
١٢ المؤكدة بالأيمان الفاجرة وقوله تعالى (لئن أخرجوا لايخرجون معهم) الخ تكذيب لهم فى كل واحد

لَأَنتُمْ أَشَدُّ رَهْبَةً فِي صُدُورِهِم مِّنَ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ ﴿١٣﴾ ٥٩ الحشر

لَا يُقَٰتِلُونَكُمْ جَمِيعًا إِلَّا فِي قُرًى مُّحَصَّنَةٍ أَوْ مِن وَرَآءِ جُدُرٍۭ بَأْسُهُم بَيْنَهُمْ شَدِيدٌ تَحْسَبُهُمْ جَمِيعًا وَقُلُوبُهُمْ شَتَّىٰ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَعْقِلُونَ ﴿١٤﴾ ٥٩ الحشر

كَمَثَلِ ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ قَرِيبًا ذَاقُوا۟ وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١٥﴾ ٥٩ الحشر

من أقوالهم على التفصيل بعد تكذيبهم فى الكل على الإجمال (ولئن قوتلوا لاينصرونهم) وكان الأمر * كذلك فإن ابن أبى وأصحابه أرسلوا إلى بنى النضير ذلك سراً ثم أخلفوهم وفيه حجة بينة لصحة النبوة وإعجاز القرآن (ولئن نصروهم) على الفرض والتقدير (ليولن الأدبار) فراراً (ثم لاينصرون) أى * المنافقون بعد ذلك أى يهلكهم الله ولا ينفعهم نفاقهم لظهور كفرهم أو ليهزمن اليهود ثم لاينفعهم نصرة المنافقين (لأنتم أشد رهبة) أى أشد مرهوبية على أنها مصدر من المبنى للمفعول (فى صدورهم من الله) ١٣ أى رهبتهم منكم فى السر أشد مما يظهرونه لكم من رهبة الله فإنهم كانوا يدعون عندهم رهبة عظيمة من الله تعالى (ذلك) أى ماذكر من كون رهبتهم منكم أشد من رهبة الله (بأنهم) بسبب أنهم (قوم لايفقهون) * أى شيئاً حتى يعلموا عظمة الله تعالى فيخشوه حق خشيته (لايقاتلونكم) أى اليهود والمنافقون بمعنى ١٤ لايقدرون على قتالكم (جميعاً) أى مجتمعين متفقين فى موطن من المواطن (إلا فى قرى محصنة) بالدروب * والخنادق (أو من وراء جدر) دون أن يصحروا لكم ويبارزوكم لفرط رهبتهم وقرىء جدر بالتخفيف * وقرىء جدار وبإمالة فتحة الدال وجدر وجدر وهما الجدار (بأسهم بينهم شديد) استئناف سيق لبيان * أن ماذكر من رهبتهم ليس لضعفهم وجبنهم فى أنفسهم فإن بأسهم بالنسبة إلى أقرانهم شديد وإنما ضعفهم وجبنهم بالنسبة إليكم بما قذف الله تعالى فى قلوبهم من الرعب (تحسبهم جميعاً) مجتمعين متفقين (وقلوبهم * شتى) متفرقة لا ألفة بينها (ذلك بأنهم) أى ما ذكر من تشتت قلوبهم بسبب أنهم (قوم لايعقلون) أى * لايعقلون شيئاً حتى يعرفوا الحق ويتبعوه وتطمئن به قلوبهم وتتحد كلمتهم ويرموا عن قوس واحدة فيقعون فى تيه الضلال وتتشتت قلوبهم حسب تشتت طرقه وتفرق فنونه وأما ماقيل من أن المعنى لايعقلون أن تشتت القلوب مما يوهن قواهم فبمعزل من السداد وقوله تعالى (كمثل الذين من قبلهم) خبر ١٥ مبتدأ محذوف تقديره مثلهم أى مثل المذكورين من اليهود والمنافقين كمثل أهل بدر أو بنى قينقاع على ماقيل إنهم أخرجوا قبل بنى النضير (قريباً) فى زمان قريب وانتصابه بمثل إذ التقدير كوقوع * مثل الخ (ذاقوا وبال أمرهم) أى سوء عاقبة كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) * لايقادر قدره والمعنى أن حال هؤلاء كحال أولئك فى الدنيا والآخرة لكن لا على أن حال كلهم كحالهم بل حال بعضهم الذين هم اليهود كذلك وأما حال المنافقين فهى مانطق به .

كَمَثَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ٥٩ الحشر

فَكَانَ عَٰقِبَتَهُمَآ أَنَّهُمَا فِى ٱلنَّارِ خَٰلِدَيْنِ فِيهَا وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٧﴾ ٥٩ الحشر

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١٨﴾ ٥٩ الحشر

وَلَا تَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ نَسُوا۟ ٱللَّهَ فَأَنسَىٰهُمْ أَنفُسَهُمْ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿١٩﴾ ٥٩ الحشر

---

١٦ قوله تعالى (كمثل الشيطان) فإنه خبر ثان للمبتدأ المقدر مبين لحالهم متضمن لحال أخرى لليهود وهي اغترارهم بمقابلة المنافقين أولا وخيبتهم آخراً وقد أجمل فى النظم الكريم حيث أسند كل من الخبرين إلى المقدر المضاف إلى ضمير الفريقين من غير تعيين ماأسند إليه بخصوصه ثقة بأن السامع يرد كلامن المثلين إلى مايماثله كأنه قيل مثل اليهود فى حلول العذاب بهم كمثل الذين من قبلهم الخ ومثل المنافقين
* فى إغرائهم إياهم على القتال حسبما نقل عنهم كمثل الشيطان (إذ قال للإنسان اكفر) أى أغراه على الكفر
* إغراء الآمر المأمور على المأمور به (فلما كفر قال إنى برىء منك) وقرىء أنا برىء منك إن أريد
* بالإنسان الجنس فهذا التبرؤ من الشيطان يكون يوم القيامة كما ينبىء عنه قوله تعالى (إنى أخاف الله رب العالمين) وإن أريد به أبو جهل فقوله تعالى اكفر عبارة عن قول إبليس يوم بدر لاغالب لكم اليوم من الناس وإنى جار لكم وتبرؤه قوله يومئذ إنى برىء منكم إنى أرى مالا ترون إنى أخاف الله الآية
١٧ (فكان عاقبتهما) بالنصب على أنه خبر كان واسمها (أنهما فى النار) وقرىء بالعكس وقد مر أنه أوضح
* (خالدين فيها) وقرىء خالدان فيها على أنه خبر أن وفى النار لغو (وذلك جزاء الظالمين) أى الخلود
١٨ فى النار جزاء الظالمين على الإطلاق دون هؤلاء خاصة (ياأيها الذين آمنوا اتقوا الله) أى فى كل ماتأتون
* وما تذرون (ولتنظر نفس ماقدمت لغد) أى أى شىء قدمت من الأعمال ليوم القيامة عبر عنه بذلك لدنوه أو لأن الدنيا كيوم والآخرة غده وتنكيره لتفخيمه وتهويله كأنه قيل لغد لايعرف كنهه لغاية عظمه وأما تنكير نفس فلاستقلال الأنفس النواظر فيما قدمن لذلك اليوم الهائل كأنه قيل ولتنظر
* نفس واحدة ذلك (واتقوا الله) تكرير للتأكيد أو الأول فى أداء الواجبات كما يشعر به مابعده من
* الأمر بالعمل وهذا ترك المحارم كما يؤذن به الوعيد بقوله تعالى (إن الله خبير بما تعملون) أى من
١٩ المعاصى (ولا تكونوا كالذين نسوا الله) أى نسوا حقوقه تعالى وما قدروه حق قدره ولم يراعوا
* مواجب أوامره ونواهيه حق رعايتها (فأنساهم) بسبب ذلك (أنفسهم) أى جعلهم ناسين لها حتى
* لم يسمعوا ماينفعها ولم يفعلوا مايخلصها أو أراهم يوم القيامة من الأهوال ما أنساهم أنفسهم (أولئك

لَا يَسْتَوِىٓ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ وَأَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ أَصْحَٰبُ ٱلْجَنَّةِ هُمُ ٱلْفَآئِزُونَ ﴿٢٠﴾ ٥٩ الحشر

لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُۥ خَٰشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ وَتِلْكَ ٱلْأَمْثَٰلُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ ٥٩ الحشر

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ ٥٩ الحشر

هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْجَبَّارُ ٱلْمُتَكَبِّرُ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ ٥٩ الحشر

---

٢٠ هم الفاسقون) الكاملون فى الفسوق (لايستوى أصحاب النار) الذين نسوا الله تعالى فاستحقوا الخلود فى النار (وأصحاب الجنة) الذين اتقوا الله فاستحقوا الخلود فى الجنة ولعل تقديم أصحاب النار فى الذكر للإيذان من أول الأمر بأن المقصور الذى ينبىء عنه عدم الاستواء من جهتهم لا من جهة مقابليهم فإن مفهوم عدم الاستواء بين الشيئين المتفاوتين زيادة و نقصانا وإن جاز اعتباره بحسب زيادة الزائد لكن المتبادر اعتباره بحسب نقصان الناقص وعليه قوله تعالى هل يستوى الأعمى والبصير أم هل يستوى الظلمات والنور إلى غير ذلك من المواقع وأما قوله تعالى هل يستوى الذين يعلمون والذين لا يعلمون فلعل تقديم الفاضل فيه لأن صلته ملكة لصلة المفضول والأعدام مسبوقة بملكاتها ولا دلالة فى الآية الكريمة على أن المسلم لا يقتص بالكافر وأن الكفار لا يملكون أموال المسلمين بالقهر لأن المراد عدم الاستواء فى الأحوال الأخروية كما ينبىء عنه التعبير عن الفريقين بصاحبية النار وصاحبية الجنة وكذا قوله تعالى (أصحاب الجنة هم الفائزون) فإنه استئناف مبين لكيفية عدم الاستواء بين الفريقين أى

٢١ هم الفائزون بكل مطلوب الناجون عن كل مكروه (لو أنزلنا هذا القرآن) العظيم الشأن المنطوى على فنون القوارع (على جبل) من الجبال (لرأيته) مع كونه علماً فى القسوة وعدم التأثر مما يصادمه (خاشعاً متصدعا من خشية الله) أى متشققاً منها وقرىء مصدعا بالإدغام وهذا تمثيل وتخييل لعلو شأن القرآن وقوة تأثير ما فيه من المواعظ كما ينطق به قوله تعالى (وتلك الأمثال نضربها للناس لعلهم يتفكرون)

٢٢ أريد به توبيخ الإنسان على قسوة قلبه وعدم تخشعه عند تلاوته وقلة تدبره فيه (هو الله الذى لا إله إلا هو) وحده (عالم الغيب والشهادة) أى ما غاب عن الحس من الجواهر القدسية وأحوالها وما حضر له من الأجرام وأعراضها وتقديم الغيب على الشهادة لتقدمه فى الوجود وتعلق العلم القديم به أو المعدوم والموجود أو السر والعلانية (هو الرحمن الرحيم) (هو الله الذى لا إله إلا هو) كرر لإبراز

٢٣ الاعتناء بأمر التوحيد (الملك القدوس) البليغ فى النزاهة عما يوجب نقصاناً وقرىء بالفتح وهى

هُوَ ٱللَّهُ ٱلْخَٰلِقُ ٱلْبَارِئُ ٱلْمُصَوِّرُ لَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٤﴾ ٥٩ الحشر

* لغة فيه (السلام) ذو السلامة من كل نقص وآفة مصدر وصف به للمبالغة (المؤمن) واهب الأمن
* وقرىء بالفتح بمعنى المؤمن به على حذف الجار (المهيمن) الرقيب الحافظ لكل شيء مفيعل من الأمن
* بقلب همزته هاء (العزيز) الغالب (الجبار) الذي جبر خلقه على ما أراد أو جبر أحوالهم أي أصلحها
* (المتكبر) الذي تكبر عن كل ما يوجب حاجة أو نقصاناً أو البليغ الكبرياء والعظمة (سبحان الله عما يشركون) تنزيه له تعالى عما يشركونه به تعالى أو عن إشراكهم به تعالى إثر تعداد صفاته التي لا يمكن أن يشاركه تعالى في شيء منها شيء ما أصلا (هو الله الخالق) المقدر للأشياء على مقتضى حكمته (البارىء) ٢٤
* الموجد لها بريئاً من التفاوت وقيل المميز بعضها من بعض بالأشكال المختلفه (المصور) الموجد
* لصورها وكيفيتها كما أراد (له الأسماء الحسنى) لدلالتها على المعاني الحسنة (يسبح له ما في السموات
* والأرض) ينطق بتنزهه تعالى عن جميع النقائص تنزهاً ظاهراً (وهو العزيز الحكيم) الجامع للكمالات كافة فإنها مع تكثرها وتشعبها راجعة إلى الكمال في القدرة والعلم. عن النبي عليه الصلاة والسلام من قرأ سورة الحشر غفر الله له ما تقدم من ذنبه وما تأخر.

---

٦٠ – سورة الممتحنة

(مدنية وهى ثلاث عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ عَدُوِّى وَعَدُوَّكُمْ أَوْلِيَآءَ تُلْقُونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَقَدْ كَفَرُواْ بِمَا جَآءَكُم مِّنَ ٱلْحَقِّ يُخْرِجُونَ ٱلرَّسُولَ وَإِيَّاكُمْ أَن تُؤْمِنُواْ بِٱللَّهِ رَبِّكُمْ إِن كُنتُمْ خَرَجْتُمْ جِهَٰدًا فِى سَبِيلِى وَٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِى تُسِرُّونَ إِلَيْهِم بِٱلْمَوَدَّةِ وَأَنَا۠ أَعْلَمُ بِمَآ أَخْفَيْتُمْ وَمَآ أَعْلَنتُمْ وَمَن يَفْعَلْهُ مِنكُمْ فَقَدْ ضَلَّ سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ﴿١﴾

٦٠ الممتحنة

﴿سورة الممتحنة مدنية وآياتها ثلاث عشرة﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيها الذين آمنوا لاتتخذوا عدوى وعدوكم أولياء) نزلت فى حاطب ابن أبى بلتعة وذلك أنه لما تجهز رسول الله صلى الله عليه وسلم لغزوة الفتح كتب إلى أهل مكة أن رسول الله صلى الله عليه وسلم يريدكم فخذوا حذركم وأرسله مع سارة مولاة بنى المطلب فنزل جبريل عليه السلام بالخبر فبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم علياً وعماراً وطلحة والزبير والمقداد وأبا مرثد وقال انطلقوا حتى تأتوا روضة خاخ فإن بها ظعينة معها كتب حاطب إلى أهل مكة فخذوه منها وخلوها فإن أبت فاضربوا عنقها فأدركوها ثمة فجحدت فسل على سيفه فأخرجته من عقاصها فاستحضر رسول الله صلى الله عليه وسلم حاطباً وقال ماحملك على هذا فقال يارسول الله ماكفرت منذ أسلمت ولا غششتك منذ نصحتك ولكنى كنت امرأ ملصقاً فى قريش وليس لى فيهم من يحمى أهلى فأردت أن آخذعندهم يداً وقد علمت أن كتابى لن يغنى عنهم شيئاً فصدقه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقبل عذره (تلقون إليهم بالمودة) أى توصلون إليهم المودة على أن الباء زائدة كما فى قوله تعالى ولا تلقوا بأيديكم إلى التهلكة أو تلقون إليهم أخبار النبى عليه الصلاة والسلام بسبب المودة التى بينكم وبينهم والجملة إما حال من فاعل لاتتخذوا أو صفة لأولياء وإبراز الضمير فى الصفات الجارية على غير من هى له إنما يشترط فى الاسم دون الفعل أو استئناف (وقد كفروا بما جاءكم من الحق) حال من فاعل تلقون وقيل من فاعل لاتتخذوا وقرىء لما جاءكم أى كفروا لأجل ماجاءكم بمعنى جعل ما هو سبب الإيمان سبباً للكفر (يخرجون الرسول وإياكم) أى من مكة وهو إما حال من فاعل كفروا أو استئناف مبين لكفرهم وصيغة المضارع لاستحضار الصورة وقوله تعالى (أن تؤمنوا بالله ربكم) تعليل للإخراج فيه تغليب المخاطب على الغائب والتفات من التكلم إلى الغيبة للإشعار بمايوجب الإيمان من الألوهية والربوبية

إِن يَثْقَفُوكُمْ يَكُونُواْ لَكُمْ أَعْدَآءً وَيَبْسُطُوٓاْ إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُم بِالسُّوٓءِ وَوَدُّواْ لَوْ تَكْفُرُونَ ﴿٢﴾ ٦٠ الممتحنة

لَن تَنفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَآ أَوْلَٰدُكُمْ يَوْمَ الْقِيَٰمَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣﴾ ٦٠ الممتحنة

قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِيٓ إِبْرَٰهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُۥٓ إِذْ قَالُواْ لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَءَٰٓؤُاْ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَٰوَةُ وَالْبَغْضَآءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُواْ بِاللَّهِ وَحْدَهُۥٓ إِلَّا قَوْلَ إِبْرَٰهِيمَ لِأَبِيهِ لَأَسْتَغْفِرَنَّ لَكَ وَمَآ أَمْلِكُ لَكَ مِنَ اللَّهِ مِن شَيْءٍ رَّبَّنَا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنَا وَإِلَيْكَ أَنَبْنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٤﴾ ٦٠ الممتحنة

---

* (إن كنتم خرجتم جهاداً فى سبيلى وابتغاء مرضاتى) متعلق بلا تتخذوا كأنه قيل لاتتولوا أعدائى إن كنتم أوليائى وقوله تعالى (تسرون إليهم بالمودة) استئناف وارد على نهج العتاب والتوبيخ أى تسرون إليهم المودة أو الأخبار بسبب المودة (وأنا أعلم) أى والحال أنى أعلم منكم (بما أخفيتم وما أعلنتم) ومطلع رسولى على ماتسرون فأى طائل لكم فى الأسرار وقيل أعلم مضارع والباء مزيدة وما موصولة أو مصدرية وتقديم الإخفاء على الإعلان قد مر وجهه فى قوله تعالى يعلم مايسرون وما يعلنون (ومن يفعله منكم) أى الاتخاذ (فقد ضل سواء السبيل) فقد أخطأ طريق الحق والصواب (إن يثقفوكم) أى إن يظفروا بكم (يكونوا لكم أعداء) أى يظهروا مافى قلوبهم من العداوة ويرتبوا عليها أحكامها (ويبسطوا إليكم أيديهم وألسنتهم بالسوء) بما يسوؤكم من القتل والأسر والشتم (وودوا لو تكفرون) أى تمنوا ارتدادكم وصيغة الماضى للإيذان بتحقق ودادتهم قبل أن يثقفوهم أيضاً (لن تنفعكم أرحامكم) قراباتكم (ولا أولادكم) الذين توالون المشركين لأجلهم وتتقربون إليهم محاماة عليهم (يوم القيامة) بجلب نفع أو دفع ضر (يفصل بينكم) استئناف لبيان عدم نفع الأرحام والأولاد يومئذ أى يفرق الله بينكم بما اعتراكم من الهول الموجب لفرار كل منكم من الآخر حسبما نطق به قوله تعالى يوم يفر المرء من أخيه الآية فمالكم ترفضون حق الله تعالى لمراعاة حق من هذا شأنه وقرىء يفصل ويفصل مبنياً للمفعول ويفصل ويفصل مبنياً للفاعل وهو الله تعالى ونفصل ونفصل بالنون (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم به (قد كانت لكم أسوة حسنة) أى خصلة حميدة حقيقة بأن يؤتسى ويقتدى بها وقوله تعالى (فى إبراهيم والذين معه) أى من أصحابه المؤمنين صفة ثانية لأسوة أو خبر لكان ولكم للبيان أو حال من المستكن فى حسنة أو صلة لها لا لأسوة عند من لايجوز العمل بعد الوصف (إذ قالوا)

(أرقام الآيات في الهامش: ٢ عند «يفعله منكم»، ٣ عند «أى تمنوا»، ٤ عند «بصير) فيجازيكم»)

رَبَّنَا لَا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِّلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٥﴾ ٦٠ الممتحنة

ظرف لخبر كان (لقومهم إنا برآء منكم) جمع برىء كظريف وظرفاء وقرىء براء كظراف وبراء كرخال وبراء على الوصف بالمصدر مبالغة (ومما تعبدون من دون الله) من الأصنام (كفرنا بكم) أى بدينكم أو بمعبودكم أو بكم وبه فلا نعتد بشأنكم وبآلهتكم (وبدا بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبداً) أى هذا دأبنا معكم لا نتركه (حتى تؤمنوا بالله وحده) وتتركوا ما أنتم عليه من الشرك فتنقلب العداوة حينئذ ولاية والبغضاء محبة (إلا قول إبراهيم لأبيه لأستغفرن لك) استثناء من قوله تعالى أسوة حسنة فإن استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر وإن كان جائزاً عقلا وشرعا لوقوعه قبل تبين أنه من أصحاب الجحيم كما نطق به النص لكنه ليس مما ينبغى أن يؤتسى به أصلا إذ المراد به ما يجب الائتساء به حتما لورود الوعيد على الإعراض عنه بما سيأتى من قوله تعالى ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد فاستثناؤه من الأسوة إنما يفيد عدم وجوب استدعاء الإيمان والمغفرة للكافر المرجو إيمانه وذلك مما لا يرتاب فيه عاقل وأما عدم جوازه فلا دلالة للاستثناء عليه قطعاً هذا وأما تعليل عدم كون استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه الكافر مما ينبغى أن يؤتسى به بأنه كان قبل النهى أو لموعدة وعدها إياه فبمعزل من السداد بالكلية لابتنائه على تناول النهى لاستغفاره عليه الصلاة والسلام له وإنبائه عن كونه مؤتسى به لولم ينه عنه وكلاهما بين البطلان لما أن مورد النهى هو الاستغفار للكافر بعد تبين أمره وقد عرفت أن استغفاره عليه الصلاة والسلام لأبيه كان قبل ذلك قطعاً وأن ما يؤتسى به ما يجب الائتساء به لا ما يجوز فعله فى الجملة وتجويز أن يكون استغفاره عليه الصلاة والسلام له بعد النهى كما هو المفهوم من ظاهر قوله أو لموعدة وعدها إياه مما لا مساغ له وتوجيه الاستثناء إلى العدة بالاستغفار لا إلى نفس الاستغفار بقوله واغفر لأبى الآية لأنها كانت هى الحاملة له عليه الصلاة والسلام على الاستغفار وتخصيص هذه العدة بالذكر دون ما وقع فى سورة مريم من قوله تعالى سأستغفر لك ربى لورودها على طريق التوكيد القسمى وأما جعل الاستغفار دائراً عليها وترتيب التبرؤ على تبين الأمر فقد مر تحقيقه فى سورة التوبة وقوله تعالى (وما أملك لك من الله من شىء) من تمام القول المستثنى محله النصب على أنه حال من فاعل لأستغفرن لك أى أستغفر لك وليس فى طاقتى إلا الاستغفار فمورد الاستثناء نفس الاستغفار لا قيده الذى هو فى نفسه من خصال الخير لكونه إظهاراً للعجز وتفويضاً للأمر إلى الله تعالى وقوله تعالى (ربنا عليك توكلنا وإليك أنبنا وإليك المصير) الخ من تمام ما نقل عن إبراهيم عليه السلام ومن معه من الأسوة الحسنة وتقديم الجار والمجرور لقصر التوكل والإنابة والمصير على الله تعالى قالوه بعد المجاهرة وقشر العصا التجاء إلى الله تعالى فى جميع أمورهم لا سيما فى مدافعة الكفرة وكفاية شرورهم كما ينطق به قوله تعالى (ربنا لا تجعلنا فتنة للذين كفروا) بأن تسلطهم علينا فيفتنونا بعذاب لا نطيقه (واغفر لنا) ما فرط منا من العذاب (ربنا إنك أنت العزيز) الغالب الذى لا يذل

لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِيهِمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٦﴾ ٦٠ الممتحنة

عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾ ٦٠ الممتحنة

لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾ ٦٠ الممتحنة

إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴿٩﴾ ٦٠ الممتحنة

من التجأ إليه ولا يخيب رجاء من توكل عليه (الحكيم) الذى لايفعل إلاما فيه حكمة بالغة وتكرير النداء للمبالغة فى التضرع والجؤار هذا وأما جعل الآيتين تلقينا للمؤمنين من جهته تعالى وأمراً لهم بأن يتوكلوا عليه وينيبوا إليه ويستعيذوا به من فتنة الكفرة ويستغفروا مما فرط منهم تكملة لما وصاهم به من قطع العلائق بينهم وبين الكفرة فلا يساعده النظم الكريم (لقد كان لكم فيهم) أى فى إبراهيم ومن معه (أسوة حسنة) تكرير للمبالغة فى الحث على الائتساء به عليه الصلاة والسلام ولذلك صدر بالقسم وقوله تعالى (لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) بدل من لكم فائدته الإيذان بأن من يؤمن بالله واليوم الآخر لا يترك الاقتداء بهم وأن تركه من مخايل عدم الإيمان بهما كما ينبىء عنه قوله تعالى (ومن يتول فإن الله هو الغنى الحميد) فإنه مما يوعد بأمثاله الكفرة (عسى الله أن يجعل بينكم وبين الذين عاديتم منهم) أى من أقاربكم المشركين (مودة) بأن يوافقوكم فى الدين وعدهم الله تعالى بذلك لما رأى منهم من التصلب فى الدين والتشدد لله فى معاداة آبائهم وأبنائهم وسائر أقربائهم ومقاطعتهم إياهم بالكلية تطييباً لقلوبهم ولقد أنجز وعده الكريم حين أتاح لهم الفتح فأسلم قومهم فتم بينهم من التحاب والتصافى ماتم (والله قدير) أى مبالغ فى القدرة فيقدر على تقليب القلوب وتغيير الأحوال وتسهيل أسباب المودة (والله غفور رحيم) فيغفر لمن أسلم من المشركين ويرحمهم وقيل غفور لما فرط منكم فى موالاتهم من قبل ولما بقى فى قلوبكم من ميل الرحم (لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم) أى لا ينهاكم عن البر بهؤلاء فإن قوله تعالى (أن تبروهم) بدل من الموصول (وتقسطوا إليهم) أى تفضوا إليهم بالقسط أى العدل (إن الله يحب المقسطين) أى العادلين . روى أن قتيلة بنت عبد العزى قدمت مشركة على بنتها أسماء بنت أبى بكر رضى الله عنه بهدايا فلم تقبلها ولم تأذن لها بالدخول فنزلت فأمرها رسول الله صلى الله عليه وسلم أن تدخلها وتقبل منها وتكرمها وتحسن إليها وقيل المراد بهم خزاعة وكانوا صالحوا رسول الله صلى الله عليه وسلم على أن لا يقاتلوه ولا يعينوا عليه (إنما ينهاكم الله عن الذين قاتلوكم فى الدين وأخرجوكم من دياركم) وهم عتاة أهل مكة

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا جَآءَكُمُ ٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ مُهَٰجِرَٰتٖ فَٱمۡتَحِنُوهُنَّۖ ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِإِيمَٰنِهِنَّۖ فَإِنۡ عَلِمۡتُمُوهُنَّ مُؤۡمِنَٰتٖ فَلَا تَرۡجِعُوهُنَّ إِلَى ٱلۡكُفَّارِۖ لَا هُنَّ حِلّٞ لَّهُمۡ وَلَا هُمۡ يَحِلُّونَ لَهُنَّۖ وَءَاتُوهُم مَّآ أَنفَقُواْۚ وَلَا جُنَاحَ عَلَيۡكُمۡ أَن تَنكِحُوهُنَّ إِذَآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّۚ وَلَا تُمۡسِكُواْ بِعِصَمِ ٱلۡكَوَافِرِ وَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقۡتُمۡ وَلۡيَسۡـَٔلُواْ مَآ أَنفَقُواْۚ ذَٰلِكُمۡ حُكۡمُ ٱللَّهِ يَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡۖ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ﴿١٠﴾ ٦٠ الممتحنة

(وظاهروا على إخراجكم) وهم سائر أهلها (أن تولوهم) بدل اشتمال من الموصول أى إنما ينهاكم عن أن تتولوهم (ومن يتولهم فأولئك هم الظالمون) لوضعهم الولاية فى موضع العداوة أو هم الظالمون لأنفسهم بتعريضها للعذاب (يأيها الذين آمنوا) بيان لحكم من يظهر الإيمان بعد بيان حكم فريقى الكافرين (إذا جاءكم المؤمنات مهاجرات) من بين الكفار (فامتحنوهن) فاختبروهن بما يغلب على ظنكم موافقة قلوبهن للسانهن فى الإيمان. يروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقول للتى يمتحنها بالله الذى لا إله إلا هو ماخرجت من بغض زوج بالله ماخرجت رغبة عن أرض إلى أرض بالله ماخرجت التماس دنيا بالله ماخرجت إلا حباً لله ورسوله (الله أعلم بإيمانهن) لأنه المطلع على مافى قلوبهن والجملة اعتراض (فإن علمتموهن) بعد الامتحان (مؤمنات) علماً يمكنكم تحصيله وتبلغه طاقتكم بعد اللتيا والتى من الاستدلال بالعلائم والدلائل والاستشهاد بالأمارات والمخايل وهو الظن الغالب وتسميته علماً للإيذان بأنه جار مجرى العلم فى وجوب العمل به (فلا ترجعوهن إلى الكفار) أى إلى أزواجهن الكفرة لقوله تعالى (لاهن حل لهم ولا هم يحلون لهن) فإنه تعليل للنهى عن رجعهن إليهم والتكرير إما لتأكيد الحرمة أو لأن الأول لبيان زوال النكاح الأول والثانى لبيان امتناع النكاح الجديد (وآتوهم ما أنفقوا) أى وأعطوا أزواجهن مثل مادفعوا إليهن من المهور وذلك أن صلح الحديبية كان على أن من جاءنا منكم رددناه فجاءت سبيعة بنت الحرث الأسلمية مسلمة والنبى عليه الصلاة والسلام بالحديبية فأقبل زوجها مسافر المخزومى وقيل صيفى بن الراهب فقال يامحمد اردد على امرأتى فإنك قد شرطت أن ترد علينا من أتاك منا فنزلت لبيان أن الشرط إنما كان فى الرجال دون النساء فاستحلفها رسول الله صلى الله عليه وسلم فحلفت فأعطى زوجها ماأنفق وتزوجها عمر رضى الله عنه (ولا جناح عليكم أن تنكحوهن) فإن إسلامهن حال بينهن وبين أزواجهن الكفار (إذا آتيتموهن أجورهن) شرط إيتاء المهر فى نكاحهن إيذاناً بأن ما أعطى أزواجهن لايقوم مقام المهر (ولا تمسكوا بعصم الكوافر) جمع عصمة وهى مايعتصم به من عقد وسبب أى لايكن بينكم وبين المشركات ولا علقة زوجية قال ابن عباس رضى الله عنهما من كانت له امرأة كافرة بمكة فلايعتدن بها من نسائه لأن اختلاف الدارين قطع عصمتها منه وعن النخعى رحمه الله هى المسلمة تلحق بدار الحرب فتكفر وعن مجاهد أمرهم بطلاق الباقيات مع الكفار ومفارقتهن وقرىء ولا تمسكوا بالتشديد ولا تمسكوا بحذف إحدى

وَإِن فَاتَكُمْ شَيْءٌ مِّنْ أَزْوَاجِكُمْ إِلَى الْكُفَّارِ فَعَاقَبْتُمْ فَآتُوا الَّذِينَ ذَهَبَتْ أَزْوَاجُهُم مِّثْلَ مَا أَنفَقُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي أَنتُم بِهِ مُؤْمِنُونَ ﴿١١﴾ ٦٠ الممتحنة

يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَىٰ أَن لَّا يُشْرِكْنَ بِاللَّهِ شَيْئًا وَلَا يَسْرِقْنَ وَلَا يَزْنِينَ وَلَا يَقْتُلْنَ أَوْلَادَهُنَّ وَلَا يَأْتِينَ بِبُهْتَانٍ يَفْتَرِينَهُ بَيْنَ أَيْدِيهِنَّ وَأَرْجُلِهِنَّ وَلَا يَعْصِينَكَ فِي مَعْرُوفٍ فَبَايِعْهُنَّ وَاسْتَغْفِرْ لَهُنَّ اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٢﴾ ٦٠ الممتحنة

التابين من تتمسكوا (واسألوا ما أنفقتم) من مهور نسائكم للاحقات بالكفار (وليسألوا ما أنفقوا) من مهور أزواجهم المهاجرات (ذلكم) الذى ذكر (حكم الله) وقوله تعالى (يحكم بينكم) كلام مستأنف أو حال من حكم الله على حذف الضمير أى يحكمه الله أو جعل لكم حاكما على المبالغة (والله حكيم) يشرع ما تقتضيه الحكمة البالغة. روى أنه لما نزلت الآية أدى المؤمنون ما أمروا به من مهور المهاجرات إلى أزواجهن المشركين وأبى المشركون أن يؤدوا شيئاً من مهور الكوافر إلى أزواجهن المسلمين فنزل قوله تعالى (وإن فاتكم) أى سبقكم وانفلت منكم (شىء من أزواجكم إلى الكفار) أى أحد من أزواجكم وقد قرىء كذلك وإيقاع شىء موقعه للتحقير والإشباع فى التعميم أو شىء من مهور أزواجكم (فعاقبتم) أى فجاءت عقبتكم أى نوبتكم من أداء المهر شبه ما حكم به على المسلمين والكافرين من أداء هؤلاء مهور نساء أولئك تارة وأداء أولئك مهور نساء هؤلاء أخرى بأمر يتعاقبون فيه كما يتعاقب فى الركوب وغيره (فآتوا الذين ذهبت أزواجهم مثل ما أنفقوا) من مهر المهاجرة التى تزوجتموها ولا تؤتوه زوجها الكافر وقيل معناه إن فاتكم فأصبتم من الكفار عقبى هى الغنيمة فآتوا بدل الفائت من الغنيمة وقرىء فأعقبتم وفعقبتم بالتشديد وفعقبتم بالتخفيف وفتح القاف وبكسرها قيل جميع من لحق بالمشركين من نساء المؤمنين المهاجرين ست نسوة أم الحكم بنت أبى سفيان وفاطمة بنت أمية وبروع بنت عقبة وعبدة بنت عبد العزى وهند بنت أبى جهل وكلثوم بنت جرول (واتقوا الله الذى أنتم به مؤمنون) فإن الإيمان به تعالى يقتضى التقوى منه تعالى (يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات يبايعنك) أى مبايعات لك أى قاصدات للمبايعة نزلت يوم الفتح فإنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال شرع فى بيعة النساء (على أن لا يشركن بالله شيئاً) أى شيئاً من الأشياء أو شيئاً من الإشراك (ولا يسرقن ولا يزنين ولا يقتلن أولادهن) أريد به وأد البنات وقرىء ولا يقتلن بالتشديد (ولا يأتين ببهتان يفترينه بين أيديهن وأرجلهن) كانت المرأة تلتقط المولود فتقول لزوجها هو ولدى منك كنى عنه بالبهتان المفترى بين يديها ورجليها لأن بطنها الذى تحمله فيه بين يديها ومخرجه بين رجليها (ولا يعصينك فى معروف) أى فيما تأمرهن به من معروف وتنهاهن عنه من منكر والتقييد بالمعروف مع أن الرسول صلى الله عليه وسلم لا يأمر إلا به للتنبيه على أنه لا يجوز طاعة مخلوق فى معصية الخالق

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَوَلَّوْاْ قَوْمًا غَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِمْ قَدْ يَئِسُواْ مِنَ ٱلْءَاخِرَةِ كَمَا يَئِسَ ٱلْكُفَّارُ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلْقُبُورِ ﴿١٣﴾

٦٠ الممتحنة

وتخصيص الأمور المعدودة بالذكر فى حقهن لكثرة وقوعها فيما بينهن مع اختصاص بعضها بهن (فبايعهن) * أى على ماذكر وما لم يذكر لوضوح أمره وظهور أصالته فى المبايعة من الصلاة والزكاة وسائر أركان الدين وشعائر الإسلام وتقييد مبايعتهن بما ذكر من مجيئهن لحثهن على المسارعة إليها مع كمال الرغبة فيها من غير دعوة لهن إليها (واستغفر لهن الله) زيادة على مافى ضمن المبايعة فإنها عبارة عن ضمان الثواب * من قبله عليه الصلاة والسلام بمقابلة الوفاء بالأمور المذكورة من قبلهن (إن الله غفور رحيم) أى مبالغ * فى المغفرة والرحمة فيغفر لهن ويرحمهن إذا وفين بما بايعن عليه واختلف فى كيفية مبايعته عليه الصلاة والسلام لهن يومئذ فروى أنه عليه الصلاة والسلام لما فرغ من بيعة الرجال جلس على الصفا ومعه عمر رضى الله عنه أسفل منه فجعل عليه الصلاة والسلام يشترط عليهن البيعة وعمر يصافحهن وروى أنه كلف امرأة وقفت على الصفا فبايعتهن وقيل دعا بقدح من ماء فغمس فيه يده ثم غمسن أيديهن وروى أنه عليه الصلاة والسلام بايعهن وبين يديه وأيديهن ثوب قطرى والأظهر الأشهر ماقالت عائشة رضى الله عنها والله ما أخذ رسول الله صلى الله عليه وسلم على النساء قط إلا بما أمر الله تعالى ومامست كف رسول الله صلى الله عليه وسلم كف امرأة قط وكان يقول إذا أخذ عليهن قد بايعتكن كلاماً وكان المؤمنات إذا هاجرن إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم يمتحنهن بقول الله عز وجل يأيها النبى إذا جاءك المؤمنات إلى آخر الآية فإذا أقررن بذلك من قولهن قال لهن انطلقن فقد بايعتكن (يأيها الذين ١٣ آمنوا لاتتولوا قوماً غضب الله عليهم) هم عامة الكفرة وقيل اليهود لما روى أنها نزلت فى بعض فقراء المسلمين كانوا يواصلون اليهود ليصيبوا من ثمارهم (قد يئسوا من الآخرة) لكفرهم بها أو لعلمهم * بأنه لاخلاق لهم فيها لعنادهم الرسول المنعوت فى التوراة المجيد بالآيات (كما يئس الكفار من أصحاب * القبور) أى كما يئس منها الذين ماتوا منهم لأنهم وقفوا على حقيقة الحال وشاهدوا حرمانهم من نعيمها المقيم وابتلاءهم بعذابها الأليم والمراد وصفهم بكمال اليأس منها وقيل المعنى كما يئسوا من موتاهم أن يبعثوا ويرجعوا إلى الدنيا أحياء والإظهار فى موقع الإضمار للإشعار بعلة يأسهم . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الممتحنة كان له المؤمنون والمؤمنات شفعاء يوم القيامة .

٦١ — سورة الصف

(مدنية وهى أربع عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١﴾ ٦١ الصف

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٢﴾ ٦١ الصف

كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ﴿٣﴾ ٦١ الصف

﴿ سورة الصف مدنية وقيل مكية وآياتها أربع عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (سبح لله مافى السموات وما فى الأرض وهو العزيز الحكيم) الكلام
٢ فيه كالذى مر فى نظيره (يأيها الذين آمنوا لم تقولون مالا تفعلون) روى أن المسلمين قالوا لو علمنا أحب الأعمال إلى الله تعالى لبذلنا فيه أموالنا وأنفسنا فلما نزل الجهاد كرهوه فنزلت وما قيل من أن النازل قوله تعالى إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً بين الاختلال وروى أنهم قالوا يارسول الله لو نعلم أحب الأعمال إلى الله تعالى لسارعنا إليه فنزلت هل أدلكم على تجارة ـ إلى قوله تعالى ـ وتجاهدون فى سبيل الله بأموالكم وأنفسكم فولوا يوم أحد وفيه التزام أن ترتيب الآيات الكريمة ليس على ترتيب النزول وقيل لما أخبر الله تعالى بثواب شهداء بدر قالت الصحابة اللهم أشهد لئن لقينا قتالا لنفرغن فيه وسعنا ففروا يوم أحد فنزلت وقيل إنها نزلت فيمن يتمدح كاذباً حيث كان الرجل يقول قتلت ولم يقتل ولم يطعن وهكذا وقيل كان رجل قد آذى المسلمين يوم بدر ونكى فيهم فقتله صهيب وانتحل قتله آخر فنزلت فى المنتحل وقيل نزلت فى المنافقين ونداؤهم بالإيمان تهكم بهم وبإيمانهم وليس بذاك كما ستعرفه ولم مركبة من اللام الجارة وما الاستفهامية قد حذفت ألفها تخفيفاً لكثرة استعمالهما معاً كما فى عم وفيم ونظائرهما معناها لأى شىء تقولون نفعل مالا تفعلون من الخير والمعروف على أن مدار التعيير والتوبيخ فى الحقيقة عدم فعلهم وإنما وجها إلى قولهم تنبيهاً على تضاعف معصيتهم ببيان أن المنكر ليس ترك الخير الموعود فقط بل الوعد به أيضاً وقد كانوا يحسبونه معروفاً ولو قيل لم لاتفعلوا ماتقولون
٣ لفهم منه أن المنكر هو ترك الموعود (كبر مقتاً عند الله أن تقولون مالا تفعلون) بيان لغاية قبح مافعلوه وفرط سماجته وكبر من باب نعم وبئس فيه ضمير مبهم مفسر بالنكرة بعده وأن تقولوا هو المخصوص بالذم وقيل قصد فيه التعجب من غير لفظه وأسند إلى أن تقولوا ونصب مقتاً على تفسيره دلالة على أن قولهم مالا يفعلون مقت خالص لاشوب فيه كبر عند من يحقر دونه كل عظيم .

إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلَّذِينَ يُقَٰتِلُونَ فِي سَبِيلِهِۦ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَٰنٌ مَّرْصُوصٌ ﴿٤﴾ ٦١ الصف

وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ لِمَ تُؤْذُونَنِي وَقَد تَّعْلَمُونَ أَنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ فَلَمَّا زَاغُوٓا۟ أَزَاغَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمْ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِي ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٥﴾ ٦١ الصف

٤ وقوله تعالى (إن الله يحب الذين يقاتلون فى سبيله صفاً) بيان لما هو مرضى عنده تعالى بعد بيان ماهو ممقوت عنده وهذا صريح فى أن ماقالوه عبارة عن الوعد بالقتال لاعما تقوله المتمدح أو انتحله المنتحل أوأعاده المنافق وأن مناط التعبير والتوبيخ هو إخلافهم لاوعدهم كما أشير إليه وقرىء يقاتلون بفتح التاء ويقاتلون وصفاً مصدر وقع موقع الفاعل أو المفعول ونصبه على الحالية من فاعل يقاتلون أى صافين أنفسهم أو مصفوفين وقوله تعالى (كأنهم بنيان مرصوص) حال من المستكن فى الحال * الأولى أى مشبهين فى تراصهم من غير فرجة وخلل ببنيان رص بعضه إلى بعض ورصف حتى صار شيئاً واحداً وقوله تعالى (وإذ قال موسى لقومه) كلام مستأنف مقرر لما قبله من شناعة ترك القتال ٥ وإذ منصوب على المفعولية بمضمر خوطب به النبي عليه الصلاة والسلام بطريق التلوين أى واذكر لهؤلاء المعرضين عن القتال وقت قول موسى لبنى إسرائيل حين ندبهم إلى قتال الجبابرة بقوله ياقوم ادخلوا الأرض المقدسة التى كتب الله لكم ولا ترتدوا على أدباركم فتنقلبوا خاسرين فلم يمتثلوا بأمره وعصوه أشد عصيان حيث قالوا ياموسى إن فيها قوماً جبارين وإنا لن ندخلها حتى يخرجوا منها فإن يخرجوا منها فإن داخلون ـ إلى قوله تعالى ـ فاذهب أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون وأصروا على ذلك وآذوه عليه الصلاة والسلام كل الأذية (ياقوم لم تؤذوننى) أى بالمخالفة والعصيان فيما أمرتكم به * وقوله تعالى (وقد تعلمون أنى رسول الله إليكم) جملة حالية مؤكدة لإنكار الإيذاء ونفى سببه وقد * لتحقيق العلم وصيغة المضارع للدلالة على استمراره أى والحال أنكم تعلمون علماً قطعياً مستمراً بمشاهدة ماظهر بيدى من المعجزات القاهرة التى معظمها إهلاك عدوكم وإنجاؤكم من ملكته أنى رسول الله إليكم لأرشدكم إلى خير الدنيا والآخرة ومن قضية علمكم بذلك أن تبالغوا فى تعاظيمى وتسارعوا إلى طاعتى (فلما زاغوا) أى أصروا على الزيغ عن الحق الذى جاء به موسى عليه السلام واستمروا عليه (أزاغ * الله قلوبهم) أى صرفها عن قبول الحق والميل إلى الصواب لصرف اختيارهم نحو الغى والضلال وقوله تعالى (والله لايهدى القوم الفاسقين) اعتراض تذييلى مقرر لمضمون ماقبله من الإزاغة ومؤذن بعلته * أى لايهدى القوم الخارجين عن الطاعة ومنهاج الحق المصرين على الغواية هداية موصلة إلى مايوصل إليها فإنها شاملة للكل والمراد بهم إما المذكورون خاصة والإظهار فى موقع الإضمار لذمهم بالفسق وتعليل عدم الهداية به أو جنس الفاسقين وهم داخلون فى حكمه دخولا أولياً وأياً ما كان فوصفهم بالفسق ناظر إلى مافى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين هذا هو الذى تقتضيه جزالة النظم

وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ قَالُوا۟ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ٦١ الصف

وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ ٱفْتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ وَهُوَ يُدْعَىٰٓ إِلَى ٱلْإِسْلَٰمِ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ٦١ الصف

يُرِيدُونَ لِيُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَٱللَّهُ مُتِمُّ نُورِهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٨﴾ ٦١ الصف

الكريم ويرتضيه الذوق السليم . وأما ماقيل بصدد بيان أسباب الأذية من أنهم كانوا يؤذونه عليه الصلاة والسلام بأنواع الأذى من انتقاصه وعيبه فى نفسه وجحود آياته وعصيانه فيما تعود إليهم منافعه وعبادتهم البقر وطلبهم رؤية الله جهرة والتكذيب الذى هو تضييع حق الله وحقه فما لاتعلق له بالمقام وقوله تعالى (وإذ قال عيسى ابن مريم) إمامعطوف على إذ الأولى معمول لعاملها وإما معمول لمضمر معطوف على عاملها (يابنى إسرائيل) ناداهم بذلك استمالة لقلوبهم إلى تصديقه فى قوله (إنى رسول الله إليكم مصدقاً لما بين يدى من التوراة) فإن تصديقه عليه الصلاة والسلام إياها من أقوى الدواعى إلى تصديقهم إياه وقوله تعالى (ومبشراً برسول يأتى من بعدى) معطوف على مصدقا داع إلى تصديقهم عليه الصلاة والسلام مثله من حيث إن البشارة به واقعة فى التوراة والعامل فيهما مافى الرسول من معنى الإرسال لا الجار فإنه صلة للرسول والصلات بمعزل من تضمن معنى الفعل وعليه يدور العمل أى أرسلت إليكم حال كونى مصدقاً لما تقدمنى من التوراة ومبشراً بمن يأتى من بعدى من رسول (اسمه أحمد) أى محمد صلى الله عليه وسلم يريد أن دينى التصديق بكتب الله وأنبيائه جميعاً ممن تقدم وتأخر وقرىء من بعدى بفتح الياء (فلما جاءهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (قالوا هذا سحر مبين) مشيرين إلى ماجاء به أو إليه عليه الصلاة والسلام وتسميته سحراً للمبالغة ويؤيده قراءة من قرأ هذا ساحر (ومن أظلم ممن افترى على الله الكذب وهو يدعى إلى الإسلام) أى أى الناس أشد ظلماً ممن يدعى إلى الإسلام الذى يوصله إلى سعادة الدارين فيضع موضع الإجابة الافتراء على الله عزوجل بقوله لكلامه الذى هو دعاء عباده إلى الحق هذا سحر أى هو أظلم من كل ظالم وإن لم يتعرض ظاهر الكلام لنفى المساوى وقد مر بيانه غير مرة وقرىء يدعى يقال دعاه وادعاه مثل لمسه والتمسه (والله لايهدى القوم الظالمين) أى لايرشدهم إلى مافيه فلاحهم لعدم توجههم إليه (يريدون ليطفئوا نور الله) أى يريدون أن يطفئوا دينه أو كتابه أو حجته النيرة واللام مزيدة لما فيها من معنى الإرادة تأكيداً لها كما زيدت لما فيها من معنى الإضافة تأكيداً لها فى لا أبالك أو يريدون الافتراء ليطفئوا نور الله (بأفواههم) بطعنهم فيه مثلت حالهم بحال من ينفخ فى نور الشمس بفيه ليطفئه (والله متم نوره) أى مبلغه إلى غايته بنشره فى الآفاق وإعلائه وقرىء متم نوره بلا إضافة (ولو كره الكافرون) أى إرغاماً

هُوَ ٱلَّذِىٓ أَرْسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلْهُدَىٰ وَدِينِ ٱلْحَقِّ لِيُظْهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْمُشْرِكُونَ ﴿٩﴾ ٦١ الصف

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَـٰرَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ ٦١ الصف

تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ بِأَمْوَٰلِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١﴾ ٦١ الصف

يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ وَمَسَـٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّـٰتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ ٦١ الصف

وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ ٦١ الصف

لهم والجملة فى حيز الحال على ما بين مراراً (هو الذى أرسل رسوله بالهدى) بالقرآن أو بالمعجزة (ودين ٩
الحق) والملة الحنيفة (ليظهره على الدين كله) ليعليه على جميع الأديان المخالفة له ولقد أنجز الله عز *
وعلا وعده حيث جعله بحيث لم يبق دين من الأديان إلا وهو مغلوب مقهور بدين الإسلام (ولو *
كره المشركون) ذلك وقرىء هو الذى أرسل نبيه (يأيها الذين آمنوا هل أدلكم على تجارة تنجيكم من ١٠
عذاب أليم) وقرىء تنجيكم بالتشديد وقوله تعالى (تؤمنون بالله ورسوله وتجاهدون فى سبيل بأموالكم ١١
وأنفسكم) استئناف وقع جواباً عما نشأ مما قبله كأنهم قالوا كيف نعمل أو ماذا نصنع فقيل تؤمنون
بالله الخ وهو خبر فى معنى الأمر جىء به للإيذان بوجوب الامتثال فكأنه قد وقع فأخبر بوقوعه ويؤيده
قراءة من قرأ آمنوا بالله ورسوله وجاهدوا وقرىء تؤمنوا وتجاهدوا على إضمار لام الأمر (ذلكم) *
إشارة إلى ما ذكر من الإيمان والجهاد بقسميه وما فيه من معنى البعد لما مر غير مرة (خير لكم) على *
الإطلاق أو من أموالكم وأنفسكم (إن كنتم تعلمون) أى إن كنتم من أهل العلم فإن الجهلة لا يعتد *
بأفعالهم أو إن كنتم تعلمون أنه خير لكم كان خيراً لكم حينئذ لأنكم إذا علمتم ذلك واعتقدتموه أحببتم
الإيمان والجهاد فوق ما تحبون أنفسكم وأموالكم فتخلصون وتفلحون (يغفر لكم ذنوبكم) جواب للأمر ١٢
المدلول عليه بلفظ الخبر أو لشرط أو استفهام دل عليه الكلام تقديره إن تؤمنوا وتجاهدوا أو هل
تقبلون أن أدلكم يغفر لكم وجعله جواباً لهل أدلكم بعيد لأن مجرد الدلالة لا يوجب المغفرة (ويدخلكم *
جنات تجرى من تحتها الأنهار ومساكن طيبة فى جنات عدن ذلك) أى ما ذكر من المغفرة وإدخال
الجنات الموصوفة بما ذكر من الأوصاف الجليلة (الفوز العظيم) الذى لا فوز وراءه (وأخرى) ولكم ١٣
إلى هذه النعم العظيمة نعمة أخرى عاجلة (تحبونها) وترغبون فيها وفيه تعريض بأنهم يؤثرون العاجل *
على الآجل وقيل أخرى منصوبة بإضمار يعطكم أو تحبون أو مبتدأ خبره (نصر من الله) وهو على *
الأول بدل أو بيان وعلى تقدير النصب خبر مبتدأ محذوف (وفتح قريب) أى عاجل عطف على *

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُونُوٓا۟ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّـۧنَ مَنْ أَنصَارِىٓ إِلَى ٱللَّهِ ۖ قَالَ ٱلْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ ٱللَّهِ ۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٌ مِّنۢ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٌ ۖ فَأَيَّدْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ﴿١٤﴾ ٦١ الصف

نصر على الوجوه المذكورة وقرىء نصراً وفتحاً قريباً على الاختصاص أو على المصدر أى تنصرون نصراً ويفتح لكم فتحاً أو على البدلية من أخرى على تقدير نصبها أى يعطكم نعمة أخرى نصراً وفتحاً (وبشر المؤمنين) عطف على محذوف مثل قل يأيها الذين وبشر أو على تؤمنون فإنه فى معنى آمنوا كأنه قيل آمنوا وجاهدوا أيها المؤمنون وبشرهم يأيها الرسول بما وعدتهم على ذلك عاجلا وآجلا ١٤ (يأيها الذين آمنوا كونوا أنصار الله) وقرىء أنصار الله بلا إضافة لأن المعنى كونوا بعض أنصار الله وقرىء كونوا أنتم أنصار الله (كما قال عيسى ابن مريم للحواريين من أنصارى إلى الله) أى من جندى متوجهاً إلى الله كما يقتضيه قوله تعالى (قال الحواريون نحن أنصار الله) والإضافة الأولى إضافة أحد المتشاركين إلى الآخر لما بينهما من الاختصاص والثانية إضافة الفاعل إلى المفعول والتشبيه باعتبار المعنى أى كونوا أنصار الله كما كان الحواريون أنصاره حين قال لهم عيسى من أنصارى إلى الله أو قل لهم كونوا كما قال عيسى للحواريين والحواريون أصفياؤه وهم أول من آمن به وكانوا إثنى عشر رجلا (فآمنت طائفة من بنى إسرائيل) أى بعيسى وأطاعوه فيما أمرهم من نصرة الدين (وكفرت طائفة) أخرى به وقاتلوهم (فأيدنا الذين آمنوا على عدوهم) أى قويناهم بالحجة أو بالسيف وذلك بعد رفع عيسى عليه السلام (فأصبحوا ظاهرين) غالبين. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الصف كان عيسى مصلياً عليه مستغفراً له مادام فى الدنيا وهو يوم القيامة رفيقه .

٦٢ — سورة الجمعة

(مدنية وهى إحدى عشرة آية)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿١﴾ ٦٢ الجمعة

هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ ﴿٢﴾ ٦٢ الجمعة

وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ ٦٢ الجمعة

﴿ سورة الجمعة مدنية وآياتها إحدى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله مافى السموات وما فى الأرض) تسبيحاً مستمراً (الملك
٢ القدوس العزيز الحكيم) وقد قرىء الصفات الأربع بالرفع على المدح (هو الذى بعث فى الأميين)
أى فى العرب لأن أكثرهم لايكتبون ولايقرءون قيل بدئت الكتابة بالطائف أخذوها من أهل الحيرة
* وهم من أهل الأنبار (رسولا منهم) أى كائناً من جملتهم أمياً مثلهم (يتلو عليهم آياته) مع كونه أمياً
* مثلهم لم يعهد منه قراءة ولا تعلم (ويزكيهم) صفة أخرى لرسولا معطوفة على يتلو أى يحملهم على مايصيرون
* به أزكياء من خبائث العقائد والأعمال (ويعلمهم الكتاب والحكمة) صفة أخرى لرسولا مترتبة فى
الوجود على التلاوة وإنما وسط بينهما التزكية التى هى عبارة عن تكميل النفس بحسب قوتها العملية
وتهذيبها المتفرع على تكميلها بحسب القوة النظرية الحاصل بالتعليم المترتب على التلاوة للإيذان بأن كلا
من الأمور المترتبة نعمة جليلة على حيالها مستوجبة للشكر فلو روعى ترتيب الوجود لتبادر إلى الفهم
كون الكل نعمة واحدة كما مر فى سورة البقرة وهو السر فى التعبير عن القرآن تارة بالآيات وأخرى
بالكتاب والحكمة رمزاً إلى أنه باعتبار كل عنوان نعمة على حدة ولا يقدح فيه شمول الحكمة لما
* فى تضاعيف الأحاديث النبوية من الأحكام والشرائع (وإن كانوا من قبل لفى ضلال مبين) من الشرك
وخبث الجاهلية وهو بيان لشدة افتقارهم إلى من يرشدهم وإزاحة لما عسى يتوهم من تعلمه عليه الصلاة
٣ والسلام من الغير وإن هى المخففة واللام هى الفارقة (وآخرين منهم) عطف على الأميين أو على المنصوب
فى يعلمهم ويعلم آخرين منهم أى من الأميين وهم الذين جاءوا بعد الصحابة إلى يوم الدين فإن دعوته
* عليه الصلاة والسلام وتعليمه يعم الجميع (لما يلحقوا بهم) صفة لآخرين أى لم يلحقوا بهم بعد
* وسيلحقون (وهو العزيز الحكيم) المبالغ فى العزة والحكمة ولذلك مكن رجلا أمياً من ذلك الأمر

ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ ذُو ٱلْفَضْلِ ٱلْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ٦٢ الجمعة

مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا۟ ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًۢا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥﴾ ٦٢ الجمعة

قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓا۟ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُا۟ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٦﴾ ٦٢ الجمعة

وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۚ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٧﴾ ٦٢ الجمعة

---

٤ العظيم واصطفاه من بين كافة البشر (ذلك) الذى امتاز به من بين سائر الأفراد (فضل الله) وإحسانه
* (يؤتيه من يشاء) تفضيلا وعطية (والله ذو الفضل العظيم) الذى يستحقر دونه نعيم الدنيا ونعيم الآخرة
• (مثل الذين حملوا التوراة) أى علموها وكلفوا العمل بها (ثم لم يحملوها) أى لم يعملوا بما فى تضاعيفها
* من الآيات التى من جملتها الآيات الناطقة بنبوة رسول الله صلى الله عليه وسلم (كمثل الحمار يحمل أسفارا)
أى كتباً من العلم يتعب بحملها ولا ينتفع بها ويحمل إما حال والعامل فيها معنى المثل أو صفة للحمار
* إذ ليس المراد به معيناً فهو فى حكم النكرة كما فى قول من قال [ولقد أمر على اللئيم يسبنى] (بئس مثل
القوم الذين كذبوا بآيات الله) أى بئس مثلا مثل القوم الذين كذبوا بآيات الله على أن التمييز محذوف
والفاعل المفسر به مستتر ومثل القوم هو المخصوص بالذم والموصول صفة للقوم أو بئس مثل القوم
مثل الذين كذبوا الخ على أن مثل القوم فاعل بئس والمخصوص بالذم محذوف وهم اليهود الذين كذبوا
* بما فى التوارة من الآيات الشاهدة بصحة نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (والله لايهدى القوم الظالمين)
٦ الواضعين للتكذيب فى موضع التصديق أو الظالمين لأنفسهم بتعريضها للعذاب الخالد (قل يأيها الذين
* هادوا) أى تهودوا (إن زعمتم أنكم أولياء لله من دون الناس) كانوا يقولون نحن أبناء الله وأحباؤه
ويدعون أن الدار الآخرة لهم عند الله خالصة ويقولون لن يدخل الجنة إلا من كان هوداً فأمر رسول
* الله صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم إظهاراً لكذبهم إن زعمتم ذلك (فتمنوا الموت) أى فتمنوا من
* الله أن يميتكم وينقلكم من دار البلية إلى دار الكرامة (إن كنتم صادقين) جوابه محذوف لدلالة
ماقبله عليه إن كنتم صادقين فى زعمكم واثقين بأنه حق فتمنوا الموت فإن من أيقن بأنه من أهل الجنة
٧ أحب أن يتخلص إليها من هذه الدار التى هى قرارة الأكدار (ولا يتمنونه أبداً) إخبار بما سيكون
* منهم والباء فى قوله تعالى (بما قدمت أيديهم) متعلقة بما يدل عليه النفى أى يأبون التمنى بسبب ماعملوا
من الكفر والمعاصى الموجبة لدخول النار ولما كانت اليد من بين جوارح الإنسان مناط عامة أفاعيله
* عبر بها تارة عن النفس وأخرى عن القدرة (والله عليم بالظالمين) أى بهم وإيثار الإظهار على الإضمار

قُلْ إِنَّ الْمَوْتَ الَّذِي تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلَاقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾

٦٢ الجمعة

يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِن يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَىٰ ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٩﴾

٦٢ الجمعة

فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٠﴾

٦٢ الجمعة

لذمهم والتسجيل عليهم بأنهم ظالمون فى كل ما يأتون وما يذرون من الأمور التى من جملتها ادعاء ماهم عنه بمعزل والجملة تذييل لما قبلها مقررة لمضمونه أى عليم بهم وبما صدر عنهم من فنون الظلم والمعاصى المفضية إلى أفانين العذاب وبما سيكون منهم من الاحتراز عما يؤدى إلى ذلك فوقع الأمر كما ذكر فلم يتمن منهم موته أحد كما يعرب عنه قوله تعالى (قل إن الموت الذى تفرون منه) فإن ذلك إنما يقال ٨ لهم بعد ظهور فرارهم من التمنى وقد قال عليه الصلاة والسلام لو تمنوا لماتوا من ساعتهم وهذه إحدى المعجزات أى إن الموت الذى تفرون منه ولا تجسرون على أن تتمنوه مخافة أن تؤخذوا بوبال كفركم (فإنه ملاقيكم) البتة من غير صارف يلويه ولا عاطف يثنيه والفاء لتضمن الاسم معنى الشرط باعتبار * الوصف وقرىء بدونها وقرىء تفرون منه ملاقيكم (ثم تردون إلى عالم الغيب والشهادة) الذى لا تخفى * عليه خافية (فينبئكم بما كنتم تعملون) من الكفر والمعاصى بأن يجازيكم بها (يأيها الذين آمنوا إذا نودى ٩ للصلاة) أى فعل النداء لها أى أذن لها (من يوم الجمعة) بيان لإذا وتفسير لها وقيل من بمعنى فى كما * فى قوله تعالى أرونى ماذا خلقوا من الأرض أى فى الأرض وإنما سمى جمعة لاجتماع الناس فيه للصلاة وقيل أول من سماها جمعة كعب بن لؤى وكانت العرب تسميه العروبة وقيل إن الأنصار قالوا قبل الهجرة لليهود يوم يجتمعون فيه بكل سبعة أيام وللنصارى مثل ذلك فهلموا نجعل لنا يوماً نجتمع فيه فنذكر الله فيه ونصلى فقالوا يوم السبت لليهود ويوم الأحد للنصارى فاجعلوه يوم العروبة فاجتمعوا إلى سعد بن زرارة فصلى بهم ركعتين وذكرهم فسموه يوم الجمعة لاجتماعهم فيه فأنزل الله آية الجمعة فهى أول جمعة كانت فى الإسلام . وأما أول جمعة جمعها رسول الله صلى الله عليه وسلم فهو أنه لما قدم مهاجراً نزل قباء على بنى عمرو بن عوف وأقام بها يوم الإثنين والثلاثاء والأربعاء والخميس وأسس مسجدهم ثم خرج يوم الجمعة عامداً المدينة فأدركته صلاة الجمعة فى بنى سالم بن عوف فى بطن وادلهم فخطب وصلى الجمعة (فاسعوا إلى ذكر الله) أى امشوا واقصدوا إلى الخطبة والصلاة (وذروا البيع) * واتركوا المعاملة (ذلكم) أى السعى إلى ذكر الله وترك البيع (خير لكم) من مباشرته فإن نفع الآخرة * أجل وأبقى (إن كنتم تعلمون) أى الخير والشر الحقيقيين أو إن كنتم أهل العلم (فإذا قضيت الصلاة) ١٠

وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِندَ اللَّهِ خَيْرٌ مِّنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿١١﴾ ٦٢ الجمعة

أى أديت وفرغ منها (فانتشروا فى الأرض) لإقامة مصالحكم (وابتغوا من فضل الله) أى الربح فالأمر للإطلاق بعد الحظر وعن ابن عباس رضى الله عنهما لم يؤمروا بطلب شىء من الدنيا إنما هو عيادة المرضى وحضور الجنائز وزيارة أخ فى الله وعن الحسن وسعيد بن المسيب طلب العلم وقيل صلاة التطوع (واذكروا الله كثيراً) ذكراً كثيراً أو زماناً كثيراً ولا تخصوا ذكره تعالى بالصلاة (لعلكم تفلحون) كى تفوزوا بخير الدارين (وإذا رأوا تجارة أو لهواً انفضوا إليها) روى أن أهل المدينة أصابهم جوع وغلاء شديد فقدم دحية بن خليفة بتجارة من زيت الشام والنبى عليه الصلاة والسلام يخطب يوم الجمعة فقاموا إليه خشية أن يسبقوا إليه فما بقى معه عليه الصلاة والسلام إلا ثمانية وقيل أحد عشر وقيل إثنا عشر وقيل أربعون فقال عليه الصلاة والسلام والذى نفس محمد بيده لوخرجوا جميعاً لأضرم الله عليهم الوادى ناراً وكانوا إذا أقبلت العير استقبلوها بالطبل والتصفيق وهو المراد باللهو وتخصيص التجارة برجع الضمير لأنها المقصودة أو لأن الإنفضاض للتجارة مع الحاجة إليها والانتفاع بها إذا كان مذموماً فما ظنك بالإنفضاض إلى اللهو وهو المذموم فى نفسه وقيل تقديره إذا رأوا تجارة انفضوا إليها أو لهواً انفضوا إليه فحذف الثانى لدلالة الأول عليه وقرىء إليهما (وتركوك قائماً) أى على المنبر (قل ماعند الله) من الثواب (خير من اللهو ومن التجارة) فإن ذلك نفع محقق مخلد بخلاف مافيهما من النفع المتوهم (والله خير الرازقين) فإليه اسعوا ومنه اطلبوا الرزق . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الجمعة أعطى من الأجر عشر حسنات بعدد من أتى الجمعة ومن لم يأتها فى أمصار المسلمين .

٦٣ — سورة المنافقون
(مدنية وهى إحدى عشرة)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ﴿١﴾ ٦٣ المنافقون

ٱتَّخَذُوٓا۟ أَيْمَٰنَهُمْ جُنَّةً فَصَدُّوا۟ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ إِنَّهُمْ سَآءَ مَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢﴾ ٦٣ المنافقون

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ ثُمَّ كَفَرُوا۟ فَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٣﴾ ٦٣ المنافقون

﴿سورة المنافقون مدنية وآياتها إحدى عشرة﴾

(بسم الله الرحمن الرحيم) (إذا جاءك المنافقون) أى حضروا مجلسك (قالوا نشهد إنك لرسول الله) مؤكدين كلامهم بان واللام للإيذان بأن شهادتهم هذه صادرة عن صميم قلوبهم وخلوص اعتقادهم ووفور رغبتهم ونشاطهم وقوله تعالى (والله يعلم إنك لرسوله) اعتراض مقرر لمنطوق كلامهم وسط بينه وبين قوله تعالى (والله يشهد إن المنافقين لكاذبون) تحقيقاً وتعييناً لما نيط به التكذيب من أنهم قالوه عن اعتقاد كما أشير إليه وإماطة من أول الأمر لما عسى يتوهم من توجه التكذيب إلى منطوق كلامهم أى والله يشهد إنهم لكاذبون فيما ضمنوا مقالتهم من أنها صادرة عن اعتقاد وطمأنينة قلب والإظهار فى موقع الإضمار لذمهم والإشعار بعلة الحكم (اتخذوا أيمانهم) الفاجرة التى من جملتها ما حكى عنهم (جنة) أى وقاية عما يتوجه إليهم من مؤاخذة بالقتل والسبي أو غير ذلك واتخاذها جنة عبارة عن إعدادهم وتهيئتهم لها إلى وقت الحاجة ليحلفوا بها ويتخلصوا عن المؤاخذة لا عن استعمالها بالفعل فإن ذلك متأخر عن المؤاخذة المسبوقة بوقوع الجناية واتخاذ الجنة لابد أن يكون قبل المؤاخذة وعن سببها أيضاً كما يفصح عنه الفاء فى قوله تعالى (فصدوا عن سبيل الله) أى فصدوا من أراد الدخول فى الإسلام بأنه عليه الصلاة والسلام ليس برسول ومن أراد الإنفاق فى سبيل الله بالنهى عنه كما سيحكى عنهم ولا ريب فى أن هذا الصد منهم متقدم على حلفهم بالفعل وقرىء إيمانهم أى ما ظهروه على ألسنتهم فاتخاذه جنة عبارة عن استعماله بالفعل فإنه وقاية دون دمائهم وأموالهم فمعنى قوله تعالى فصدوا حينئذ فاستمروا على ما كانوا عليه من الصد والإعراض عن سبيله تعالى (إنهم ساء ما كانوا يعملون) من النفاق والصد وفى ساء معنى التعجب وتعظيم أمرهم عند السامعين (ذلك) إشارة إلى ما تقدم من القول

وَإِذَا رَأَيْتَهُمْ تُعْجِبُكَ أَجْسَامُهُمْ وَإِن يَقُولُوا تَسْمَعْ لِقَوْلِهِمْ كَأَنَّهُمْ خُشُبٌ مُّسَنَّدَةٌ يَحْسَبُونَ كُلَّ صَيْحَةٍ عَلَيْهِمْ هُمُ الْعَدُوُّ فَاحْذَرْهُمْ قَاتَلَهُمُ اللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴿٤﴾ ٦٣ المنافقون

وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ﴿٥﴾ ٦٣ المنافقون

الناعي عليهم أنهم أسوأ الناس أعمالا أو إلى ماوصف من حالهم فى النفاق والكذب والاستتار بالإيمان الصورى وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه لما مر مراراً من الإشعار ببعد منزلته فى الشر (بأنهم) أى بسبب أنهم (آمنوا) أى نطقوا بكلمة الشهادة كسائر من يدخل فى الإسلام (ثم كفروا) أى ظهر كفرهم بما شوهد منهم من شواهد الكفر ودلائله أو نطقوا بالإيمان عند المؤمنين ثم نطقوا بالكفر عند شياطينهم (فطبع على قلوبهم) حتى تمرنوا على الكفر واطمأنوا به وقرىء على البناء للفاعل وقرىء فطبع الله (فهم لايفقهون) حقيقة الإيمان ولا يعرفون حقيقته أصلا (وإذا رأيتهم تعجبك أجسامهم) لضخامتها ويروقك منظرهم لصباحة وجوههم (وإن يقولوا تسمع لقولهم) لفصاحتهم وذلاقة ألسنتهم وحلاوة كلامهم وكان ابن أبى جسيما فصيحاً يحضر مجلس رسول الله صلى الله عليه وسلم فى نفر من أمثاله وهم رؤساء المدينة وكان عليه الصلاة والسلام ومن معه يعجبون بهيا كلهم ويسمعون إلى كلامهم وقيل الخطاب لكل أحد ممن يصلح للخطاب ويؤيده قراءة يسمع على البناء للمفعول وقوله تعالى (كأنهم خشب مسندة) فى حيز الرفع على أنه خبر مبتدأ محذوف أو كلام مستأنف لامحل له شبهوا فى جلوسهم فى مجالس رسول الله صلى الله عليه وسلم مستندين فيها بخشب منصوبة مسندة إلى الحائط فى كونهم أشباحا خالية عن العلم والخير وقرىء خشب على أنه جمع خشبة كبدن جمع بدنة وقيل هو جمع خشباء وهى الخشبة التى دعر جوفها أى فسد شبهوا بها فى نفاقهم وفساد بواطنهم وقرىء خشب كمدرة ومدر (يحسبون كل صيحة عليهم) أى واقعة عليهم ضارة لهم لجبنهم واستقرار الرعب فى قلوبهم وقيل كانوا على وجل من أن ينزل الله فيهم مايهتك أستارهم ويبيح دماءهم وأموالهم (هم العدو) أى هم الكاملون فى العداوة والراسخون فيها فإن أعدى الأعادى العدو المكاشر الذى يكاشرك وتحت ضلوعه الداء الدوى والجملة مستأنفة وجعلها مفعولا ثانياً للحسبان مما لايساعده النظم الكريم أصلا فإن الفاء فى قوله تعالى (فاحذرهم) لترتيب الأمر بالحذر على كونهم أعدى الأعداء (قاتلهم الله) دعاء عليهم وطلب من ذاته تعالى أن يلعنهم ويخزيهم أو تعليم للمؤمنين أن يدعوا عليهم بذلك وقوله تعالى (أنى يؤفكون) تعجيب من حالهم أى كيف يصرفون عن الحق إلى ماهم عليه من الكفر والضلال (وإذا قيل لهم) عند ظهور جنايتهم بطريق النصيحة (تعالوا يستغفر لكم رسول الله لووا رؤوسهم) أى عطفوها استكباراً (ورأيتهم يصدون) يعرضون عن القائل أو عن الاستغفار (وهم مستكبرون)

سَوَآءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٦﴾ ٦٣ المنافقون

هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا۟ عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا۟ وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ ﴿٧﴾ ٦٣ المنافقون

يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨﴾ ٦٣ المنافقون

---

٦ عن ذلك (سواء عليهم أستغفرت لهم) كما إذا جاءوك معتذرين من جناياتهم وقرىء استغفرت بحذف حرف الاستفهام ثقة بدلالة أم عليه وقرىء آستغفرت بإشباع همزة الاستفهام لا بقلب همزة الوصل ألفاً (أم لم تستغفر لهم) كما إذا أصروا على قبائحهم واستكبروا عن الاعتذار والاستغفار (لن يغفر * الله لهم) أبداً لإصرارهم على الفسق ورسوخهم فى الكفر (إن الله لا يهدى القوم الفاسقين) الكاملين * فى الفسق الخارجين عن دائرة الاستصلاح المنهمكين فى الكفر والنفاق والمراد إما هم بأعيانهم والإظهار فى موقع الإضمار لبيان غلوهم فى الفسق أو الجنس وهم داخلون فى زمرتهم دخولا أولياً وقوله تعالى

٧ (هم الذين يقولون) أى الأنصار (لا تنفقوا على من عند رسول الله) صلى الله عليه وسلم (حتى ينفضوا) يعنون فقراء المهاجرين استئناف جار مجرى التعليل لفسقهم أو لعدم مغفرته تعالى لهم وقرىء حتى ينفضوا من انفض القوم إذا فنيت أزوادهم وحقيقته حان لهم أن ينفضوا مزاودهم وقوله تعالى (ولله * خزائن السموات والأرض) رد وإبطال لما زعموا من أن عدم إنفاقهم يؤدى إلى انفضاض الفقراء من حوله صلى الله عليه وسلم ببيان أن خزائن الأرزاق بيد الله تعالى خاصة يعطى من يشاء ويمنع من يشاء (ولكن المنافقين لا يفقهون) ذلك لجهلهم بالله تعالى وبشئونه ولذلك يقولون من مقالات الكفر * مايقولون

٨ (يقولون لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل) روى أن جهجاه بن سعيد أجير عمر رضى الله عنه نازع سنانا الجهنى حليف ابن أبى واقتتلا فصرخ جهجاه يا للمهاجرين وسنان يا للأنصار فأعان جهجاها جعال من فقراء المهاجرين ولطم سناناً فاشتكى إلى ابن أبى فقال للأنصار لا تنفقوا الخ والله لئن رجعنا إلى المدينة ليخرجن الأعز منها الأذل عنى بالأعز نفسه وبالأذل جانب المؤمنين وإسناد القول المذكور إلى المنافقين لرضاهم به فرد عليهم ذلك بقوله تعالى (ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين) * أى ولله الغالبة والقوة ولمن أعزه من رسوله والمؤمنين لا لغيرهم (ولكن المنافقين لا يعلمون) من * فرط جهلهم وغرورهم فيهذون مايهذون. روى أن عبد الله بن أبى لما أراد أن يدخل المدينة اعترضه ابنه عبد الله بن عبد الله بن أبى وكان مخلصاً وقال لئن لم تقر لله ولرسوله بالعز لأضربن عنقك فلما

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَٰلُكُمْ وَلَآ أَوْلَـٰدُكُمْ عَن ذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَـٰسِرُونَ ﴿٩﴾ ٦٣ المنافقون

وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقْنَـٰكُم مِّن قَبْلِ أَن يَأْتِىَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوْلَآ أَخَّرْتَنِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ قَرِيبٍ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿١٠﴾ ٦٣ المنافقون

وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفْسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَا وَٱللَّهُ خَبِيرٌۢ بِمَا تَعْمَلُونَ ﴿١١﴾ ٦٣ المنافقون

رأى منه الجد قال أشهد أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين فقال النبى صلى الله عليه وسلم لابنه جزاك الله عن رسوله وعن المؤمنين خيراً (يأيها الذين آمنوا لاتلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) ٩ أى لايشغلكم الاهتمام بتدبير أمورها والاعتناء بمصالحها والتمتع بها عن الاشتغال بذكره عز وجل من الصلاة وسائر العبادات المذكورة للمعبود والمراد نهيهم عن التلهى بها وتوجيه النهى إليها للمبالغة * كما فى قوله تعالى ولا يجرمنكم شنآن قوم الخ (ومن يفعل ذلك) أى التلهى بالدنيا من الدين (فأولئك هم الخاسرون) أى الكاملون فى الخسران حيث باعوا العظيم الباقى بالحقير الفانى (وأنفقوا مما رزقناكم) ١٠ * أى بعض ما أعطيناكم تفضلا من غير أن يكون حصوله من جهتكم ادخاراً للآخرة (من قبل أن يأتى أحدكم الموت) بأن يشاهد دلائله ويعاين أماراته ومخايله وتقديم المفعول على الفاعل لما مر مراراً * من الاهتمام بما قدم والتشويق إلى ما أخر (فيقول) عند تيقنه بحلوله (رب لولا أخرتنى) أى أمهلتنى * (إلى أجل قريب) أى أمد قصير (فأصدق) بالنصب على جواب التمنى وقرىء فأتصدق (وأكن من الصالحين) بالجزم عطفاً على محل فأصدق كأنه قيل إن أخرتنى أصدق وأكن وقرىء وأكون بالنصب عطفاً على لفظه وقرىء وأكون بالرفع أى وأنا أكون عدة منه بالصلاح (ولن يؤخر الله نفساً) ١١ * أى ولن يمهلها (إذا جاء أجلها) أى آخر عمرها أو انتهى إن أريد بالأجل الزمان الممتد من أول * العمر إلى آخره (والله خبير بما تعملون) فجاز لكم عليه إن خيراً فخير وإن شراً فشر فسارعوا فى الخيرات واستعدوا لما هو آت وقرىء يعملون بالياء التحتانية . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة المنافقين برىء من النفاق .

---

٦٤ — سورة التغابن

(مدنية وهى ثمانى عشرة)

بسم الله الرحمن الرحيم

يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ لَهُ ٱلْمُلْكُ وَلَهُ ٱلْحَمْدُ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾ ٦٤ التغابن

هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُمْ فَمِنكُمْ كَافِرٌ وَمِنكُم مُّؤْمِنٌ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٢﴾ ٦٤ التغابن

خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِٱلْحَقِّ وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَإِلَيْهِ ٱلْمَصِيرُ ﴿٣﴾ ٦٤ التغابن

يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٤﴾ ٦٤ التغابن

﴿ سورة التغابن مدنية مختلف فيها وآياتها ثمانى عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يسبح لله مافى السموات ومافى الأرض) أى ينزهه سبحانه جميع مافيهما من المخلوقات عما لايليق بجناب كبريائه تنزيهاً مستمراً (له الملك وله الحمد) لالغيره إذ هو المبدىء لكل * شىء وهو القائم به والمهيمن عليه وهو المولى لأصول النعم وفروعها وأماملك غيره فاسترعاء من جنابه وحمد غيره اعتداد بأن نعمة الله جرت على يده (وهو على كل شىء قدير) لأن نسبة ذاته المقتضية للقدرة * ٢ إلى الكل سواء (هو الذى خلقكم) خلقاً بديعاً حاوياً لجميع مبادى الكمالات العلمية والعملية ومع ذلك (فمنكم كافر) أى فبعضكم أو فبعض منكم مختار للكفر كاسب له على خلاف ماتستدعيه خلقته (ومنكم * مؤمن) مختار للإيمان كاسب له حسبما تقتضيه خلقته وكان الواجب عليكم جميعاً أن تكونوا مختارين للإيمان شاكرين لنعمة الخلق والإيجاد وما يتفرع عليها من سائر النعم فما فعلتم ذلك مع تمام تمكنكم منه بل تشعبتم شعباً وتفرقتم فرقا وتقديم الكفر لأنه الأغلب فيما بينهم والأنسب بمقام التوبيخ وحمله على معنى فمنكم كافر مقدرة كفره موجه إليه مايحمله عليه ومنكم مؤمن مقدر إيمانه موفق لما يدعوه إليه مما لايلائم المقام (والله بما تعملون بصير) فيجازيكم بذلك فاختاروا منه مايجديكم من الإيمان والطاعة * ٣ وإياكم وما يرديكم من الكفر والعصيان (خلق السموات والأرض بالحق) بالحكمة البالغة المتضمنة للمصالح الدينية والدنيوية (وصوركم فأحسن صوركم) حيث براكم فى أحسن تقويم وأودع فيكم * من القوى والمشاعر الظاهرة والباطنة مانيط بها عن الكمالات البارزة والكامنة وزينكم بصفوة صفات مصنوعاته وخصكم بخلاصة خصائص مبدعاته وجعلكم أنموذج جميع مخلوقاته فى هذه النشأة (وإليه المصير) * فى النشأة الأخرى لا إلى غيره استقلالا أو اشتراكا فأحسنوا سرائركم باستعمال تلك القوى والمشاعر ٤ فيما خلقن له (يعلم ما فى السموات والأرض) من الأمور الكلية والجزئية والأحوال الجلية والخفية

أَلَمْ يَأْتِكُمْ نَبَؤُا الَّذِينَ كَفَرُوا مِن قَبْلُ فَذَاقُوا وَبَالَ أَمْرِهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٥﴾ ٦٤ التغابن

ذَٰلِكَ بِأَنَّهُ كَانَت تَّأْتِيهِمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَقَالُوا أَبَشَرٌ يَهْدُونَنَا فَكَفَرُوا وَتَوَلَّوا وَّاسْتَغْنَى اللَّهُ وَاللَّهُ غَنِيٌّ حَمِيدٌ ﴿٦﴾ ٦٤ التغابن

زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَن لَّن يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾ ٦٤ التغابن

(ويعلم ماتسرون وما تعلنون) أى ماتسرونه فيما بينكم وما تظهرونه من الأمور والتصريح به مع اندراجه فيما قبله لأنه الذى يدور عليه الجزاء ففيه تأكيد للوعد والوعيد وتشديد لهما وقوله تعالى (والله عليم بذات الصدور) اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من شمول علمه تعالى لسرهم وعلنهم أى هو محيط بجميع المضمرات المستكنة فى صدور الناس بحيث لا تفارقها أصلا فكيف يخفى عليه مايسرونه وما يعلنونه وإظهار الجلالة للإشعار بعلة الحكم وتأكيد استقلال الجملة قيل وتقديم تقرير القدرة على تقرير العلم لأن دلالة المخلوقات على قدرته بالذات وعلى علمه بما فيها من الإتقان والاختصاص ببعض الأنحاء

٥ (ألم يأتكم) أيها الكفرة (نبأ الذين كفروا من قبل) كقوم نوح ومن بعدهم من الأمم المصرة على الكفر (فذاقوا وبال أمرهم) عطف على كفروا والوبال الثقل والشدة المترتبة على أمر من الأمور وأمرهم كفرهم عبر عنه بذلك للإيذان بأنه أمر هائل وجناية عظيمة أى ألم يأتكم خبر الذين كفروا من قبل

٦ فذاقوا من غير مهلة مايستتبعه كفرهم فى الدنيا (ولهم) فى الآخرة (عذاب أليم) لا يقادر قدره (ذلك) أى ماذكر من العذاب الذى ذاقوه فى الدنيا وما سيذوقونه فى الآخرة (بأنه) بسبب أن الشأن (كانت تأتيهم رسلهم بالبينات) أى بالمعجزات الظاهرة (فقالوا) عطف على كانت (أبشر يهدوننا) أى قال كل قوم من المذكورين فى حق رسولهم الذى أتاهم بالمعجزات منكرين لكون الرسول من جنس البشر متعجبين من ذلك أبشر يهدينا كما قالت ثمود أبشراً منا واحداً نتبعه وقد أجمل فى الحكاية فأسند القول إلى جميع الأقوام وأريد بالبشر الجنس فوصف بالجمع كما أجمل الخطاب والأمر فى قوله تعالى يا أيها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا صالحاً (فكفروا) أى بالرسل (وتولوا) عن التدبر فيما أتوا به من البينات وعن الإيمان بهم (واستغنى الله) أى أظهر استغناءه عن إيمانهم وطاعتهم حيث أهلكهم وقطع دابرهم ولولا غناه تعالى عنهما لما فعل ذلك (والله غنى) عن العالمين فضلا عن إيمانهم وطاعتهم (حميد)

٧ يحمده كل مخلوق بلسان الحال أو مستحق للحمد بذاته وإن لم يحمده حامد (زعم الذين كفروا أن لن يبعثوا) الزعم ادعاء العلم يتعدى إلى مفعولين وقد قام مقامهما أن المخففة مع مافى حيزها والمراد بالموصول كفار مكة أى زعموا أن الشأن لن يبعثوا بعد موتهم أبداً (قل) رداً عليهم وإبطالا لزعمهم بإثبات مانفوه (بلى) أى تبعثون وقوله (وربى لتبعثن ثم لتنبؤن بما عملتم) أى لتحاسبن ولتجزون بأعمالكم جملة

فَـَٔامِنُواْ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَٱلنُّورِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلْنَا وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٨﴾ ٦٤ التغابن

يَوْمَ يَجْمَعُكُمْ لِيَوْمِ ٱلْجَمْعِ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلتَّغَابُنِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُكَفِّرْ عَنْهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ذَٰلِكَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٩﴾ ٦٤ التغابن

وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَكَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَآ أُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٠﴾ ٦٤ التغابن

مَآ أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلَّا بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُۥ وَٱللَّهُ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴿١١﴾ ٦٤ التغابن

مستقلة داخلة تحت الأمر واردة لتأكيد ما أفاده كلمة بلى من إثبات البعث وبيان تحقق أمر آخر متفرع عليه منوط به ففيه تأكيد لتحقق البعث بوجهين (وذلك) أى ماذكر من البعث والجزاء (على الله يسير) لتحقق القدرة التامة وقبول المادة والفاء فى قوله تعالى (فآمنوا) فصيحة مفصحة عن شرط قد حذف ثقة بغاية ظهوره أى إذا كان الأمر كذلك فآمنوا (بالله ورسوله) محمد صلى الله عليه وسلم (والنور الذى أنزلنا) وهو القرآن فإنه بإعجازه بين بنفسه مبين لغيره كما أن النور كذلك والالتفات إلى نون العظمة لإبراز كمال العناية بأمر الإنزال (والله بما تعملون) من الامتثال بالأمر وعدمه (خبير) فمجاز لكم عليه والجملة اعتراض تذييلى مقرر لما قبله من الأمر موجب للامتثال به بالوعد والوعيد والالتفات إلى الاسم الجليل لتربية المهابة وتأكيد استقلال الجملة (يوم يجمعكم) ظرف لتنبؤن وقيل لخبير لما فيه من معنى الوعيد كأنه قيل والله مجازيكم ومعاقبتكم يوم يجمعكم أو مفعول لاذكر وقرىء نجمعكم بنون العظمة (ليوم الجمع) ليوم يجمع فيه الأولون والآخرون أى لأجل مافيه من الحساب والجزاء (ذلك يوم التغابن) أى يوم غبن بعض الناس بعضاً بنزول السعداء منازل الأشقياء لو كانوا سعداء وبالعكس وفى الحديث مامن عبد يدخل الجنة إلا أرى مقعده من النار لو أساء ليزداد شكراً وما من عبد يدخل النار إلا أرى مقعده من الجنة لو أحسن ليزداد حسرة وتخصيص التغابن بذلك اليوم للإيذان بأن التغابن فى الحقيقة هو الذى يقع فيه لا ما يقع فى أمور الدنيا (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) أى عملا صالحاً (يكفر) أى الله عز وجل وقرىء بنون العظمة (عنه سيئاته) يوم القيامة (ويدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبداً) وقرىء ندخله بنون (ذلك) أى أى ماذكر من تكفير السيئات وإدخال الجنات (الفوز العظيم) الذى لافوز وراءه لانطوائه على النجاة من أعظم الهلكات والظفر بأجل الطلبات (والذين كفروا وكذبوا بآياتنا أولئك أصحاب النار خالدين فيها وبئس المصير) أى النار كأن هاتين الآيتين الكريمتين بيان لكيفية التغابن (ما أصاب من مصيبة) من المصائب الدنيوية (إلا بإذن الله) أى بتقديره وإرادته كأنها بذاتها متوجهة إلى الإنسان متوقفة على إذنه تعالى (ومن يؤمن بالله يهد قلبه) عند إصابتها للثبات والاسترجاع وقيل يهد قلبه حتى يعلم

وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ فَإِن تَوَلَّيْتُمْ فَإِنَّمَا عَلَىٰ رَسُولِنَا ٱلْبَلَـٰغُ ٱلْمُبِينُ ﴿١٢﴾ ٦٤ التغابن

ٱللَّهُ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ ﴿١٣﴾ ٦٤ التغابن

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِنَّ مِنْ أَزْوَٰجِكُمْ وَأَوْلَـٰدِكُمْ عَدُوًّا لَّكُمْ فَٱحْذَرُوهُمْ وَإِن تَعْفُوا۟ وَتَصْفَحُوا۟ وَتَغْفِرُوا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ٦٤ التغابن

أن ما أصابه لم يكن ليخطئه وما أخطأه لم يكن ليصيبه وقيل يهد قلبه أى يلطف به ويشرحه لازدياد الطاعة والخير وقرىء يهدقلبه على البناء للمفعول ورفع قلبه وقرىء بنصبه على نهج سفه نفسه وقرىء يهدأ قلبهُ بالهمزة أى يسكن (والله بكل شيء) من الأشياء التى من جملتها القلوب وأحوالها (عليم) فيعلم إيمان المؤمن ويهدى قلبه إلى ماذكر (وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول) كرر الأمر لتأكيد والإيذان بالفرق بين الطاعتين فى الكيفية وتوضيح مورد التولى فى قوله تعالى (فإن توليتم) أى عن إطاعة الرسول وقوله تعالى (فإنما على رسولنا البلاغ المبين) تعليل للجواب المحذوف أى فلا بأس عليه إذ ما عليه إلا التبليغ المبين وقد فعل ذلك بما لا مزيد عليه وإظهار الرسول مضافا إلى نون العظمة فى مقام إضماره لتشريفه عليه الصلاة والسلام والإشعار بمدار الحكم الذى هو كون وظيفته عليه الصلاة والسلام محض البلاغ ولزيادة تشنيع التولى عنه (الله لا إله إلا هو) جملة من مبتدأ وخبر أى هو المستحق للمعبودية لا غيره وفى إضمار خبر لا مثل فى الوجود أو يصح أن يوجد خلاف للنحاة معروف (وعلى الله) أى عليه تعالى خاصة دون غيره لا استقلالا ولا اشتراكا (فليتوكل المؤمنون) وإظهار الجلالة فى موقع الإضمار للإشعار بعلة التوكل والأمر به فإن الألوهية مقتضية للتبتل إليه تعالى بالكلية وقطع التعلق عما سواه بالمرة (يأيها الذين آمنوا إن من أزواجكم وأولادكم عدواً لكم) يشغلونكم عن طاعة الله تعالى أو يخاصمونكم فى أمور الدين أو الدنيا (فاحذروهم) الضمير للعدو فإنه يطلق على الجمع نحو قوله تعالى فإنهم عدو لى أو للأزواج والأولاد جميعاً فالمأمور به على الأول الحذر عن الكل وعلى الثانى إما الحذر عن البعض لأن منهم من ليس بعدو وإما الحذر عن مجموع الفريقين لاشتمالهم على العدو (وإن تعفوا) عن ذنوبهم القابلة للعفو بأن تكون متعلقة بأمور الدنيا أو بأمور الدين لكن مقارنة للتوبة (وتصفحوا) بترك التثريب والتعيير (وتغفروا) بإخفائها وتمهيد عذرها (فإن الله غفور رحيم) يعاملكم بمثل ما عملتم ويتفضل عليكم وقيل إن ناساً من المؤمنين أرادوا الهجرة عن مكة فثبطهم أزواجهم وأولادهم وقالوا تنطلقوا وتضيعو نتافرقوا لهم ووقفوا فلما هاجروا بعد ذلك ورأوا المهاجرين الأولين قد فقهوا فى الدين أرادوا أن يعاقبوا أزواجهم وأولادهم فزين لهم العفو وقيل قالوا لهم أين تذهبون وتدعون بلدكم وعشيرتكم وأموالكم فغضبوا عليهم وقالوا لئن جمعنا الله فى دار الهجرة لم نصبكم بخير فلما هاجروا ومنعوهم الخير فحثوا على أن يعفوا عنهم ويردوا إليهم البر والصلة .

إِنَّمَآ أَمْوَٰلُكُمْ وَأَوْلَٰدُكُمْ فِتْنَةٌ وَٱللَّهُ عِندَهُۥٓ أَجْرٌ عَظِيمٌ ﴿١٥﴾ ٦٤ التغابن

فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ مَا ٱسْتَطَعْتُمْ وَٱسْمَعُوا۟ وَأَطِيعُوا۟ وَأَنفِقُوا۟ خَيْرًا لِّأَنفُسِكُمْ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿١٦﴾ ٦٤ التغابن

إِن تُقْرِضُوا۟ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَٰعِفْهُ لَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَٱللَّهُ شَكُورٌ حَلِيمٌ ﴿١٧﴾ ٦٤ التغابن

عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ ٦٤ التغابن

١٥ (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) بلاء ومحنة يوقعونكم فى الاثم من حيث لاتحتسبون (والله عنده أجر
١٦ عظيم) لمن آثر محبة الله تعالى وطاعته على محبة الأموال والأولاد والسعى فى تدبير مصالحهم (فاتقوا
* الله مااستطعتم) أى ابذلوا فى تقواه جهدكم وطاقتكم (واسمعوا) مواعظه (وأطيعوا) أوامره (وأنفقوا)
* مما رزقكم فى الوجوه التى أمركم بالإنفاق فيها خالصاً لوجهه (خيراً لأنفسكم) أى ائتوا خيراً لأنفسكم
وافعلوا ما هو خير لها وأنفع وهو تأكيد للحث على امتثال هذه الأوامر وبيان لكون الأمور المذكورة
خيراً لأنفسهم ويجوز أن يكون صفة لمصدر محذوف أى إنفاقاً خيراً أو خبراً لكان مقدراً جواباً
* للأوامر أى يكن خيراً لأنفسكم (ومن يوق شح نفسه فأولئك هم المفلحون) الفائزون بكل مرام
١٧ (إن تقرضوا الله) بصرف أموالكم إلى المصارف التى عينها (قرضاً حسناً) مقروناً بالإخلاص
* وطيب النفس (يضاعفه لكم) بالواحد عشرة إلى سبعمائة وأكثر وقرىء يضعفه لكم (ويغفر لكم)
* ببركة الإنفاق ما فرط منكم من بعض الذنوب (والله شكور) يعطى الجزيل بمقابلة النزر القليل (حليم)
١٨ لايعاجل بالعقوبة مع كثرة ذنوبكم (عالم الغيب والشهادة) لايخفى عليه خافية (العزيز الحكيم) المبالغ
فى القدرة والحكمة. عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التغابن دفع عنه موت الفجأة.

---

٦٥ — سورة الطلاق
(مدنية وهى إثنتا عشرة آية)

بسم الله الرحمن الرحيم

يَٰأَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَٰلِكَ أَمْرًا (١) ٦٥ الطلاق

(سورة الطلاق مدنية وآياتها إثنتا عشرة آية)

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيها النبى إذا طلقتم النساء) تخصيص النداء به عليه الصلاة والسلام مع عموم الخطاب لأمته أيضاً لتشريفه عليه الصلاة والسلام وإظهار جلالة منصبه وتحقيق أنه المخاطب حقيقة ودخولهم فى الخطاب بطريق استتباعه عليه الصلاة والسلام إياهم وتغليبه عليهم لا لأن نداءه كندائهم فإن ذلك الاعتبار لو كان فى حيز الرعاية لكان الخطاب هو الأحق به لشمول حكمه للكل قطعاً والمعنى إذا أردتم تطليقهن وعزمتم عليه كما فى قوله تعالى إذا قمتم إلى الصلاة (فطلقوهن لعدتهن) أى مستقبلات لها كقولك أتيته لليلة خلت من شهر كذا فإن المرأة إذا طلقت فى طهر يعقبه القرء الأول من إقرائها فقد طلقت مستقبلة لعدتها والمراد أن يطلقن فى طهر لم يقع فيه جماع ثم يخلين حتى تنقضى عدتها وهذا أحسن الطلاق وأدخله فى السنة (وأحصوا العدة) واضبطوها وأكملوها ثلاثة إقراء كوامل (واتقوا الله ربكم) فى تطويل العدة عليهن والإضرار بهن وفى وصفه تعالى بربوبيته لهم تأكيد للأمر ومبالغة فى إيجاب الاتقاء (لاتخرجوهن من بيوتهن) من مساكنهن عند الفراق إلى أن تنقضى عدتهن وإضافتها إليهن وهى لأزواجهن لتأكيد النهى ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن (ولا يخرجن) ولو بإذن منكم فإن الإذن بالخروج فى حكم الإخراج وقيل المعنى لايخرجن باستبداد منهن أما إذا اتفقا على الخروج جاز إذ الحق لا يعدوهما (إلا أن يأتين بفاحشة مبينة) استثناء من الأول قيل هى الزنا فيخرجن لإقامة الحد عليهن وقيل إلا أن يبذون على الأزواج فيحل حينئذ إخراجهن ويؤيده قراءة إلا أن يفحشن عليكم أو من الثانى للمبالغة فى النهى عن الخروج ببيان أن خروجها فاحشة (تلك) إشارة إلى ماذكر من الأحكام وما فى اسم الإشارة من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان بعلو درجتها وبعد منزلتها (حدود الله) التى عينها لعباده (ومن يتعد حدود الله) أى حدوده المذكورة بأن أخل بشىء منها على أن الإظهار فى حيز الإضمار لتهويل أمر التعدى والإشعار بعلة الحكم فى قوله تعالى (فقد ظلم نفسه) أى أضر بها وتفسير الظلم بتعريضها للعقاب يأباه

فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ أَوْ فَارِقُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِّنكُمْ وَأَقِيمُوا الشَّهَادَةَ لِلَّهِ ذَٰلِكُمْ يُوعَظُ بِهِ مَن كَانَ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا ﴿٢﴾ ٦٥ الطلاق

وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ٦٥ الطلاق

قوله تعالى (لاتدرى لعل الله يحدث بعد ذلك أمراً) فإنه استئناف مسوق لتعليل مضمون الشرطية * وقد قالوا إن الأمر الذى يحدثه الله تعالى أن يقلب قلبه عما فعله بالتعدى إلى خلافه فلابد أن يكون الظلم عبارة عن ضرر دنيوى يلحقه بسبب تعديه ولا يمكن تداركه أو عن مطلق الضرر الشامل للدنيوى والأخروى ويخص التعليل بالدنيوى لكون احتراز الناس منه أشد واهتمامهم بدفعه أقوى وقوله تعالى لاتدرى خطاب للمتعدى بطريق الالتفات لمزيد الاهتمام بالزجر عن التعدى لاللنبي عليه الصلاة والسلام كما توهم فالمعنى ومن يتعد حدود الله فقد أضر بنفسه فإنك لا تدرى أيها المتعدى عاقبة الأمر لعل الله يحدث فى قلبك بعد ذلك الذى فعلت من التعدى أمراً يقتضى خلاف ما فعلته فيبدل ببغضها محبة وبالإعراض عنها إقبالا إليها ويتسنى تلافيه رجعة أو استئناف نكاح (فإذا بلغن أجلهن) شارفن ٢ آخر عدتهن (فأمسكوهن) فراجعوهن (بمعروف) بحسن معاشرة وإنفاق لائق (أوفارقوهن بمعروف) * بإيفاء الحق واتقاء الضرار بأن يراجعها ثم يطلقها تطويلا للعدة (وأشهدوا ذوى عدل منكم) عند الرجعة * والفرقة قطعاً للتنازع وهذا أمر ندب كما فى قوله تعالى وأشهدوا إذا تبايعتم ويروى عن الشافعى أنه للوجوب فى الرجعة (وأقيموا الشهادة لله) أيها الشهود عند الحاجة خالصاً لوجهه تعالى (ذلكم) إشارة * إلى الحث على الإشهاد والإقامة أو على جميع مافى الآية (يوعظ به من كان يؤمن بالله واليوم الآخر) * إذ هو المنتفع به والمقصود تذكيره وقوله تعالى (ومن يتق الله) الخ جملة اعتراضية مؤكدة لما سبق * من وجوب مراعاة حدود الله تعالى بالوعد على الاتقاء عن تعديها كما أن ماتقدم من قوله تعالى ومن يتعد حدود الله فقد ظلم نفسه مؤكد له بالوعيد على تعديها فالمعنى ومن يتق الله فطلق للسنة ولم يضار المعتدة ولم يخرجها من مسكنها واحتاط فى الإشهاد وغيره من الأمور (يجعل له مخرجا) مما عسى يقع * فى شأن الأزواج من الغموم والوقوع فى المضايق ويفرج عنه ما يعتريه من الكروب (ويرزقه من ٣ حيث لايحتسب) أى من وجه لايخطر بباله ولا يحتسبه ويجوز أن يكون كلاما جىء به على نهج الاستطراد عند ذكر قوله تعالى ذلكم يوعظ به من كان يؤمن بالله إلى آخره فالمعنى ومن يتق الله فى كل ما يأتى وما يذر يجعل له مخرجا ومخلصاً من غموم الدنيا والآخرة فيندرج فيه مانحن فيه اندراجا أوليا عن النبي عليه الصلاة والسلام أنه قرأها فقال مخرجا من شبهات الدنيا ومن غمرات الموت ومن شدائد

وَٱلَّٰٓـِٔي يَئِسۡنَ مِنَ ٱلۡمَحِيضِ مِن نِّسَآئِكُمۡ إِنِ ٱرۡتَبۡتُمۡ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَٰثَةُ أَشۡهُرٖ وَٱلَّٰٓـِٔي لَمۡ يَحِضۡنَۚ وَأُوْلَٰتُ ٱلۡأَحۡمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعۡنَ حَمۡلَهُنَّۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّهُۥ مِنۡ أَمۡرِهِۦ يُسۡرٗا ﴿٤﴾ ٦٥ الطلاق

ذَٰلِكَ أَمۡرُ ٱللَّهِ أَنزَلَهُۥٓ إِلَيۡكُمۡۚ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يُكَفِّرۡ عَنۡهُ سَيِّـَٔاتِهِۦ وَيُعۡظِمۡ لَهُۥٓ أَجۡرًا ﴿٥﴾ ٦٥ الطلاق

يوم القيامة وقال عليه الصلاة والسلام إنى لأعلم آية لو أخذ الناس بها لكفتهم ومن يتق الله فما زال يقرؤها ويعيدها . وروى أن عوف بن الأشجعى أسر المشركون ابنه سالماً فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أسر ابنى وشكا إليه الفاقة فقال عليه الصلاة والسلام اتق الله وأكثر قول لاحول ولاقوة إلابالله العلى العظيم ففعل فبينا فى بيته إذ قرع ابنه الباب ومعه مائة من الإبل غفل عنها العدو فاستاقها فنزلت (ومن يتوكل على الله فهو حسبه) أى كافيه فى جميع أموره (إن الله بالغ أمره) بالإضافة أى منفذ أمره وقرىء بتنوين بالغ ونصب أمره أى يبلغ ما يريده لايفوته مراد ولا يعجزه مطلوب وقرىء برفع أمره على أنه مبتدأ وبالغ خبر مقدم والجلة خبر إن أو بالغ خبر إن وأمره مرتفع به على الفاعلية أى نافذ أمره وقرىء بالغاً أمره على أنه حال وخبر إن قوله تعالى (قد جعل الله لكل شىء قدراً) أى تقديراً وتوقيتاً أو مقداراً وهو بيان لوجوب التوكل عليه تعالى وتفويض الأمر إليه لأنه إذا علم أن كل شىء من الرزق وغيره لايكون إلا بتقديره تعالى لايبقى إلا التسليم للقدر والتوكل على الله تعالى (واللائى يئسن من المحيض من نسائكم) لكبرهن وقد قدروه بستين سنة وبخمس وخمسين (إن ارتبتم) أى شككتم وجهلتم كيف عدتهن (فعدتهن ثلاثة أشهر واللائى لم يحضن) بعد لصغرهن أى فعدتهن أيضاً كذلك لحذف ثقة بدلالة ماقبله عليه (وأولات الأحمال أجلهن) أى منتهى عدتهن (أن يضعن حملهن) سواء كن مطلقات أو متوفى عنهن أزواجهن وقد نسخ به عموم قوله تعالى والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا يتربصن بأنفسهن أربعة أشهر وعشرا لتراخى نزوله عن ذلك لما هو المشهور من قول ابن مسعود رضى الله عنه من شاء باهلته أن سورة النساء القصرى نزلت بعد التى فى سورة البقرة وقد صح أن سبيعة بنت الحرث الأسلية ولدت بعد وفاة زوجها بليال فذكرت ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقال لها قد حللت فتزوجى (ومن يتق الله) فى شأن أحكامه ومراعاة حقوقها (يجعل له من أمره يسراً) أى يسهل عليه أمره ويوفقه للخير (ذلك) إشارة إلى ماذكر من الأحكام وما فيه من معنى البعد مع قرب العهد بالمشار إليه للإيذان ببعد منزلته فى الفضل وإفراد الكاف مع أن الخطاب للجمع كما يفصح عنه قوله تعالى (أمر الله أنزله إليكم) لما أنها لمجرد الفرق بين الحاضر والمنقضى لالتعيين خصوصية المخاطبين وقد مر فى قوله تعالى ذلك يوعظ به من كان منكم يؤمن بالله من سورة البقرة (ومن يتق الله) بالمحافظة على أحكامه (يكفر عنه سيئاته) فإن الحسنات يذهبن السيئات (ويعظم له أجراً) بالمضاعفة .

أَسْكِنُوهُنَّ مِنْ حَيْثُ سَكَنتُم مِّن وُجْدِكُمْ وَلَا تُضَآرُّوهُنَّ لِتُضَيِّقُوا عَلَيْهِنَّ وَإِن كُنَّ أُولَٰتِ حَمْلٍ فَأَنفِقُوا عَلَيْهِنَّ حَتَّىٰ يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ فَإِنْ أَرْضَعْنَ لَكُمْ فَـَٔاتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ وَأْتَمِرُوا بَيْنَكُم بِمَعْرُوفٍ وَإِن تَعَاسَرْتُمْ فَسَتُرْضِعُ لَهُۥٓ أُخْرَىٰ ﴿٦﴾ ٦٥ الطلاق

لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِۦ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُۥ فَلْيُنفِقْ مِمَّآ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَآ ءَاتَىٰهَا سَيَجْعَلُ ٱللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا ﴿٧﴾ ٦٥ الطلاق

وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِۦ فَحَاسَبْنَٰهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَٰهَا عَذَابًا نُّكْرًا ﴿٨﴾ ٦٥ الطلاق

فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَٰقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴿٩﴾ ٦٥ الطلاق

---

٦ وقوله تعالى (أسكنوهن من حيث سكنتم) استئناف وقع جواباً عن سؤال نشأ مما قبله من الحث على التقوى كأنه قيل كيف نعمل بالتقوى فى شأن المعتدات فقيل أسكنوهن مسكناً من حيث سكنتم أى بعض مكان سكناكم وقوله تعالى (من وجدكم) أى من وسعكم أى مما تطيقونه عطف بيان لقوله من حيث سكنتم وتفسير له (ولا تضاروهن) أى فى السكنى (لتضيقوا عليهن) وتلتجئوهن إلى الخروج (وإن كن) أى المطلقات (أولات حمل فأنفقوا عليهن حتى يضعن حملهن) فيخرجن من العدة أما المتوفى عنهن أزواجهن فلا نفقة لهن (فإن أرضعن لكم) بعد ذلك (فآتوهن أجورهن) على الإرضاع (وائتمروا بينكم بمعروف) أى تشاوروا وحقيقته ليأمر بعضكم بعضاً بجميل فى الأرضاع والأجر ولا يكن من الأب مماكسة ولا من الأم معاسرة (وإن تعاسرتم) أى تضايقتم (فسترضع له أخرى) أى فستوجد ولا تعوز مرضعة أخرى وفيه معاتبة للأم على المعاسرة (لينفق ذو سعة من ٧ سعته ومن قدر عليه رزقه فلينفق مما آتاه الله) وإن قل أى لينفق كل واحد من الموسر والمعسر ما يبلغه وسعه (لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها) جل أو قل فإنه تعالى لا يكلف نفساً إلا وسعها وفيه تطييب لقلب المعسر وترغيب له فى بذل مجهوده وقد أكد ذلك بالوعد حيث قيل (سيجعل الله بعد عسر يسراً) أى عاجلا أو آجلا (وكأين من قرية) أى كثير من أهل قرية (عتت) أى أعرضت (عن أمر ربها ٨ ورسله) بالعتو والتمرد والعناد (فحسبناها حساباً شديداً) بالاستقصاء والتنقير والمناقشة فى كل نقير وقطمير (وعذبناها عذاباً نكراً) أى منكراً عظيما وقرىء نكراً والمراد حساب الآخرة وعذابها والتعبير عنهما بلفظ الماضى للدلالة على تحققهما كما فى قوله تعالى ونادى أصحاب الجنة (فذاقت وبال ٩ أمرها وكان عاقبة أمرها خسراً) هائلا لا خسر وراءه .

أَعَدَّ ٱللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ يَٰٓأُو۟لِى ٱلْأَلْبَٰبِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قَدْ أَنزَلَ ٱللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا ﴿١٠﴾ ٦٥ الطلاق

رَّسُولًا يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ مُبَيِّنَٰتٍ لِّيُخْرِجَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ وَمَن يُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ وَيَعْمَلْ صَٰلِحًا يُدْخِلْهُ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا قَدْ أَحْسَنَ ٱللَّهُ لَهُۥ رِزْقًا ﴿١١﴾ ٦٥ الطلاق

١٠ (أعد الله لهم عذاباً شديداً) تكرير للوعيد وبيان لكونه مترقباً كأنه قيل أعد الله لهم هذا العذاب * (فاتقوا الله يا أولى الألباب) ويجوز أن يراد بالحساب استقصاء ذنوبهم وإثباتها فى صحائف الحفظة وبالعذاب ماأصابهم عاجلا وقد جوز أن يكون عتت وما عطف عليه صفة للقرية وأعد الله لهم جواباً * لقوله تعالى كأى (الذين آمنوا) منصوب بإضمار أعنى بياناً للمنادى أو عطف بيان له أو نعت وفى * إبداله منه ضعف لتعذر حلوله محله (قد أنزل الله إليكم ذكراً) هوجبريل عليه السلام سمى به لكثرة ١١ ذكره أو لنزوله بالذكر الذى هو القرآن كما ينبىء عنه إبدال قوله تعالى (رسولا) منه أو لأنه مذكور فى السموات وفى الأمم أو أريد بالذكر الشرف كما فى قوله تعالى وإنه لذكر لك ولقومك كأنه فى نفسه شرف إما لأنه شرف للمنزل عليه وإما لأنه ذو مجد وشرف عند الله تعالى كقوله تعالى عند ذى العرش مكين أو هو النبى عليه الصلاة والسلام وعليه الأكثر عبر عنه بالذكر لمواظبته على تلاوة القرآن أو تبليغه والتذكير به وعبر عن إرساله بالإنزال بطريق الترشيح أو لأنه مسبب عن إنزال الوحى إليه وأبدل منه رسولا للبيان أوهو القرآن ورسولا منصوب بمقدر مثل أرسل أو بذكرا على أعمال المصدر * المنون أو بدل منه على أنه بمعنى الرسالة وقوله تعالى (يتلو عليكم آيات الله مبينات) نعت لرسولا وآيات الله القرآن ومبينات حال منها أى حال كونها مبينات لكم ماتحتاجون إليه من الأحكام وقرىء مبينات * أى بينها الله تعالى لقوله تعالى قد بينا لكم الآيات واللام فى قوله تعالى (ليخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات) متعلقة بيتلو أو بأنزل وفاعل يخرج على الأول ضمير الرسول عليه الصلاة والسلام أو ضمير الجلالة والموصول عبارة عن المؤمنين بعد إنزاله أى ليحصل لهم الرسول أو الله عز وعلا ماهم * عليه الآن من الإيمان والعمل الصالح أو ليخرج من علم أو قدر أنه سيؤمن (من الظلمات إلى النور) * من الضلالة إلى الهدى (ومن يؤمن بالله ويعمل صالحاً) حسبما بين فى تضاعيف ما أنزل من الآيات * المبينات (يدخله جنات تجرى من تحتها الأنهار) وقرىء ندخله بالنون وقوله تعالى (خالدين فيها أبداً) حال من مفعول يدخله والجمع باعتبار معنى من كما أن الإفراد فى الضمائر الثلاثة باعتبار لفظها وقوله * تعالى (قد أحسن الله له رزقا) حال أخرى منه أو من الضمير فى خالدين بطريق التداخل وإفراد ضمير له قد مر وجهه وفيه معنى التعجب والتعظيم لما رزقه الله المؤمنين من الثواب .

اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا (١٢) ٦٥ الطلاق

١٢ (الله الذى خلق سبع سموات) مبتدأ وخبر (ومن الأرض مثلهن) أى خلق من الأرض مثلهن فى العدد وقرىء مثلهن بالرفع على أنه مبتدأ ومن الأرض خبره واختلف فى كيفية طبقات الأرض قالوا الجمهور على أنها سبع أرضين طباقا بعضها فوق بعض بين كل أرض وأرض مسافة كما بين السماء والأرض وفى كل أرض سكان من خلق الله تعالى وقال الضحاك مطبقة بعضها فوق بعض من غير فتوق بخلاف السموات قال القرطبى والأول أصح لأن الأخبار دالة عليه كما روى البخارى وغيره من أن كعباً حلف بالذى فلق البحر لموسى أن صهيباً حدثه أن النبى صلى الله عليه وسلم لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها اللهم رب السموات السبع وما أظللن ورب الأرضين السبع وما أقللن ورب الشياطين وما أضللن ورب الرياح وما أذرين نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ونعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر من فيها وعن ابن عباس رضى الله عنهما أن نافع بن الأزرق سأله عن تحت الأرضين خلق قال نعم قال فما الخلق قال إما ملائكة أو جن قال الماوردى وعلى هذا تختص دعوة الإسلام بأهل الأرض العليا دون من عداهم وإن كان فيهن من يعقل من خلق وفى مشاهدتهم السماء واستمدادهم الضوء منها قولان أحدهما أنهم يشاهدون السماء من كل جانب من أرضهم ويستمدون الضياء منها والثانى أنهم لا يشاهدون السماء وأن الله تعالى خلق لهم ضياء يشاهدونه وحكى الكلبى عن أبى صالح عن ابن عباس رضى الله عنهما أنها سبع أرضين متفرقة بالبحار وتظل الجميع السماء * (يتنزل الأمر بينهن) أى يجرى أمره وقضاؤه بينهن وينفذ ملكه فيهن وعن قتادة فى كل سماء وفى كل أرض خلق من خلقه وأمر من أمره وقضاء من قضائه وقيل هو ما يدبر فيهن من عجائب تدبيره وقرىء ينزل الأمر * (لتعلموا أن الله على كل شىء قدير) متعلق بخلق أو بيتنزل أو بمضمر يعمهما أى فعل ذلك لتعلموا أن من قدر على ما ذكر قادر على كل شىء * (وأن الله قد أحاط بكل شىء علماً) لاستحالة صدور الأفاعيل المذكورة ممن ليس كذلك ويجوز أن يكون العامل فى اللام بيان ما ذكر من الخلق وتنزل الأمر أى أوحى ذلك وبينه لتعلموا بما ذكر من الأمور التى تشاهدونها والتى تتلقونها من الوحى من عجائب المصنوعات أنه لا يخرج عن قدرته وعلمه شىء ما أصلا وقرىء ليعلموا . عن النبى صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة الطلاق مات على سنة رسول الله صلى الله عليه وسلم .

٦٦ – سورة التحريم
(مدنية وهى إثنتا عشرة)

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَٰجِكَ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ (١) ٦٦ التحريم

قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ وَٱللَّهُ مَوْلَىٰكُمْ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ (٢) ٦٦ التحريم

وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِيَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ (٣) ٦٦ التحريم

﴿ سورة التحريم مدنية وآياتها إثنتا عشرة ﴾

١ (بسم الله الرحمن الرحيم) (يأيها النبي لم تحرم ما أحل الله لك) روى أن النبي عليه الصلاة والسلام خلا بمارية فى يوم عائشة وعلمت بذلك حفصة فقال لها اكتمى على فقد حرمت مارية على نفسى وأبشرك أن أبا بكر وعمر يملكان بعدى أمر أمتى فأخبرت به عائشة وكانتا متصادقتين وقيل خلا بها فى يوم حفصة فأرضاها بذلك واستكتمها فلم تكتم فطلقها واعتزل نساءه فنزل جبريل عليه السلام فقال راجعها فإنها صوامة قوامة وإنها لمن نسائك فى الجنة وروى أنه عليه الصلاة والسلام شرب عسلا فى بيت زينب بنت جحش فتواطأت عائشة وحفصة فقالتا نشم منك ريح المغافير وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم * يكره التفل فحرم العسل فنزلت فمعناه لم تحرم ما أحل الله لك من ملك اليمين أو من العسل (تبتغى مرضاة أزواجك) إما تفسير لتحرم أو حال من فاعله أو استئناف ببيان مادعاه إليه مؤذن بعد صلاحيته * لذلك (والله غفور) مبالغ فى الغفران قد غفر لك هذه الزلة (رحيم) قد رحمك ولم يؤاخذك به وإنما ٢ عاتبك محاماة على عصمتك (قد فرض الله لكم تحلة أيمانكم) أى شرع لكم تحليلها وهو حل ماعقده * بالكفارة أو بالاستثناء متصلا حتى لايحنث والأول هو المراد ههنا (والله مولاكم) سيدكم ومتولى * أموركم (وهو العليم) بما يصلحكم فيشرعه لكم (الحكيم) المتقن فى أفعاله وأحكامه فلا يأمركم ولا ٣ ينهاكم إلا حسبما تقتضيه الحكمة (وإذ أسر النبى إلى بعض أزواجه) وهى حفصة (حديثاً) أى حديث * تحريم مارية أو العسل أو أمر الخلافة (فلما نبأت به) أى أخبرت حفصة عائشة بالحديث وأفشته إليها * وقرىء أنبأت به (وأظهره الله عليه) أى أطلع الله تعالى النبى عليه الصلاة والسلام على إفشاء حفصة * (عرف) أى النبى عليه الصلاة والسلام حفصة (بعضه) بعض الحديث الذى أفشته قيل هو حديث الإمامة روى أنه عليه الصلاة والسلام قال لها ألم أقل لك اكتمى على قالت والذى بعثك بالحق ماملكت

إِن تَتُوبَآ إِلَى ٱللَّهِ فَقَدْ صَغَتْ قُلُوبُكُمَا ۖ وَإِن تَظَٰهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ مَوْلَىٰهُ وَجِبْرِيلُ وَصَٰلِحُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ بَعْدَ ذَٰلِكَ ظَهِيرٌ ﴿٤﴾ ٦٦ التحريم

عَسَىٰ رَبُّهُۥٓ إِن طَلَّقَكُنَّ أَن يُبْدِلَهُۥٓ أَزْوَٰجًا خَيْرًا مِّنكُنَّ مُسْلِمَٰتٍ مُّؤْمِنَٰتٍ قَٰنِتَٰتٍ تَٰٓئِبَٰتٍ عَٰبِدَٰتٍ سَٰٓئِحَٰتٍ ثَيِّبَٰتٍ وَأَبْكَارًا ﴿٥﴾ ٦٦ التحريم

نفسي فرحا بالكرامة التي خص الله تعالى بها أباها (وأعرض عن بعض) أى عن تعريف بعض تكرما * قيل هو حديث مارية (فلما نبأها به) أى أخبر النبي عليه الصلاة والسلام حفصة بما عرفه من الحديث * (قالت من أنبأك هذا) أى إفشاءها للحديث (قال نبأني العليم الخبير) الذى لاتخفى عليه خافية (إن تتوبا إلى الله) خطاب لحفصة وعائشة على الالتفات للمبالغة فى العتاب (فقد صغت قلوبكما) الفاء للتعليل * كما فى قولك اعبد ربك فالعبادة حق أى فقد وجد منكما مايوجب التوبة من ميل قلوبكما عما يجب عليكما من مخالصة رسول الله صلى الله عليه وسلم وحب مايحبه وكراهة مايكرهه وقرىء فقد زاغت (وإن * تظاهرا عليه) بإسقاط إحدى التاءين وقرىء على الأصل وبتشديد الظاء وتظهرا أى تتعاونا عليه بما يسوؤه من الإفراط فى الغير وإفشاء سره (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين) أى فلن يعدم * من يظاهره فإن الله هو ناصره وجبريل رئيس الكروبيين قرينه ومن صلح من المؤمنين أتباعه وأعوانه قال ابن عباس رضى الله تعالى عنهما أراد بصالح المؤمنين أبا بكر وعمر رضى الله عنهما وقد روى ذلك مرفوعا إلى النبي عليه الصلاة والسلام وبه قال عكرمة ومقاتل وهو اللائق بتوسيطه بين جبريل والملائكة عليهم السلام فإنه جمع بين الظهير المعنوى والظهير الصورى كيف لا وإن جبريل ظهير له عليهما السلام يؤيده بالتأييدات الإلهية وهما وزيراه وظهيراه فى تدبير أمور الرسالة وتمشية أحكامها الظاهرة ولأن بيان مظاهرتهما له عليه الصلاة والسلام أشد تأثيراً فى قلوب بنتيهما وتوهيناً لأمرهما فكان حقيقاً بالتقديم بخلاف ما إذا أريد به جنس الصالحين كما هو المشهور (والملائكة) مع تكاثر عددهم وامتلاء * السموات من جموعهم (بعد ذلك) قيل أى بعد نصرة الله عز وجل وناموسه الأعظم وصالح المؤمنين * (ظهير) أى فوج مظاهر له كأنهم يد واحدة على من يعاديه فماذا يفيد تظاهر امرأتين على من هؤلاء * ظهراؤه وما ينبىء عنه قوله تعالى بعد ذلك من فضل نصرتهم على نصرة غيرهم من حيث إن نصرة الكل نصرة الله تعالى وإن نصرته تعالى بهم وبمظاهرتهم أفضل من سائر وجوه نصرته هذا ماقالوه ولعل الأنسب أن يجعل ذلك إشارة إلى مظاهرة صالح المؤمنين خاصة ويكون بيان بعدية مظاهرة الملائكة تداركا لما يوهمه الترتيب الذكرى من أفضلية المقدم فكأنه قيل بعد ذكر مظاهرة صالح المؤمنين وسائر الملائكة بعد ذلك ظهير له عليه الصلاة والسلام إيذاناً بعلو رتبة مظاهرتهم وبعد منزلتها وجبرا لفصلها عن مظاهرة جبريل عليه السلام (عسى ربه إن طلقكن أن يبدله) أى يعطيه عليه السلام بدلكن ٥

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ قُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا ٱلنَّاسُ وَٱلْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَٰٓئِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَّا يَعْصُونَ ٱللَّهَ مَآ أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ ﴿٦﴾ ٦٦ التحريم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَعْتَذِرُوا۟ ٱلْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧﴾ ٦٦ التحريم

يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ تُوبُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِى ٱللَّهُ ٱلنَّبِىَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٨﴾ ٦٦ التحريم

* (أزواجا خيراً منكن) على التغليب أو تعميم الخطاب وليس فيه مايدل على أنه عليه الصلاة والسلام لم يطلق حفصة وأن فى النساء خيراً منهن فإن تعليق طلاق الكل لاينافى تطليق واحدة وما علق بما لم يقع
* لايجب وقوعه وقرىء أن يبدله بالتشديد (مسلمات مؤمنات) مقرات مخلصات أو منقادات مصدقات
* (قانتات) مصليات أو مواظبات على الطاعة (تائبات) من الذنوب (عابدات) متعبدات أو متذللات
* لأمر الرسول صلى الله عليه وسلم (سائحات) صائمات سمى الصائم سائحاً لأنه يسيح فى النهار بلا زاد
٦ أو مهاجرات وقرىء سيحات (ثيبات وأبكاراً) وسط بينهما العاطف لتنافيهما (يأيها الذين آمنوا
* قوا أنفسكم) بترك المعاصى وفعل الطاعات (وأهليكم) بأن تأخذوهم بما تأخذون به أنفسكم وقرىء أهلوكم عطفاً على واو قوا فيكون أنفسكم عبارة عن أنفس الكل على تغليب المخاطبين أى قوا أنتم وأهلوكم
* أنفسكم (ناراً وقودها الناس والحجارة) أى ناراً تتقد بهما اتقاد غيرها بالحطب وأمر المؤمنين باتقاء
* هذه النار المعدة للكافرين كما نص عليه فى سورة البقرة للمبالغة فى التحذير (عليها ملائكة) أى تلى
* أمرها وتعذيب أهلها وهم الزبانية (غلاظ شداد) غلاظ الأقوال شداد الأفعال أو غلاظ الخلق شداد
* الخلق أقوياء على الأفعال الشديدة (لايعصون الله ما أمرهم) أى أمره على أنه بدل اشتمال من الله أو
* فيما أمرهم به على نزع الخافض أى لايمتنعون من قبول الأمر ويلتزمونه (ويفعلون مايؤمرون) أى
٧ ويؤدون مايؤمرون به غير تثاقل ولا توان وقوله تعالى (يأيها الذين كفروا لاتعتذروا اليوم) مقول لقول قد حذف ثقة بدلالة الحال عليه أى يقال لهم ذلك عند إدخال الملائكة إياهم النار حسبما أمروا
* به (إنما تجزون ماكنتم تعملون) فى الدنيا من الكفر والمعاصى بعد مانهيتم عنهما أشد النهى وأمرتم
٨ بالإيمان والطاعة فلا عذر لكم قطعاً (يأيها الذين آمنوا توبوا إلى الله توبة نصوحا) أى بالغة فى النصح وصفت التوبة بذلك على الإسناد المجازى وهو وصف التائبين وهو أن ينصحوا بالتوبة أنفسهم فيأتوا بها على طريقتها وذلك أن يتوبوا عن القبائح لقبحها نادمين عليها مغتمين أشد الاغتمام لارتكابها عازمين على أنهم لايعودون فى قبيح من القبائح موطنين أنفسهم على ذلك بحيث لايلويهم عنه صارف أصلا

يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ جَـٰهِدِ ٱلْكُفَّارَ وَٱلْمُنَـٰفِقِينَ وَٱغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ ٱلْمَصِيرُ ﴿٩﴾ ٦٦ التحريم

ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَـٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ ٦٦ التحريم

عن على رضى الله عنه أن التوبة يجمعها ستة أشياء على الماضى من الذنوب الندامة وللفرائض الإعادة ورد المظالم واستحلال الخصوم وأن تعزم على أن لا تعود وأن تذيب نفسك فى طاعة الله تعالى كما ربيتها فى المعصية وأن تذيقها مرارة الطاعة كما أذقتها حلاوة المعصية وعن شهر بن حوشب أن لا يعود ولو حز بالسيف وأحرق بالنار وقيل نصوحا من نصاحة الثوب أى توبة ترفو خروقك فى دينك وترم خلالك وقيل خالصة من قولهم عسل ناصح إذا خلص من الشمع ويجوز أن يراد توبة تنصح الناس أى تدعوهم إلى مثلها لظهور أثرها فى صاحبها واستعماله الجد والعزيمة فى العمل بمقتضياتها وقرىء توبا نصوحا وقرىء نصوحا وهو مصدر نصح فإن النصح والنصوح كالشكر والشكور أى ذات النصح أو تنصح نصوحا أو توبوا لنصح أنفسكم على أنه مفعول له (عسى ربكم أن يكفر عنكم سيئاتكم ويدخلكم جنات تجرى من الأنهار) وورود صيغة الأطماع للجرى على سنن الكبرياء والإشعار بأنه تفضل والتوبة غير موجبة له وأن العبد ينبغى أن يكون بين خوف ورجاء وإن بالغ فى إقامة وظائف العبادة (يوم لايخزى الله النبى) ظرف ليدخلكم (والذين آمنوا معه) عطف على النبى وفيه تعريض بمن أخزاهم الله تعالى من أهل الكفر والفسوق واستحماد إلى المؤمنين على أنه عصمهم من مثل حالهم وقيل هو مبتدأ خبره قوله تعالى (نورهم يسعى بين أيديهم وبأيمانهم) أى على الصراط وهو على الأول استئناف أو حال وكذا قوله تعالى (يقولون) الخ وعلى الثانى خبر آخر للموصول أى يقولون إذا طفىء نور المنافقين (ربنا أتمم لنا نورنا واغفر لنا إنك على كل شىء قدير) وقيل يدعون تقربا إلى الله مع تمام نورهم وقيل تفاوت أنوارهم بحسب أعمالهم فيسألون إتمامه تفضلا وقيل السابقون إلى الجنة يمرون مثل البرق على الصراط وبعضهم كالريح وبعضهم حبوا وزحفا وأولئك الذين يقولون ربنا أتمم لنا نورنا (ياأيها النبى جاهد الكفار) بالسيف (والمنافقين) بالحجة (واغلظ عليهم) واستعمل الخشونة على الفريقين فيما تجاهدهما من القتال والمحاجة (ومأواهم جهنم) سيرون فيها عذابا غليظا (وبئس المصير) أى جهنم أو مصيرهم (ضرب الله مثلا للذين كفروا) ضرب المثل فى أمثال هذه المواقع عبارة عن إيراد حالة غريبة ليعرف بها حالة أخرى مشاكلة لها فى الغرابة أى جعل الله مثلا لحال هؤلاء الكفرة حالا ومآلا على أن مثلا مفعول ثان لضرب واللام متعلقة به وقوله تعالى (امرأة نوح وامرأة لوط) أى حالهما مفعوله الأول أخر عنه ليتصل به ما هو شرح وتفصيل لحالهما ويتضح بذلك حال هؤلاء فقوله تعالى (كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين) بيان لحالهما الداعية لهما إلى الخير والصلاح أى كانتا فى عصمة نبيين عظيمى الشأن متمكنين من تحصيل خيرى الدنيا والآخرة وحيازة سعادتيهما وقوله تعالى (فخانتاهما)

وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ (١١) ٦٦ التحريم

وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ (١٢) ٦٦ التحريم

بيان لما صدر عنهما من الجناية العظيمة مع تحقق ماينفيها من صحبة النبي أى خانتاهما بالكفر والنفاق وهذا تصوير لحالهما المحاكية لحال هؤلاء الكفرة فى خيانتهم لرسول الله صلى الله عليه وسلم بالكفر والعصيان مع تمكنهم التام من الإيمان والطاعة وقوله تعالى (فلم يغنيا) الخ بيان لما أدى إليه خيانتهما أى فلم يغن النبيان (عنهما) بحق الزواج (من الله) أى من عذابه تعالى (شيئاً) أى شيئاً من الإغناء (وقيل) لهما عند موتهما أو يوم القيامة (ادخلا النار مع الداخلين) أى مع سائر الداخلين من الكفرة الذين لا وصلة بينهم وبين الأنبياء عليهم السلام (وضرب الله مثلا للذين آمنوا امرأة فرعون) أى جعل حالها مثلا لحال المؤمنين فى أن وصلة الكفرة لاتضرهم حيث كانت فى الدنيا تحت أعدى أعداء الله وهى فى أعلى غرف الجنة وقوله تعالى (إذ قالت) ظرف لمحذوف أشير إليه أى ضرب الله مثلا للمؤمنين حالها إذ قالت (رب ابن لى عندك بيتاً فى الجنة) قريباً من رحمتك أو فى أعلى درجات المقربين. روى أنها لما قالت ذلك أريت بيتها فى الجنة درة وانتزع روحها (ونجنى من فرعون وعمله) أى من نفسه الخبيثة وعمله السيء (ونجنى من القوم الظالمين) من القبط التابعين له فى الظلم (ومريم ابنة عمران) عطف على امرأة فرعون تسلية للأرامل أى وضرب الله مثلا للذين آمنوا حالها وما أوتيت من كرامة الدنيا والآخرة والاصطفاء على نساء العالمين مع كون قومها كفاراً (التى أحصنت فرجها فنفخنا فيه) وقرىء فيها أى مريم (من روحنا) من روح خلقناه بلا توسط أصلا (وصدقت بكلمات ربها) بصحفه المنزلة أو بما أوحى إلى أنبيائه (وكتبه) بجميع كتبه المنزلة وقرىء بكلمة الله وكتابه أى بعيسى وبالكتاب المنزل عليه وهو الإنجيل (وكانت من القانتين) أى من عداد المواظبين على الطاعة والتذكير للتغليب والإشعار بأن طاعتها لم تقصر عن طاعات الرجال حتى عدت من جملتهم أو من نسلهم لأنها من أعقاب هارون أخى موسى عليهما السلام. عن النبي صلى الله عليه وسلم كمل من الرجال كثير ولم يكمل من النساء إلا أربع آسية بنت مزاحم ومريم بنت عمران وخديجة بنت خويلد وفاطمة بنت محمد صلوات الله عليه وفضل عائشة على النساء كفضل الثريد على سائر الطعام وعن النبي صلى الله عليه وسلم من قرأ سورة التحريم آتاه الله توبة نصوحا.

﴿ تم الجزء الثامن ويليه الجزء التاسع وأوله سورة الملك ﴾

فهرست

الجزء الثامن من تفسير قاضي القضاة أبي السعود

صفحة	سورة
٢	فصلت
٢١	الشورى
٣٩	الزخرف
٥٨	الدخان
٦٧	الجاثية
٧٧	الأحقاف
٩١	محمد صلى الله عليه وسلم
١٠٣	الفتح
١١٥	الحجرات
١٢٥	ق
١٣٦	الذاريات
١٤٦	الطور
١٥٤	النجم
١٦٧	القمر
١٧٦	الرحمن
١٨٨	الواقعة
٢٠٣	الحديد
٢١٥	المجادلة
٢٢٤	الحشر
٢٣٥	الممتحنة
٢٤٢	الصف
٢٤٧	الجمعة
٢٥١	المنافقون
٢٥٥	التغابن
٢٦٠	الطلاق
٢٦٦	التحريم

﴿ تم الفهرست ﴾